



مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية

اصبهان

للعلوم



عمر
عليه السلام

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

تفسير القرآن

(للمعرفة)

المجلد ١

محمد هادي معرفة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

التفسير و المفسرون فى ثوبه القشيب

كاتب:

محمد هادى معرفت

نشرت فى الطباعة:

غير محدد.

رقمى الناشر:

مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

الفهرس

٥	الفهرس
١٤	التفسير و المفسرون (للمعرفة) المجلد ١
١٤	اشارة
١٤	[الجزء الاول]
١٤	[كلمة الناشر]
١٦	[مقدمة الكتاب
١٧	التفسير
١٧	التعريف بالتفسير
١٨	الحاجة إلى التفسير
٢٠	الفرق بين التفسير و التأويل
٢١	معانى التأويل
٢٢	مفاهيم عامة منتزعة من الآيات
٢٣	ضابطة التأويل
٢٥	مزاعم فى التأويل
٣٢	هل يعلم التأويل غير الله؟
٣٣	هل التفسير توقيف؟
٣٦	صلاحية المفسر
٣٩	أوجه التفسير
٤٠	التفسير بالرأى
٤٠	اشارة
٤٥	خلاصة القول فى التفسير بالرأى
٤٥	اشارة
٤٥	أحدهما:

- ٤٤ و ثانيهما:
- ٥١ حجية ظواهر الكتاب
- ٥٤ نسبة خاطئة
- ٥٥ اشارة
- ٥٧ أن معانى القرآن على أربعة أقسام:
- ٥٧ أحدها:
- ٥٧ ثانيها:
- ٥٧ ثالثها:
- ٥٧ رابعها:
- ٥٨ دلائل مزعومة
- ٥٩ منهج القرآن فى الإفادة و البيان
- ٥٩ اشارة
- ٦٠ و الخلاصة:
- ٦١ و جهة أخرى
- ٦٣ و جهة ثالثة:
- ٦٥ و جهة رابعة:
- ٦٦ و جهة خامسة:
- ٦٦ ترجمة القرآن فى كفة الميزان
- ٦٦ اشارة
- ٦٦ ترجمة القرآن
- ٦٦ مسائل ثلاث
- ٦٦ أولاً:
- ٦٦ ثانيا:
- ٦٧ ثالثاً:

- ٦٧ التعريف بالترجمة
- ٦٧ خطورة أمر الترجمة
- ٦٧ أساليب الترجمة
- ٦٧ اشارة
- ٦٨ الأول:
- ٦٨ الثاني:
- ٦٩ الثالث:
- ٦٩ نواحي القرآن الثلاث
- ٧٠ الترجمة الحرفية للقرآن
- ٧٢ الترجمة المعنوية (التفسيرية)
- ٧٢ المنع من الترجمة و أخطارها
- ٧٥ دفاع حاسم
- ٧٧ الترجمة من الوجهة الشرعية
- ٧٧ وثائق شرعية
- ٧٧ اشارة
- ٧٨ فتوى الحجة كاشف الغطاء
- ٧٨ نظرة الإمام الخوئي
- ٧٩ كتاب شيخ الأزهر
- ٧٩ فتوى علماء الأزهر
- ٨١ قرار مجلس الوزراء المصري
- ٨١ محاولة دون تنفيذ القرار
- ٨٢ مناقشات فقهية
- ٨٤ ترجمة القرآن ضرورة دعائية
- ٨٤ اشارة

- ٨٦ تراجم إسلامية عريقة
- ٨٨ كيفية ترجمة القرآن
- ٩٠ نماذج من تراجم خاطئة
- ٩١ التفسير نشأته و تطوره في مراحل:
- ٩٢ اشارة
- ٩٢ المرحلة الأولى التفسير في عهد الرسالة
- ٩٢ اشارة
- ٩٢ التفسير في نشأته الأولى (في عهد الرسالة)
- ٩٣ هل تناول النبي القرآن كله بالبيان؟
- ٩٥ حجم المأثور من تفاسير الرسول صلى الله عليه و آله و سلم
- ٩٦ أوجه بيان النبي لمعاني القرآن
- ٩٩ نماذج من تفاسير مأثورة عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم
- ١٠٦ المرحلة الثانية التفسير في دور الصحابة
- ١٠٦ اشارة
- ١٠٦ التفسير في دور الصحابة
- ١٠٦ هم درجات عند الله
- ١١٠ المفشرون من الأصحاب
- ١١١ أعلم الصحابة بمعاني القرآن فالأعلم
- ١١٦ ملحوظة
- ١٢١ توسعه في التفسير
- ١٢٢ منهجه في التفسير
- ١٢٢ اشارة
- ١٢٣ أولاً- مراجعة ذات القرآن في فهم مراداته
- ١٢٣ ثانيا- رعايته لأسباب النزول

- ١٢٥----- ثالثا- اعتماده المأثور من التفسير المروى
- ١٢٦----- رابعا- اضطلاع بالادب الرفيع
- ١٢٧----- مسائل ابن الأزرق
- ١٣١----- مراجعة أهل الكتاب!
- ١٣٤----- نقد و تمحيص
- ١٣٤----- التحذير عن مراجعة أهل الكتاب
- ١٣٩----- استعمال الرأى و الاجتهاد
- ١٤٠----- الطرق إليه فى التفسير
- ١٥٣----- تفسير ابن عباس
- ١٥٤----- قيمة تفسير الصحابى
- ١٥٧----- هل المأثور من الصحابى حديث مسند؟
- ١٥٩----- ميزان تفسير الصحابى
- ١٦٠----- المرحلة الثالثة التفسير فى دور التابعين
- ١٦٠----- اشارة
- ١٦٠----- مدارس التفسير:
- ١٦٠----- اشارة
- ١٦١----- نعم الخلف لخير سلف
- ١٦١----- مدارس التفسير
- ١٦٣----- أعلام التابعين المفسرين:
- ١٦٣----- اشارة
- ١٦٤----- أعلام التابعين
- ١٦٤----- اشارة
- ١٦٤----- ١. سعيد بن جبير
- ١٦٥----- ٢- سعيد بن المسيب

- ١٦٥ اشارة
- ١٦٨ نموذج من تفسيره
- ١٦٩ من نوادر حكمته:
- ١٧٠ ٣- مجاهد بن جبر
- ١٧٠ اشارة
- ١٧٣ تفسير مجاهد برواية ابن أبي نجيح
- ١٧٤ ٤- طاوس بن كيسان
- ١٧٧ ٥- عكرمة مولى ابن عباس
- ١٧٧ اشارة
- ١٨٢ منهجه فى التفسير
- ١٨٣ و إليك نموذج من تفسيره:
- ١٨٤ ٦- عطاء بن أبى رباح
- ١٨٦ ٧- عطاء بن السائب
- ١٨٧ ٨- أبان بن تغلب بن رباح
- ١٨٩ ٩- الحسن البصرى
- ١٩٦ ١٠- علقمة بن قيس
- ١٩٨ ١١- محمد بن كعب القرظى «٣»
- ١٩٩ ١٢- أبو عبد الرحمن السلمى
- ١٩٩ ١٣- مسروق بن الأجدع
- ٢٠٥ ١٤- الأسود بن يزيد
- ٢٠٥ ١٥- مرّة الهمداني
- ٢٠٥ ١٦- عامر الشعبي
- ٢٠٦ ١٧- عمرو بن شرحبيل
- ٢٠٧ ١٨- زيد بن وهب

- ٢٠٧ ١٩- أبو الشعثاء الكوفى
- ٢٠٧ ٢٠- أبو الشعثاء الأزدي
- ٢٠٧ ٢١- الأصغ بن نباتة
- ٢٠٨ ٢٢- زر بن حبيش
- ٢٠٨ ٢٣- ابن أبي ليلى
- ٢٠٩ ٢٤- عبدة بن قيس بن عمرو السلماني
- ٢٠٩ ٢٥- الربيع بن أنس البكري
- ٢٠٩ ٢٦- الحارث بن قيس الجعفى الكوفى
- ٢٠٩ ٢٧- قتادة بن دعامة
- ٢١٢ ٢٨- زيد بن أسلم
- ٢١٣ ٢٩- أبو العالبة
- ٢١٤ ٣٠- جابر الجعفى
- ٢١٥ قيمة تفسير التابعى
- ٢١٩ ميزات تفسير التابعى
- ٢٢٧ منابع التفسير فى عهد التابعين
- ٢٢٩ المرحلة الرابعة دور أهل البيت فى التفسير
- ٢٢٩ اشارة
- ٢٢٩ العثرة إلى جنب القرآن
- ٢٣١ والمستفاد من حديث الثقلين أمور:
- ٢٣٧ دور أهل البيت فى التفسير
- ٢٣٧ الخلط فى التفاسير المأثورة
- ٢٤٠ الوضع عن لسان الأئمة
- ٢٤٥ نماذج مختارة من صحاح التفاسير المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام
- ٢٤٥ اشارة

- الأول- آية الوضوء ٢٤٥
- اشارة ٢٤٥
- أ- مسح الرأس: ٢٤٥
- ب- مسح الرجلين ٢٤٨
- الثاني- آية قصر الصلاة ٢٤٩
- الثالث- آية الخمس ٢٥١
- الرابع- آية القطع ٢٥٣
- الخامس- تحريم الخمر ٢٥٤
- السادس- قتل المؤمن متعمدا ٢٥٦
- السابع- الطلاق الثلاث ٢٥٦
- الثامن- حديث المتعة ٢٦٢
- اشارة ٢٦٢
- أ- متعة النساء ٢٦٢
- قصة المنع من المتعتين ٢٦٦
- لا نسخ و لا تحريم ٢٧٠
- و لننظر فى هذه البنود باختصار: ٢٧٠
- محاورة مفيدة ٢٧٣
- اشارة ٢٧٣
- ب- متعة الحج ٢٧٥
- مذاهب الفقهاء فى حج التمتع ٢٧٦
- التاسع- حديث الرجعة ٢٧٦
- العاشر- مسألة البداء ٢٨٤
- الفهارس ٢٨٦
- اشارة ٢٨٦

٢٨٦	فهرس الآيات القرآنية
٢٩١	فهرس الأحاديث
٢٩٤	فهرس الأعلام
٣٠٢	تعريف مركز القائمة باصفهان للتمريرات الكمبيوترية

التفسير و المفسرون (للمعرفة) المجلد ١

إشارة

سرشناسه : معرفت هادي

عنوان و نام پديد آور : التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب تاليف محمدهادي معرفه

مشخصات نشر : مشهد: الجامعه الرضويه للعلوم الاسلاميه ١٤١٨ ق ١٣٧٧ -

مشخصات ظاهري : ج.

شابك : ٣٥٠٠ ريال (دوره) ؛ ١٥٠٠٠٠ ريال (دوره، چاپ چهارم) ؛ ج.١، چاپ چهارم: ٦-٥٥-٧٦٧٣-٩٦٤-٩٧٨ ؛ ١٢٠٠٠٠ ريال

ج.٢، چاپ سوم: ١-٣٤-٧٦٧٣-٩٦٤-٩٧٨

يادداشت: عربى

يادداشت: ج. ١ (چاپ چهارم: ١٤٢٩ق. = ١٣٨٧).

يادداشت : ج ٢ (چاپ اول ١٤١٩ ق = ١٣٧٧).

يادداشت : ج.٢ (چاپ سوم: ١٤٢٨ ق.=١٣٨٦).

يادداشت : کتابنامه

موضوع : مفسران.

موضوع : تفسير -- فن

شناسه افزوده : دانشگاه علوم اسلامى رضوى

رده بندي كنگره : BP٩١/٥/م٦٦٧٧ ١٣٧٧

رده بندي ديويى : ٢٩٧/١٧١

شماره كتابشناسى ملي : م٧٧-١٣٧٦٩

[الجزء الاول]

[كلمة الناشر]

بسم الله الرحمن الرحيم تظل الحاجة قائمة إلى تفسير القرآن الكريم بوصفه دستور الإسلام الرفيع، و معجزة النبي صلى الله عليه و آله و سلم الخالدة لأسباب عرضها هذا الكتاب. من هنا كان الرسول الأعظم صلى الله عليه و آله و سلم أول من تولى تفسيره عبر إعداده ثلثة من الصحابة الأكفاء الذين كان أمير المؤمنين على بن أبى طالب عليه السلام أكثرهم تألقاً. و يليه عبد الله بن مسعود، و أبى بن كعب، و عبد الله بن عباس، و كانت لهؤلاء معرفة ملحوظة في تفسير القرآن.

و ازدادت الحاجة إلى تفسير القرآن الكريم أكثر فأكثر بعد وفاة النبي الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم بسبب البعد عن زمن نزول الوحى، و اتساع نطاق الفتوحات الإسلامية، و بروز مسائل علمية جديدة. فتوزع عدد من الصحابة على الأمصار، فاستقر عبد الله بن عباس بمكة، و عبد الله بن مسعود بالكوفة، و أبى بن كعب بالمدينة و أبو موسى الأشعري بالبصرة، و أبو الدرداء بالشام. و ألقى هؤلاء دروسهم في تفسير القرآن، و جهدوا في سبيل ذلك، فأثمرت مساعيهم من خلال إعداد شريحة من التابعين، و ظهور مدارس تفسيرية متنوعة.

و هكذا انتقل التراث الثمين لتفسير القرآن الكريم من التابعين إلى تابعي التابعين ... و حفظته الصدور و تناقلته الألسن إلى أن حان تدوين أول التفاسير، فأشرق فصل جديد في عرض المعارف القرآنية السامقة للأجيال القادمة، و ظهرت أساليب مختلفة في التفسير. و اضطلع التواقون إلى القرآن الكريم بتدوين مئات التفاسير - كاملة كانت أم ناقصة - رغبة منهم في خدمة هذا الكتاب المقدس بعد أن تجسّموا عناء كبيرا على تواتر الأيام، و بعد أن شهد العالم الإسلامي انبثاق مدارس فكرية متنوّعة في حقل الفلسفة، و الكلام، و العرفان، و التصوف، و شهد ظهور المعتزلة، و الأشاعرة. و لعلّ تعرّف الأمم و الشعوب على الإسلام و رغبته في رسالته هذا الدين فرضا ضرورة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤

تعريف القرآن لها، ممّا أفضى إلى بروز ظاهرة جديدة باسم «الترجمة».

إن مرور أربعة عشر قرنا على تفسير القرآن، و ظهور مدارس تفسيرية مختلفة، و جهود الفرق الإسلامية و علماء المسلمين لاستيعاب المعارف القرآنية، و الاهتمام بمستلزمات تفسير القرآن، و عشرات الموضوعات الأخرى، كلّ ذلك حفّز الجميع على الاتجاه الجادّ نحو فصل مهم في علوم القرآن، تحت عنوان «التفسير و المفسرون».

و أول كتاب مستقل تمّ تدوينه في هذا المجال هو كتاب «مذاهب التفسير الإسلامي» الذي ألفه جولد تسيهر. و ترجم هذا المستشرق في الكتاب المذكور و غيره من كتبه الأخرى جهله، بل حقهه على الإسلام. و هذا حذوه الدكتور محمد حسين الذهبي في كتابه «التفسير و المفسرون» الذي ألفه في جزئين. و لقي هذا الكتاب ترحيبا من قبل الأوساط العلمية و الجامعية من لدن صدوره حتى اليوم. و هو الكتاب الوحيد الذي تبسّط في مباحته حول التفسير و المفسرين.

بيد أنّه منى أيضا بمطالب فاطعة؛ إذ أنّه غفل عن كثير من الكتب التي صنّفت قبله في التفسير، و وهم في تعريف المفسرين و كتبهم لاعتماده على مصادر ضعيفة، و الأنكى من ذلك كلّه أنّ مؤلّفه عبّر عن بغضه و إجحافه بحقّ بعض المذاهب الإسلامية و تفاسيرها ممّا قلّل من قيمة الكتاب كثيرا.

و من بين المذاهب التي أسخطته، و تجرّعت مضض جفائه أكثر من غيرها هو المذهب الجعفرى؛ إذ تحامل الذهبي على عقائد الشيعة، و ذكر تفاسيرهم في عداد التفاسير المشوبة بالبدع.

إنّ ما يؤلمنا حقا هو تدريس هذا الكتاب في جامعات بلادنا، و ذلك يعود إلى غياب كتاب يستبدل به. و قيص الله تعالى من يملأ هذا الفراغ، و هو الأستاذ المحقق، الباحث القرآنى سماحه آية الله محمد هادى معرفة - دام ظلّه - الذى هبّ إلى تأليف كتاب «التفسير و المفسرون» بعزم راسخ و جهد كبير و بحث شامل.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥

و نلاحظ أنّ هذا المؤلف الكريم - كما ذكر هو نفسه - قد أمضى ما ينيف على ثلاثين سنة في البحث و التحقيق متحدّيا الصعاب دفاعا عن كيان التشيع، و إثباتا لدور علمائه في بثّ العلوم و المعارف القرآنية.

و كان عطاء تلك الجهود تدوين مجموعة كاملة في مباحث العلوم القرآنية بصورة واسعة و جامعته، و تشتمل هذه الدورة على سبعة أجزاء تحت عنوان «التمهيد في علوم القرآن»، طبع منها لحدّ الآن ستة أجزاء.

و في هذا المضمّر تمّ تأليف كتاب «التفسير و المفسرون» في جزئين. و ممّا يميّز هذا الكتاب هو أنّ مؤلّفه زاول تدريس موضوعاته في حوزة قم، و الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية بمشهد المقدسة قبل نشره. و جدّ في تحبيره من خلال إضافة فصول جديدة أثناء التدريس.

و يحسن هنا أن نشير إلى بعض خصائص الكتاب:

١- كلّ من يراجع الكتاب مراجعة يسيرة يدرك أنّ مؤلّفه أخذ من كل مصدر يمكن أن يغنى بحثه، و لم يغفل عن التبع اللازم.

٢- أزيّن الكتاب بدراسات شاملة تتناول نقد الآراء و تحليلها بعد نقلها، على عكس بعض الكتب التي تكتفى بنقل الآراء و الأقوال.
 ٣- ظاهرة الإبداع معلم بارز من معالم الكتاب إذ نجد فيه مباحث جديدة كضوابط التأويل، و المنهج البياني للقرآن، و دور أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن. و هي مباحث يمكننا أن نقول عنها إنها تعرض لأول مرة في كتاب علمي، مطعّم بالدليل.
 ٤- لقد بذل المؤلف جهودا ملحوظة و مشكورة من أجل تحقيق هدفه المتمثل بالدفاع عن المذهب الجعفرى من خلال طرحه فصولا جديدة في الكتاب، منها: دور أهل البيت في تفسير القرآن، و تحقيق جامع حول المواليين لأهل البيت من الصحابة و التابعين، و تفاسير الشيعة، و غير ذلك.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٦

٥- توفّر المؤلف في دراسة دور المفسرين من الصحابة و التابعين على نقد الآراء المطروحة حولهم و تحليلها اعتمادا على المصادر الرجالية، و ذهب إلى براءة كثير منهم ممّا ألصق بهم جرحا و تضعيفا، و أثبت موالاته الكثيرين منهم لأهل البيت عليهم السلام.
 ٦- إذا أنعمنا النظر في الأبحاث التي تدور حول تاريخ التفسير، فاننا نجد مجموعة كاملة من هذا العلم قد طرحت في الكتاب اعتبارا من الاصطلاحات المستعملة حتى عصور تبلور التفسير، و المدونات التفسيرية التي نلاحظها في ذكر تفاسير الفريقين جميعهما و ذلك كله بأسلوب شامل مقبول. و أن مسائل هذا العلم تغنى كل مراجع.
 من المعالم البارزة في كتب المؤلف قوة قلمه. و يستبين هذا المعلم من مقايسته كتبه ببعض الكتب المؤلفة باللغة العربية. و نلاحظ في كتبه كلها ملكة عربية، و إلماما بالزوايا البيانية للغة العربية من أجل تبيان أهدافه.
 و مؤلفنا القدير يزاول التدريس في الجامعة الرضوية للعلوم الإسلامية عدد سنين، مهتما بنشر الثقافة القرآنية و إعداد الطلاب الكفوئين. و قد تفضّل بالموافقة على اقتراح جامعتنا لطبع كتابه المذكور و اختصنا بشرف ذلك.
 و أنجزت المراحل التمهيديّة قبل الطبع كالمراجعة، و الإخراج الفنى، و إعداد فهرسه، و تنضيد الحروف المطبعية بالحاسب الالكترونى و غيرها، في قسم الدراسات القرآنية في الجامعة الرضوية.
 نبتهل إلى المولى القدير جلّ و علا- أن يتقبل من المؤلف الكريم و من كافّة الأخوة الذين ساهموا في إعداد الكتاب و طبعه هذا الجهد.

و أنّه لمن دواعى سرورنا أن نقدّم هذا الكتاب الثمين لأوداء القرآن الكريم جميعهم، و لله الحمد أولا و آخرا.

الجامعة الرضوية للعلوم الاسلامية قسم الدراسات القرآنية

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٧

التفسير و المفسرون في ثوبه القشيب كتاب أنزلناه إليك مباركك ليدبّرُوا آياته و ليتدكّر أولوا الألباب بحث مستوف بشئون التفسير: نشأته و تطوره و ألوانه مع عرض شامل لأشهر المفسرين و تحليل كامل لأهم كتب التفسير

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٩

[مقدمة الكتاب

بسم الله الرحمن الرحيم الحمد لله و سلام على عباده الذين اصطفى، محمد و آله الطاهرين.

قال تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بَشْرًا لِّلْمُسْلِمِينَ ﴿١﴾.

كان المسلمون في عهدهم الأول يفهمون القرآن على خالصته، و يستسيغون معانيه على بساطتها الأولى، صافية نقيّة عن كدر الأوهام و الدخائل؛ إذ كان قد نزل بلغتهم و على أساليب كلامهم الفصيح البليغ، كانوا يتلقّونه غصّا طريّا، و يجيدون فهمه عذبا رويّا.

و لئن كادت تكون لهم وقفات عند مبهمات التعابير؛ لدقّتها و رقة معانيها، فإنّ الوقفة لم تكن لتطول بهم؛ حيث الرسول- و هو الذريعة

العليا و الوسيلة الكبرى للوصول إلى فهم الشريعة في جميع مناحيها- في تناولهم القريب، فكان يبين لهم إذ ذاك ما خفى على أفهامهم أو دق عن أذهانهم؛ إذ كان عليه البيان، كما كان عليه البلاغ، قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٢». (١) النحل / ٨٩.
(٢) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠

و هكذا ظلّ المسلمون يفهمون القرآن على حقيقته، و يعلمون به على بينة من أمره، أقوياء أعزّاء، في سلامه و سعادته و عيش هنيء، مستمسكين بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها. و قد تداومت بهم هذه الحياة العليا طوال عهد الرسالة، و شطرا بعدها غير قليل. ثم خلف من بعدهم خلف- على تناول الأيام- أضاعوا بعض تلكم الطريقة المثلى، و اتبعوا السبل، ففترقت بهم ذات اليمين و ذات الشمال، ربما في أهواء متباينة و آراء متضاربة؛ فكانت أحداث و بدع و ضلالات، و ابتداع مذاهب و انحيازات، كل يضرب على وتره، و يعمل على شاكلته ..

و كان من جزاء ذلك أن دخلت في الحديث و التفسير دخائل و أساطير مستوردة من أبناء اسرائيل و مسلمة أهل الكتاب، كان يبثها بين المسلمين فئات تظاهرت بالإسلام إما لغلبة الجوّ و المحيط، أو لرغبة في الدسّ و التزوير. تلك كانت بليّة المسلمين، و قد كثر الخبط و التخليط، و لم يفترق السليم عن السقيم، و كان نصيب التفسير من هذا الخبط الحظّ الأوفر بما أوتى هؤلاء من قدرة للاستحواذ على عقول الضعفاء و أهل الأطماع من الأمراء.

نعم كانت هناك معايير و مقاييس تميز الغثّ من السمين، و قد عزّفها النبي الكريم صلى الله عليه و آله و سلمّ للأمة منذ أن أحسّ بدخائل أهل الضغائن على الإسلام، ممن يتبعون المتشابهات من الآيات ابتغاء الفتنة و ابتغاء التأويل. فوضع حدودا دون رسوب تلكم الدسائس الخبيثة، و كان من أهمّها: العرض على محكمات الآيات «هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ»، ثم اللجوء إلى العترة الطاهرة «الثقل الأصغر» كما في حديث الثقلين، و أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. و عدم

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١١

الافتراق، يعني: تلازمهما و لا غناء بأحدهما دون الآخر، فالكتاب أساس الدين، و الطيبون من العترة حملته و حرسه؛ لأنهم ورثه سيّد المرسلين صلوات الله عليهم أجمعين.

و نحن إذ نحاول انتهاج منهج السلف الصالح: الصحابة الأخيار، و التابعين الكبار، و السادة الأطهار، نتتبع طرائقهم في فهم كلام الله و استنباط معانيه و الوقوف على مبانيه، وفق ما رسمه لنا العلماء الأعلام و الأئمة العظام، سائلين المولى تعالى التوفيق على ذلك و التسديد، إنه ولى ذلك و هو المستعان.

قم- محمد هادي معرفة ١٢/ع ١ / ١٤١١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣

التفسير

التعريف بالتفسير

التفسير من فسر، بمعنى أبان و كشف.

قال الراغب: الفسر و السفر متقاربا المعنى كتقارب لفظيهما، لكن جعل الفسر لإظهار المعنى المعقول، و السفر لإبراز الأعيان للأبصار. يقال: سفرت المرأة عن وجهها و أسفرت و أسفر الصبح، و قال تعالى: وَ لَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَ أَحْسَنَ تَفْسِيرًا «١» أى

بيانا و تفصيلا. «٢»

و اصطلاحوا على أن التفسير، هو: إزاحة الإبهام عن اللفظ المشكل، أى المشكل فى إفادة المعنى المقصود. و كانت صياغته من باب «التفعيل» نظرا للمبالغة فى محاولة استنباط المعنى، كما فى كشف و اكتشاف، فإن فى الثانى إفادة زيادة المحاولة فى الكشف، فكان أخص من المجرد؛ و ذلك بناء على أن زيادة المباني تدل على زيادة المعانى. (١) الفرقان / ٣٣.

(٢) ذكر ذلك فى مقدمته للتفسير، ص ٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤

فالتفسير ليس مجرد كشف القناع عن اللفظ المشكل، بل هو محاولة إزالة الخفاء فى دلالة الكلام، فلا بد أن يكون هناك إبهام فى وجه اللفظ؛ بحيث ستر وجه المعنى، و يحتاج إلى محاولة و اجتهاد بالغ حتى يزول الخفاء و يرتفع الإشكال.

و هذا هو الفارق بين التفسير و الترجمة؛ لأنها حيث كان الجهل باللغة و عدم معرفة الوضع الذى يرتفع بمراجعة كتب اللغة المعروفة، و ليس فى ذلك كثير جهد و عناء.

الحاجة إلى التفسير

ما وجه الحاجة إلى تفسير القرآن، و قد أنزله الله نورا و هدى و بصائر للناس و تبيانا لكل شىء، «١» كما أنه جاء ليكون بنفسه أحسن تفسيرا «٢»، فهل هناك حاجة إلى تفسير؟

نعم أنزل الله الكتاب ليكون بذاته بيانا للناس عامة و تفصيلا لكل شىء، «٣» غير أن بواعث الإبهام أمر عارض، و لعله كان من طبيعة البيان القرآنى، جاء (١) قال تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُبِينًا النساء / ١٧٤.

هذا بيان للناس و هدى و موعظة للمتقين آل عمران / ١٣٨.

هذا بصائر للناس و هدى و رحمة لقوم يوقنون الجاثية / ٢٠.

و نزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء النحل / ٨٩.

(٢) و لا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق و أحسن تفسيراً الفرقان / ٣٣، أى أحسن بيانا و توضيحا.

(٣) و هو الذى أنزل إليكم الكتاب مفصلاً الأنعام / ١١٤، و تفصيل الكتاب لا ريب فيه يونس / ٣٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥

تشرىعا للأصول و المباني، و أجمل فى البيان إيكالا إلى تبيين النبى صلى الله عليه و آله و سلم لبيّن للناس تفاصيل ما نزل إليهم «١».

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نزلت عليه الصلاة و لم يسم لهم ثلاثا و لا أربعا، حتى كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم هو الذى فسّر لهم ذلك» «٢».

هذا جانب من الإجمال (الإبهام) الحاصل فى وجه لفيف من آيات الأحكام، و لعله طبيعى فى مثل البيان القرآنى، كما تبيننا.

و جانب آخر أهم: احتواء القرآن على معان دقيقة و مفاهيم رقيقة، تنبؤك عن كمون الخليفة و أسرار الوجود، هى تعاليم و حكم راقية جاء بها القرآن، و كانت فوق مستوى البشرية آنذاك؛ ليقوم النبى صلى الله عليه و آله و سلم بتبيينها و شرح تفاصيلها، و كذا صحابته العلماء هو الذى بعث فى الأميين رسولا منهم يتلوا عليهم آياته و يزكّوهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن كانوا من قبل لى ضلال مبين «٣».

و ذلك فى مثل صفاته تعالى - الجلال و الجمال - و معرفة وجود الإنسان، و سر خلقته، و مقدار تصرفه فى الحياة، و الهدف من الخلق و الإيجاد، و مسائل المبدأ و المعاد.

كل ذلك جاء فى القرآن فى إشارات عابرة، و فى ألفاظ و تعابير كنائية، و استعارة و مجاز؛ فكان حلها و الكشف عن معانيها بحاجة

إلى فقه و دراسة و تدبر، و إمعان نظر و تفكير. (١) وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ النحل / ٤٤.

(٢) الكافي الشريف، ج ١، ص ٢٨٦.

(٣) الجمعة / ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦

و أيضا فإن في القرآن إلماعات إلى حوادث غابرة و أمم خالية، جاء ذكرها لأجل العظة و الاعتبار، إلى جنب عادات جاهلية كانت معاصرة، عارضها و شدّد النكير عليها، في مثل مسألة النسيء، و أنّها زيادة في الكفر، «١» و نهيها عن دخول البيوت من ظهورها. «٢» و نحو ذلك، فاستنكرها عليهم و عنّفهم عليها حتى أبادها، و قطع من جذورها. فلم يبق منها سوى إشارات عابرة، لو لا الوقوف عليها، لما أمكن فهم معاني تلكم الآيات.

كما تعرّض لأحاديث أتت عليها من وجه كليتها و أهمل جانب تعيينها، فجاءت مجتمعة هي بحاجة إلى شرح و بيان، في مثل الدائبة التي تخرج من الأرض فتكلم الناس، «٣» و البرهان الذي عصم يوسف من ارتكاب الإثم. «٤»

هذا مضافا إلى غرائب اللغة التي جاءت في القرآن على أفصحها و أبلغها، و إن كان صعبا فهمها على عامة الناس، لو لا الشرح و البيان. قال الراغب: فالتفسير إما أن يستعمل في غريب الألفاظ، نحو «البحيرة» و «السائبة» و «الوصيلة» أو في و جيز كلام يبيّن و يشرح، كقوله: وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ «٥» أو في كلام مضمّن بقصّة لا يمكن تصوّره إلّا بمعرفتها، نحو (١) التوبة / ٣٧.

(٢) البقرة / ١٨٩.

(٣) النمل / ٨٢.

(٤) يوسف / ٢٤.

(٥) المائدة / ١٠٣. قال الراغب: البحيرة هي الناقة إذا ولدت عشرة أبطن، شقوا أذننها و تركوها، فلا تركب و لا يحمل عليها. و السائبة، إذا ولدت خمسة أبطن، تسيّت في المرعى، فلا تردّ عن حوض و لا كلاء. و الوصيلة، إذا ولدت الشاة توأمين ذكرا و أنثى، فلا يذبح الذكر، و يقال: وصلت أخاها، فيتركونه لأجلها. و الحام: الفحل إذا ضرب عشرة أبطن، كان يقال: حمى ظهره فلا يركب.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧

قوله تعالى: إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ «١» و قوله: وَ لَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا «٢».

قال الإمام بدر الدين الزركشي: التفسير علم يعرف به فهم كتاب الله، و بيان معانيه، و استخراج أحكامه و حكمه، و أن الله إنما خاطب خلقه بما يفهمونه؛ و لذلك أرسل كل رسول بلسان قومه، و أنزل كتابه على لغتهم ...

و القرآن إنما أنزل بلسان عربيّ مبين في زمن أفصح العرب، و كانوا يعلمون ظواهره و أحكامه، و إنّما احتيج إلى التفسير، لما فيه من دقائق باطنة لا تظهر إلّا بعد البحث و النظر، مع سؤال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم عنها في الأكثر، كسؤالهم لما نزل: وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ «٣»، فقالوا: أيّنا لم يظلم نفسه! فسوّاه النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم بالشرك، و استدلل بقوله تعالى: إِنَّ الشُّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ «٤»، و كسؤال عائشة عن الحساب اليسير «٥»،

فقال: «ذلك العرض، و من نوقش الحساب عدّب» «٦»، و كقصّة عدى بن حاتم في الخيط الذي وضعه تحت رأسه، «٧» و غير ذلك مما سأله عن آحاد منه. «٨» (١) التوبة / ٣٧.

(٢) التوبة / ٣٧. راجع: مقدمته للتفسير ص ٤٧-٤٨.

(٣) الأنعام / ٨٢.

(٤) لقمان / ١٣.

(٥) في قوله تعالى: فَأَمَّا مَنْ أُوْتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا الانشقاق / ٧-٨.

(٦) تفسير الطبري، ج ٣٠، ص ٧٤.

(٧) تفسير الطبري، ج ٢، ص ١٠٠.

(٨) سوف نذكر نماذج من تفاسير مأثورة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند الكلام عن التفسير في عهد الرسالة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨

قال: و لم ينقل إلينا عنهم تفسير القرآن و تأويله بجملته، فنحن نحتاج إلى ما كانوا يحتاجون إليه و زيادة؛ لقصورنا عن مدارك أحكام اللغة بغير تعلم، فنحن أشد الناس احتياجا إلى التفسير.

قال: و معلوم أن تفسير القرآن يكون بعضه من قبيل بسط الألفاظ الوجيهة و كشف معانيها، و بعضه من قبيل ترجيح بعض الاحتمالات على بعض؛ لبلاغته و لطف معانيه؛ و لهذا لا يستغنى عن قانون عام يعول في تفسيره عليه، و يرجع في تفسيره إليه، من معرفة مفردات الألفاظ و مركباتها، و سياقه، و ظاهره و باطنه، و غير ذلك مما لا يدخل تحت الوهم، و يدق عنه الفهم.

بين أقداحهم حديث قصير هو سحر، و ما سواه كلام

و في هذا تفاوت الأذهان، و تتسابق في النظر إليه مسابقة الزهان. فمن سابق بفهمه، و راشق كبد الرميء بسهمه، و آخر رمى فأشوى «١» و خبط في النظر خبط عشواء، كما قيل: و أين الرقيق من الركيك، و أين الزلال من الزعاق. «٢»

الفرق بين التفسير و التأويل

كان التأويل في استعمال السلف مترادفا مع التفسير، و قد دأب عليه أبو جعفر الطبري في جامع البيان. لكنه في مصطلح المتأخرين جاء متغيرا مع التفسير، و ربما أخص منه.

التفسير - كما عرفت - رفع الإبهام عن اللفظ المشكل، فمورده: إبهام المعنى (١) يقال: أشوى الزجل، إذا أصاب شواه، و لم يصب مقتله. و الشوى: قحف الرأس و جلده. و أشوى السهم: أخطأ الغرض.

(٢) البرهان في علوم القرآن، ج ١، ص ١٣-١٥. و الزعاق: الماء المر، لا يطاق شربه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩

بسبب تعقيد «١» حاصل في اللفظ.

و أما التأويل فهو دفع الشبهة عن المتشابه من الأقوال و الأفعال، فمورده حصول شبهة في قول أو عمل، أوجبت خفاء الحقيقة (الهدف الأقصى أو المعنى المراد) فالتأويل إزاحة هذا الخفاء.

فالتأويل - مضافا إلى أنه رفع إبهام - فهو دفع شبهة أيضا، فحيث كان تشابه في اللفظ كان إبهام في وجه المعنى أيضا، فهو دفع و رفع معا.

و لتكلم شيئا في التأويل، في حقيقته و المعاني التي جاء استعمالها في القرآن و الحديث، و ما قيل أو قد يقال فيه.

التأويل: من الأول، و هو الرجوع إلى حيث المبدأ؛ فتأويل الشيء إرجاعه إلى أصله و حقيقته، فكان تأويل المتشابه توجيه ظاهره إلى حيث مستقر واقعه الأصيل.

و التشابه قد يكون في كلام إذا أوجب ظاهر تعبيره شبهة في نفس السامع، أو كان متاريا للشبهة، - كما في متشابهات القرآن -، كان يتبعها أهل الزيف ابتغاء الفتنة و ابتغاء تأويلها، إلى حيث أهدافهم الخبيثة.

و قد يكون التشابه في عمل كان ظاهره مرييا، كما في أعمال قام بها صاحب موسى؛ بحيث لم يستطع موسى الصبر عليها دون استجوابه، و السؤال عن تصرفاته تلك المريبة! و قد بحثنا عن المتشابهات و أنواعها، و الأسباب الموجبة لوقوع التشابه في القرآن، في

الجزء الثالث من التمهيد. (١) و للتعقيد أسباب لفظية و معنوية مّر شرحها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠

و الآن فلنذكر المعانى التى يحملها لفظ «التأويل» فى عرف القرآن و استعمال السلف.

معانى التأويل

جاء استعمال لفظ «التأويل» فى القرآن على ثلاثة وجوه:

١- تأويل المتشابه، بمعنى توجيهه حيث يصحح و يقبله العقل و النقل، إما فى متشابه القول، كما فى قوله تعالى: فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ .. «١»، أو فى متشابه الفعل، كما فى قوله: سَأُبَيِّنُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا، ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا «٢».

٢- تعبير الرؤيا، و قد جاء مكررا فى سورة يوسف فى ثمانية مواضع:

(٦ و ٢١ و ٣٦ و ٣٧ و ٤٤ و ٤٥ و ١٠٠ و ١٠١) ٣- مآل الأمر و عاقبته، و ما ينتهى إليه الأمر فى نهاية المطاف، قال تعالى: وَرَبُّنَا بِالْقِسْطِ الْمُسْتَقِيمِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا «٣»، أى أعود نفعاً و أحسن عاقبة.

و لعل منه قوله: .. فَإِن تَنَارَعْتُمْ فِى شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ، إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ، ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا «٤»، أى أنتج فائدة و أفضل مآلاً.

و يحتمل أوجه تفسيراً و أتقن تخريجا للمعنى المراد، نظير قوله تعالى: (١) آل عمران / ٧.

(٢) الكهف / ٧٨، ٨٢.

(٣) الإسراء / ٣٥.

(٤) النساء / ٥٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١

و لَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ «١»، و قال تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ «٢»، أى هل ينتظرون ما ذا يؤول إليه أمر الشريعة و القرآن، لكن لا يطول بهم الانتظار يَوْمَ يَرُونَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ «٣»، كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرُونَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ «٤»، وَ لَاتَ حِينَ مَنَاصٍ «٥».

٤- و المعنى الرابع - للتأويل - جاء استعماله فى كلام السلف: مفهوم عام، منتزع من فحوى الآية الواردة بشأن خاص؛ حيث العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص المورد.

و قد عبّر عنه بالبطن المنطوى عليه دلالة الآية فى واقع المراد، فى مقابلة الظهر المدلول عليه بالوضع و الاستعمال، حسب ظاهر الكلام.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ما فى القرآن آية إلّا و لها ظهر و بطن».

سئل الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام عن هذا الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: «ظهره تنزيله و بطنه تأويله، منه ما قد مضى و منه ما لم يكن، يجرى كما تجرى الشمس و القمر» «٦».

و

قال عليه السلام: «و لو أن الآية إذا نزلت فى قوم ثم مات أولئك القوم، ماتت الآية و لما بقى من القرآن شىء. و لكن القرآن يجرى

أوله على آخره، ما دامت (١) النساء / ٨٣.

(٢) الأعراف / ٥٣.

(٣) الفرقان / ٢٢.

(٤) الاحقاف / ٣٥.

(٥) ص / ٣.

(٦) بصائر الدرجات، الصفار، ص ١٩٥.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢

السموات و الأرض، و لكل قوم آية يتلونها، هم منها من خير أو شر» (١).

و

في الحديث عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ فِيكُمْ مَنْ يقاتل على تأويل القرآن، كما قاتلت على تنزيله، و هو علي بن أبي طالب» (٢).

فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قاتل على تنزيل القرآن؛ حيث كان ينزل بشأن قريش و مشركي العرب ممن عاند الحق و عارض ظهور الإسلام. أما علي عليه السلام فقد قاتل أشباه القوم ممن عارضوا بقاء الإسلام، على نمط معارضة أسلافهم في البدء. و لهذا المعنى عرض عريض، و لعله هو الكافل لشمول القرآن و عمومته لكل الأزمان و الأحيان. فلولا تلك المفاهيم العامة، المترعة من موارد خاصة- وردت الآية بشأنها بالذات- لما بقيت لأكثر الآيات كثير فائدة، سوى تلاوتها و ترتيلها ليل نهار. و إليك بعض الأمثلة على ذلك:

مفاهيم عامة منتزعة من الآيات

قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى (٣).

نزلت بشأن غنائم بدر، و غاية ما هناك أن عمّت غنائم جميع الحروب، على شرائطها.

لكن الإمام أبا جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام نراه يأخذ بعموم الموصول، و يفسر «الغنيمة» بمطلق الفائدة، و أرباح المكاسب و التجارات، يربحها أرباب (١) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٠، رقم ٧.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥، رقم ٦.

(٣) الأنفال / ٤١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣

الصناعات و التجارات و غيرهم طول عامهم، في كل سنة بشكل عام.

قال عليه السلام: «فأما الغنائم و الفوائد فهي واجبة عليهم في كل عام، قال الله تعالى:

وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى

و هكذا

عن الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام: «الخمس في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير» (١).

و قال تعالى: وَانْفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ (٢).

نزلت بشأن الإعداد للجهاد، دفاعا عن حريم الإسلام، فكان مفروضا على أصحاب الثروات القيام بنفقات الجهاد، دون سيطرة العدو الذي لا يبقى و لا يذر.

لكن «السييل» لا- يعني القتال فحسب، فهو يعم سبيل إعلاء كلمة الدين و تحكيم كلمة الله في الأرض، و يتلخص في تثبيت أركان الحكم الإسلامي في البلاد، في جميع أبعاده: الإداري و الاجتماعي و التربوي و السياسي و العسكري، و ما شابه. و هذا إنما يقوم بالمال؛ حيث المال طاقة يمكن تبديلها إلى أي طاقة شئت، و من ثم قالوا: قوام الملك بالمال .. فالدولة القائمة بذاتها إنما تكون قائمة إذا كانت تملك الثروة اللازمة لإدارة البلاد في جميع مناحيها.

و هذا المال يجب توفّره على أيدي العائشين تحت لواء الدولة الحاكمة، و يكون مفروضاً عليهم دفع الضرائب و الجبايات، كل حسب مكنته و ثروته، الأمر الذي يكون شيئاً وراء الأحماس و الزكوات التي لها مصارف خاصة، لا تعنى شئون الدولة فحسب. (١) وسائل الشيعة، الحرّ العاملي، ج ٦، ص ٣٥٠، كتاب الخمس، باب ٨، رقم ٥ و ٦.
(٢) البقرة/ ١٩٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤

و هذه هي (المالئة) التي يكون تقديرها و توزيعها على الأموال و الممتلكات، حسب حاجة الدولة و تقديرها، و من ثم لم يتعين جانب تقديرها في الشريعة، على خلاف الزكوات و الأحماس؛ حيث تعين المقدار و المصروف و المورد فيها بالنص.
فقد فرض الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على الخيل العتاق في كل فرس في كل عام دينارين، و على البراذين ديناراً. (١)

ضابطة التأويل

و مما يجدر التنبه له أن للأخذ بدلائل الكلام- سواء أ كانت جلية أم خفية- شرائط و معايير، لا بدّ من مراعاتها للحصول على الفهم الدقيق. فكما أن لتفسير الكلام- و هو الكشف عن المعاني الظاهرية للقرآن- قواعد و أصول مقرّرة في علم الأصول و المنطق، كذلك كانت لتأويل الكلام- و هو الحصول على المعاني الباطنية للقرآن- شرائط و معايير، لا ينبغي إغفالها و إلّا كان تأويلاً بغير مقياس، بل كان من التفسير بالرأى الممقوت.

و ليعلم أن التأويل- و هو من الدلالات الباطنية للكلام- داخل في قسم الدلالات الالتزامية غير البينة، فهو من دلالة الألفاظ لكنها غير البينة، و دلالة الألفاظ جميعاً مبتنية على معايير يشرحها علم الميزان؛ فكان التأويل- و هو دلالة باطنية- بحاجة إلى معيار معروف كي يخرج عن كونه تفسيراً بالرأى.

فمن شرائط التأويل الصحيح- أي التأويل المقبول في مقابلة التأويل المرفوض- أولاً: رعاية المناسبة القريبة بين ظهر الكلام و بطنه، أي بين الدلالة (١) الوسائل، ج ٦، ص ٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥

الظاهرية و هذه الدلالة الباطنية للكلام، فلا تكون أجنبية، لا مناسبة بينها و بين اللفظ أبداً. فإذا كان التأويل- كما عرفناه- هو المفهوم العام المنتزع من فحوى الكلام، كان لا بدّ أن هناك مناسبة لفظية أو معنوية استدعت هذا الانتزاع.

مثلاً: لفظه «الميزان» وضعت لآلة الوزن المعروفة ذات الكفتين، و قد جاء الأمر بإقامتها و عدم البخس فيها، في قوله تعالى: وَ أَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَ لَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ (١).
لكننا إذا جردنا اللفظ من قرائن الوضع و غيره و أخلصناه من ملابسات الأئسن الذهني، فقد أخذنا بمفهومه العام: كل ما يوزن به الشيء، أي شيء كان مادياً أم معنوياً، فإنه يشمل كل مقياس أو معيار كان يقاس به أو يوزن به في جميع شئون الحياة، و لا يختص بهذه الآلة المادية فحسب.

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي: فالميزان آلة التعديل في النقصان و الرجحان، و الوزن يعدل في ذلك. و لو لا الميزان لتعدّر الوصول إلى كثير من الحقوق؛ فلذلك تبه تعالى على النعمة فيه و الهداية إليه. و قيل: المراد بالميزان: العدل؛ لأنّ المعادلة موازنة الأسباب (٢).
و

روى محمد بن العباس المعروف بماهيار (ت ح ٣٣٠)- في كتابه الذي وضعه لبيان تأويل الآيات- بإسناده إلى الإمام الصادق عليه السلام قال: الميزان الذي وضعه الله للأنام، هو الإمام العادل الذي يحكم بالعدل، و بالعدل تقوم السماوات و الأرض، و قد أمر الناس أن لا يطغوا عليه و يطيعوه بالقسط و العدل، و لا يبخسوا من حقه، (١) الرحمن / ٩.

و

(٢) التبيان، ج ٩، ص ٤٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦

أو يتوانوا في امتثال أوامره. «١» و هكذا قوله تعالى: قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ «٢» كانت دلالة الآية في ظاهر تعبيرها واضحة؛ إنَّ نعمة الوجود و وسائل العيش و التداوم في الحياة، كلها مرهونة بإرادته تعالى وفق تدبيره الشامل لكافة أنحاء الوجود.

و الله تعالى هو الذي مهّد هذه البسيطة لإمكان الحياة عليها، و لو لا فضل الله و رحمته لعباده لضاعت عليهم الأرض بما رحبت.

هذا هو ظاهر الآية الكريمة، حسب دلالة الوضع و المتفاهم العام.

و للإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام بيان يمسّ جانب باطن الآية و دلالة فحواها العام،

قال: «إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فما ذا تصنعون».

و

قال الإمام عليّ الرضا عليه السلام: «ماؤكم: أبوابكم الأئمة، و الأئمة: أبواب الله.

فمن يأتيكم بماء معين، أي يأتيكم بعلم الإمام» «٣».

لا شك أن استعارة «الماء المعين» للعلم النافع، و لا سيما المستند إلى وحى السماء- من نبيّ أو وصي نبيّ- أمر معروف و متناسب لا غبار عليه.

فكما أن الماء أصل الحياة الماديّة و المنشأ الأوّل لإمكان المعيشة على الأرض، كذلك العلم النافع. و علم الشريعة بالذات، هو

الأساس لإمكان الحياة (١) نقلا بالمعنى، راجع: تأويل الآيات الظاهرة للسيد شرف الدين الاسترآبادي، ج ٢، ص ٦٣٢-٦٣٣.

(٢) الملك / ٣٠.

(٣) تفسير الصافي، الفيض الكاشاني، ج ٢، ص ٧٢٧، و راجع: تأويل الآيات الظاهرة، ج ٢، ص ٧٠٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧

المعنويّة التي هي سعادة الوجود و البقاء مع الخلود.

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ «١».

لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ «٢».

فهنا قد لوحظ الماء- و هو أصل الحياة- في مفهومه العام المنتزع منه الشامل للعلم، فيعم الحياة الماديّة و المعنويّة.

و أيضا قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ ... «٣»، أي فليمعن النظر في طعامه، كيف عملت الطبيعة في تهيئته و تمهيد إمكان

الحصول عليه، و لم يأت عفوًا، و من غير سابقة مقدمات و تمهيدات. لو أمعن النظر فيها؛ لعرف مقدار فضله تعالى عليه، و لطفه و

رحمته؛ و بذلك يكون تناول الطعام له سائغا، و مستدعيا للقيام بالشكر الواجب.

هذا، و

قد روى ثقة الإسلام الكليني بإسناده إلى زيد الشحام، قال: سألت الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قلت: ما طعامه؟ قال:

«علمه الذي يأخذه عمن يأخذه». «٤».

و المناسبة هنا- أيضا- ظاهرة؛ لأن العلم غذاء الزوج، و لا بدّ من الاحتياط في الأخذ من منابعه الأصيلة، و لا سيما علم الشريعة و

أحكام الدين الحنيف. (١) الأنفال / ٢٤.

(٢) آل عمران / ١٦٤.

(٣) عبس / ٢٤.

(٤) تفسير البرهان، ج ٤، ص ٤٢٩.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨

و ثانيا: مراعاة النظم و الدقة في إلغاء الخصوصيات المكتنفة بالكلام؛ ليخلص صفوه و يجلو لبابه في مفهومه العام، الأمر الذى يكفله قانون «السبر و التقسيم» من قوانين علم الميزان (علم المنطق) و المعبر عنه في علم الأصول: بتقيح المناط، الذى يستعمله الفقهاء للوقوف على الملاك القطعى لحكم شرعى؛ ليدور التكليف أو الوضع معه نفيا و إثباتا، و لتكون العبرة بعموم الفحوى المستفاد، لا بخصوص العنوان الوارد فى لسان الدليل. و هذا أمر معروف فى الفقه، و له شرائط معروفة.

و مثال تطبيقه على معنى قرآنى، قوله تعالى - حكاية عن موسى عليه السلام-: قَالَ رَبِّ بِمَا أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِلْمُجْرِمِينَ «١». هذه قوله نبي الله موسى عليه السلام قالها تعهدا منه لله تعالى، تجاه ما أنعم عليه من البسطة فى العلم و الجسم: وَ لَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَ اشْتَوَى آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَ عِلْمًا وَ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ «٢» قضى على عدو له بوكرة و كزه بها، فحسب أنه قد فرط منه ما لا ينبغى له، فاستغفر ربّه فغفر له. فقال ذلك تعهدا منه لله، أن لا يستخدم قواه و قدره الذاتيه، و التى منحه الله بها، فى سبيل الفساد فى الأرض، و لا يجعل ما آتاه الله من إمكانات معنوية و مادية فى خدمة أهل الإجماع.

هذا ما يخص الآية فى ظاهر تعبيرها بالذات.

و هل هذا أمر يخص موسى عليه السلام لكونه نبيا و من الصالحين، أم هو حكم عقلى بات يشمل عامة أصحاب القدرات، من علماء و أدباء و حكماء و أرباب صنائع و فنون، و كل من آتاه الله العلم و الحكمة و فصل الخطاب؟ لا ينبغى فى (١) القصص / ١٧.

(٢) القصص / ١٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩

شريعة العقل أن يجعل ذلك ذريعة سهلة فى تناول أهل العبث و الاستكبار فى الأرض، بل يجعلها وسيلة ناجحة فى سبيل إسعاد العباد و إحياء البلاد هُوَ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَ اسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا «١».

و هذا الفحوى العام للآية الكريمة إنما يعرف وفق قانون «السبر و التقسيم» و إلغاء الخصوصيات المكتنفة بالموضوع، فيتفتح ملاك الحكم العام.

و فى القرآن كثير من هذا القبيل، إنما الشأن فى إمعان النظر و التدبر فى الذكر الحكيم؛ و بذلك يبدو وجه استفادة فرض الأخماس من آية الغنيمه، و دفع الضرائب من آية الإنفاق فى سبيل الله.

مزاعم فى التأويل

هناك من حسب من تأويل القرآن شيئا وراء المفاهيم الذهنية أو التعابير الكلامية، و كان من نمط الأعيان الخارجية، و كان ما ورد فى القرآن من حكم و آداب و تكاليف و أحكام كلها تعود إليه؛ إذ تنتزع منه و تنتهى إليه فى نهاية المطاف، فكان ذلك تأويلا للقرآن فى جميع آياته الكريمة.

و قد اختلفوا فى تبين تلك الحقيقة التى تعود إليها جميع الحقائق القرآنية فى أصول معارفه و الأحكام:

ذكر ابن تيمية- فى رساله وضعها بشأن المتشابه و التأويل-: أن التأويل فى عرف المتأخرين صرف اللفظ عن معناه الراجع إلى معنى مرجوح؛ لدليل يقترن به. فالتأويل- على هذا- يحتاج إلى دليل، و المتأول عليه وظيفتان: بيان احتمال اللفظ للمعنى الذى يدعيه، و بيان الدليل الموجب للصرف إليه عن المعنى الظاهر. (١) هود / ٦١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠

قال: و أما التأويل - في عرف السلف - فله معنيان: أحدهما: ما يرادف التفسير و البيان، و هو الذى عناه مجاهد بقوله: إن العلماء يعلمون تأويل القرآن، أى تفسيره و تبينه.

و الثانى: نفس المراد بالكلام، إن كان طلبا فتأويله نفس العمل المطلوب، و إن كان خبرا فتأويله نفس الشىء المخبر به. قال: و بين هذا المعنى - الأخير - و الذى قبله - الذى جاء أولا فى عرف السلف، و الذى جاء فى عرف المتأخرين - بون؛ فإن الذى قبله يكون التأويل فيه من باب العلم و الكلام كالتفسير و الشرح و الإيضاح و يكون وجود التأويل فى القلب و اللسان، له الوجود ذهنى و اللفظى و الرسمى.

و أما هذا - المعنى الثانى فى عرف السلف - فالتأويل فيه نفس الأمور الموجودة فى الخارج، سواء كانت ماضية أو مستقبلة. فإذا قيل: طلعت الشمس، فتأويل هذا نفس طلوعها.

قال: و هذا الوضع و العرف الثالث - الذى جاء ثانيا فى عرف السلف - هو لغة القرآن التى نزل بها «١». و قال فى تفسير سورة الإخلاص - بعد كلام تفصيلى له عن تأويل المتشابه من الآيات، و أن الراسخين فى العلم يعلمون تأويله، و استعظام أن يكون جبرائيل و محمد صلى الله عليه و آله و سلم و الصحابة و التابعون لهم بإحسان و أئمة المسلمين لا يعرفون تأويل متشابه القرآن، و يكون الله تعالى قد استأثر بعلم معانى هذه الآيات كما استأثر بعلم الساعة، و أنهم جميعا كانوا يقرءون ألفاظا لا يفهمون لها معنى، كما (١) رسالة الإكليل، مطبوعة ضمن المجموعة الثانية من رسائله ص ١٠ و ١٧ - ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١

يقرأ أحدنا كلاما ليس من لغته فلا يعرف معناه، من قال ذلك فقد كذب على القوم، و المأثور عنهم متواترا يناقض هذا الزعم، و أنهم يفهمون معنى المتشابه كما يفهمون معنى المحكم - قال بعد ذلك:

فإن قيل: هذا يقدر فيما ذكرتم من الفرق بين التأويل الذى يراد به التفسير، و بين التأويل الذى فى كتاب الله.

قيل: لا يقدر فى ذلك، فإن معرفة تفسير اللفظ و معناه و تصوّره فى القلب، غير معرفة الحقيقة الموجودة فى الخارج، المرادة بذلك الكلام.

فإن الشىء له وجود فى الأعيان، و وجود فى الأذهان، و وجود فى اللسان، و وجود فى البيان. فالكلام لفظ له معنى فى القلب، و يكتب ذلك اللفظ بالخط.

فإذا عرف الكلام و تصوّر معناه فى القلب و عبّر عنه باللسان، فهذا غير الحقيقة الموجودة فى الخارج، و ليس كل من عرف الأول عرف عين الثانى.

مثال ذلك: أن أهل الكتاب يعلمون ما فى كتبهم من صفة النبى صلى الله عليه و آله و سلم و خبره و نعته، و هذا معرفة الكلام و معناه و تفسيره، و تأويل ذلك هو نفس محمد المبعوث؛ فالمعرفة بعينه معرفة تأويل ذلك الكلام.

و كذلك الإنسان قد يعرف الحجّ و المشاعر، كالبيت و المساجد و منى و عرفه و مزدلفه، و يفهم معنى ذلك و لا يعرف الأمكنة حتى يشاهدها، فيعرف أن الكعبة المشاهدة هى المذكورة فى قوله: وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ وَ كَذَلِكَ أَرْضُ عَرَفَاتٍ وَ غيرها.

و كذلك الرؤيا يراها الرجل، و يذكر له العابر تأويلها فيفهمه و يتصوره، ثم إذا كان ذلك فهو تأويل الرؤيا، ليس تأويلها نفس علمه و تصوّره و كلامه؛ و لهذا قال يوسف الصديق: هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِنْ قَبْلُ وَ قَالَ: لَا يَأْتِيَكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَأُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَكُمَا فَقَدْ أَنْبَأَهُمَا بِالتَّوْوِيلِ قَبْلَ أَنْ يَأْتِيَ التَّوْوِيلَ،

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢

فنحن نعلم تأويل ما ذكر الله فى القرآن من الوعد و الوعيد، و إن كنّا لا نعرف متى يقع هذا التأويل المذكور فى قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلَهُ «١».

وقد أشاد السيد محمد رشيد رضا (منشئ مجلة المنار المصرية) من هذه النظرة التيمية بشأن تأويل القرآن، و أعجبه غاية الإعجاب. قال- بعد أن نقل عن شيخه الأستاذ محمد عبده، أن التأويل بمعنى ما يؤول إليه الشيء و ينطبق عليه، لا بمعنى ما يفسر به «٢»:- ليس في كتب التفسير المتداولة ما يروى الغليل في هذه المسألة، و ما ذكرناه آنفا هو صفوة ما قالوه، و خيرة كلام الأستاذ الإمام. و قد رأينا أن نرجع بعد كتابته إلى كلام في المتشابه و التأويل، لشيخ الإسلام أحمد بن تيمية، فرجعنا إليه و قرأناه بامعان، فإذا هو منتهى التحقيق و العرفان، و البيان الذي ليس وراءه بيان، أثبت فيه أنه ليس في القرآن كلام لا يفهم معناه، و أن المتشابه إضافي إذا اشتبه فيه الضعيف لا يشته فيه الراسخ، و أن التأويل الذي لا يعلمه إلا الله تعالى هو ما تؤول إليه تلك الآيات في الواقع، ككيفية صفاته تعالى، و كيفية عالم الغيب، و كيفية قدرته تعالى و تعلقها بالإيجاد و الإعدام، و كيفية استوائه على (١) راجع: رسالته في تفسير سورة الإخلاص، ص ١٠٢-١٠٣. و نقله محمد رشيد رضا في تفسير المنار، ج ٣، ص ١٩٥-١٩٦.

(٢) يرى الأستاذ عبده من متشابهات القرآن، الأمور الأخروية التي ورد ذكرها في القرآن، لأنها من ضرورة الدين و من مقاصد الوحي؛ حيث العقيدة بأحوال الآخرة من أركان الدين، فيجب الإيمان بها، الأمر الذي لا يمكن الوقوف على حقيقتها إلا بعد مشاهدتها في الآخرة، فهي تأويلها ذلك اليوم، كما قال تعالى: يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ، يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ الْأَعْرَافِ/ ٥٣ (المنار، ج ٣، ص ١٦٧)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣

العرش. و لا- كيفية عذاب أهل النار، و لا نعيم أهل الجنة، كما قال تعالى: فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ «١» فليست نار الآخرة كنار الدنيا، و إنما هي شيء آخر. و ليست ثمرات الجنة و لبنها و عسلها من جنس المعهود لنا في هذا العالم، و إنما هو شيء آخر يليق بذلك العالم و يناسبه.

قال: و إنما نبين ذلك بالإطناب الذي يحتمله المقام، مستمدين من كلام هذا الحبر العظيم، ناقلين بعض ما كتبه «٢». و جعل ينقل ما سرده ابن تيمية بإسهاب.

و هذا الذي ذكره ابن تيمية و أشاد به رشيد رضا، لا يعدو ما يعود إليه أمر الشيء، أخذنا بالمفهوم اللغوي لمادة التأويل. أما العين الخارجية بالذات فلعله من اشتباه المصداق بالمفهوم، فإن الوجود العيني للأشياء هي عين تشخصاتها المعبر عنها بالمصداق الخارجية، و لم يعهد إطلاق لفظ «التأويل» على المصداق في متعارف الاستعمال إلا أن يكون من عرفهما الخاص، و لا مشاحة في الاصطلاح. و على أي تقدير، فإنهما لم يأتيا بشيء جديد، فإن مسألة الوجودات الأربعة للأشياء (الذهني و اللفظي و الکتبي و العيني) أمر تعارف عليه أرباب المنطق منذ عهد قديم، إلا أن الشيء الذي لم يتعارف عليه هو إطلاق اسم «التأويل» على العين الخارجية، باعتبارها مصداقا للوجودات الثلاثة المنتزعة عنها، سوى كونه مصطلحا جديدا غير معروف.

و لسيدنا العلامة الطباطبائي كلام تحقيقي لطيف حول مسألة التأويل، يراه (١) السجدة/ ١٧.

(٢) تفسير المنار، ج ٣، ص ١٧٢-١٩٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤

متغيرا مع المفاهيم، بعيدا عن جنس الألفاظ و المعاني و التعابير، و إنما هي حقائق راهنة، موطنها خارج الأذهان و العبارات. إنه رحمه الله تعرض لكلام ابن تيمية، فصحه من جهة، و خطأه من جهة أخرى؛ صححه من جهة قوله: بشمول التأويل لجميع آي القرآن، محكمه و متشابهه، و قوله: بأنه خارج الأذهان و العبارات. لكن خطأه في حصره للتأويل في العين الخارجية البحت، فإنه مصداق و ليس بتأويل. إنما التأويل حقائق راهنة، هي مصالح واقعية و أهداف و غايات مقصودة من وراء التكليف و الأحكام، و كذا الحكم و المواعظ و الآداب، و حتى القصص و الأخبار و الآثار التي جاءت في القرآن.

قال- مناقشا لرأى ابن تيمية:-

«إنه وإن أصاب في بعض كلامه، لكنه أخطأ في بعضه الآخر. إنه أصاب في القول بأن التأويل لا يختص بالمتشابه، بل هو عام لجميع القرآن، وكذا القول: بأن التأويل ليس من سنخ المدلول اللفظي، بل هو أمر خارجي يتنى عليه الكلام. لكنه أخطأ في عد كل أمر خارجي مرتبط بمضمون الكلام - حتى مصاديق الأخبار الحاكية عن الحوادث الماضية والمستقبلية - تأويلاً للكلام» (١).
ثم قال: «الحق في تفسير التأويل أنه الحقيقة الواقعية التي تستند إليها البيانات القرآنية، من حكم أو موعظة أو حكمة، وأنه موجود لجميع الآيات القرآنية محكمها ومتشابهها، وأنه ليس من قبيل المفاهيم المدلول عليها بالألفاظ، بل هي من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ. وإنما قيدها الله سبحانه بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا بعض التقريب، فهي كالأمثال تضرب (١) الميزان، ج ٣، ص ٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥

ليقرب بها المقاصد وتوضح، بحسب ما يناسب فهم السامع، كما قال تعالى:

وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ (١).

وقال - في شرح الآية -:

«إن هناك كتاباً مبيناً عرض عليه جعله مقروءاً عربياً، وإنما ألبس لباس القراءة والعربية ليعقله الناس، وإلا فإنه - وهو في أم الكتاب - عند الله على لا - تصعد إليه العقول، حكيم لا - يوجد فيه فصل وفصل. فالكتاب المبين - في الآية - هو أصل القرآن العربي المبين، و للقرآن موقع هو في الكتاب المكنون، وأن التنزيل حصل بعده، وهو الذي عبر عنه بأم الكتاب وباللوح المحفوظ. فالكتاب المبين الذي هو أصل القرآن وحكمه الخالي عن التفصيل، أمر وراء هذا المنزل، وإنما هذا بمنزلة اللباس لذاك. إن هذا المعنى، أعنى كون القرآن في مرتبة التنزيل بالنسبة إلى الكتاب المبين، ونحن نسميه بحقيقة الكتاب، بمنزلة اللباس من المتلبس، و بمنزلة المثال من الحقيقة، و بمنزلة المثل من الغرض المقصود بالكلام...» (٢).

و أضاف: «فالحقيقة الخارجية التي توجب تشريع حكم من الأحكام أو بيان معرفة من المعارف الإلهية أو وقوع حادثه هي مضمون قصية من القصص القرآنية، وإن لم تكن أمراً يدل عليه بالمطابقة نفس الأمر والنهي أو البيان أو الواقعة الكذائية، إلا أن الحكم أو البيان أو الحادثه، لما كان كل منها ينشأ منها ويظهر منها، فهو أثرها الحاكي لها بنحو من الحكاية والإشارة» (٣). (١) الميزان، ج ٣، ص ٤٩، الزخرف / ٤.

(٢) الميزان، ج ٢، ص ١٤ - ١٦.

(٣) المصدر نفسه، ج ٣، ص ٥٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦

و أخيراً لخص كلامه في بيان التأويل بما يلي:

«التأويل في عرف القرآن هو الحقيقة التي يتضمَّنها الشيء و يؤول إليها و يتنى عليها، كتأويل الرؤيا، و هو تعبيرها، و تأويل الحكم، و هو ملاكه، و تأويل الفعل، و هو مصلحته و غايته الحقيقية، و تأويل الواقعة، و هو علتها الواقعية، و هكذا» (١) غير أن وقفة فاحصة عند كلام هذا المحقق العلامة، تجعلنا نتردد في التوافق معه، إنه رحمه الله لو كان اقتصر على ما لخصه أخيراً، من جعل ملاكات الأحكام و المصالح و الغايات الملحوظة في التشريعات و التكاليف تأويلاً، أي أصلاً لها و مرجعها الأساسي لكل ذلك المذكور؛ لأمكننا مرافقته.

لكنه توسع في ذلك، و فرض من تأويل آي القرآن كلها أمراً بسيطاً ذا إحكام رصين، ليس فيه شيء من هذه التجزئة و التفصيل الموجود في القرآن الحاضر الذي يتداوله المسلمون منذ أول يومهم فإلى ما لا نهاية، فإن ذاك عار عن كونه آية آية و سورة سورة، وجوداً واحداً بسيطاً صرفاً، مستقراً في محل أرفع، في كتاب مكنون لا يمسه إلا المطهرون.

و فرض من القرآن ذا وجودين: وجودا ظاهريا يتشكل فى ألفاظ و عبارات ذوات مفاهيم معروفة، و هو الذى يتلى و يقرأ و يدرس، و يتداوله الناس حسبما ألقوه طوال عهد الإسلام.

و وجودا آخر باطنيا، هو وجوده الحقيقى الأصيل، المترفع عن أن تناله العقول و الأحلام، فضلا عن الأوهام، و ذلك الوجود الحقيقى الرفيع هو تأويل (١) الميزان، ج ١٣، ص ٣٧٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧

القرآن، أى أصله و مرجعه الأصيل.

قال- بصدد بيان نزول القرآن دفعة واحدة فى ليلة القدر من شهر رمضان، و أنه لم يكن هذا القرآن المتلو الذى بأيدى الناس، فإنه نزل تدريجا بلا ريب:-

«و الذى يعطيه التدبر فى آيات الكتاب أمر آخر، فإن الآيات الناطقة بنزول القرآن فى شهر رمضان أو فى ليلة القدر إنما عبرت عن ذلك بلفظ الإنزال الدال على الدفعة، دون التنزيل، و اعتبار الدفعة إما بلحاظ المجموع أو البعض، و إما لكون الكتاب ذا حقيقة أخرى وراء ما نفهمه بالفهم العادى، الذى يقضى فيه بالتفرق و التفصيل و الانبساط و التدريج، هو المصحح لكونه واحدا غير تدريجى و نازلا بالإنزال دون التنزيل؛ و هذا هو اللائح من الآيات الكريمة: كِتَابٌ أَحْكَمْتُ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلْتُ «١» فإن هذا الإحكام مقابل التفصيل، و التفصيل هو جعله فصلا فصلا و قطعة قطعة؛ فالإحكام كونه بحيث لا يتفصل فيه جزء من جزء، و لا يتميز بعض من بعض؛ لرجوعه إلى معنى واحد لا- أجزاء فيه و لا- فصول. و الآية ناطقة بأن هذا التفصيل المشاهد فى القرآن، إنما طرأ عليه بعد كونه محكما غير مفصل، و أوضح منه قوله تعالى: حم وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ. وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ «٢» فإنه ظاهر فى أن هناك كتابا مبينا عرض عليه جعله مقروا عربيا، و إنما ألبس لباس القراءة و العربية ليعقله الناس، و إلا فإنه فى أم الكتاب عند الله على لا يصعد إليه العقول، حكيم لا يوجد فيه فصل فصل. فالكتاب المبين الذى هو أصل القرآن و حكمه (١) هو د/ ١.

(٢) الزخرف / ٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨

الخالى عن التفصيل أمر وراء هذا المنزل و إنما هذا بمنزلة اللباس لذاك. «١»

ثم أحال تمام الكلام إلى بيانه الآتى حول آية المتشابهات، قال هناك:

«الحق فى تفسير التأويل أنه الحقيقة الواقعية التى تستند إليها البيانات القرآنية، و أنه موجود لجميع الآيات، و أنه ليس من قبيل المفاهيم بل من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ، و إنما قيدها الله بقيد الألفاظ لتقريبها من أذهاننا، قال تعالى:

إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ وَ إِنَّهُ فِى أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِّي حَكِيمٌ «٢» و فى القرآن تصريحات و تلويحات بهذا المعنى «٣».

و بعد، فلنتساءل: ما هو السبب الداعى لفرض وجودين للقرآن الكريم:

وجودا لديه تعالى فى كتاب مكنون، لا يمسه إلا المطهرون، عاريا عن التجزئة و التفصيل، متعاليا عن شبكات الألفاظ و العبارات؛ و وجودا أرضيا نزل تدريجا لهداية الناس، و ألبس لباس العربية لعلمهم يعقلونه؟! و لعله للنظر إلى قوله تعالى: شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِى أُنزِلَ فِيهِ

الْقُرْآنُ ... «٤»

و قوله: حم وَ الْكِتَابِ الْمُبِينِ. إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ. فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ أَمْرًا مِنْ عِنْدِنَا «٥» و قوله: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِى لَيْلَةِ الْقَدْرِ ... «٦».

و

قد ورد فى الحديث- من طرق الفريقين:- أن القرآن نزل جملة واحدة فى (١) الميزان، ج ٢، ص ١٤- ١٦.

(٢) الزخرف / ٤.

(٣) الميزان، ج ٣، ص ٤٩.

(٤) البقرة / ١٨٥.

(٥) الدخان / ٥.

(٦) القدر / ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩

ليلة القدر، ثم نزل تدريجا طوال عشرين عاما «١».

و لذلك فرض علامتنا الطباطبائي وجودين للقرآن الكريم و نزولين. و كان نزوله الدفعي بوجوده البسيط الذي كان بمنزلة الروح لهذا القرآن، النازل تدريجا بوجوده التفصيلي.

و بذلك نراه قد جمع بين ظواهر الآيات و دلالة الروايات، و أيد ذلك بالفارق اللغوي بين لفظتي «الإنزال» و «التنزيل».

لكن تشريف شهر رمضان إنما كان بنزول هذا القرآن المعهود لدى المخاطبين بهذا الخطاب، لا بأمر لا يعرفونه! على أن القرآن النازل في هذا الشهر، قد وصف بكونه هُدىً لِلنَّاسِ وَ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَ الْفُرْقَانِ «٢» و معلوم أن الهداية و البيّنات، إنما هي بهذا الكتاب الذي يتداولونه، لا بكتاب مكنون عند الله محفوظ لديه في مكان على لا تناله الأيدي و الأبصار.

كما أن الذي يبتغيه أهل الزيف لأجل الفساد في الأرض، هو تفسير الآيات على غير وجهها، لا وجودا آخر للقرآن، هو في أعلى عليين. فقله رحمه الله: «و أنه موجود لجميع الآيات محكمها و متشابهها، و أنه ليس من قبيل المفاهيم بل من الأمور العينية المتعالية من أن يحيط بها شبكات الألفاظ ...»

غير مفهوم لنا. (١) بحار الأنوار، ج ٩٤، ص ١٤، رقم ٢٣.

(٢) البقرة / ١٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠

و الفرق بين «الإنزال» و «التنزيل» أمر أبدعه الراغب الأصبهاني، و لا شاهد له.

قال: و إنما خصّ لفظ الإنزال دون التنزيل؛ لما روى أن القرآن نزل دفعة واحدة إلى سماء الدنيا، ثم نزل نجما فنجما. و لفظ الإنزال أعمّ من التنزيل، قال:

لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ «١» و لم يقل: لو نزلنا، تنبيها إنا لو خولناه مرّة ما خولناك مرارا.

و يرد عليه ما حكاه الله عن قوله العرب: لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً «٢».

و كذلك قوله تعالى: وَ قَالُوا لَوْ لَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ «٣».

و قوله: وَ يَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْ لَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ «٤».

و قوله: وَ لَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ ... «٥».

و قوله: لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَاءِ مَلَكًا رَسُولًا «٦».

كما جمع بين التعبيرين بشأن أمر واحد في قوله تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٧».

كما جاء استعمال «الإنزال» بشأن التدريجيات أيضا: (١) الحشر / ٢١.

(٢) الفرقان / ٣٢.

(٣) الأنعام / ٣٧.

(٤) محمد / ٢٠.

(٥) الأنعام / ٧.

(٦) الإسراء / ٩٥.

(٧) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ «١».

هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ «٢».

لأن الكتاب الذي منه محكم و متشابه، هو هذا الكتاب الذي نزل تدريجاً.

أَفَعَبَّرَ اللَّهُ أَتْبَعِي حَكْمًا وَ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا «٣»؛ إذ الذي نزل مفصلاً هو هذا القرآن الذي نزل منجماً.

و أخيراً فما هي الفائدة المتوخاة من وراء نزول القرآن دفعة واحدة إلى السماء الدنيا أو إلى السماء الرابعة، في البيت المعمور أو بيت العزة- على الاختلاف في ألفاظ الروايات-، ثم نزوله بعد ذلك تدريجاً في طول عهد الرسالة؟

و هل لوجود القرآن بوجوده البسيط الروحاني- في ذلك المكان الرفيع- فائدة تعود على أهل السماوات أو سكان الأرضين؟

و أجاب الفخر الرازي عن ذلك، و علل وجود القرآن هناك، في مكان أنزل من العرش و أقرب إلى الأرض؛ ليسهل التناول منه لجبرائيل عند مسيس الحاجة. «٤»

و علل بعض الأساتذة المعاصرين ذلك، بأن الرابط بين ذلك القرآن المحفوظ لديه تعالى، و هذا القرآن المعروف على الناس، هو «رابط العلية» فكل ما في هذا القرآن من حكم و مواظ و آداب، و تعاليم و معارف و أحكام، إنما تنشأ مما حواه (١) البقرة / ٢٢.

(٢) آل عمران / ٧.

(٣) الأنعام / ١١٤.

(٤) التفسير الكبير، ج ٥، ص ٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢

ذلك القرآن، على بساطته و علو رفعتة؛ فهذا إشعاع من ذلك النور الساطع، و إفاضة من ذلك المقام الرفيع. «١»

غير أن هذا كله تكلف في التأويل، و تمحل في القول بلا دليل، و لعلنا في غنى عن البسط فيه و التذليل.

و أما الآيات التي استندوا إليها لإثبات وجود آخر للقرآن محفوظ عند الله، في كتاب مكنون لا يمسه إلّا المطهرون ... فهي تعنى أمراً آخر غير ما راموه.

و ليعلم أن المقصود من الكتاب المكنون، هو: علم الله المخزون، المعبر عنه ب (اللوح المحفوظ) أيضاً، و هكذا التعبير ب (ام الكتاب) كناية عن علمه تعالى الذاتى الأزلى، بما يكون مع الأبد.

و قد ذكر العلامة الطباطبائي- في تفسير سورة الرعد حديثاً

عن الإمام الصادق عليه السلام قال: «كل أمر يريد الله، فهو في علمه قبل أن يضعه، و ليس شيء يبدو له إلّا و قد كان في علمه»

قال ذلك تفسيرا لقوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ «٢».

فقوله تعالى: وَ إِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَمَدِينًا لَعَلِّي حَكِيمٌ «٣» يعنى قضى الله في علمه الأزلى الحتم أن القرآن- في مسيرته الخالدة- سوف يشغل مقاما عليا، مترفعا عن أن تناله أيدي السفهاء، حكيماً مستحكما قوائمه، لا يتضعع و لا يتزلزل، يشق طريقه إلى الأمام بسلام

«٤». (١) مباني و روشهای تفسیر، ص ٧٣.

(٢) تفسير الميزان، ج ١١، ص ٤٢٠، الرعد / ٣٩.

(٣) الزخرف / ٤.

(٤) راجع: الطبرسي، مجمع البيان، ج ٩، ص ٣٩. و الطوسي، التبيان، ج ٩، ص ١٧٩. و أبا الفتوح الرازي، ج ١٠، ص ٧٤. و الفخر الرازي، ج ٢٧، ص ١٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣

و كذا قوله: بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ «١» أى هكذا قدر في علمه تعالى المكنون «٢».

و هكذا ذكر الطبرسي و غيره في تفسير قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ فِي كِتَابٍ مَّكْنُونٍ لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ «٣» أنه إشارة إلى مقامه الرفيع عند الله، و قد جرى في علمه تعالى أنه محفوظ عن مناوشة المناوئين.

قال سيد قطب: «إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ: كريم بمصدره، و كريم بذاته، و كريم باتجاهاته. في كتاب مكنون: مصون، و تفسير ذلك في قوله تعالى بعده: لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ. فقد زعم المشركون أن الشياطين تنزلت به، فهذا نفى لهذا الزعم.

فالشيطان لا يمس هذا الكتاب المكنون في علم الله و حفظه، إنما تنزل به الملائكة المطهرون؛ و لذلك قال- بعدها-: تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ، أى لا تنزيل من الشياطين» «٤».

هل يعلم التأويل غير الله؟

سؤال أثارته ظاهرة الوقف على إِلَّا اللَّهُ من قوله تعالى: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللَّهُ ثم الاستئناف لقوله: وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا «٥» و ما ورد في بعض الأحاديث من اختصاص علم التأويل بالله تعالى، و أن (١) البروج، ٢٢.

(٢) راجع: تصحيح الاعتقاد للشيخ المفيد، ص ٢٩. و الفخر الرازي، ج ٢٣، ص ٦٦ و ج ٢٨، ص ١٥٢.

(٣) الواقعة/ ٨٠.

(٤) في ظلال القرآن، ج ٧، ص ٧٠٦. و راجع: المجمع، ج ٩، ص ٢٢٦.

(٥) آل عمران/ ٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤

الراسخين في العلم لا يعلمون تأويله، و إنما يكلون علمه إلى الله سبحانه؛ من ذلك

ما ورد في خطبة الأشباح من كلام مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: «فانظر أيها السائل، فما ذلك القرآن عليه من صفته فائتم به و استضىئ بنور هدايته، و مما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه، و لا في سنة النبي صلى الله عليه و آله و سلم و أئمة الهدى أثره، فكل علمه إلى الله سبحانه. فإن ذلك منتهى حق الله عليك».

«و اعلم أن الراسخين في العلم هم الذين أغناهم عن اقتحام السد المضروبة دون الغيوب، الإقرار بجملة ما جهلوا تفسيره من الغيب المحجوب. فمدح الله تعالى اعترافهم بالعجز عن تناول ما لم يحيطوا به علما، و سمى تركهم التعمق فيما لم يكلفهم البحث عن كنهه رسوخا، فاقصر على ذلك، و لا تقدر عظمة الله سبحانه على قدر عقلك فتكون من الهالكين» «١» هذه الخطبة من جلائل الخطب و أعلاها سندا، فلا مغمز في صحته إسنادها، و إنما الكلام في فحوى المراد منها.

و قد أجمع شراح النهج «٢» على أن مراده عليه السلام بهذا الكلام هو الصفات، و أن صفاته تعالى إنما يجب التبعيد بها و التوقف فيها دون الولوج في معرفة كنهها؛ إذ لا سبيل إلى معرفة حقيقة الصفات، كما لا سبيل إلى معرفة حقيقة الذات.

حيث

قوله عليه السلام: «فما ذلك القرآن من صفته فائتم به، و ما كلفك الشيطان علمه مما ليس في الكتاب عليك فرضه». (١) الخطبة رقم ٩١ نهج البلاغة. و بحار الأنوار، ج ٤، ص ٢٧٧.

(٢) راجع: منهاج البراعة للراوندى، ج ١، ص ٣٨٢. و ابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٤٠٤. و ابن ميثم البحراني، ج ٢، ص ٣٣٠، شرح

الخطبة. و المنهاج للخواشي، ج ٦، ص ٣١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥

إذ من وظيفتنا أن نصفه تعالى بما وصف به نفسه في كلامه: سميع بصير، حكيم عليم، حتى قيوم ... و لم نكلف الولوج في معرفة حقائق هذه الصفات منسوبة إلى الله تعالى؛ إذ ضربت دون معرفتها السدد و الحجب، فلا سبيل إلى بلوغها؛ فيجب التوقف دونها. إذن فلا- مساس لكلامه عليه السلام هنا، مع متشابهات الآيات التي لا ينبغي الجهل بها للراسخين في العلم؛ حيث تحلّهم بحلية العلم هي التي مكنتهم من معرفة التنزيل و التأويل جميعا.

نعم لا- نتحاشى القول بأنهم في بدء مجابتهم للمتشابهات يقفون لديها، وقفه المتأمل فيها؛ حيث المتشابه متشابه على الجميع على سواء، لو لا أنهم بفضل جهودهم في سبيل كشفها و إرجاعها إلى محكمات الآيات صاروا يعرفونها في نهاية المطاف. فعجزهم البادئ كان من فضل رسوخهم في العلم، بأن المتشابه كلام صادر ممن صدر عنه المحكم، فزادت رغبتهم في معرفتها بالتأويل فيها و الاستمداد من الله في العلم بها، و من جدّ في أمر وجده بعون الله.

فوجه تناسب استشهاده عليه السلام بهذه الآية بشأن الصفات محضا، هو العجز البادئ لدى المتشابهات، يقربه الراسخون في أول مجابتهم للمتشابهات، و إن كان الأمر يفترق في نهاية المطاف.

قال ابن أبي الحديد: إن من الناس من وقف على قوله: إِيَّا اللّٰهَ. و منهم من لم يقف. و هذا القول أقوى من الأوّل؛ لأنه إذا كان لا يعلم تأويل المتشابه إِيَّا اللّٰهَ لم يكن في إنزاله و مخاطبة المكلفين به فائدة، بل يكون كخطاب العربي بالزنجية، و معلوم أن ذلك عيب قبيح. و أما موضع يَقُولُونَ من الإعراب، فيمكن أن يكون نصبا على أنه حال من الراسخين، و يمكن أن يكون كلاما مستأنفا، أي هؤلاء العالمون بالتأويل، يقولون:

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦

آمنا به.

و قد روى عن ابن عباس أنه تأوّل آية، فقال قائل من الصحابة: وَ مَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلَّا اللّٰهُ فقال ابن عباس: وَ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ و أنا من جملة الراسخين. «١»

و نحن قد تكلمنا عن هذه الآية بتفصيل و توضيح، عند الكلام عن متشابهات القرآن، فراجع «٢».

هل التفسير توقيف؟

ربما كان بعض السلف يحتشم عن القول في القرآن، خشية أن يكون قولاً على الله بغير علم، أو تفسيراً برأيه الممنوع شرعاً. و تبعهم على ذلك بعض الخلف، فأمسكوا عن تفسير القرآن، سوى ما ورد فيه أثر صحيح و نقل صريح.

فقد أخرج الطبري بإسناده إلى أبي معمر، قال: قال أبو بكر: «أى أرض تقلني و أى سماء تظلني إذا قلت في القرآن ما لا أعلم»، و في رواية أخرى أيضا عنه: «إذا قلت في القرآن برأىي» «٣».

و هذا عند ما سئل عن «الأب» في قوله تعالى: وَ فَكِّهْهُ وَ أَبَا، مَتَاعاً لَّكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ «٤»، فقد أخرج السيوطي بإسناده إلى إبراهيم التيمي، قال: سئل أبو بكر عن قوله تعالى: وَ أَبَا، فقال: «أى سماء تظلني و أى أرض تقلني إذا (١) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٦، ص ٤٠٤-٤٠٥.

(٢) التمهيد، ج ٣، ص ٣٥-٤٩.

(٣) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧.

(٤) سورة عبس، ٣١ و ٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧

قلت في كتاب الله ما لا أعلم» (١).

وهكذا روى عن عمر أنه جعل التكلم في الآية تكلفاً يجب تركه وإيكاله إلى الله، أخرج السيوطي بعدة أسانيد أن عمر قرأ على المنبر: فَأَتَبْنَا فِيهَا حَبًّا وَعِنَبًا وَقَضْبًا - إلى قوله - وَأَبًّا قَالَ: كل هذا قد عرفناه، فما الأب؟ ثم رفض عصا كانت في يده، فقال: هذا لعمر و الله هو التكلف، فما عليك أن لا تدري ما الأب، أتبعوا ما بين لكم هداه من الكتاب فاعملوا به، و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه (٢).

و عن عبيد الله بن عمر قال: لقد أدركت فقهاء المدينة، و أنهم ليعظمون القول في التفسير، منهم سالم بن عبد الله، و القاسم بن محمد، و سعيد بن المسيّب، و نافع. و عن يحيى بن سعيد، قال: سمعت رجلاً يسأل سعيد بن المسيّب عن آية من القرآن، فقال: لا أقول في القرآن شيئاً. و في رواية أخرى: أنه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن قال: أنا لا أقول في القرآن شيئاً، و كان لا يتكلم إلّا في المعلوم من القرآن. قال يزيد: و إذا سألتنا سعيداً عن تفسير آية من القرآن، سكت كأن لم يسمع ..

و عن ابن سيرين، قال: سألت عبيدة السلماني عن آية، قال: عليك بالسداد، فقد ذهب الذين علموا فيم أنزل القرآن. و جاء طلق بن حبيب إلى جندب بن عبد الله، فسأله عن آية من القرآن، فقال له: أخرج عليك إن كنت مسلماً، لما قلت عني، أو قال: أن تجالسني.

و روى عن الشعبي، قال: ثلاث لا أقول فيهنّ حتى أموت: القرآن، و الرّوح، و الرأى، و كان يقول: و الله ما من آية إلّا قد سألت عنها، و لكنها الرواية عن الله. (١) الدر المنثور، ج ٦، ص ٣١٧.

(٢) المصدر نفسه، و الطبري، ج ٣٠، ص ٣٨ - ٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨

و روى عنه أنه قال: أدركتهم - أي الأوائل - و ما شيء أبغض إليهم أن يسألوا عنه و لا هم له أهيب، من القرآن. ذكره صاحب كتاب المباني.

و روى في ذلك بطريق ضعيف عن عائشة، قالت: ما كان النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم يفسيّر شيئاً من القرآن إلّا آيا تعدّ، علمهنّ إياه جبريل (١)، أي أنه صلّى الله عليه و آله و سلّم لم يكن يفسيّر إلّا القلائل من الآيات، تلك القلائل أيضا كان بوحى و توقيف، و لم يكن عن فهمه.

و روى عن إبراهيم، قال: كان أصحابنا يتقون التفسير و يهابونه.

قال ابن كثير: فهذه الآثار الصحيحة و ما شاكلها عن أئمة السلف، محمولة على تحرّجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه. فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة و شرعاً فلا حرج عليه؛ و لهذا روى عن هؤلاء و غيرهم أقوال في التفسير، و لا منافاة؛ لأنهم تكلموا فيما علموه و سكتوا عما جهلوه. و هذا هو الواجب على كل واحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم به، فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه؛ لقوله تعالى: لَسَيُنْزِلُ لِلنَّاسِ وَ لَا تَكْتُمُونَهُ (٢).

و بعين ذلك ذكر ابن تيميّة في مقدمته (٣).

و قال ابن جرير الطبري: إن معنى «إحجام» من أحجم عن القيل في تأويل القرآن و تفسيره من علماء السلف، إنما كان إحجامه عنه حذراً أن لا يبلغ أداء ما كلف من إصابتها صواب القول فيه، لا على أن تأويل ذلك محجوب عن علماء (١) الطبري، في التفسير، ج ١، ص ٢٩. و مقدمة كتاب المباني في نظم المعاني، ص ١٨٣ - ١٨٤.

(٢) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٦. و آل عمران / ١٨٧.

(٣) مقدمته في أصول التفسير، ص ٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩

الأمّة، غير موجود بين أظهرهم. «١»

قلت: و الدليل على صحّة ذلك أنّ من تحرّج من القول فى معانى القرآن من السلف، كانوا هم القلة القليلة من الأصحاب و التابعين، أما الأكتريّة الساحقة من علماء الأمّة و نبهاء الصحابة فقد عنوا بتفسير القرآن و تأويله عنايةً بالغة، كانت الوفرة الوفيرة من رصيدنا اليوم فى التفسير.

قال ابن عطية: و كان جلة من السلف كثير عددهم يفسرونه، و هم أبقى على المسلمين فى ذلك.

فأما صدر المفسرين و المؤيد فيهم فعلى بن أبى طالب عليه السّلام، و يتلوه عبد الله ابن عباس، و هو تجرد للأمر و كمله، و تبعه العلماء عليه، كمجاهد، و سعيد بن جبير، و غيرهما. و المحفوظ عنه فى ذلك أكثر من المحفوظ عن على بن أبى طالب.

و قال ابن عباس: ما أخذت من تفسير القرآن فعن على بن أبى طالب.

و كان على بن أبى طالب يثنى على تفسير ابن عباس، و يحضّ على الأخذ عنه. و كان عبد الله بن مسعود يقول: نعم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس.

و هو الذى

قال فيه رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «اللهم فقّهه فى الدين»

، و حسبك بهذه الدعوة. و

قال عنه على بن أبى طالب عليه السّلام: «ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق».

و يتلوه عبد الله بن مسعود، و أبى بن كعب، و زيد بن ثابت، و عبد الله بن عمرو بن العاص. (١) الطبرى-التفسير- ج ١، ص ٣٠.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠

قال: و كلّ ما أخذ عن الصحابة فحسن متقدم. «١»

و أما حديث عائشة- فضلا عن تكلم ابن جرير و ابن عطية و غيرهما فى تأويله و ضعف سنده- فالأرجح فى تأويله: أنه صلّى الله عليه و آله و سلّم كان يفسّر لهم القرآن أعدادا فأعدادا، كل فترة عددا خاصا حسبما كان جبرئيل يعلمه عن الله- جلّ جلاله- و لم يكن التعليم فوضى من غير انتظام. و سيوافيك حديث ابن مسعود فى ذلك: كان الرجل منا إذا تعلّم عشر آيات، لم يجاوزهنّ حتى يعرف معانيهنّ.

قال صاحب كتاب المباني: و أما ما روى عن عائشة، فإن ذلك يدل على أنه عليه السّلام كان يحتاج مع ما أنزل عليه من القرآن إلى تفسير آيات يعلمهن إياه جبريل عليه السّلام و تلك آيات معدودة قد أجملت فيها أحكام الشريعة؛ بحيث لا يوقف عليه إلّا ببيان الرسول عن الله تعالى.

و أما ما ذكره من امتناع من امتنع من القول فى التفسير، فإن ذلك بمنزلة من امتنع منهم عن الرواية عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم إلّا فيما لم يجد فيه بدا.

و لذلك قلت روايات رجال من أكابر الصحابة، مثل عثمان و طلحة و الزبير و غيرهم.

روى عامر بن عبد الله بن الزبير عن أبيه قال: قلت للزبير: ما لى لا أسمعك تحدّث عن رسول الله، كما أسمع ابن مسعود و فلانا و فلانا؟ فقال: أما إنى لم أفارقه منذ أسلمت، و لكنى سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم يقول: «من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار».

و قيل لربيعة: إنا لنجد عند غيرك من الحديث ما لا نجد عندك! فقال: ما عندهم شىء إلّا و قد سمعت منه، و لكنى سمعت رجلا من آل الهدير يقول: (١) مقدمة ابن عطية لتفسيره الجامع المحرّر، المطبوعة مع مقدمة المباني، ص ٢٦٢-٢٦٣.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١

صحبت طلحة و ما سمعته يحدث عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إلا حديثا واحدا.

قال: و هذا عبد الله بن عباس، لم يدع آية في القرآن إلا و قد ذكر من تفسيرها، على ما روت عنه الرواة؛ و لذلك قيل: ابن عباس ترجمان القرآن.

و روى عن أبي مليكة قال: رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس في تفسير القرآن و معه ألواحه، فيقول ابن عباس: اكتبه، حتى سأله عن التفسير كله.

و روى عن سعيد بن جبير أنه قال: من قرأ القرآن و لم يفسه كان كالأعمى أو كالأعرجي.

و روى مسلم عن مسروق بن الأجدع قال: كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها، و يفسرهما عامة النهار.

و عن أبي عبد الرحمن قال: حدثونا الذين كانوا يقرءوننا: أنهم كانوا يستقرءون من النبي، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعلموا ما فيها من العمل، فيعلموا القرآن و العمل جميعا.

و عن ابن مسعود: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن. «١»

و بعد، فقد ذكر الراغب الأصبهاني هنا شرائط يجب توفرها في المفسر، حتى لا يكون تفسيره تفسيرا بالرأى الممنوع شرعا و المقبوح عقلا، نذكره بتفصيله، فإن فيه الفائدة المتوخاة في هذا الباب. (١) مقدمة كتاب المباني، ص ١٩١-١٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢

صلاحية المفسر

قال الراغب: اختلف الناس في تفسير القرآن، هل يجوز لكل ذي علم الخوض فيه؟ فبعض تشدد في ذلك، و قال: لا يجوز لأحد تفسير شيء من القرآن، و إن كان عالما أديبا، متسعا في معرفة الأدلة و الفقه و النحو و الأخبار و الآثار. و إنما له أن ينتهي إلى ما روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و عن الذين شهدوا التنزيل من الصحابة، و الذين أخذوا عنهم من التابعين. و احتجوا في ذلك بما

روى عنه عليه السلام: «من فسر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار»

و ،

قوله: «من فسر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ»

و .

في خبر: «من قال في القرآن برأيه فقد كفر».

قال: و ذكر آخرون أن من كان ذا أدب و سيع، فموسع له أن يفسره، فالعقلاء الأدباء فوضى فضا في معرفة الأغراض. و احتجوا في ذلك بقوله تعالى: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ «١».

و ذكر بعض المحققين أن المذهبين هما: الغلو و التقصير، فمن اقتصر على المنقول إليه فقد ترك كثيرا مما يحتاج إليه، و من أجاز لكل أحد الخوض فيه فقد عرضه للتخليط، و لم يعتبر حقيقة قوله تعالى: لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ.

قال: و الواجب أن يبين أولا ما ينطوى عليه القرآن، و ما يحتاج إليه من العلوم، فنقول و بالله التوفيق:

إن جميع شرائط الإيمان و الإسلام التي دعينا إليها و اشتمل القرآن عليها ضربان: علم غايته الاعتقاد، و هو الإيمان بالله و ملائكته و كتبه و رسله و اليوم الآخر. و علم غايته العمل، و هو معرفة أحكام الدين و العمل بها. (١) ص / ٢٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣

و العلم مبدأ، و العمل تمام. و لا يتم العلم من دون عمل، و لا يخلص العمل دون العلم؛ و لذلك لم يفرد تعالى أحدهما من الآخر في

عامه القرآن، نحو قوله:

وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ وَيَعْمَلْ صَالِحًا «١»، وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ «٢». الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَا بَ «٣».

و لا يمكن تحصيل هذين (العلم و العمل) إلا بعلوم لفظية، و عقلية، و موهبية:

فالأول: معرفة الألفاظ، و هو علم اللغة.

و الثاني: مناسبة بعض الألفاظ إلى بعض، و هو علم الاشتقاق.

و الثالث: معرفة أحكام ما يعرض الألفاظ من الأبنية و التصاريف و الإعراب، و هو النحو ..

و الرابع: ما يتعلق بذات التنزيل، و هو معرفة القراءات.

و الخامس: ما يتعلق بالأسباب التي نزلت عندها الآيات، و شرح الأقسام التي تنطوي عليها السور، من ذكر الأنبياء عليهم السلام و القرون الماضية، و هو علم الآثار و الأخبار.

و السادس: ذكر السنن المنقولة عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و ممن شهد الوحي، و ما اتفقوا عليه و ما اختلفوا فيه، مما هو بيان لمجمل، أو تفسير لمبهم المنبأ عنه بقوله تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ «٤» و بقوله: أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَاهُمْ أَقْتَدَهُ «٥»، و ذلك علم السنن. (١) التغابن / ٩.

(٢) غافر / ٤٠.

(٣) الرعد / ٢٩.

(٤) النحل / ٤٤.

(٥) الأنعام / ٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤

و السابع: معرفة النسخ و المنسوخ، و العموم و الخصوص، و الإجماع و الاختلاف، و المجمل و المفسر، و القياسات الشرعية، و المواضيع التي يصح فيها القياس، و التي لا يصح، و هو علم أصول الفقه.

و الثامن: أحكام الدين و آدابه، و آداب السياسات الثلاث التي هي سياسة النفس و الأقارب و الرعية؛ مع التمسك بالعدالة فيها، و هو علم الفقه و الزهد.

و التاسع: معرفة الأدلة العقلية، و البراهين الحقيقية، و التقسيم و التحديد، و الفرق بين المعقولات و المظنونات و غير ذلك، و هو علم الكلام.

و العاشر: و هو علم الموهبة، و ذلك علم يورثه الله من عمل بما علم.

قال أمير المؤمنين عليه السلام: قالت الحكمة: من أرادني فليعمل بأحسن ما علم، ثم تلا الذين يشتبعون القول فيتبعون أحسنه «١». و روى عنه عليه السلام حيث سئل: هل عندك علم عن النبي لم يقع إلى غيرك؟ قال: «لا، إلا كتاب الله، و ما في صحيفتي، و فهم يؤتیه الله من يشاء».

و هذا هو التذكر الذي رجانا الله تعالى إدراكه بفعل الصالحات؛ حيث قال:

إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسَانِ وَ إِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ إِلَىٰ قَوْلِهِ - لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ «٢»، و هو الهداية المزيدة للمهتدي في قوله: وَ الَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى «٣»، و هو الطيب من القول المذكور: وَ هُدُوا إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ، وَ هُدُوا إِلَى صِرَاطِ الْحَمِيدِ «٤». (١) الزمر / ١٨.

(٢) النحل / ٩٠.

(٣) محمد / ١٧.

(٤) الحج / ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥

فجملة العلوم التي هي كالألة للمفسر، و لا تتم صناعته إلّا بها، هي هذه العشرة:

علم اللغة، و الاشتقاق، و النحو، و القراءات، و السير، و الحديث، و أصول الفقه، و علم الأحكام، و علم الكلام، و علم الموهبة. فمن تكاملت فيه هذه العشرة و استعملها، خرج عن كونه مفسراً للقرآن برأيه. و من نقص عن بعض ذلك ممّا ليس بواجب معرفته في تفسير القرآن، و أحسن من نفسه في ذلك بنقصه، و استعان بأربابه، و اقتبس منهم، و استضاء بأقوالهم، لم يكن - إن شاء الله - من المفسرين برأيهم.

و أخيراً قال: و من حقّ من تصدّى للتفسير أن يكون مستشعراً لتقوى الله، مستعيذاً من شرور نفسه و الإعجاب بها، فالإعجاب أسّ كل فساد. و أن يكون اتّهامه لفهمه أكثر من اتّهامه لفهم أسلافه الذين عاشروا الرسول و شاهدوا التنزيل و بالله التوفيق «١».

و لقد أحسن و أجاد فيما أفاد، و أدّى الكلام حقّه في بيان الشرائط التي يجب توفّرها في كل مفسّر، حتى يخرج عن كونه مفسّراً برأيه، و بشرط أن يراعى تقوى الله، فلا يقول في شيء بغير علم و لا كتاب منير.

قال جلال الدين السيوطي: و لعلك تستشكل علم الموهبة، و تقول: هذا شيء ليس في قدرة الإنسان. و ليس كما ظننت من الإشكال، و الطريق في تحصيله ارتكاب الأسباب الموجبة له من العمل و الزهد. قال الإمام بدر الدين الزركشي: اعلم أنه لا يحصل للناظر فهم معاني الوحي، و لا يظهر له أسرارها، و في قلبه بدعة أو كبير أو هوى أو حبّ الدنيا، أو هو مصرّ على ذنب، أو غير متحقّق (١) مقدمته في التفسير، ص ٩٣-٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦

بالإيمان، أو ضعيف التحقيق، أو يعتمد على قول مفسّر ليس عنده علم، أو راجع إلى معقوله و هذه كلها حجب و موانع بعضها أكد من البعض. قال السيوطي: و في هذا المعنى قوله تعالى: سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ «١». قال سفيان بن عيينة: يقول تعالى: أنزع عنهم فهم القرآن «٢».

قلت: و هكذا قوله تعالى: إِنَّهُ لَقُرْآنٌ كَرِيمٌ، فِي كِتَابٍ مَكْنُونٍ، لَا يَمَسُّهُ إِلَّا الْمُطَهَّرُونَ «٣». فلا تتجلى حقائق القرآن و معارفه الرشيدة إلّا لمن خلص باطنه و زكت نفسه عن الأذناس و الأرجاس.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام - في خطبة خطبها بندي قار -: «إنّ علم القرآن ليس يعلم ما هو إلّا من ذاق طعمه، فعلم بالعلم جهله، و بصر به عماءه، و سمع به صممه، و أدرك به علم ما فات، و حى به بعد إذ مات، و أثبت به عند الله الحسنات، و محا به السيئات، و أدرك به رضوانا من الله تبارك و تعالى، فاطلبوا ذلك من عند أهله خاصّة» «٤» و

قال - في حديث آخر -: «إنّ الله قسمّ كلامه ثلاثة أقسام، فجعل قسماً منه يعرفه العالم و الجاهل، و قسماً لا يعرفه إلّا من صفا ذهنه و لطف حسّه و صحّ تمييزه، ممن شرح الله صدره للإسلام، و قسماً لا يعلمه إلّا الله و أمناؤه و الراسخون في العلم» «٥». (١) الأعراف / ١٤٦.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم، الإتيان، ج ٤، ص ١٨٨.

(٣) الواقعة / ٧٧-٧٩.

(٤) الوسائل، ج ١٨، ص ١٣٧، رقم ٢٦. عن روضة الكافي، ج ٨، ص ٣٩٠-٣٩١، رقم ٥٨٦.

(٥) الوسائل، ج ١٨، ص ١٤٣، رقم ٤٤. عن كتاب الاحتجاج، ج ١، ص ٣٧٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا «١»، و قال:

وَ اتَّقُوا اللَّهَ وَ يُعَلِّمَكُمُ اللَّهُ «٢».

أوجه التفسير

أخرج الطبري بعدة أسانيد إلى ابن عباس، قال: التفسير أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، و تفسير لا يعدر أحد بجهالته، و تفسير يعلمه العلماء، و تفسير لا يعلمه إلا الله تعالى «٣».

قال الزركشي - في شرح هذا الكلام -: و هذا تقسيم صحيح:

فأما الذى تعرفه العرب، فهو الذى يرجع فيه إلى لسانهم؛ و ذلك شأن اللغة و الإعراب.

فأما اللغة، فعلى المفسر معرفة معانيها، و مسميات أسمائها، و لا يلزم ذلك القارئ. ثم إن كان ما تتضمنه ألفاظها يوجب العمل دون العلم، كفى فيه خبر الواحد و الاثنين، و الاستشهاد بالبيت و البيتين. و إن كان مما يوجب العلم، لم يكف ذلك، بل لا بد أن يستفيض ذلك اللفظ، و تكثر شواهد من الشعر.

و أما الإعراب، فما كان اختلافه محيلا للمعنى، و جب على المفسر و القارئ تعلمه، ليتوصل المفسر إلى معرفة الحكم و ليسلم القارئ من اللحن. و إن لم يكن محيلا للمعنى، و جب تعلمه على القارئ ليسلم من اللحن، و لا- يجب على المفسر؛ لوصوله إلى المقصود دونه، على أن جهله نقص فى حق الجميع.

إذا تقرّر ذلك، فما كان من التفسير راجعا إلى هذا القسم، فسييل المفسر (١) الأنفال / ٢٩.

(٢) البقرة / ٢٨٢.

(٣) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨

التوقف فيه على ما ورد فى لسان العرب، و ليس لغير العالم بحقائق اللغة و مفاهيمها تفسير شيء من الكتاب العزيز، و لا يكفى فى حقه تعلم اليسير منها، فقد يكون اللفظ مشتركا، و هو يعلم أحد المعنيين.

الثانى: ما لا يعذر أحد بجهله، و هو ما تتبادر الأفهام إلى معرفة معناه من النصوص المتضمنة شرائع الأحكام و دلائل التوحيد. و كل لفظ أفاد معنى واحدا جليا لا سواه، يعلم أنه مراد الله تعالى.

فهذا القسم لا يختلف حكمه، و لا يلتبس تأويله؛ إذ كل أحد يدرك معنى التوحيد، من قوله تعالى: فَاعْلَم أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ «١» و أنه لا شريك له فى إلهيته، و إن لم يعلم أن «لا» موضوعه فى اللغة للنفى و «إلا» للإثبات، و أن مقتضى هذه الكلمة الحصر. و يعلم كل أحد بالضرورة أن مقتضى قوله تعالى: وَ أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ «٢» و نحوها من الأوامر، طلب إدخال ماهية الأمور به فى الوجود، و إن لم يعلم أن صيغته «أفعل» مقتضاها الترجيح و جوبا أو ندبا. فما كان من هذا القسم لا يقدر أحد أن يدعى الجهل بمعانى ألفاظه؛ لأنها معلومة لكل أحد بالضرورة.

الثالث: ما لا يعلمه إلا الله تعالى، فهو يجرى مجرى الغيوب، نحو الآى المتضمنة قيام الساعة، و نزول الغيث، و ما فى الأرحام، و تفسير الروح، و الحروف المقطعة.

و كل مشابهة فى القرآن عند أهل الحق، فلا مساغ للاجتهاد فى تفسيره، (١) محمد / ١٩.

(٢) البقرة / ٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩

و لا طريق إلى ذلك إلا بالتوقيف، من أحد ثلاثة أوجه:

إما نص من التنزيل، أو بيان من النبى صلى الله عليه و آله و سلم، أو إجماع الأمة على تأويله.

فإذا لم يرد فيه توكيف من هذه الجهات، علمنا أنه مما استأثر الله تعالى بعلمه.

قلت: وهذا إنما يصدق بشأن الحروف المقطعة، فإنها رموز بين الله ورسوله، لا يعلم تأويلها إلا الله والرسول، ومن علمه الرسول بالخصوص.

و الرابع: ما يرجع إلى اجتهاد العلماء، وهو الذي يغلب عليه إطلاق التأويل، وهو صرف اللفظ إلى ما يؤول إليه. فالمفسر ناقل، و المؤول مستنبط؛ و ذلك استنباط الأحكام، و بيان المجمل، و تخصيص العموم.

و كل لفظ احتمال معنيين فصاعداً، فهو الذي لا يجوز لغير العلماء الاجتهاد فيه؛ و على العلماء اعتماد الشواهد و الدلائل، و ليس لهم أن يعتمدوا مجرد رأيهم فيه.

ثم أخذ في بيان كيفية الاجتهاد و استنباط الأحكام من ظواهر القرآن، عند اختلاف اللفظ أو تعارض ظاهرين، بحمل الظاهر على الأظهر، و ترجيح أحد معني المشترك، و ما إلى ذلك مما يرجع إلى قواعد (علم الأصول) ثم قال: فهذا أصل نافع معتبر في وجوه التفسير في اللفظ المحتمل، و الله العالم.

و أخيراً قال: إذا تقرّر ذلك فينزل

قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «من تكلم في القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار»

على قسمين من هذه الأربعة: أحدهما: تفسير اللفظ؛ لاحتياج المفسر له إلى التبخر في معرفة لسان العرب، الثاني: حمل اللفظ المحتمل

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٠

على أحد معنييه؛ لاحتياج ذلك إلى معرفة أنواع من العلوم:

علم العربية و اللغة و التبخر فيهما.

و من علم الأصول ما يدرك به حدود الأشياء، و صيغ الأمر و النهي، و الخبر، و المجمل و المبين، و العموم و الخصوص، و الظاهر و

المضمر، و المحكم و المتشابه، و المؤول، و الحقيقة و المجاز، و الصريح و الكناية، و المطلق و المقيد.

و من علوم الفروع ما يدرك به استنباط، و الاستدلال على هذا أقل ما يحتاج إليه، و مع ذلك فهو على خطر. فعليه أن يقول: يحتمل

كذا، و لا يجزم إلا في حكم اضطرّ إلى الفتوى به «١».

التفسير بالرأى

إشارة

و أما الذي هابه أهل الظاهر، و زعموا من التكلم في معاني القرآن تفسيراً بالرأى، فيجب الاحتراز منه؛ فهو مما اشتبه عليهم أمره، و لم يمعنوا النظر في فحواه إمعاناً.

و لا بدّ أن نذكر نصّ الحديث أولاً، ثم النظر في محتواه: «٢» ١-

روى أبو جعفر الصدوق بإسناده عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: قال الله -جلّ جلاله-: «ما آمن بي من فسر برأيه كلامي» «٣».

٢- و أيضاً

روى عنه عليه السلام قال- لمدعى التناقض في القرآن-: «إياك أن تفسر (١) البرهان في علوم القرآن، ج ٢، ص ١٦٤-١٦٨.

(٢) ممّا أورده العلامة المجلسي في بحار الأنوار، كتاب القرآن، باب / ١٠، ج ٨٩، ص ١٠٧-١١٢، (ط بيروت)

(٣) الأمالي للصدوق (ط نجف)؛ ص ٦، المجلس الثاني.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦١

القرآن برأيك، حتى تفقهه عن العلماء. فإنه ربّ تنزِيل يشبه بكلام البشر، و هو كلام الله، و تأويله لا يشبه كلام البشر» (١).

٣- و أيضا

عن الإمام عليّ بن موسى الرضا عليه السلام قال لعلي بن محمد بن الجهم: «لا تؤوّل كتاب الله - عزّ و جلّ - برأيك، فإنّ الله - عزّ و جلّ - يقول: و ما يعلّم تأويله إلّا الله و الرّاسخون في العلم» (٢).

٤- و

روى أبو النضر محمد بن مسعود العياشي بإسناده عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: «من فسر القرآن برأيه فأصاب لم يؤجر، و إن أخطأ كان إثمه عليه»

و ،

في رواية أخرى: «و إن أخطأ فهو أبعد من السماء» (٣).

٥- و

روى الشهيد السعيد زين الدين العاملي، مرفوعا إلى النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار»

و ،

قال: «من تكلم في القرآن برأيه فأصاب فقد اخطأ»

و ،

قال: «من قال في القرآن بغير ما علم، جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار»

و ،

قال: «أكثر ما أخاف على أمتي من بعدى، رجل يناول القرآن، يضعه على غير مواضعه» (٤).

و

أخرج أبو جعفر محمد بن جرير الطبري بإسناده عن ابن عباس عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: «من قال في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار».

و

في رواية أخرى: «من قال في القرآن برأيه أو بما لا يعلم...». (١) كتاب التوحيد، للصدوق، باب ٣٦، الرّد على الثنوية و الزنادقة، ص ٢٦٤، (ط بيروت)

(٢) عيون الأخبار، للصدوق، (ط نجف) ج ١، ص ١٥٣، باب ١٤، ج ١، آل عمران / ٧.

(٣) مقدمة تفسير العياشي، ج ١، ص ١٧، رقم ٢ و ٤.

(٤) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١١١-١١٢، رقم ٢٠ عن آداب المتعلمين، للشهيد، ص ٢١٦-٢١٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٢

و أيضا

عنه: «من قال في القرآن بغير علم فليتبوّأ مقعده من النار».

و أيضا:

«من تكلم في القرآن برأيه فليتبوّأ مقعده من النار».

و

ياسناده عن جندب عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» (١).

وخصَّ الطبري هذه الأحاديث بالآي التي لا سبيل إلى العلم بتأويلها إلا ببيان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مثل تأويل ما فيه من وجوه أمره: واجبه وندبه وإرشاده، و صنوف نهيه، وظائف حقوقه وحدوده، ومبالغ فرائضه، ومقادير اللازم بعض خلقه لبعض، وما أشبه ذلك من أحكام آية التي لم يدرك علمها إلا ببيان الرسول لأُمَّته، وهذا وجه لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان الرسول له بتأويله، بنص منه عليه، أو بدلالة نصبها دالَّة أُمَّته على تأويله.

قال: وهذه الأخبار شاهدة لنا على صحة ما قلنا: من أن ما كان من تأويل آي القرآن الذي لا يدرك علمه إلا بنص بيان الرسول أو بنصبه الدلالة عليه، فغير جائز لأحد القيل فيه برأيه، بل القائل في ذلك برأيه وإن أصاب الحق فيه فمخطئ فيما كان من فعله، بقيله فيه برأيه؛ لأن إصابته ليست إصابته موقن أنه محق، وإنما هو إصابته خارص و ظان، والقائل في دين الله بالظن قائل على الله ما لم يعلم؛ لأن قيله فيه برأيه ليس بقيل عالم، أن الذي قال فيه من قول حق و صواب، فهو قائل على الله ما لا يعلم، آثم بفعله ما قد نهى عنه و حظر عليه. (٢) (١) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧.

(٢) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٥-٢٦ و ٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٣

قلت: وهذا يعنى العمومات الواردة في القرآن، الوارد تخصيصاتها في السنَّة ببيان الرسول، مثل قوله: أقيموا الصَّلَاةَ وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ وَ نحو ذلك مما ورد في القرآن عامًا، و أوكل بيان تفاصيلها و شرائطها و أحكامها إلى بيان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلا يجوز شرح تفاصيلها إلا عن أثر صحيح.

و هذا حق، غير أن حديث المنع غير ناظر إلى خصوص ذلك.

و

روى الترمذى ياسناده إلى ابن عباس عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «اتَّقُوا الْحَدِيثَ عَلَىٰ إِلَّا مَا عَلِمْتُمْ، فَمَنْ كَذَبَ عَلَىٰ مَتَعَمَّداً فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ، وَ مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» (١).

قال ابن الأنبارى: فسَّر حديث ابن عباس تفسيرين:

أحدهما: من قال في مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة و التابعين، فهو متعرِّض لسخط الله.

و الآخر:- وهو أثبت القولين و أصحهما معنى- من قال في القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره، فليتبوأ مقعده من النار.

وقال: و أما

حديث جندب عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ» (٢)، فحمل بعض أهل العلم هذا الحديث على أن الرأي معني به الهوى. من قال في القرآن قولاً يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمة السلف، فأصاب فقد أخطأ، لحكمه على القرآن بما لا يعرف أصله، و لا يقف على مذاهب أهل (١) قال أبو عيسى الترمذى: هذا حديث حسن. الجامع، ج ٥، ص ١٩٩، كتاب التفسير، باب ١، رقم ٢٩٥١.

(٢) جامع الترمذى، ج ٥، ص ٢٠٠، رقم ٢٩٥٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٤

الأثر و النقل فيه.

وقال ابن عطية: «و معنى هذا أن يسأل الرجل عن معنى في كتاب الله عزَّ و جلَّ، فيتسور عليه برأيه (١) دون نظر فيما قال العلماء، و اقتضته قوانين العلم كالنحو و الأصول. و ليس يدخل في هذا الحديث، أن يفسر اللغويون لغته، و النحويون نحوه، و الفقهاء معانيه، و

يقول كل واحد باجتهاده المبني على قوانين علم و نظر، فإنَّ القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه».

قال القرطبي - تعقياً على هذا الكلام -: هذا صحيح، و هو الذي اختاره غير واحد من العلماء، فإنَّ من قال في القرآن بما سنع في وهمه و خطر على باله من غير استدلال عليه بالأصول فهو مخطئ، و إنَّ من استنبط معناه بحمله على الأصول المحكمة المتفق على معناها، فهو ممدوح.

و قال بعض العلماء: إنَّ التفسير موقوف على السماع، للأمر برده إلى الله و الرسول «٢».

قال: و هذا فاسد؛ لأنَّ النهي عن تفسير القرآن لا يخلو: إما أن يكون المراد به الاقتصار على النقل و السماع و ترك الاستنباط، أو المراد به أمراً آخر. و باطل أن يكون المراد به أن لا يتكلم أحد في القرآن إلّا بما سمعه، فإنَّ الصحابة قد قرءوا القرآن و اختلفوا في تفسيره على وجوه، و ليس كل ما قالوه سمعوه من النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و قد دعا لابن عباس: «اللهم فقهه في الدين و علمه التأويل».

فإن كان التأويل مسموعاً كالتنزيل، فما فائدة تخصيصه بذلك، و هذا بين لا إشكال فيه. (١) تسوّر الحائط: هجم عليه هجوم اللص و تسلقه. و يعنى به هنا: التهجم و الإقدام بغير بصيرة و لا وعى.

(٢) في الآية رقم ٥٩ من سورة النساء.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٥

و إنّما النهي يحمل على أحد وجهين:

أحدهما: أن يكون له في الشيء رأى، و إليه ميل من طبعه و هواه، فيتأول القرآن على وفق رأيه و هواه، ليحتج على تصحيح غرضه. و لو لم يكن له ذلك الرأى و الهوى؛ لكان لا يلوح له من القرآن ذلك المعنى.

و هذا النوع يكون تارة مع العلم، كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، و هو يعلم أن المراد بالآية ذلك، و لكن مقصوده أن يلبس على خصمه.

و تارة يكون مع الجهل؛ و ذلك إذا كانت الآية محتملة، فيميل فهمه إلى الوجه الذى يوافق غرضه، و يترجح ذلك الجانب برأيه و هواه، فيكون قد فسّر برأيه، أى رأيه حمله على ذلك التفسير، و لو لا رأيه لما كان يترجح عنده ذلك الوجه.

و تارة يكون له غرض صحيح، فيطلب له دليلاً من القرآن، و يستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كمن يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى، فيقول: قال الله تعالى:

أَذْهَبَ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى «١» و يشير إلى قلبه، و يومئ إلى أنه المراد بفرعون.

و هذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ في المقاصد الصحيحة، تحسیناً للكلام و ترغيباً للمستمع، و هو ممنوع لأنه قياس فى اللّغة، و ذلك غير جائز. و قد تستعمله الباطنية «٢» فى المقاصد الفاسدة لتغريب الناس و دعوتهم إلى مذاهبهم الباطلة، فينزّلون القرآن على وفق رأيهم و مذهبهم، على أمور يعلمون قطعاً أنها غير مرادة.

فهذه الفنون أحد وجهى المنع من التفسير بالرأى. (١) سورة طه/ ٢٤.

(٢) من أهل التصوف.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٦

الوجه الثانى: أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع و النقل، فيما يتعلق بغرائب القرآن، و ما فيه من الألفاظ المبهمة و المبدلة، و ما فيه من الاختصار و الحذف و الإضمار و التقديم و التأخير. فمن لم يحكم ظاهر التفسير، و بادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه، و دخل فى زمرة من فسّر القرآن بالرأى. و النقل و السماع لا بدّ له منهما فى ظاهر التفسير، أو لا ليتقى بهما مواضع الغلط، ثم بعد ذلك يتسع الفهم و الاستنباط. و الغرائب التى لا تفهم إلّا بالسماع كثيرة، و لا مطمع فى

الوصول إلى الباطن قبل إحكام الظاهر، ألا ترى أن قوله تعالى: «وَأَتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا» (١) معناه:

آية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها. فالناظر إلى الظاهر يظن أن الناقة كانت مبصرة، فهذا في الحذف والإضمار، وأمثلة في القرآن كثير (٢).

وهذا الذي ذكره القرطبي و شرحه شرحا وافيا، هو الصحيح في معنى الحديث، وأكثر العلماء عليه، بل وفي لحن الروايات الواردة عن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ما يؤيد إرادة هذا المعنى، نظرا للإضافة في «رأيه»، أي رأيه الخاص، يحاول توجيهه بما يمكن من ظواهر القرآن حتى ولو استلزم تحريفا في كلامه تعالى.

فهذا لا يهّم القرآن، إنما يهّمه تبرير موقفه الخاص باتخاذ هذا الرأي الذي يحاول إثباته بأية وسيلة ممكنة. فهذا في الأكثر مفتر على الله، مجادل في آيات الله.

فقد روى أبو جعفر محمد بن علي بن بابويه الصدوق بإسناده إلى سعيد بن المسيب عن عبد الرحمن بن سمرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لعن الله (١) الإسراء / ٥٩.

(٢) راجع: تفسير القرطبي، ج ١، ص ٣٢-٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٧

المجادلين في دين الله على لسان سبعين نبيا، و من جادل في آيات الله فقد كفر، و من فسّر القرآن برأيه فقد افتري على الله الكذب، و من أفتى الناس بغير علم فلعنته ملائكة السماوات والأرض، و كل بدعة ضلالة، و كل ضلالة سبيلها إلى النار...» (١).

و

روى ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: «ما علمتم فقولوا، و ما لم تعلموا فقولوا: الله أعلم.

إنّ الرجل لينتزع بالآية فيختر بها أبعدها ما بين السماء والأرض» (٢) و كذا إذا استبدّ برأيه و لم يهتم بأقوال السلف و المأثور من أحاديث كبار الأئمة و العلماء من أهل البيت عليهم السلام. و كذا سائر المراجع التفسيرية المعهودة، فإن من استبدّ برأيه هلك، و من ثمّ فإنه إن أصاب أحيانا فقد أخطأ الطريق، و لم يؤجر.

روى أبو النضر محمد بن مسعود بن عياش بإسناده إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: «من فسّر القرآن برأيه، إن أصاب لم يؤجر، و إن أخطأ فهو أبعده من السماء» (٣)، إلى غيرها من أحاديث يستشف منها أن السرّ في منع التفسير بالرأى أمران:

أحدهما: التفسير لغرض المراء و الغلبة و الجدل. و هذا إنما يعمد إلى دعم نظرتة و تحكيم رأيه الخاص، بما يجده من آيات متشابهة صالحة للتأويل إلى (١) كمال الدين للصدوق، ج ١، ص ٢٥٦-٢٥٧، ب ٢٤، رقم ١. و عبد الرحمن بن سمرة بن حبيب العبشمي صحابي جليل، أسلم يوم الفتح و شهد غزوة تبوك مع النبي صلى الله عليه وآله وسلم ثم شهد فتوح العراق، و هو الذي افتتح سجستان و غيرها في خلافة عثمان. ثم نزل البصرة و كان يحدث بها.

روى عنه خلق كثير من التابعين. توفي سنة (٥٠) (الإصابة، ج ٢، ص ٤٠١، رقم ٥١٣٤)

(٢) الكافي الشريف، ج ١، (الأصول)، ص ٢٤، رقم ٤.

(٣) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٧، رقم ٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٨

مطلوبه، إن صححها أو فاسدا، غير أن الآية لا تهدف ذلك لو لا الالتواء بها في ذلك الاتجاه؛ و لذلك فإنه حتى لو أصاب في المعنى لم يؤجر؛ لأنه لم يقصد تفسير القرآن، و إنما استهدف نصره مذهبه أيا كانت الوسيلة.

و هذا ناظر في الأكثر إلى الآيات المتشابهة لغرض تأويلها، فالنهي إنما عنى التأويل غير المستند إلى دليل قاطع فأما الذين في قلوبهم

زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ «١».

ثانيهما: التفسير من غير استناد إلى أصل ركين، اعتمادا على ظاهر التعبير محضاً، فإن هذا هو من القول بلا علم، و هو ممقوت لا محالة، و لا سيما في مثل كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه و لا من خلفه. و من ثم فإنه أيضا غير مأجور على عمله حتى و لو أصاب المعنى؛ لأنه أورد أمرا خطيرا من غير مورده، و الأكثر الغالب في مثله الخطأ و الضلال، و افتراء على الله، و هو عظيم. و قد أسلفنا كلام الراغب و شرحه بهذا الشأن «٢»، و كذا ما ذكره الزركشى في هذا الباب «٣»، و قد كان كلامهما وافيا بجوانب الموضوع، لم يختلف عما ذكرناه هنا، فراجع.

و لكن نقل جلال الدين السيوطي عن ابن النقيب محمد بن سليمان البلخي «٤». في مقدمة تفسيره: (١) آل عمران / ٧.

(٢) ص ٤٩. و راجع: مقدمته في التفسير، ص ٩٣.

(٣) ص ٥٤. و راجع: البرهان، ج ٢، ص ١٦٤-١٦٨.

(٤) توفي سنة ٦٩٨.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٦٩

أن جملة ما تحصل في معنى الحديث خمسة أقوال:

أحدها: التفسير من غير حصول العلوم، التي يجوز معها التفسير.

ثانيها: تفسير المتشابه الذي لا يعلمه إلا الله.

ثالثها: التفسير المقرّر للمذهب الفاسد، بأن يجعل المذهب أصلا و التفسير تابعا، فيردّ إليه بأيّ طريق أمكن، و إن كان ضعيفا.

رابعها: التفسير بأنّ مراد الله كذا على القطع من غير دليل.

خامسها: التفسير بالاستحسان و الهوى. «١»

قلت: و يمكن إرجاع هذه الوجوه الخمسة إلى نفس الوجهين اللذين ذكرناهما؛ إذ الخامس يرجع إلى الثالث، و الرابع و الثاني يرجعان إلى الأول، فتدبر.

خلاصة القول في التفسير بالرأى

إشارة

يتلخص القول في تفسير

حديث «من فسر القرآن برأيه...»

: أن الشيء المذموم أو الممنوع شرعا، الذي استهدفه هذا الحديث، أمران:

أحدهما:

أن يعمد قوم إلى آية قرآنية، فيحاولوا تطبيقها على ما قصدوه من رأى أو عقيدة، أو مذهب أو مسلک، تبريرا لما اختاروه في هذا السبيل، أو تمويها على العامة في تحمیل مذاهبهم أو عقائدهم، تعبيرا على البسطاء الضعفاء.

و هذا قد جعل القرآن وسيلة لإنجاح مقصوده بالذات، و لم يهدف تفسير القرآن في شيء. و هذا هو الذي عنى

بقوله عليه السلام: فقد خرّ بوجهه أبعد من السماء، أو فليتبوأ مقعده من النار. (١) الإتيان في علوم القرآن، ج ٤، ص ١٩١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٠

و ثانيهما:

الاستبداد بالرأى في تفسير القرآن، محايدا طريقة العقلاء في فهم معانى الكلام، و لا سيما كلامه تعالى. فإنّ للوصول إلى مراده تعالى من كلامه وسائل و طرقا، منها: مراجعة كلام السلف، و الوقوف على الآثار الواردة حول الآيات، و ملاحظة أسباب النزول، و غير ذلك من شرائط يجب توفرها في مفسّر القرآن الكريم. فإغفال ذلك كله، و الاعتماد على الفهم الخاص، مخالف لطريقة السلف و الخلف في هذا الباب. و من استبد برأيه هلك، و من قال على الله بغير علم فقد ضلّ سواء السبيل، و من ثمّ فإنه قد أخطأ و إن أصاب الواقع - فرضا أو صدفة - لأنه أخطأ الطريق، و سلك غير مسلكه المستقيم.

قال سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي - دام ظله -: إن الأخذ بظاهر اللفظ، مستندا إلى قواعد و أصول يتداولها العرف في محاوراتهم، ليس من التفسير بالرأى، و إنما هو تفسير بحسب ما يفهمه العرف، و بحسب ما تدل عليه القرائن المتصلة و المنفصلة، و إلى ذلك أشار الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام بقوله: «إنما هلك الناس في المتشابه؛ لأنهم لم يقفوا على معناه، و لم يعرفوا حقيقته، فوضعوا له تأويلا من عند أنفسهم بأرائهم، و استغنوا بذلك عن مسألة الأوصياء فيعرفونهم».

قال: و يحتمل أن معنى التفسير بالرأى، الاستقلال في الفتوى من غير مراجعة الأئمة عليهم السلام مع أنهم قرناء الكتاب في وجوب التمسّك، و لزوم الانتهاء إليهم. فإذا عمل الإنسان بالعموم أو الإطلاق الوارد في الكتاب، و لم يأخذ بالتخصيص أو التقييد الوارد عن الأئمة عليهم السلام كان هذا من التفسير بالرأى.

و على الجملة، حمل اللفظ على ظاهره بعد الفحص عن القرائن المتصلة و المنفصلة، من الكتاب و السنّة أو الدليل العقلي، لا يعدّ من التفسير بالرأى، بل و

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٧١

لا من التفسير نفسه «١».

قلت: و عبارته الأخيرة إشارة إلى أن الأخذ بظاهر اللفظ، مستندا إلى دليل الوضع أو العموم أو الإطلاق، أو قرائن حالية أو مقالية و نحو ذلك، لا يكون تفسيرا؛ إذ لا تعقيد في اللفظ حتى يكون حلّه تفسيرا، و إنما هو جرى على المتعارف المعهود، في متفاهم الأعراف. إذ قد عرفت أن التفسير، هو: كشف القناع عن اللفظ المشكل، و لا إشكال حيث وجود أصالة الحقيقة أو أصالة الإطلاق أو العموم، أو غيرها من أصول لفظية معهودة.

نعم إذا وقع هناك إشكال في اللفظ؛ بحيث أبهم المعنى إبهاما، و ذلك لأسباب و عوامل قد تدعو إبهاما أو إجمالا في لفظ القرآن، فيخفى المراد خفاء في ظاهر التعبير، فعند ذلك تقع الحاجة إلى التفسير و رفع هذا التعقيد.

و التفسير - في هكذا موارد - لا يمكن بمجرد اللجوء إلى تلكم الأصول المقررة لكشف مرادات المتكلمين حسب المتعارف؛ إذ له طرق و وسائل خاصة غير ما يتعارفه العقلاء في فهم معانى الكلام العادي، على ما يأتي في كلام السيد الطباطبائي.

و التفسير بالرأى المذموم عقلا و الممنوع شرعا، إنما يعني هكذا موارد متشابهة أو متوغّلة في الإبهام، فلا رابط - ظاهرا - لما ذكره سيدنا الأستاذ، مع موضوع البحث، و عبارته الأخيرة ربما تشي بذلك.

و قال سيدنا العلامة الطباطبائي: «الإضافة - في قوله: برأيه - تفيد معنى (١) البيان، ص ٢٨٧ - ٢٨٨.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٢

الاختصاص و الانفرد و الاستقلال، بأن يستقل المفسّر في تفسير القرآن بما عنده من الأسباب في فهم الكلام العربي، فيقيس كلامه تعالى بكلام الناس، فإن قطعة من الكلام من أى متكلم إذا ورد علينا، لم نلبث دون أن نعمل فيه القواعد المعمولة في كشف المراد الكلامي، و نحكم بذلك أنه أراد كذا، كما نجرى عليه في الأقارير و الشهادات و غيرهما. كل ذلك لكون بياننا مبتيا على ما نعلمه من اللغة، و نعهده من مصاديق الكلمات، حقيقة و مجازا.

و البيان القرآني غير جار هذا المجرى، بل هو كلام موصول بعضها ببعض، في حين أنه مفصول، ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض، كما قاله على عليه السلام.

فلا يكفي ما يتحصّل من آية واحدة بإعمال القواعد المقررة، دون أن يتعاهد جميع الآيات المناسبة لها، و يجتهد في التدبّر فيها. فالتفسير بالرأى المنهى عنه أمر راجع إلى طريق الكشف دون المكشوف.

فالنهي إنما هو عن تفهّم كلامه تعالى على نحو ما يتفهّم به كلام غيره، حتى و لو صادف الواقع؛ إذ على فرض الإصابة يكون الخطأ في الطريق.

قال: و يؤيد هذا المعنى، ما كان عليه الأمر في زمن النبي صلى الله عليه و آله و سلم فإن القرآن لم يكن مؤلفا بعد، و لم يكن منه إلّا سور أو آيات متفرقة في أيدي الناس، فكان في تفسير كل قطعة قطعة منه خطر الوقوع في خلاف المراد.

قال: و المحصّل أن المنهى عنه إنما هو الاستقلال في تفسير القرآن، و اعتماد المفسّر على نفسه من غير رجوع إلى غيره، و لانزمه و جوب الاستمداد من الغير بالرجوع إليه.

قال: و هذا الغير - لا محالة - إما هو الكتاب أو السنّة. و كونه هي السنّة، ينافي كون القرآن هو المرجع في تبيان كل شيء، و كذا السنّة الأمر بالرجوع إلى القرآن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٣

عند التباس الأمور، و عرض الحديث عليه لتمييز صحيحه عن سقيم، فلم يبق للمراجعة و الاستمداد في تفسير القرآن سوى نفس القرآن. فإن القرآن يفسر بعضه بعضا، و ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض «١».

و هذا الذي ذكره سيدنا العلامة - هنا - تحقيق عريق بشأن طريقه فهم معاني كلامه تعالى.

قال - في مقدمة التفسير -:

إنّ الاتكاء و الاعتماد على الأئمة و العادة في فهم معاني الآيات، يشوّش على الفاهم سبيله إلى إدراك مقاصد القرآن؛ إذ كلامه تعالى ناشئ من ذاته المقدسة، التي لا مثل لها و لا نظير ليس كمثله شيء، «٢» لا تُدْرِكُهُ الْأَبْصَارُ وَ هُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ وَ هُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ «٣»، سُبحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُصِفُونَ. «٤»

و هذا هو الذي دعا بالنابهين أن لا يقتصروا على الفهم المتعارف لمعاني الآيات الكريمة، و أجازوا لأنفسهم الاعتماد - لإدراك حقائق القرآن - على البحث و النظر و الاجتهاد.

و ذلك على وجهين: إما بحثا علميا أو فلسفيا أو غيرهما، للوصول إلى مراده تعالى في آية من الآيات؛ و ذلك بعرض الآية على ما توصل إليه العلم أو الفلسفة من نظريات أو فرضيات مقطوع بها، و ربما المظنون منها ظلنا راجحا، و هذه (١) تفسير الميزان، ج ٣، ص

٧٧-٧٩، و راجع: ج ١، ص ١٠ أيضا.

(٢) الشورى / ١١.

(٣) الأنعام / ١٠٣.

(٤) الصافات / ١٥٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٤

طريقه يرفضها ملامح القرآن الكريم.

و إما بمراجعة ذات القرآن، و استيضاح فحوى آية من نظيرتها، و بالتدبر في نفس القرآن الكريم؛

فإن القرآن ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض، كما قال علي عليه السلام.

قال تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ «١»، و حاشا القرآن أن يكون تبياناً لكل شيء و لا يكون تبياناً لنفسه، و قد نزل القرآن ليكون هدى للناس و نورا مبينا و بينة و فرقانا، فكيف لا يكون هاديا للناس إلى معالمه و مرشدا لهم على دلائله؟! و قد قال تعالى: وَ الَّذِينَ جَاهَدُوا فِيْنَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا «٢»، و أىّ جهاد أعظم من بذل الجهد في سبيل فهم كتاب الله، و استنباط معانيه و استخراج لآله. نعم، القرآن هو أهدى سبيل إلى نفسه، لا شيء أهدى منه إليه.

و هذه هي الطريقة التي سلكها النبي و عترته الأطهار- صلوات الله عليهم- في تفسير القرآن و الكشف عن حقائقه- على ما وصل إلينا من دلائلهم في التفسير- و لا يوجد مورد واحد استعانوا لفهم آية، على حجة نظرية عقلية أو فرضية علمية، و نحو ذلك «٣». و توضيحا لما أفاده سيدنا العلامة في هذا المجال، نعرض ما يلي:

كان للبيان القرآني أسلوبه الخاص في التعبير و الأداء، ممتازا على سائر الأساليب، و مختلفا عن سائر البيان؛ مما يبدو طبيعيا، شأن كل صاحب فنّ جديد (١) النحل / ٨٩.

(٢) العنكبوت / ٦٩.

(٣) الميزان، ج ١، ص ٩-١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٥

كان قد أتى بشيء جديد.

و من ثمّ كان للقرآن لغته الخاصة به، و لسانه الذي يتكلم به، و لهجته التي يلهج بها، ممتازة عن سائر اللهجات.

نعم، إن للقرآن مصطلحات في تعابيره عن مقاصده و مرامييه، كانت تخصه، و لا تعرف مصطلحاته إلّا من قبل نفسه، شأن كل صاحب اصطلاح.

و من المعلوم أنّ الوقوف على مصطلحات أيّ فنّ من الفنون، لا يمكن بالرجوع إلى اللغة و قواعدها، و لا إلى الأصول المقررة لفهم الكلام في الأعراف؛ لأنها أعراف عاقية، و هذا عرف خاص. فمن رام الوقوف على مصطلحات علم النحو- مثلا- فلا بد من الرجوع إلى النحاة أنفسهم لا غيرهم، و هكذا سائر العلوم و الفنون من ذوى المصطلحات.

و من ثمّ فإن القرآن هو الذي يفسر بعضه بعضا، و ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض.

نعم يختص ذلك بالتعابير ذوات الاصطلاح، و ليس في مطلق تعابيره التي جاءت وفق العرف العام.

و بعبارة أخرى: ليس كل تعابير القرآن مما لا يفهم إلّا من قبله، إنّما تلك التعابير التي جاءت وفق مصطلحه الخاص، و كانت تحمل معاني غير معاني سائر الكلام. أمّا التي جاءت وفق اللغة أو العرف العام، فطريق فهمها هي اللغة و الأصول المقررة عرفيا لفهم الكلام.

و بعبارة ثالثة: الحاجة إلى عرفان مصطلحات القرآن، إنّما تكون في موارد التفسير؛ حيث الغموض و الإبهام في ظاهر التعبير، دون ترجمة الألفاظ و الكلمات، و إدراك مفاهيم الكلام وفق الأعراف العامة، مما يعود إلى البحث عن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٦

حجّية الظواهر، فإنّها حجّة بلا كلام، سواء في القرآن أم في غيره، سواء بسواء.

و هذا غير المبحوث عنه هنا، حيث خفاء المراد وراء ستار اللفظ، المعبر عنه بالبطن المختفى خلف الظهر. فالظهور لعامة الناس حيث متفاهمهم، و يكون حجّة لهم و مستندا يستندون إليه في التكليف، أمّا البطن فللخاصة ممن يتعمقون في خفايا الأسرار، و يستخرجون الخبايا من وراء الستار.

و من ثم كان المطلوب من الأمة (العلماء و الأئمة) التفكر في الآيات و التدبر فيها، و تعقلها و معرفتها حتى المعرفة. قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «١». قال: أَفَلَا يَتَذَكَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «٢». و قال: كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَ لِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ «٣».

و قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «له ظهر و بطن، فظاهره حكمه و باطنه علم، ظاهره أنيق و باطنه عميق، لا تحصى عجائبه و لا تبلى غرائبها، فليجل جال بصره، و ليبلغ الصفة نظره، فإن التفكر حياة قلب البصير» «٤». قال العلامة الفيلسوف ابن رشد الأندلسي: «و قد سلك الشرع في تعاليمه و برامجه الناجحة مسلكا ينتفع به الجمهور، و يخضع له العلماء. و من ثم جاء بتعبير يفهمها كل من الصنفين: الجمهور يأخذون بظاهر المثال، فيتصورون عن (١) النحل / ٤٤. (٢) محمد / ٢٤.

(٣) ص / ٢٩.

(٤) مقدمة تفسير الميزان، ج ١، ص ١٠. و الكافي الشريف، ج ٢، ص ٥٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٧

الممثل له ما يشاكل الممثل به، و يقتنعون بذلك. و العلماء يعرفون الحقيقة التي جاءت في طي المثال «١». و سنبحث عن منهج القرآن و أساليب بيانه في فصل قادم، إن شاء الله. و إليك بعض الأمثلة، شاهدا لما ذكره سيدنا العلامة:

قال تعالى: يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَ لِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ. وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ وَ أَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ «٢».

هذا خطاب عام يشمل كافة الذين آمنوا، يدعوهم إلى الإيمان الصادق و الاستجابة- عقيدة و عملا- لدعوة الإسلام، و الاستسلام العام للشريعة الغراء؛ إذ في ذلك حياة القلب، و الطمأنينة في العيش، و إدراك لذائد نعمة الوجود. أما الحائد عن طريقة الدين و المخالف لمنهج الشريعة، فإنه في قلق من الحياة، يعيش مضطربا قد سلبت راحته كوارث الدهر، يخشى مفاجأتها في كل لحظة و أوان.

و أما المتكل على الله، فهو آمن في الحياة، يداوم مسيرته، فارغ البال في كنفه تعالى وَ مَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ «٣»، الَّذِينَ آمَنُوا وَ تَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ. أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ «٤».

هذا تفسير الدعوة إلى ما فيه الحياة، و لعله ظاهر لا غبار عليه. (١) راجع: رسالته (الكشف عن مناهج الأدلة)، ص ٩٧. (٢) الأنفال / ٢٤.

(٣) الطلاق / ٣.

(٤) الرعد / ٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٨

و أما قوله تعالى - بعد ذلك -: وَ اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَ قَلْبِهِ «١» فيعلوه غبار إبهام؛ إذ يبدو أنه تهديد بأولئك الحائدين عن جادة الحق، أن سوف يجازون بحيلولة بينهم و بين أنفسهم.

و السؤال: كيف هذه الحيلولة، و ما وجه كونها عقوبة متقابلة مع نبد أحكام الشريعة؟

و للإجابة على هذا السؤال وقع اختلاف عنيف بين أهل الجبر و أصحاب القول بالاختيار، كما تناوشها كل من الأشاعرة و أهل

الاعتزال، كل يجز النار إلى قرصه، كما اختلف أرباب التفسير على وجوه أوردناها في الجزء الثالث من التمهيد، عند الكلام عن المتشابهات، ضمن آيات الهداية و الضلال برقم (٨٠) و الذي رجحناه في تأويل الآيه، هو معنى غير ما ذكره جلّ المفسرين، استفدناه من مواضع من القرآن نفسه: إن هذه الحيلولة كناية عن إماتة القلب، فلا يعي شيئاً بعد فقد الحياة.

لا تعجبنّ الجهول حلته فذاك ميت و ثوبه الكفن

الإسلام دعوة إلى الحياة، و في رفضها رفض للحياة، تلك الحياة المنبعثة عن إدراكات نبيلة، و الملهمة للإنسان شعوراً فياضاً يسعد به في الحياة، و يحظى بكرامته الإنسانية العليا.

أما إذا عاكس فطرته و أطاح بحظه، فإنه سوف يشقى في الحياة، و لم يزل يسعى في ظلمات غيه و جهله (١) الأنفال / ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٧٩

اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَ الَّذِينَ كَفَرُوا أُولَئِئَا هُمُ الظَّالِمُونَ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ (١).

فالإنسان التائه في ظلمات غيه قد فقد شعوره، و افتقد كرامته العليا في الحياة، فهذا قد نسي نفسه و ذهل عن كونه إنساناً، يحسب من نفسه موجوداً ذا حياة بهيمية سفلى، إنما يسعى وراء نهمه و شبع بطنه، لا هدف له في الحياة سواه.

و هذا التسافل في الحياة كانت نتيجة تساهله بشأن نفسه و إهمال جانب كرامته، و هذا هو معنى قوله تعالى: وَ نُقِلَبْ أَفْتَدَتْهُمْ وَ أَبْصَارُهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَ مَرَّةٍ (٢)، قال تعالى: وَ لَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ (٣).

فإن نسيان النفس كناية عن الابتعاد عن معالم الإنسانية و الشرف التليد و لَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَ لَكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَ اتَّبَعَ هَوَاهُ (٤).

و قال تعالى: وَ السَّارِقُ وَ السَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جِزَاءً بِمَا كَسَبَا (٥).

اختلف الفقهاء في موضع القطع من يد السارق؛ حيث الإبهام في ذات اليد، أنها من الكتف أم من المرفق أم الساعد أم الكرسوع (طرف الزند) أم الأشاجع (أصول الأصابع)؟

روى أبو النضر العياشي في تفسيره بالإسناد إلى زرقان صاحب ابن أبي داود، قاضي القضاة ببغداد، قال: أتى بسارق إلى المعتصم و قد أقر بالسرقة، فسأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ، فجمع الفقهاء يستفتيهم في إقامة حدّ السارق عليه، (١) البقرة / ٢٥٧.

(٢) الأنعام / ١١٠.

(٣) الحشر / ١٩.

(٤) الأعراف / ١٧٦.

(٥) المائدة / ٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٠

و كان ممن أحضر محمد بن عليّ الجواد عليه السلام، فسألهم عن موضع القطع.

فقال ابن أبي داود: من الكرسوع، استناداً إلى آية التيمم؛ حيث المراد من اليد في ضربتيه هو الكف، و وافقه قوم. و قال آخرون: من المرفق، استناداً إلى آية الوضوء.

فالتفت الخليفة إلى الإمام الجواد يستعلم رأيه، فاستعفاه الإمام، فأبى و أقسم عليه أن يخبره برأيه.

فقال عليه السلام: أما إذا أقسمت عليّ بالله، إنّي أقول: إنهم أخطئوا فيه السنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل أصول الأصابع، فيترك الكفّ.

قال المعتصم: و ما الحجّة في ذلك؟

قال الإمام: قول رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: السجود على سبعة أعضاء: الوجه و اليدين و الركبتين و الرجلين، فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق، لم يبق له يد يسجد عليها، و قد قال الله تعالى: وَ أَنَّ الْمَسَاجِدَ لِلَّهِ يَعْنِي بِهِ هَذِهِ الْأَعْضَاءُ السَّبْعَةُ الَّتِي يَسْجُدُ

عليها فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا «١»، و ما كان لله لم يقطع.

فأعجب المعتصم هذا الاستنتاج البديع، و أمر بالقطع من الأشاجع. «٢» انظر إلى هذه الالتفاتة الرقيقة، يجعل من آية المساجد، بتأويل ظاهرها (هي المعابد) إلى باطنها (الشمول لما يسجد به، أى يتحقق به السجود)، منضمّة إلى كلام الرسول في بيان مواضع السجدة، يجعل من ذلك كله دليلاً على تفسير آية القطع و تعيين موضعه، بهذا النمط البديع.

و قد استظهر عليه السلام من الآية أنّ راحة الكف، و هي من مواضع السجود، كانت (١) الجن / ١٨.

(٢) تفسير العياشى، ج ١، ص ٣١٩ - ٣٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨١

لله، فلا تشملها عقوبة الحدّ التي هي جزاء سيئته، لا تحلّ فيما لا يعود إلى مرتكبتها، فإنّ راحة الكف موضع السجود لله. و للأستاذ الذهبي - هنا - محاولة غريبة يجعل من التفسير بالرأى قسمين:

قسماً جائزاً و ممدوحاً، و آخر مذموماً غير جائز. و حاول تأويل حديث المنع إلى القسم المذموم.

قال: و المراد بالرأى هنا الاجتهاد، و عليه فالتفسير بالرأى عبارة عن تفسير القرآن بالاجتهاد، بعد معرفة المفسّر لكلام العرب و مناحيهم في القول، و معرفته للألفاظ العربية و وجوه دلالتها، و استعانتة في ذلك بالشعر الجاهلي، و وقوفه على أسباب النزول، و معرفته بالناسخ و المنسوخ من آيات القرآن، و غير ذلك من الأدوات التي يحتاج إليها المفسّر.

قال: و اختلف العلماء قديماً في جواز تفسير القرآن بالرأى، فقوم تشدّدوا في ذلك و لم يجيزوه، و قوم كان موقفهم على العكس فلم يروا بأساً من أن يفسّروا القرآن باجتهادهم، و الفريقان على طرفي نقيض فيما يبدو، و كل يعزّز رأيه بالأدلة و البراهين.

ثم جعل يسرد أدلته لكل من الفريقين، و يجيب عليها واحدة واحدة بإسهاب، و أخيراً قال: و لكن لو رجعنا إلى أدلّة الفريقين و حللنا أدلتهم تحليلاً دقيقاً؛ لظهر لنا أن الخلاف لفظي، و أن الرأى قسمان:

قسم جار على موافقة كلام العرب و مناحيهم في القول، مع موافقة الكتاب و السنّة، و مراعاة سائر شروط التفسير، و هذا القسم جائز لا شكّ فيه.

و قسم غير جار على قوانين العربيّة، و لا موافقة للأدلة الشرعيّة، و لا مستوف

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٢

لشرائط التفسير، و هذا هو مورد النهي و محطّ الذمّ. «١»

قلت: أما توزّع بعض السلف عن القول في القرآن، فلعدم ثقته بذات نفسه و ضآلة معرفته بمعاني كلام الله. أما العلماء العارفون بمرامى الشريعة، فكانوا يتصدّون التفسير عن جرأة علمية و إحاطة شاملة لجوانب معاني القرآن.

و أما التفسير بالرأى فأمر وقع المنع منه على إطلاقه، و ليس على قسم منه، كما زعمه هذا الاستاذ.

و الذى أوقعه في هذا الوهم، أنه حسب التفسير بالرأى هنا بمعنى الاجتهاد، في مقابلة التفسير بالمأثور، و لا شك من جواز الاجتهاد في استنباط معاني الآيات الكريمة إن وقع عن طريقه المألوف.

حجبة ظواهر الكتاب

قد يزعم البعض أن هناك من يرى عدم جواز الأخذ بظواهر كلام الله تعالى؛ حيث ظاهره أنيق و باطنه عميق، لا يسبر غوره و لا يبلغ أقصاه، و لا سيّما بعد كثرة الصوارف عن هذه الظواهر، من تخصيص و تقييد و نسخ و تأويل.

غير أنّ هذا يتنافى و الأمر بالتدبّر في آياته، و الحثّ على التعمق فيها و استخراج لآئها.

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَى قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا «٢».

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَا بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ «٣». (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٢٥٥ و ص ٢٦٤.

(٢) محمد / ٢٤.

(٣) الدخان / ٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٣

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ «١».

إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ «٢».

قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ «٣».

كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ «٤».

و قد رَعِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ فِي الرَّجُوعِ إِلَى الْقُرْآنِ عِنْدَ مَدْلَهَمَاتِ الْأُمُورِ وَ عَرَضَ مُشْتَبِهَاتِ الْأَحَادِيثِ عَلَيْهِ، وَ هَكَذَا

نَدَبَ الْأُمَّةَ مِنْ أَهْلِ الْبَيْتِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إِلَى فَهْمِ الْأَحْكَامِ مِنْ نصوصِ الْكِتَابِ، وَ الْوُقُوفِ عَلَى رَمُوزِهِ وَ دِقَائِقِهِ فِي التَّعْبِيرِ وَ الْبَيَانِ.

قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ: «فَإِذَا التَّبَسَّتْ عَلَيْكُمْ الْفِتْنُ كَقَطْعِ اللَّيْلِ الْمَظْلَمِ فَعَلَيْكُمْ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ شَافِعٌ مُشَفِّعٌ وَ مَاحِلٌ

مُصَدِّقٌ. «٥» وَ مِنْ جَعَلَهُ أَمَامَهُ قَادَهُ إِلَى الْجَنَّةِ، وَ مِنْ جَعَلَهُ خَلْفَهُ سَاقَهُ إِلَى النَّارِ. وَ هُوَ الدَّلِيلُ يَدُلُّ عَلَى خَيْرِ سَبِيلٍ، وَ هُوَ كِتَابٌ فِيهِ

تَفْصِيلٌ وَ بَيَانٌ وَ تَحْصِيلٌ، وَ هُوَ الْفَصْلُ لَيْسَ بِالْهَزْلِ. «٦» وَ لَهُ ظَهْرٌ وَ بَطْنٌ، فَظَاهِرُهُ حُكْمٌ وَ بَاطِنُهُ عِلْمٌ «٧»، ظَاهِرُهُ أَنْيَقٌ وَ بَاطِنُهُ عَمِيقٌ. لَهُ

نَجُومٌ وَ عَلَى نَجُومِهِ نَجُومٌ، «٨»

(١) القمر / ١٧.

(٢) الزخرف / ٣.

(٣) الزمر / ٢٨.

(٤) ص / ٢٩.

(٥) يعنى: إن شفع لأحد قبلت شفاعته، و إن سعى بأحد صدق.

(٦) أى جاء لبيان الحق و فصله عن الباطل، و ليس مجرد تفنن فى الكلام و الأدب الرفيع.

(٧) فإن ظواهر القرآن هى بيان الأحكام التكليفية و التشريعات الظاهرة. أما باطنه فملؤه علم و حكمة و حقائق راهنة.

(٨) أى دلائل لائحة، بعضها على بعض شاهدة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٤

لا- تحصى عجائبه و لا تبلى غرائبه. «١» فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة، و دليل على المعرفة، لمن عرف الصفة. «٢» فليجل جال

بصره، و ليبلغ الصفة نظره «٣»، ينج من عطب، و يتخلص من نشب. «٤» فإن التفكير حياة قلب البصير، كما يمشى المستنير فى الظلمات

بالنور. فعليكم بحسن التخلص و قلّة التربص. «٥» و بهذا المعنى

قال الإمام أبو عبد الله الصادق عليه السلام: «إنّ هذا القرآن فيه منار الهدى و مصابيح الدجى. فليجل جال بصره، و يفتح للضيء نظره.

فإن التفكير حياة قلب البصير، كما يمشى المستنير فى الظلمات بالنور. «٦» و التفكير المندوب إليه هنا هو التعمق فى دلائل القرآن و

دقائق تعبيره، قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ. وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٧».

فالتفكير فيه- بعد التبيين و البيان- هو المندوب إليه، و هى الغاية القصوى من (١) لأنه أتى بحدِيث لا يبلى على مرّ الدهور.

(٢) أى دلائله على الهداية واضحة لمن رام الاهتداء به، فمن عرف هذا الوصف للقرآن أمكنه الاستفادة منه، قال العلامة المجلسى:

صفه التعرّف و الاستنباط (مرآة العقول، ج ١٢، ص ٤٧٩)

(٣) أى و ليلتفت بنظره إلى هذا الوصف للقرآن، و إنه هداية عامة لكافة الناس، دلائله واضحة و معالمه لائحة، لمن استهدى أدلاء.

(٤) النشب: ما لا مخلص منه.

(٥) الكافي الشريف، ج ٢ (كتاب فضل القرآن رقم ٢)، ص ٥٩٨-٥٩٩. و المراد بحسن التخلص:

الصدق في الاخلاص .. و قلة التربص: كناية عن سرعة الإقدام و أن لا يكف بنفسه عن السعي في الخير.

(٦) الكافي الشريف، ج ٢، ص ٦٠٠، رقم ٥.

(٧) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٥

نزول القرآن.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «لقد تجلّى الله لخلقه في كلامه، و لكنهم لا يبصرون» (١).

و

قال: «إنما القرآن أمثال لقوم يعلمون دون غيرهم، و لقوم يتلونه حق تلاوته، و هم الذين يؤمنون به و يعرفونه» (٢).

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: «ألا لا خير في قراءة لا تدبر فيها» (٣).

و

قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: «ما أنعم الله على عبد، بعد الإيمان بالله، أفضل من العلم بكتاب الله و المعرفة بتأويله» (٤).

و لما نزلت الآية إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ وَ اخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَ النَّهَارِ لآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ. الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَ قُعُودًا وَ عَلَى جُنُوبِهِمْ. وَ يَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَ الْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (٥)

قال صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: «ويل لمن لا كهها بين لحييه ثم لم يتدبرها». (٦) و بعد، فنقول: ويل لمن نظر في هذه الآيات الكريمة و الأحاديث المأثورة عن أهل بيت الوحي و الرسالة، و لا كهها بين لحييه ثم لم يتدبرها يامعان، فأخذها بالهزل و لم يعتبرها الحكم

الفصل. (١) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٠٧.

(٢) المحاسن البرقي، ص ٢٦٧.

(٣) معاني الأخبار للصدوق، ص ٦٧.

(٤) بحار الأنوار، ج ٩٢، ص ١٨٣.

(٥) آل عمران / ١٩١-١٩٢.

(٦) مجمع البيان، ج ٢، ص ٥٥٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٦

و أيضا، فإن أخبار العرض على كتاب الله، خير شاهد على إمكان فهم معانيه و الوقوف على مبانيه.

قال رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم: «إن على كلِّ حقِّ حقيقة، و على كلِّ صواب نوراً، فما وافق كتاب الله فخذوه، و ما خالف كتاب الله فدعوه».

و خطب بمنى، و كان من خطبته: «أيها الناس ما جاءكم عني يوافق كتاب الله فأنا قلته، و ما جاءكم يخالف كتاب الله فلم أقله».

و

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «كل شيء مردود إلى الكتاب و السنّة، و كل حديث لا يوافق كتاب الله فهو زخرف».

و

قال: «إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له شاهدا من كتاب الله، أو من قول رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم، و إلا فالذي جاءكم

به أولى به» (١).

و في كثير من إرجاعات الأئمة عليهم السلام أصحابهم إلى القرآن، لفهم المسائل و استنباط الأحكام منه، لدليل ظاهر على حجية ظواهر القرآن، و ضرورة الرجوع إليه.

قال زرارة بن أعين: قلت لأبي جعفر الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: ألا- تخبرني من أين علمت و قلت: إن المسح ببعض الرأس و بعض الرجلين؟

فضحك، و قال: يا زرارة، قاله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و نزل به الكتاب من الله؛ لأن الله عزّ و جلّ قال: فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ فَعرفنا أن الوجه كله ينبغي أن يغسل، ثم قال: وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ فوصل اليدين إلى المرفقين بالوجه، فعرفنا أنه (١) الأحاديث مستخرجة من الكافي الشريف، باب الأخذ بالسنة و شواهد الكتاب، ج ١، ص ٦٩، رقم ١ و ٥ و ٣ و ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٧

ينبغي لهما أن يغسلا إلى المرفقين، ثم فصل بين الكلام فقال: وَ امْسَحُوا بِرُؤُوسِكُمْ فَعرفنا حين قال: «بِرُؤُوسِكُمْ» أن المسح ببعض الرأس، لمكان «الباء».

ثم وصل الرجلين بالرأس، كما وصل اليدين بالوجه، فقال: وَ أَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ «١» فَعرفنا حين وصلهما بالرأس، أن المسح على بعضهما.

ثم قال: فَلَمْ تَجِدُوا مَاءً فَتَيَمَّمُوا صَعِيدًا طَيِّبًا فَامْسَحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَ أَيْدِيكُمْ مِنْهُ. فأثبت بعض الغسل مسحا «٢».

فقد نبه الإمام على أن زيادة «الباء» في مدخول فعل متعدّد بنفسه لا بدّ فيها من نكته لافتة، و ليست سوى إرادة الاكتفاء بمجرد مماشية الماسح مع الممسوح؛ لأن الباء تدلّ على الربط و الإلصاق، و التكليف يتوجه إلى القيد الملحوظ في الكلام.

فإذا وضع الماسح يده على رأسه و أمرها عليه، فبأول الإمرار يحصل التكليف فيسقط، و لا دليل على الإدامة، فالاستيعاب ليس شرطاً في المسح.

هكذا نبه الإمام على إمكان استفادة مثل هذا الحكم التكليفي الشرعي من الآية، يامعان النظر في قيود الكلام.

و

عن عبد الأعلى مولى آل سام، قال: قلت لأبي عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: عثرت فانقطع ظفري، فجعلت على إصبعي مرارة، فكيف أصنع بالوضوء؟ (١) هذا بناء على قراءة «و أرجلكم» بالخفض، كما هي أيضا قراءة مشهورة، غير أن القراءة بالنصب من العطف على المحلّ كما رجّحناه في مجاله المناسب، غير أن خصوصية البعضية مفقودة فيها، حسبما نبهنا عليه.

(٢) من لا يحضره الفقيه- أبو جعفر الصدوق، ج ١، ص ٥٦-٥٧، باب ٢١، التيمم، رقم ١/ ٢١٢.

و الكافي الشريف، ج ٣، ص ٣٠. و الوسائل، ج ١، ص ٢٩١ (إسلامية)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٨

قال: يعرف هذا و أشباهه من كتاب الله عزّ و جلّ، قال الله تعالى: مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ «١» امسح عليه «٢».

يعني: أن آية نفى الحرج تدلّ على رفع التكليف؛ حيث وجود ضرر أو حرج على المكلف، فيجب أن يفهم ذلك كلّ مسلم من القرآن ذاته.

و كذلك استدلالات الأئمة عليهم السلام في كثير من الموارد، بآيات قرآنية، لإثبات مطلوبهم لدى المخاطبين، ففي ذلك عرض مباشر لشمول فهم القرآن للعموم.

و قد أتى سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي - حفظه الله - بأمثلة على ذلك كثيرة، فليراجع «٣».

إشارة

نعم نسب إلى جماعة الأخباريين - في عصر متأخر - ذهابهم إلى رفض حجية الكتاب، فلا يصح الاستناد إليه ولا استنباط الأحكام منه، وهي نسبة غير صحيحة على إطلاقها؛ إذ لم يذهب إلى هذا المذهب الغريب أحد من الفقهاء، لا في القديم ولا في الحديث، ولا لمسنا في شيء من استناداتهم الفقهية ما يشيء بذلك، بل الأمر بالعكس.

ولعل فيما فرط من بعض المتطرفين منهم بصدد المغالاة بشأن أهل البيت - و موضعهم القريب من القرآن المجيد - بعض تعابير أوجبت هذا الوهم، ومع ذلك فإن له تأويلاً، وليس على ظاهره المريب. (١) الحجج / ٧٨.

(٢) الوسائل، ج ١، ص ٣٢٧، رقم ٥.

(٣) البيان، لسيدنا الإمام الخوئي - حفظه الله -، ص ٢٨٣ - ٢٨٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٨٩

قال المولى محمد أمين الاسترابادي (ت ١٠٣٣):

«الصواب عندي مذهب قدمائنا الأخباريين و طريقتهم. أما مذهبهم فهو أن كل ما يحتاج إليه الأمة إلى يوم القيامة، عليه دلالة قطعية من قبله تعالى حتى أرش الخدش. و أن كثيراً مما جاء به النبي صلى الله عليه وآله و سلم من الأحكام، و مما يتعلق بكتاب الله و سنة نبيه، من نسخ و تقييد و تخصيص و تأويل، مخزون عند العترة الطاهرة، و أن القرآن في الأكثر ورد على وجه التعمية بالنسبة إلى أذهان الرعية (١)، و كذلك كثير من السنن النبوية. و أنه لا سبيل لنا في ما لا نعلمه من الأحكام النظرية (٢) الشرعية، أصليّة كانت أو فرعية، إلا السماع من الصادقين عليهم السلام و أنه لا يجوز استنباط الأحكام النظرية من ظواهر الكتاب و لا ظواهر السنن النبوية، ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر عليهم السلام، بل يجب التوقف و الاحتياط فيهما» (٣).

و قال بصدد بيان انحصار مدرّك ما ليس من ضروريات الدين من المسائل الشرعية، أصليّة كانت أو فرعية، في السماع عن الصادقين عليهم السلام.

«الدليل الثاني: حديث الثقلين المتواتر بين الفريقين؛ إذ معناه: أنه يجب التمسك بكلامهم عليهم السلام ليتحقق التمسك بالأمرين. و السرّ فيه أنه لا سبيل إلى فهم مراد الله (٤) إلّا من جهتهم؛ لأنهم عارفون بناسخه و منسوخه، و الباقي على إطلاقه، (١) أي على وجه الإجمال و الإبهام من غير بيان التفصيل و ذكر القيود و الشرائط، فإنها خافية على أذهان العامة غير المطلعين على الشرح و التبيين الذي جاء في كلام الرسول صلى الله عليه وآله و سلم.

(٢) مقصوده من الأحكام النظرية، المسائل غير الضرورية التي هي بحاجة إلى اجتهاد و إعمال نظر.

(٣) الفوائد المدنية، ص ٤٧.

(٤) أي المراد الجدّي - الذي لا يعرف إلّا بعد الفحص و اليأس عن الصوارف من تخصيص أو تقييد أو

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٠

و المؤول و غير ذلك، دون غيرهم، خصّهم الله و النبي بذلك» (١).

قلت: ليس في كلامه - ولا في كلام من تبعه من الأخباريين المتأخرين - ما يشي بترك كتاب الله و إبعاده عن مجال الفقه و الاستنباط. نعم سوى عدم إفراده في الاستناد، و لزوم مقارنته بالمأثور من صحاح الأحاديث الصادرة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام.

و لا شك أن في القرآن أصول التشريع و كلياته، و إيكال التفاصيل إلى بيان النبي صلى الله عليه وآله و سلم الذي أودع الكثير من بيانه بشأن التشريع إلى خلفائه المرضيين، فعندهم ودائع النبوة، و هم ورثة الكتاب و حملته إلى الخلائق.

فلا يجوز إفراد الكتاب عن العترة، و لا يفترقان حتى يردا على النبي صلى الله عليه وآله و سلم عند الحوض.

و هذا هو مراد الاسترأبادى «لا يجوز استنباط الأحكام من الكتاب و السنة النبوية ما لم يعلم أحوالهما من جهة أهل الذكر»، أى بعد الفحص عن الدلائل فى كلامهم بشأنهما، إمَّا العثور على بيان منهم، أو اليأس من التخصيص أو التقييد، فعند ذلك يجوز. و للمولى الكبير محمد بن الحسن الحرّ العاملى (١٠٣٣-١١٠٤) بيان مسهب بشأن مواضع آل البيت من القرآن الكريم، و أن لتفسيرهم بالذات مدخلة تامّة فى قرينه مجاز، دون المراد الاستعمالى المفهوم من ظاهر اللفظ لمجرد العلم بالوضع. و من الواضح أن التسرع فى الأخذ بظاهر الاستعمال، فى نصوص الشريعة، غير جائز، إلّا بعد التريث و الفحص التام. (١) الفوائد المدنية، ص ١٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩١

فهم معانى الآيات، و لا سيما آيات الأحكام.

و قد توسّع فى الكلام حول ذلك فى فوائده الطوسية (فائدة ٤٨)، كما عقد لذلك أبوابا فى كتاب القضاء من كتابه وسائل الشيعة، ذكر فيها ما يقرب من مائتين و عشرين حديثا، قال بشأنها:

«أوردنا منها ما تجاوز حدّ التواتر، و هى لا تقصر سندا و لا دلالة عن النصوص على كل واحد من الأئمة، و قد تضمّنت أنه لا يعلم المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و العام و الخاص، و غير ذلك إلّا الأئمة، و أنه يجب الرجوع إليهم فى ذلك، و أنه لا يعلم تفسيره و لا تأويله، و لا ظاهره و لا باطنه غيرهم، و لا يعلم القرآن كما أنزل غيرهم، و أن الناس غير مشتركين فيه كاشتراكهم فى غيره، و أن الله إنما أراد بتعميته (أى الإجمال و الإبهام فى لفظه) أن يرجع الناس فى تفسيره إلى الإمام، و أنه كتاب الله الصامت، و الإمام كتاب الله الناطق. و لا يكون حجة إلّا بقتيم (أى من يقوم بتبيينه و تفسيره) و هو الإمام، و أنه ما ورث علمه إلّا الأئمة، و لا يعرف ألفاظه و معانيه غيرهم، و أنه لا احتمال له للوجوه الكثيرة، يحتج به كل محقّ و مبطل، و أنه إنما يعرف القرآن من خوطب به» (١).

و ظاهر كلامه هو ظاهر عنوان الباب الذى عقده أبو جعفر محمد بن يعقوب الكلينى، فى كتاب الحجّة من الكافى الشريف، لبيان: «أنه لم يجمع القرآن كله و لم يحط به علما، ظاهره و باطنه، سوى الأئمة من أهل البيت عليهم السلام، و أن علم المحكم و المتشابه، و الناسخ و المنسوخ، و العام و الخاص علما كاملا، مودع (١) الفوائد الطوسية، ص ١٩١-١٩٢. و راجع: صفحات: ١٦٣-١٩٦. و الوسائل، ج ١٨، باب ٤ و ٥ و ٦ و ٧ من كتاب القضاء أبواب صفات القاضى. صفحات: ٩-٤١ (ط إسلاميه)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٢

عندهم، و رثوه من جدّهم الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم» (١).

و هذا شىء لا ينكر، و لا يجوز الأخذ بظاهر الكتاب، ما لم يرجع إلى ما ورد عن الرسول و خلفائه العلماء، فإن فى كلامهم التبيين و التفصيل لما جاء فى القرآن من الإجمال و الإبهام، فى التكليف و التشريع.

و هكذا فهم معاصره السيد نعمه الله الجزائرى (١٠٥٠-١١١٢) من ظاهر الروايات، و بذلك جمع بين متعارضاتها.

قال: «ذهب المجتهدون- رضوان الله عليهم- إلى جواز أخذ الأحكام من القرآن، و بالفعل قد أخذوا الأحكام منه، و طرحوا ما ظاهره المنافاة أو أولوه، و من ثم دونوا كتبنا بشأن «آيات الأحكام» و استنبطوا منها ما هداهم إليه أمارات الاستنباط.

و أما الأخباريون- قدّس الله ضرائحهم- فذهبوا إلى أن القرآن كله متشابه بالنسبة إلينا، و أنه لا يجوز لنا أخذ حكم منه، إلّا من دلالة الأخبار على بيانه.

قال: حتى أتى كنت حاضرا فى المسجد الجامع من شيراز، و كان أستاذى المجتهد الشيخ جعفر البحرانى، و شيخى المحدث صاحب جوامع الكلم- قدّس الله روحيهما- يتناظران فى هذه المسألة. فانجزّ الكلام بينهما حتى قال له الفاضل المجتهد: ما تقول فى معنى قلّ هو الله أحيّد فهل يحتاج فى فهم معناها إلى الحديث؟ فقال: نعم، لا نعرف معنى «الأحيديّة» و لا الفرق بين الأحد و الواحد و نحو ذلك.

ثم عقبه بكلام الشيخ في التبيان - على ما سذكر - و اردفه بتحقيق عن المولى (١) الكافي الشريف (الأصول)، ج ١، ص ٢٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٣

كمال الدين ميثم البحراني، بشأن حديث التفسير بالرأى. و أخيرا قال: و كلام الشيخ أقرب من هذا، بالنظر إلى تتبع الأخبار، و الجمع بين متعارضات الأحاديث.

و حاصل هذه المقالة: أن أخذ الأحكام من نص القرآن أو ظاهره أو فحواه و نحو ذلك، جائز كما فعله المجتهدون.

قال: يرشد إلى ذلك ما رواه أمين الإسلام الطبرسي - في كتاب الاحتجاج - من جملة حديث طويل

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال فيه: «إنَّ الله قَسَمَ كلامه ثلاثة أقسام: فجعل قسما منه يعرفه العالم و الجاهل، و قسما لا يعرفه إلَّا من صفا ذهنه و لطف حسه و صحَّ تمييزه و شرح صدره للإسلام، و قسما لا يعرفه إلَّا الله و أمناؤه و الراسخون في العلم» (١). و أصرح من الجميع كلام الفقيه البارع الشيخ يوسف البحراني (١١٠٧-١١٨٦) في موسوعته الفقهية الكبرى (الحدائق الناضرة) ذكر أولا الأخبار من الطرفين، ثم عقبها بما حققه شيخ الطائفة أبو جعفر الطوسي (٣٨٥-٤٦٠) في المقام، و جعله (القول الفصل و المذهب الجزل) الذي تلقاه العلماء بالقبول، قال:

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي - بعد نقل الروايات المتعارضة و الدلائل المتناقضة - ما ملخصه: «

أن معانى القرآن على أربعة أقسام:

أحدها:

ما اختصَّ الله تعالى بعلمه فلا يجوز لأحد التكلف فيه. و لعل منه الحروف المقطعة في أوائل السور.

ثانيها:

ما يكون ظاهره متطابقا مع معناه، معروفا من اللغة و العرف، لا غبار عليه. فهذا حجة على الجميع، لا يعذر أحد الجهل به، مثل قوله تعالى: (١) رسالة (منبع الحياة)، ص ٤٨-٥٢ م ٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٤

وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ .. «١».

ثالثها:

ما أجمل في تعبيره و أوكل التفصيل فيه إلى بيان الرسول، كالأوامر بالصلاة و الزكاة و الحج و الصيام، فتكلف القول فيه - من دون مراجعة دلائل الشرع - محذور منه.

رابعها:

ما جاء مشتركا محتملا لوجوه فلا يجوز البتّ في تبين مراده تعالى بالذات، إلّا بدليل قاطع من نصّ معصوم أو حديث متواتر» (٢).
و بذلك قد جمع الشيخ بين روايات المنع و دلائل الترخيص، باختلاف الموارد.

قال المحدث البحراني - تعقيبا على كلام الشيخ-: «و عليه تجتمع الأخبار على وجه واضح المنار» (٣).

قلت: فهذا شيخ المحدثين و رائد الأخباريين في العصور المتأخرة نراه قد وافق القول مع شيخ الطائفة و رأس الأصوليين بشأن التفسير،
و الخوض في فهم معاني كلام الله العزيز الحميد.

فيا ترى، ما الذي يدعو إلى فرض الافتراق في هذا المجال العصيب!! و الحمد لله على ما أنعم علينا من لمس نعمته الوفاق و ذوق
حلاوة الاتفاق. (١) الأنعام/ ١٥١.

(٢) الحدائق الناضرة، ج ١، ص ٣٢. و راجع: التبيان، ج ١، ص ٥-٦. و رسالة (منبع الحياة) للسيد نعمه الله الجزائري، ص ٤٨-٥١ (ط
بيروت)

(٣) الحدائق الناضرة، ج ١، ص ٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٥

دلائل مزعومة

لم نجد في كلام من يعتدّ به من المنتسبين إلى الأخبارية احتجاجا يرفض حجّية الكتاب، سوى ما جاء في كلام غيرهم من حجج
مفروضة، و لعله تطوّع لهم في تدليل أو حدس وهموه بشأنهم، و إليك أهم ما ذكروه:

١- اختصاص فهم معاني القرآن بمن خوطب به.

٢- احتواؤه على مطالب غامضة، لا تصل إليها أفكار ذوى الأنظار.

٣- النهى عن الأخذ بالمتشابه، الشامل للظواهر أيضا؛ لوجود احتمال الخلاف.

٤- النهى عن التفسير بالرأى، الشامل لحمل اللفظ على ظاهره.

٥- العلم إجمالا بطروء التخصيص و التقيد و المجاز، في كثير من ظواهر القرآن.

٦- احتمال التحريف و لو بتغيير حرف عن موضعه.

قالوا: إنها حجج احتج بها نافو حجّية ظواهر القرآن (١).

لكن المراجع يجد كلمات من توّهنا عنهم خلوا عن مثل هذا الترصيف الغريب، و لا سيّما مسألة التحريف لا تجدها في كلامهم البتّة،
و إنما أوردتها صاحب الكفاية تبعا للشيخ في الرسائل، احتمالا في المقام، من غير نسبتها إلى الأخبارية أو غيرهم (٢). (١) راجع: كفاية

الأصول للمحقق الخراساني (آل البيت) ص ٢٨١-٢٨٢. و البيان للإمام الخوئي، ص ٢٩١.

(٢) راجع: رسائل الشيخ (ط رحمه الله) ص ٤٠. و الكفاية، ص ٢٨٤-٢٨٥. و قد حققنا عن مسألة التحريف في رسالة (صيانة القرآن)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٦

و العمدة: أن نظر القوم في مسألة حجّية الكتاب، إنما يعود إلى جانب آيات الأحكام التي اكتنفها لفيق- في حجم ضخم- من
الأحاديث الماثورة بوفرة؛ حيث جاءت أصول الأحكام في الكتاب و فروعها في الأحاديث، فلا تخلو آية من تلكم الآيات إلّا و حولها
روايات عدّة.

و في ذلك- بالذات- يقول الأخباريون، كسائر الفقهاء الأصوليين: لا يجوز إفراد الكتاب بالاستنباط، بعيدا عن ملاحظة الروايات
الواردة بشأنها.

و هذا هو مقتضى التمسك بالثقلين: الكتاب و العترة، لا يفترقان بعضهما عن بعض.

نعم لا يتضايقون القول بجواز مراجعة سائر الآيات، بشأن فهم معارف الدين والحكم والآداب مراجعة ذاتية «١»، اللهم إنا إذا وجدت رواية صحيحة صريحة المفاد، فيجب ملاحظتها أيضا، كما هي العادة المتعارفة عند المفسرين. (١) راجع: الفوائد الطوسية للحزب العامل، ص ١٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٧

منهج القرآن في الإفادة و البيان

إشارة

إن للقرآن في إفادة معانيه منهجا يخصه، لا هو في مرونة أساليب كلام العامة، و لا هو في صعوبة تعابير الخاصة، جمع بين السهولة و الامتناع، وسطا بين المسلكين، سهلا في التعبير و الأداء؛ بحيث يفهمه كل قريب و بعيد، و يستسيغه كل وضع و رفيع، و هو في نفس الوقت ممتنع في الإفادة بمبانيه الشامخة، و الإدلاء بمرامييه الشاسعة، ذلك أنه جمع بين دلالة الظاهر و خفاء الباطن، في ظاهر أنيق و باطن عميق.

قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «و هو الدليل يدل على خير سبيل، و هو كتاب فيه تفصيل و بيان و تحصيل، و هو الفصل ليس بالهزل، و له ظهر و بطن، فظاهرة حكم و باطنه علم، ظاهره أنيق و باطنه عميق. له نجوم و على نجومه نجوم، لا تحصي عجائبه و لا تبلى غرائبه. فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة، و دليل على المعرفة لمن عرف الصفة» (١).

«فما من آية إلا و لها ظهر و بطن»، كما في حديث

آخر مستفيض «٢»، فهناك (١) الكافي الشريف، ج ٢، ص ٥٩٩.

(٢) رواه الفريقان. راجع: تفسير العياشي، ج ١، ص ١١. و بحار الأنوار، ج ٨٩ (ط بيروت)، ص ٨٨-

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٨

عبارات لائحة يستجيد فهمها العامة فهما كانت لهم فيه قناعة نفسية كاملة، و لكنّها إلى جنب إشارات غامضة كانت للخاصة، فيحلوا من عقدها، و يكشفوا من معضلها، حسبما أوتوا من مهارة علمية فائقة.

و بذلك قد وفق القرآن في استعماله للجمع بين معان ظاهرة و أخرى باطنة؛ لتفيد كل لفظة معينين أو معاني مترابطة، و ربما مترامية حسب ترامي الأجيال و الأزمان، الأمر الذي كان قد امتنع حسب المتعارف العام، فيما قال الأصوليون: من امتنع استعمال لفظة واحدة و إرادة معان مستقلة. لكن القرآن رغم هذا الامتناع نراه قد استسهله، و أصبح منهجا له في الاستعمال.

كان ممن سلف من الأصوليين من يرى امتناع استعمال اللفظ و إرادة معينين امتناعا عقليا، نظرا إلى أن حقيقة الاستعمال ليس مجرد جعل اللفظ علامة لإرادة المعنى، بل جعله وجها و عنوانا له، بل بوجه نفسه كأنه الملقى؛ و لذا يسرى إليه قبحة و حسنه. و عليه فلا يمكن جعل اللفظ كذلك إلا لمعنى واحد، ضرورة أن لحاظه كذلك لا يكاد يمكن إلا بتبع لحاظ المعنى، فانيا فيه فناء الوجه في ذي الوجه، و العنوان في المعنون، و معه كيف يمكن إرادة معنى آخر كذلك في استعمال واحد، مع استلزامه للحاظ آخر غير لحاظه الأول في نفس الوقت. هكذا جاء في تقرير كلام العلامة الأصولي الكبير المحقق الخراساني «١».

و جاء الخلف ليجعلوا من هذا الامتناع العقلي ممكنا في ذاته، و ممتنعا في ٩٥.

(١) هو المولى محمد كاظم الخراساني صاحب كفاية الأصول. (راجع: حقائق الأصول للإمام الحكيم، ج ١، ص ٨٩-٩٠)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٩٩

العادة؛ حيث لم يتعارف ذلك و لم يعهد استعمال لفظة و إرادة معينين مستقلين في المتعارف العام، فالاستعمال كذلك كان خلاف

المتعارف حتى و لو كان ممكنا في ذاته، نظرا لأن الاستعمال (استعمال اللفظة و إرادة المعنى) إنما هو بمثابة جعل العلامة من قبيل الإشارات و العلام الإخطارية، فلا مانع عقلا من استعمال علامة لغرض الإخطار إلى معنيين أو أكثر؛ إذا كان اللفظ صالحا له بالذات، فيما إذا كان قد وضع لكلا المعنيين مشتركا لفظيا، أو أمكن انتزاع مفهوم عام. نعم لم يعهد ذلك في الاستعمالات المتعارفة. الأمر الذى استهسله القرآن و خرج على المتعارف، و جعله جائزا و واقعا في استعمالاته. «١» فقد استعمل اللفظة و أراد معناها الظاهري، حسب دلالتها الأولى، لكنه في نفس الوقت صاغ منه مفهوما عاما و شاملا ثانيا، يشمل موارد آخر ليكون هذا المفهوم العام الثانوى هو الأصل المقصود بالبيان، و الضامن لبقاء المفاهيم القرآنية عامة و شاملة عبر الأيام، و ليست بالمقتصرة على موارد النزول الخاصة.

و كان المفهوم البدائى للآية، و الذى كان حسب مورد نزولها الخاص، هو معناها الظاهر، و يسمّى ب «التزليل». أما المفهوم العام المنتزع من الآية الصالح للانطباق على الموارد المشابهة، فهو معناها الباطن، المعبر عنه ب «التأويل»، و هذا المفهوم الثانوى العام للآية هو الذى ضمن لها البقاء عبر الأيام.

سئل الإمام أبو جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام عن الحديث المتواتر عن (١) و ذلك نظرا لإحاطته تعالى و شمول عنايته لجميع عباده. و لا يخفى أن المفهوم العام المنتزع من الآية، هو بنفسه معنى آخر مقصود مستقلا وراء إرادة المعنى الظاهري الأولى، فكل من المعنيين الظاهر و الباطن مقصود بذاته، و ليس مندرجا تحت الآخر، فهو من موضوع البحث و ليس خارجا عنه، كما زعم.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٠

رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «ما من آية إلّا و لها ظهر و بطن...»، فقال: «ظهره تنزيهه، و بطنه تأويله، منه ما قد مضى و منه ما لم يجئ، يجرى كما تجرى الشمس و القمر، كلما جاء شىء منه وقع...» «١».

و

قال: «ظهر القرآن: الذين نزل فيهم، و بطنه: الذين عملوا بمثل أعمالهم» «٢».

و أضاف عليه السلام: «و لو أنّ الآية إذا نزلت في قوم، ثم مات أولئك القوم، ماتت الآية، لما بقى من القرآن شىء، و لكنّ القرآن يجرى أوّله على آخره ما دامت السماوات و الأرض، و لكل قوم آية يتلونونها هم منها من خير أو شرّ» «٣».

نعم كان العلم بباطن الآية، أى القدرة على انتزاع مفهوم عام صالح للانطباق على موارد مشابهة، خاصا بالراسخين فى العلم، و ليس يفهمه كل أحد حسب دلالة الآية فى ظاهرها البدائى.

و الخلاصة:

أن لتعابير القرآن دلالتين: دلالة بالتزليل؛ و هو ما يستفاد من ظاهر التعبير، و دلالة أخرى بالتأويل؛ و هو المستفاد من باطن فحواها، و ذلك بانتزاع مفهوم عام صالح للانطباق على الموارد المشابهة عبر الأيام. إذن أصبح القرآن ذا دلالتين: ظاهرة و باطنية، الأمر الذى امتاز به على سائر الكلام.

مثلا آية الإنفاق فى سبيل الله، نزلت بشأن الدفاع عن حريم الإسلام، فكان واجبا على المسلمين القيام بهذا الواجب الدينى؛ ليأخذوا بأهبة الأمر و يعدّوا له عدّته، و منها بذل الأموال فضلا عن بذل النفوس. هذا شىء كان واجبا على عامة المكلفين أنفسهم كلّ حسب إمكانه، هذا ما يفهم من ظاهر الآية البدائى. (١) بحار الأنوار، ج ٨٩ (ط بيروت)، ص ٩٤، رقم ٤٧ و ٤٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ٩٧، رقم ٦٤.

(٣) تفسير العياشى، ج ١، ص ١٠ رقم ٧.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠١

أما الفقيه النابه فيستفيد من الآية شيئاً أوسع، يشمل كل ضرورات الدولة القائمة على أساس العدل، وإحياء كلمة الله في الأرض؛ فيجب بذل المال في سبيل تثبيت دعائم الحكم العادل و التشييد من مبانيه، فيجب دفع الضرائب المائئة حسبما يقرره النظام، مستفاداً من الآية الكريمة في باطن فحواها، أخذاً بالتأويل حسب المصطلح.

و هكذا المستفاد من آية خمس الغنائم، وجوب دفع الخمس في مطلق الفوائد و أرباح المكاسب، حسبما فهمه الإمام الصادق عليه السلام من الآية، أخذاً بعموم الموصول، و إطلاق الغنيمه على مطلق الفائدة.

و في القرآن من هذا القبيل الشيء الكثير، الأمر الذي ضمن للقرآن بقاءه مع الخلود.

وجهة أخرى

إنّ للقرآن لغته الخاصة به، شأن كل صاحب اصطلاح، فللقرآن اصطلاحه الخاص، يستعمل ألفاظاً و تعابير في معان أرادها بالذات، من غير أن يكون في اللغة أو في سائر الأعراف دليل يدلّ عليه؛ لأنه من اصطلاحه الخاص و لا يعرف إلّا من قبله. و من ثمّ كان القرآن ينطق بعضه ببعض، و يشهد بعضه على بعض، كما جاء في كلام الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «١».

إنّ في القرآن تعابير كثيرة لا تكاد تدرك معانيها إلّا إذا سبرت القرآن سبراً و فحصته فحصاً، لتعرف مفاهيمها التي اصطلاح عليها القرآن من القرآن ذاته، و ليس من غيره إطلاقاً.

هكذا ذهب سيدنا العلامة الطباطبائي قدس سرّه إلى أنّ الدلالة على مفاهيم القرآن، (١) نهج البلاغة الخطبة رقم ١٣٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٢

إنما هي من ذات القرآن، و ليس من خارجه أبداً، لأنه تبيان لكل شيء، و حاشاه أن لا يكون تبياناً لنفسه، فإن القرآن يفسيّر بعضه بعضاً. و هذا هو أصل التفسير المعتمد، و قد بنى تفسيره في الميزان على هذا الأساس «١».

مثلاً: لفظة «الإذن» في الاستعمال القرآني، جاء بمعنى: إمكان التداوم في التأثير الحاصل وفق مشيئة الله و إرادته الخاصية، أي تداوم الإفاضة من قبله تعالى؛ حيث التأثير في عالم التكوين، موقوف على إذنه تعالى، بأن يفيض على عامل التأثير خاصيته التأثيرية؛ حالة التأثير، أي يديمها و لا يقطع إفاضته عليه حينذاك، و إلّا لما أمكن لعامل التأثير أن يؤثر شيئاً و ما تشاؤون إلّا أن يشاء الله ربّ العالمين «٢» تلك إرادته تعالى الحادثة، هي التي أمكنت للأشياء تأثيرها و تأثرها في عالم الطبيعة، و لولاها لما أمكن لعامل طبيعي أن يؤثر شيئاً في عالم الوجود، و هذا هو المراد من تداوم إفاضته تعالى في عالم التكوين.

قال تعالى: وَ مَا هُمْ بِضَارِّينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ «٣» فلو لا إذنه تعالى، أي تداوم إفاضة- إمكان التأثير من قبله تعالى- لما أمكن لسحرهم أن يؤثر شيئاً.

و ذلك نظراً لأن عوامل التأثير في عالم الوجود، إنما هي متأثرة- في إمكان تأثيرها- بتأثيره تعالى؛ إذ لا مؤثر في الوجود إلّا الله؛ حيث الممكنات بأسرها فقيرات في ذوات أنفسها، فكما أنها بذاتها محتاجة إلى إفاضة الوجود عليها، كذلك أثرها في عالم الطبيعة أمر ممكن، و محتاج لإفاضة الوجود عليه. ففور إرادة التأثير يجب تداوم إفاضة إمكان التأثير عليه حتى يتمكّن من التأثير (١) راجع: مقدمة التفسير، ج ١، ص ٩.

(٢) التكوير / ٢٩.

(٣) البقرة / ١٠٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٣

وَ الْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ «١» أي بإمكان التأثير الحاصل من قبله تعالى.

و هذا هو معنى «الإذن» في التكوين، حسب المصطلح القرآني، مستفاداً من قوله تعالى: وَ مَا تَشَاؤُنَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ «٢».

وقد دأب القرآن على إسناد الأفعال الصادرة في عالم الوجود كلها إلى الله، سواء أكان فاعلها فاعلا إراديا كالإنسان والحيوان، أم غير إرادى كالشمس والقمر، وليس ذلك إلا من جهة أنه المؤثر في تحقق الأفعال مهما كانت، اختيارية أم غير اختيارية. إنه تعالى هو الذى أقدر الأشياء على فعل الأفعال، وأمدّهم بالقوى، وأفاض عليهم الإقدار بصورة مستديمة.

قال تعالى: «وَنَقَلْنَا قُلُوبَهُمْ وَآبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوْلَٰى مَرَّةً» (٣) أى انقلبت أهواؤهم و أبصارهم، وهم الذين أوجبوا هذا القلب. وهكذا قوله: «خَتَمَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ وَعَلَىٰ أَبْصَارِهِمْ غِشَاوَةٌ» (٤) بدليل قوله تعالى: «وَقَالُوا قُلُوبُنَا غُلْفٌ. بَلْ لَعَنَهُمُ اللَّهُ بِكُفْرِهِمْ فَقَلِيلًا مَّا يُؤْمِنُونَ» (٥).

قال تعالى: «وَنَقَلْنَا قُلُوبَهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشَّمَالِ» (٦) أى تنقلب أجسادهم ذات اليمين وذات الشمال، غير أن هذا التقلب كان بإذنه تعالى؛ فصحّ إسناد الفعل (١) الأعراف / ٥٨.

(٢) الإنسان / ٣٠.

(٣) الأنعام / ١١٠.

(٤) البقرة / ٧.

(٥) البقرة / ٨٨.

(٦) الكهف / ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٤

إليه.

ولفظه «القلب» فى القرآن الكريم، يعنى: شخصيئة الإنسان الباطنة، وراء شخصيئته هذه الظاهرة، وهى التى كانت منبعث إدراكاته النبيلة، و أحاسيسه الكبرى الرفيعة، المتناسبة مع شخصيئته الإنسانية الكريمة إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد (١).

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ. وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ (٢).

المراد ب «القلب» فى هذه الآية، هى شخصيئة الإنسان الكريمة إذا ما تمرد الإنسان على قوانين الشريعة، فإنه يصبح بهيمة لا يعرف من الإنسانية شيئا نسوا الله فأنساهم أنفسهم (٣).

ولفظه «المشيئة» فى القرآن، مصطلح خاص يراد بها الإرادة الحادثة المنبعثه عن مقام حكمته تعالى، و ليست مطلق الإرادة.

فقوله تعالى: «قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكِ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِمَّنْ تَشَاءُ وَتُعْزِزُ مَنْ تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ» (٤).

كان المقصود: المشيئة وفق الحكمة، فيؤتى الملك من اقتضت حكمته (١) ق / ٣٧.

(٢) الأنفال / ٢٤.

(٣) الحشر / ١٩.

(٤) آل عمران / ٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٥

تعالى، و ينزع الملك ممن اقتضت حكمته.

وهكذا نرفع درجات من نشاء (١)، أى من تقتضيه حكمتنا أن نرفعه، أى من كانت المقترضيات متوفرة فى ذات نفسه، فلاقتضاء إنما هو فى ذاته، فهو محل صالح لهذه العناية الربانية، و ليس اعتباطا أو ترجيحا من غير مرجح؛ حيث الحكمة هى وضع الأشياء فى مواضعها.

و الدليل على ذلك، تذييل الآية بقوله: إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ فالحكيم لا يشاء شيئاً إلا ما كان وفق حكمته، و ليس مطلق المشيئة. و التعابير من هذا القبيل كثيرة في القرآن، و إنما هي مصطلحات قرآنية، لا تعرف إلا من قبله؛ ليكون القرآن هو الذى يفسر بعضه بعضاً.

و من المصطلح المتعارف فى القرآن، اعتماده المعهود من قرائن حاليه، ليصدر أحكاماً فى صورة قضايا خارجيه - إشارة إلى المعهود الحاضر حال الخطاب - و ليست بقضايا حقيقيه، حتى تكون الأحكام مترتبة على الموضوعات، متى وجدت و أين وجدت. هذه الظاهرة كثيرة الدور فى القرآن الكريم، و ربما زعم زاعم أنها قضايا حقيقيه دائمه، و ليست كذلك.

مثلاً- قوله تعالى: لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الْيَهُودَ. وَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا. وَ لَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَوَدَّةً لِلَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قَسِيصِينَ وَ رُهْبَانًا وَ أَنَّهُمْ لَا يَشْتَكِرُونَ «٢».

ليس المراد مطلق اليهود، سواء من عاصر نبي الإسلام أم غيرهم، و لا مطلق (١) الأنعام / ٨٣.
(٢) المائدة / ٨٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٦

من أشرك، و لا- مطلق النصارى بل يهود يثرب ممن عاصر نبي الإسلام، و مشركو قريش، و نصارى نجران، و قيل: وفد النجاشى ذلك العهد؛ لأنها حكاية عن أمة ماضيه أسلم من أسلم منهم، و عاند من عاند.

فقد جاء تعقيب الآية بقوله: وَ إِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَى أَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ، يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ. وَ مَا لَنَا لَا نُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَ مَا جَاءَنَا مِنَ الْحَقِّ وَ نَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبَّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ. فَأَتَابَهُمُ اللَّهُ بِمَا قَالُوا جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ. وَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا - يعنى بهم اليهود و المشركين - أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ «١».

و هذا نظير قوله تعالى عن المخلفين من الأعراب: سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلْنَا أَمْوَالَنَا وَ أَهْلُونَا «٢» إشارة إلى خصوص من قعد عن الحرب أيام الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

و كذا «الناس» فى قوله: الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَمَاخَشَوْهُمْ «٣» حيث المراد بالناس الأول: هم المنافقون المرجفون من أهل المدينة، و الناس الثانى: هم مشركو قريش رهط أبى سفيان، بعد هزيمتهم من أحد.

و هكذا قوله تعالى: الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَ نِفَاقًا وَ أَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى رَسُولِهِ وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ «٤» المراد من عاصروا النبي من أهل (١) المائدة / ٨٣-٨٦.

(٢) الفتح / ١١.

(٣) آل عمران / ١٧٣.

(٤) التوبة / ٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٧

الجفاء و النفاق، كما فى قوله: وَ مِمَّنْ حَوْلَكُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ مُنَافِقُونَ وَ مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النَّفَاقِ «١» و غير ذلك مما وقع هذا التعبير فى مواضع من سورة براءة (الآيات: ٩٠ / ٩٧ / ٩٨ / ٩٩ / ١٠١) حيث المقصود من الجميع: أعراب المدينة و من حولها.

وجهة ثالثة:

إيفاءه بالوفرة الوفيرة من المطالب و مختلف المسائل، فى أقصر تعابير و أيسر كلمات، ربما يكون حجم المطالب أضعاف حجم الكلمات و التعابير. و القرآن ملؤه ذلك، و هو من اختصاصه، أن يدلى بأوفر المعانى فى أوجز الألفاظ.

هذه سورة الحجرات على قصرها، و هي ثمانى عشرة آية، تحتوى على أكثر من عشرين مسألة من أمهات المسائل الإسلامية العريقة، نزلت بالمدينة؛ لتنظيم الحياة الاجتماعية العادلة. وقد تعرّض لها المفسرون و لا سيّما المتأخرين بتفصيل، و تعرّضنا لأكثرها فى تفسيرنا للسورة.

و مما جاء فيها التعرّض لقاعدة «اللطيف» التى هى أساس الشرائع، و مسألة «الحبّ فى الله و البغض فى الله» التى هى أساس الإيمان، فى أقصر عبارة:

وَ لَكِنَّ اللَّهَ حَبِيبٌ إِلَيْكُمْ الْإِيمَانَ وَ زَيْنَهُ فِى قُلُوبِكُمْ وَ كَرَّةٌ إِلَيْكُمْ الْكُفْرَ وَ الْفُسُوقَ وَ الْعِصْيَانَ «٢». فمن لطفه تعالى و عنايته بعباده أن مهّد لهم أسباب الطاعة و قربها إليهم، ليتمكنوا من طاعة الله و يجتنبوا الفسوق و العصيان، و ذلك بأنّ زين الإيمان و الطاعة فى قلوبهم، أى أبدى لهم زينة الإيمان، بأن رفع عن أعينهم غشاء (١) التوبة / ١٠١.

(٢) الحجرات / ٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٨

التعامى، كما أنه تعالى كره إليهم العصيان بأن أظهر قبحة فى أعينهم فكرهوه فى ذات أنفسهم. فالمؤمن إنما يطيع الله و هو محبّب له الطاعة، و من ثمّ فإنّه يقدم على الطاعة فى وداعه و طمأنينه و يسر، كما أنه يجتنب المعاصى فى يسر؛ لأنه عن نفرة لها فى نفسه. و هذه هى قاعدة اللطيف تمهيد ما يوجب قرب العباد إلى الطاعة و بعدهم عن المعصية، مستفادة من الآية الكريمة.

و شىء آخر: مسألة «الحبّ فى الله و البغض فى الله» و هى أساس الإيمان و صلب العقيدة، و الباعث على الجدّ فى العمل، و من ثمّ قال الإمام الصادق عليه السلام: «و هل الإيمان إلّا الحب و البغض، ثم تلا الآية الكريمة» «١» و قد قال تعالى: قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ «٢».

و أمر ثالث مستفاد من الآية الكريمة: أن هدايته للناس كانت فضلا من الله و رحمة، ناشئة عن مقام فيضه القدوسى، و ليس عن حق عليه سبحانه فلو لا فضل الله عليكم و رحمته لكنتم من الخاسرين «٣»، و ما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب إلّا رحمة من ربك «٤».

فالإنسان بذاته لا يستحق شيئا على ربه، و إنما الله هو الذى تفضّل على الإنسان برحمته الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله «٥»، و من ثمّ عبّ سبحانه الآية بقوله: (١) الكافى، ج ٢، ص ١٢٥ رقم ٥.

(٢) آل عمران / ٣١.

(٣) البقرة / ٦٤.

(٤) القصص / ٨٦.

(٥) الأعراف / ٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٠٩

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَ نِعْمَةً وَ اللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ «١».

و فى السورة إشارة إلى مسألة التعاون فى الحياة الاجتماعية، جاءت فى قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَ جَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَ قِبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ «٢».

و فيها الإشارة إلى مسألة «المساواة» و أن لا شعوبية فى الإسلام، و لا عنصريّة، و لا قوميّة، و أن لا فضل لأحد على غيره إطلاقا، لا حسبا و لا نسبا، إلّا بفضيلة التقوى، و هو التعهّد فى ذات الله.

كما فيها الإشارة أيضا إلى مسألة «الأخوة الإسلامية» المتطلبة للإيثار و التضحية، فوق قانون العدل و الإنصاف.

و فى القرآن كثير من عبارات يسيرة انطوت على مفاهيم ذات أحجام كبيرة، كقوله تعالى فى سورة الانفال: وَ مَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَ

لَكِنَّ اللَّهَ رَمَى (٣) إشارة إلى مسألة «الأمر بين الأمرين» و أن لا جبر و لا تفويض، و هي من المسائل المذيلة ذات تفصيل طويل. و كقوله تعالى في سورة الواقعة: أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَحْرُثُونَ أَأَنْتُمْ تَزْرَعُونَهُ أَمْ نَحْنُ الزَّارِعُونَ (٤) إشارة إلى مسألة «الاستطاعة» و أن لا استقلال للعباد فيما يتصرفون (١) الحجرات / ٨.

(٢) الحجرات / ١٣.

(٣) الأنفال / ١٧.

(٤) الواقعة / ٦٣.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٠

من أفعالهم الاختيارية.

و الأمثلة على ذلك كثيرة و منبئة في القرآن الكريم، غير خفية على الناقد البصير.

وجهة رابعة:

قد سلك القرآن في تعاليمه و برامج الناجحة مسلكا، ينتفع به الجمهور، و يخضع له العلماء، و من ثم جاء بتعابير يفهمها كل من الصنفين:

الجمهور يأخذون بظاهر الكلام و يتصورون له من المعاني ما ألفت بها أذهانهم في الأمور المحسوسة، و يحسبون فيما وراء محسوسهم ما يشاكل المحسوس، و يقتنعون بذلك، و يستريح بهم.

و العلماء يعرفون حقيقة الحال التي جاءت في طي المقال، و يأخذون بطائف الإشارات و ظرائف الكنايات التي مثلت لهم الحقيقة في واقع الأمر، بما يخضعهم له و يطمئنون إليه.

خذ لذلك مثلا قوله تعالى - تعبيراً عن ذاته المقدسة في عالم الكون -: اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ... لَمَّا كَانَ أَرْفَعُ الْمَوْجُودَاتِ فِي الْحَسِّ هُوَ النُّورُ، ضرب الله به المثال، و بهذا النحو من التصور أمكن للجمهور أن يفهموا من الذات المقدسة موجوداً أجلي و أظهر فيما وراء الحس، يشبه أن يكون مثل النور في المحسوس شبيهاً ما، و يقتنعون بذلك.

أما العلماء فيرون من هذا التشبيه أقرب ما يكون تصوراً من ذاته المقدسة، فليس في عالم المحسوس ما يكون على مثاله، و في أخص أوصافه تعالى كالنور الذي هو ظاهر في نفسه، و مظهر لغيره، و ليس شيء في عالم المحسوس (المبصرات) إلّا و يكون ظهوره بالنور، أما النور فهو ظاهر بنفسه و ليس بغيره.

و كذا لا يكون - في عالم المحسوس - شيء أكثر ظهوراً و في نفس الوقت

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١١

أشدّ خفاءً من النور، ظاهر بآثاره، خفي بكنهه و حقيقته.

و هذه هي نفس صفاته تعالى إذا ما لاحظنا حقيقة وجوده، القائم بذاته، المظهر لغيره، الذي خفيت حقيقته و ظهرت آثاره، و هو الله جلّ جلاله، و عظمت كبرياؤه.

و هكذا نجد القرآن، في استدلالاته، قد جمع بين أسلوبين يختلفان في شرائطهما، هما: أسلوب الخطابة، و أسلوب البرهان، ذاك إقناع للجمهور بما يتسامون به من مقبولات القضايا و مظنوناتها، و هذا إخضاع للعلماء بما يتصادقون عليه من أوليات و يقينيات. و من الممتنع في العادة أن يقوم المتكلم بإجابة ملتمس كلاً - الفريقين، ليجمع بين المظنون و المتيقن، في خطاب واحد، الأمر الذي حققه القرآن بعجيب بيانه و غريب أسلوبه.

و قد بحثنا عن ذلك و أتينا بأمثلة عليه في مباحثنا عن الإعجاز البياني للقرآن (١).

و جهة خامسة:

قد أكثر القرآن من أنواع الاستعارة و أجاد في فنونها، و كان لا بدّ منه و هو آخذ في توسع المعاني توسع الآفاق، في حين تضايقت الألفاظ عن الإيفاء بمقاصد القرآن، لو قيدت بمعانيها الموضوعه لها المحدوده النطاق.

جاء القرآن بمعان جديدة على العرب لم تكن تعهدها، و ما وضعت ألفاظها إلّا لمعان قريبه، حسب حاجاتها في الحياة البسيطة البدائية القصيرة المدى. أما التعرّض لشئون الحياة العليا المترامية الأبعاد، فكان غريبا على العرب الأوائل (١) راجع: التمهيد، ج ٥، ص ٤٩٩ فصل (الاستدلال في القرآن)

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٢

المتوغّلة في الجاهلية الأولى.

و من ثمّ لجأ القرآن في إفادة معانيه و الإشادة بمبانيه إلى أحضان الاستعارة و الكناية و المجاز، ذوات النطاق الواسع، حسب إبداع المتكلم في تصرفه بها، و القدرة على الإحاطة في تصريف المباني و الإفادة بما يرومه من المعاني. و قد أبدع القرآن في الاستفادة بها و تصريفها حيثما شاء من المقاصد و الأهداف، و لم يعهد له نظير في مثل هذه القدرة و مثل هذه الإحاطة، على مثل هذا التصرف الواسع الأكناف، الأمر الذي أبهر و أعجب و أتى بالإعجاز.

و لعل هذا هو السبب أيضا في عروض التشابه في لفيف من آيات الخلق و التكوين، نظرا لقصور الألفاظ عن الإيفاء بتلك المعارف الجليلة الواسعة الأكناف.

و بذلك أصبحت لغة القرآن- من هذه الجهة- ذات طابع خاص؛ حيث وفرة الاستعارة من النمط الراقى، و عروض بعض التشابه بسبب هذا الشموخ و التعالي.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٣

ترجمة القرآن في كفة الميزان**إشارة**

* التعريف بالترجمة و أساليبها* نواحي القرآن الثلاث* الترجمة الحرفية للقرآن* الترجمة المعنوية (الحرّة)* أخطار الترجمة* دفاع حاسم* ترجمة القرآن من الوجهة الشرعية* و نائق شرعية* ترجمة القرآن ضرورة دعائية* كيفية الترجمة و عرضها* نماذج من تراجم خاطئة

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٥

ترجمة القرآن**مسائل ثلاث****أولا:****ثانيا:**

ثالثاً:**التعريف بالترجمة**

الترجمة رباعية الوزن، و تكون بمعنى: التبيين و الإيضاح. و يبدو من القاموس أنه لا بدّ من اختلاف اللغة؛ لأنه قال: الترجمان: المفسّر للسان. و من ثمّ فالترجمة: نقل الكلام من لغة إلى أخرى، كما في المعجم الوسيط. أما التعبير عن معنى بلفظ، بعد التعبير عنه بلفظ آخر، فهذا من التبيين المحض، و ليس ترجمة اصطلاحاً.

و يجب في الترجمة أن تكون وافيةً بتمام أبعاد المعنى المراد من الأصل، حتى في نكاته و دقائقه الكلامية ذات الصلة بأصل المراد، كنايةً أو تعريفاً أو تحزناً أو تحسّيراً أو تعجيزاً، و نحو ذلك من أنحاء الكلام المختلف في الإيفاء و البيان، و المختلف في الأسلوب و النظم، و غير ذلك مما هو معروف.

و من ثمّ يجب أن تتوفر في المترجم صلاحية هذا الشأن؛ بالإحاطة الكاملة على مزايا اللغتين الكلامية، واقفاً على أسرار البلاغة و البيان في كلتا اللغتين، عالماً بمواضع نظرات صاحب المقال الأصل، عارفاً بالمستوى العلمي الذي حواه الكلام الأصل، قادراً على إفراغ تمام المعنى و كماله - بمميزاته و دقائقه - في قالب آخر يحاكيه و يماثله جهد الإمكان، الأمر الذي قلّ من ينتدب له من الكتّاب و أصحاب الأقلام؛ إذ قد زلّت فيه أقدام كثير ممّن حام حول هذا المضمار الخطير.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٧

خطورة أمر الترجمة

قلنا: إن شرائط الترجمة ثقيلة، و قلّ من توجد فيه هذه الصلاحية الخطيرة؛ إذ من الصّعب جدّاً أن يحيط إنسان علماً باللغتين في جميع مزاياهما الكلامية:

اللفظية و المعنوية، عارفاً بأنواع الاستعارات و الكنايات الدارجة في كلتا اللغتين، قادراً على إفراغ جميع مناحي الكلام من قالب إلى قالب آخر، يماثله و يحاكيه تماماً.

هذا فضلاً عن لزوم ارتقاء مستواه العلمي و الأدبي إلى حيث مستوى الكلام المترجم أو ما يقاربه، و هذا أثقل الشروط و أخطرها عند مزلات الأقدام و مزلق الأقلام.

و سنذكر نماذج من تراجم قام بها رجال كبار، و لكن لم يسعد لهم الحظّ لمواصله المسيرة بسلام، فكم من زلات أعفوها و لا مجال لإعفائها، و لا سيما في مثل كلام الله العزيز الحميد.

أساليب الترجمة**إشارة**

إذ كانت الترجمة نوعاً من التفسير و الإيضاح بلغة أخرى في إيجاز و إيفاء، و بالأحرى هو إفراغ المعنى من قالب إلى قالب آخر أكشف للمراد، بالنسبة إلى اللغة المترجم إليها، فلا بدّ أن يعيّد المترجم إلى تبديل قوالب لفظية إلى نظيراتها من غير لغتها، بشرط الوفاء بتمام المراد، الأمر الذي يمكن الحصول عليه من وجوه:

الأول:

أن يعتمد المترجم إلى تعديل كل لفظه إلى مرادفتها من لغة أخرى، فيضعها بإزائها، ثم ينتقل إلى لفظه ثانية بعدها و ثالثة، و هكذا على الترتيب حتى نهاية الكلام.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٨

و هذه هي «الترجمة الحرفية» أو الترجمة تحت اللفظية. و هذه أبدأ أنحاء الترجمة، و في الأغلب توجب تشويشا في فهم المراد أو تشويها في وجه المعنى، و ربما خيانة بأمانة الكلام؛ حيث المعهود من هكذا تراجم لفظية هو تغيير المعنى تماما؛ لأن المترجم بهذا النمط إنما يحاول التحفظ على أسلوب الكلام الأصل في نظمه و ميزاته البلاغية، ليأتي بكلام يماثله تماما في النظم و الأسلوب، الأمر الذي لا يمكن بتاتا، بعد اختلاف اللغات في أساليب البلاغ و الأداء، و كذا في النكات و الدقائق الكلامية السائدة في كل لغة حسب عرفها الخاص. فرب كناية أو تعريض أو مثل سائر في لغة، لا تعرفه لغة أخرى و لا تأنس به، فلو عمد المترجم إلى ترجمه ذلك بعينه؛ لأصبح غير مفهوم المراد، و ربما استبشعوا مثل هذا التعبير الغريب عن متفاهمهم.

مثلا قوله تعالى: «وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا (١)» جاء «غُلَّ اليد إلى العنق و بسطها كل البسط»، كناية عن القبض و البسط الفاحش، أي التفتير و الإسراف في المعيشة و في الإنفاق، و هي كناية معروفة عند العرب و مأنوسة الاستعمال لديهم. فلو أريد الترجمة بنفس التعبير من لغة أخرى كان ذلك غريبا عليهم حيث لم يألفوه، فربما استبشعوه و أنكروا مثل هذا التعبير غير المفهم؛ لأنهم يتصورون من مثل هذا التعبير: النهي عن أن يربط إنسان يديه إلى عنقه برباط من سلاسل و أغلال، أو يحاول بسط يديه يمينا و شمالا بسطا مبالغا فيه. و لا شك أن مثل هذا الإنسان إنما يحاول عبثا و يعمل سفها؛ لأنه يبالغ في إجهاد نفسه و إتعابها من غير غرض معقول، الأمر الذي لا ينبغي التعرض له في مثل كتاب الله العزيز الحميد. (١) الإسراء / ٢٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١١٩

الثاني:

أن يحاول إفراغ المعنى في قالب آخر، من غير تقييد بنظم الأصل و أسلوبه البياني، و إنما الملحوظ هو إيفاء تمام المعنى و كماله؛ بحيث يؤدي إفادة مقصود المتكلم بغير لغته، بشرط أن لا يزيد في البسط بما يخرج عن إطار الترجمة، إلى التفسير المحض. نعم إن هكذا «ترجمة معنوية» قد تفوت بمزايا الكلام الأصل اللفظية، و هذا لا يضر ما دام سلامة المعنى محفوظة. و هذا النمط من الترجمة هو النمط الأوفى و المنهج الصحيح الذي اعتمده أرباب الفن. لا يتقيدون بنظم الأصل، فيقدمون و يؤخرون، و ينظمون الترجمة حسب أساليب اللغة المترجم إليها، كما لا يزيدون بكثير على مثال الألفاظ و التعابير التي جاءت في الأصل. فإن حصلت زيادة مطردة فهو من الشرح و التفسير، و ليس من الترجمة المصطلحة في شيء.

ذكر الشيخ محمد بهاء الدين العاملي (١٠٣١) - نقلا عن الصفوى -: أن للترجمة طريقين، أحدهما: طريق يوحنا بن بطريق و ابن الناعمة الحمصي، و هو:

أن يعتمد إلى كل لفظه من ألفاظ الأصل ليأتي بلفظه أخرى ترادفها في الدلالة فيشبهها، و ينتقل إلى أخرى و هكذا، حتى يأتي على جملة ما يريد ترجمتها، و هي طريقة رديئة لوجهين:

الأول: أنه قد لا توجد في اللغة المترجم إليها لفظه تقابل الأصل تماما، و من ثم فتقضى الحاجة إلى استيراد نفس الكلمة الأجنبية و استعمالها في الترجمة بلا إمكان تبادل، و من ثم كثرت اللغات الدخيلة اليونانية في مصطلحات العلوم المترجمة إلى العربية.

الآخر: أن خواص التركيب و النسب الكلامية في الإسناد الخبري و سائر الإنشاءات و المجاز و الاستعارة و ما شابه، تختلف أساليبها في سائر اللغات، و ليست تتحد في التعبير و الإيفاء، فالترجمة تحت اللفظية قد توجب خلافا في التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٠

الإفادة بأصل المراد.

أمّا الطريق الثاني- و هو طريق حنين بن إسحاق و الجوهري- فهو: أن يأتي بتمام الجملة و يتحصّل معناها في ذهنه، ثم يعبر عنها من اللغة الأخرى بجملة تطابقها في إفادة المعنى المراد و إيفائه، سواء أ ساوت الألفاظ أم خالفتها. و هذا الطريق أجود، و لهذا لم يحتج كتب حنين بن إسحاق إلى تهذيب إلما في العلوم الرياضية؛ لأنه لم يكن قيما بها، بخلاف كتب الطبّ و المنطق و الطبيعي و الإلهي، فإنّ الذي عزّبه منها لم يحتج إلى الإصلاح ... «١»

الثالث:

أن يبسط في الترجمة و يشرح مقصود الكلام شرحا وافيا، فهذا من التفسير بلغة أخرى، و ليست ترجمة محضه حسب المصطلح. و قد تلخص البحث في أنحاء الترجمة إلى ثلاثة أساليب:

١- الترجمة الحرفية، أو الترجمة اللفظية، أو تحت اللفظية، و هي طريقة مرفوضة و غير موقّعة إلى حدّ بعيد.

٢- الترجمة المعنوية، أو الترجمة التفسيرية غير المبسطة، و يطلق عليها:

الترجمة المطلقة (المسترسلة) غير المتقيدة بنظم الأصل، و هي طريقة معقولة.

٣- الترجمة التفسيرية المبسطة، و هي إلى الشرح و التفسير أقرب منه إلى الترجمة.

و لنظر الآن في مسألة ترجمة القرآن الكريم بالذات، من نواحيها المختلفة، و على كلا أسلوبى الترجمة: الحرفية و المعنوية، فنقول:

(١) الكشكول (ط حجرية)، ص ٢٠٨. و (ط مصر ١٣٧٠هـ)، ج ١، ص ٣٨٨.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢١

نواحي القرآن الثلاث

للقرآن الكريم نواح ثلاث تجتمع فيه، و بذلك أصبح القرآن كتابا سماويا ذا قدسيّة فائقة، و ممتازا على سائر الكتب النازلة من السماء:

أولا: كلام إلهي ذو قدسيّة ملكوتيّة، يتعبّد بقراءته و يتبرّك بتلاوته.

ثانيا: هدى للناس، يهدى إلى الحق و إلى صراط مستقيم.

ثالثا: معجزة خالدة، دليلا على صدق الدعوة عبر العصور.

تلك نواح ثلاث خطيرة تجتمع في هذا الكتاب، رهن نظمه الخاص في لفظه و معناه، و أسلوبه الفدّ في الفصاحة و البيان، و محتواه الرفيع في نظمه و تشريعاته.

و بعد، فهل بإمكان الترجمة- من أيّة لغة كانت- الوفاء بتلكم النواحي أم ببعضها على الأقلّ، أم تذهب بهنّ جمع أدراج الرياح؟! الأمر الذي يحدّد أبعاد بحثنا في هذا المجال، فنقول:

أما الترجمة الحرفية فإنها تفتقد دلائل الإعجاز أولا، و لا سيما البياني منها القائم على أعلى درجات البلاغة، كما تعوزها تلك القدسيّة المعهودة بشأن القرآن، فلا تجرى عليها الأحكام الشرعية المترتبة على هذا العنوان الخاص (القرآن الكريم)، و أخيرا فإنها تخون في

التأدية أحيانا، إن لم يكن في الأغلب.

لكن الترجمة المعنوية- الحرّة غير المتقيّدة بنظم الأصل- فإنها تواكب أختها غالبا في افتقاد دلائل الإعجاز، و كذا في الذهاب بقدسيّة القرآن الخاصة بهذا العنوان، نعم سوى الإيفاء بالمعنى إن قامت على شروطها اللازمة، و إليك التفصيل:

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٢

الترجمة الحرفية للقرآن

الترجمة الحرفية إن كانت بالمثل تماما، فمعناها: إفراغ المعنى في قالب لفظي يشاكل قلبه الأول في جميع خصوصياته و مميزاته الكلامية تماما، سوى كونه من لغة أخرى، الأمر الذي لا- يمكن الإتيان به بشأن القرآن بتاتا؛ لأنّ الإتيان بما يماثل القرآن نظما و أسلوبا، هو الأمر الذي تحدّى به القرآن الكريم كافة الناس لو أتوا بمثله، و قد دلت التجربة على استحالة.

و إن كانت بغير المثل، بأن يقوم المترجم بإنشاء كلام يشاكل نظم القرآن حسب المستطاع، فهذا أمر ممكن في نفسه، إلّا أنه حينئذ يفقد الكثير من المميزات اللفظية و المعنوية التي كان القرآن مشتملا عليها، و كانت من دلائل الإعجاز لا محالة.

كما أنه إذا غير الكلام إلى غير لفظه و بسوى نظمه و لا سيما بغير لغته، فهذا لا يعدّ من كلام المتكلم الأول؛ لأنّ من مقومات كلام كل متكلم هو البقاء على نفس الكلمات و التعابير و النظم و الأسلوب الذي جاء في كلامه، فإن غير في أحد المذكورات، فإنه يصبح أجنبيّا عنه و لا يعدّ من كلامه البتّة، الأمر الذي لا يحتاج إلى مزيد بيان.

و عليه فلو كان كلام خاص، يحمل قدسيّة خاصّة، و له أحكام خاصّة به، و باعتبار انتسابه إلى متكلم خاص، فإنّ هذه الميزة سوف تذهب بأدنى تغيير شكلي في كلامه. فكيف إذا كان تغييرا في الكلمات و الألفاظ من غير اللّغة، و مغيرا للنظم و الأسلوب أيضا و لو يسيرا، الأمر الذي يتحقق في الترجمة الحرفية لا محالة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٣

من أجل ذلك نرى الفقهاء «١»- و لا سيّما فقهاء الإماميّة- متفقين على عدم إجزاء القراءة بغير العربية في الصلاة، حتى على العاجز عن النطق بالعربية، و إنما يعوّض بآيات اخرى، أو دعاء و تهليل و تسييح إن أمكن. أما الفارسيّة أو غيرها فلا تجوز إطلاقا، اللهم إلّا بعنوان الذكر المطلق، إذا جوّزناه بغير العربية، و فيه إشكال أيضا.

قال المحقق الهمداني: يعتبر في كون المقروء قرآنا حقيقة، كونه بعينه هي الماهية المنزلة من الله تعالى على النبي صلى الله عليه و آله و سلّم مادّة و صورة، و قد أنزله الله بلسان عربيّ، فالإخلال بصورته التي هي عبارة عن الهيئات المعبرة في العربية بحسب وضع الواضع كالإخلال بمادته، مانع عن صدق كونه هي تلك الماهية «٢».

و قال: و لا يجوز المصلّي عن الفاتحة ترجمتها، و لو بالعربية فضلا عن الفارسيّة، اختيارا بلا شبهة، فإنّ ترجمتها ليست عين فاتحة الكتاب المأمور بقراءتها، كي تكون مجزئة «٣».

قال- بشأن العاجز عن العربية:- الأقوى عدم الاعتبار بالترجمة- في حالة العجز عن الفاتحة و بدلها (من قرآن غيرها أو تحميد و تسييح)- من حيث هي أصلا، ضرورة عدم كونها قرآنا و لا ميسوره، بعد وضوح أن لألفاظ القرآن دخلا في قوام قرآنيّتها. نعم بناء على الاجتزاء بمطلق الذكر لدى العجز عن قراءة شيء من القرآن مطلقا، أو لدى العجز عن التسييح و التحميد و التهليل أيضا، اتّجه الاجتزاء بترجمة الفاتحة و نظائرها، لا من حيث كونها ترجمة للقرآن، بل من (١) من عدا أبي حنيفة و من رأى رأيه، حسبما يأتي.

(٢) راجع: مصباح الفقيه، كتاب الصلاة، ص ٢٧٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٧٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٤

حيث كونها من مصاديق الذكر، و أما ترجمه الآيات التي هي من قبيل القصص فلا يجتزئ بها أصلا، بل لا يجوز التلّفظ بها لكونها من الكلام المبطل «١».

و هذا إجماع من الإمامية: أن ترجمه القرآن ليست بقرآن. و في ذلك أحاديث متظافرة عن النبي و الأئمة الصادقين عليهم السلام: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «تعلموا القرآن بعربيته».

و

عن الإمام الصادق عليه السلام: «تعلموا العربية، فإنها كلام الله الذي كلف به خلقه و نطق به للماضين» «٢».

و لا يزال الفقهاء يفتون بالمسائل التالية:

- ١- من لا يعرف قراءة الحمد، يجب عليه التعلّم.
- ٢- و من تعذر عليه تعلّمها استبدل من قراءتها ما تيسر من سائر آيات القرآن.
- ٣- و من لم يتيسر له ذلك أيضا يعوّض عنه بما يعرفه من أذكار و أدعية على قدر سورة الفاتحة «٣»، بشرط أدائها بالعربية.
- ٤- و إذا كانت الترجمة لا تصدق عليها عنوان الذكر أو الدعاء، فغير جائزة البتة.
- ٥- و إذا كانت من قبيل الدعاء و الذكر فتجوز في الدرجة الثالثة، بناء على جواز الدعاء بغير العربية في الصلاة، و هو محلّ خلاف بين الفقهاء.

و الخلاصة: أن فقهاء الإمامية متفقون على عدم إجراء أحكام القرآن- بصورة (١) مصباح الفقيه، كتاب الصلاة، ص ٢٨٢.

(٢) راجع: وسائل الشيعة للشيخ حرّ العاملي، ج ٤، ص ٨٦٥-٨٦٦، الباب (٣٠) من كتاب الصلاة، رقم ١ و ٢.

(٣) الوسائل، ج ٤، ص ٧٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٥

عامه- على ترجمته، بأية لغة كانت. و يوافقهم على هذا الرأي أصحاب سائر المذاهب من عدا أبي حنيفة و أصحابه، فقد أجازوا في الصلاة قراءة ترجمة الفاتحة بالفارسية استنادا إلى ما روى: أنّ الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي رضي الله عنه أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكانوا يقرءون ذلك في صلاتهم، حتى لانت ألسنتهم للعربية.

أما أبو حنيفة فقد أجاز ذلك مطلقا، و أمّا أصحابه (أبو يوسف و محمد) فقد أجازا لمن لا يحسن العربية «١». و كان الحبيب العجمي- صاحب الحسن البصري- يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسية، لعدم انطلاق لسانه باللّغة العربية «٢».

و قد أفتى بالجواز- عند العجز- الشيخ محمد بخيت، مفتي الديار المصرية- سابقا- فتوى لأهل الترانسفال، استنادا إلى فعله الحبيب العجمي «٣»، و سيأتي تفصيل ذلك مشروحا.

هذا و من ناحية أخرى فإن الترجمة الحرفية (تحت اللفظية) تخون في التأديب و لا تفي بإفادة المعنى المراد في كثير من الأحيان، إن لم تشوّه المعنى و تشوشه على أذهان القراء و المستمعين، على ما سبق بعض الأمثلة على ذلك، و سيأتي مزيد بيان.

و عليه فقد صحّ القول: بأن الترجمة الحرفية تذهب برواء الكلام، فضلا عن بلاغته الأولى التي كانت من أهل دلائل الإعجاز في القرآن، كما لم يصح إسناد (١) راجع: المبسوط للسرخسي، ج ١، ص ٣٧.

(٢) شرح مسلم الثبوت، بنقل المراغي شيخ الأزهر في رسالته (بحث عن ترجمة القرآن)، ص ١٧.

(٣) الأدلة العلمية لفريد و جدي، ص ٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٦

الترجمة إلى صاحب الكلام الأول، بعد تبديله إلى غيره لفظا و أسلوبا. و أخيرا فإنها تخون في تأديب المراد في كثير من الأحيان، الأمر الذي يحتم ضرورة اجتنابها، و لا سيما في مثل القرآن العظيم.

الترجمة المعنوية (التفسيرية)

أما الترجمة المعنوية- الترجمة الحرّة غير المتقيّدة بنظام الأصل، إن دعت ضرورة الإيفاء بالمعنى إلى مخالفة النظم- فهو أمر معقول، و تختلف عن الترجمة الحرفية بوفائها بتمام المراد، و إن كانت توافقها في الأمرين الأولين (انتقاد دلائل الإعجاز و المميّزات اللفظية التي كانت في الأصل، و عدم إجراء أحكام القرآن عليه) أما الوفاء بالمعنى تماما فهو الأمر الذي يختص به هذا النوع من الترجمة الحرّة، على شريطة الدقّة و الإحاطة، بتمام جهات المعنى المقصودة من الكلام.

و صاحب هذا النوع من الترجمة إنّما يقوم بعملية إيفاء المعنى و بيان مقصود الكلام، و هو نوع من الشرح و التفسير، و لكن في قالب لفظي متناسب مع الأصل مهما أمكن، فهو في الغالب (بل الأكثرية الساحقة) متوافق مع الأصل في النظم و الترتيب و حتى في الأسلوب البياني، إن أمكن ذلك، و كانت اللغة المترجمة إليها متقاربة مع اللغة المترجم عنها في تلك المصطلحات و فنون المحاورّة غالبا. و المعهود أن لغات الأمم المتجاورة، قريبات بعضهنّ مع البعض في آفاق التعبير و البيان. و الترجمة المعنوية، هي الراجحة و المتداولة في الأوساط العلمية و الأدبية، منذ عهد سحيق، و هي الوسيلة الناجحة لبثّ الدعوة بين الملأ على مختلف لغاتهم و ألسنتهم، و قد جرت عليها سيرة المسلمين و لا تزال قائمة على ساق.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٧

و لا- شك أن عرض مفاهيم القرآن و حقائقه الناصعة، على ذوى الأحلام الراجحة من سائر الأمم، من أنجح الوسائل في أداء رسالة الله إلى الخلق، التي تحمّلتها عواتق هذه الأمة «١»، الأمر الذي لا يمكن إلّا بتبيين و ترجمة النصوص الإسلامية- كتابا و سنه- و عرضها بألسن الأمم و لغاتهم المألوفة «٢». و من ثم كانت ترجمة القرآن ترجمة صحيحة، ضرورة دعائيه يستدعيها صميم الإسلام و واقع القرآن، حسبما يأتي.

المنع من الترجمة و أخطارها

لم تسبق من علماء الإسلام نظرة منع من ترجمة القرآن، بعد أن كانت ضرورة دعائية، لمسها دعاة الإسلام من أوّل يومه. و إنّما حدث القول بعدم الجواز في عصر متأخر (في القرن الماضي، في تركيا العثمانية، و في مقاطعاتها العربية، مثل سوريا و مصر) و لعلها فكرة استعمارية تبشيرية، محاولة لشدّ حصار قلعة الإسلام، دون نشره و بثّ تعاليم الإسلام، في المناطق غير العربية.

قال الدكتور على شواخ: فلو تدبّرنا و تعمّقنا لوجدنا أنّ القول بالمنع عاصر فتوى النصارى الغربيين و استعمارهم لبلاد الإسلام، فقد حاولوا تنصير المسلمين بكل وسيلة، و لم يكتفوا بإرسال المبشّرين في شتى الملابس، بل منعوا أيضا تدريس اللغة العربية حتى في المستعمرات العربية مثل شمال إفريقيا. و الظاهر أنهم ارادوا إتمام حصار قلعة الإسلام بمنع تراجم القرآن بلغات أجنبية، فالمسلمون غير العرب لا يعرفون العربية، و لن يجدوا تراجم القرآن بلغات (١) البقرة/ ١٤٣.

(٢) إبراهيم/ ٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٨

يعرفونها، فتبقى الساحة فارغة للديانات الأخرى. قال أحد المبشّرين (و بتعبير أصحّ: أحد المنصّرين) لبعض علماء الإسلام الساذجين: «القرآن معجزة حقّا، لا تتحمّل بلاغته الترجمة!». فوثب هذا العالم الساذج- لشدة السرور- و قال: «الفضل ما شهدت به الأعداء!» و خطب و كتب: «القرآن تصعب أو تستحيل ترجمته»، و تبعه آخرون، و في الخطوة الثانية قالوا: «القرآن لا تجوز ترجمته».

و لكن الإنسان يدبّر، و الله يقدر. فالنصارى الذين دسوا هذه الفكرة، ظنّوا أنّ العرب سوف لا يقومون بترجمة القرآن، و لقد صدق ظنّهم بشأن العرب. أما سائر المسلمين من غير العرب، فإن التاريخ يشهد بأنهم اهتموا بهذا الأمر، فقاموا بالترجمة إلى لغاتهم على يد

علماء كانوا عارفين بالعربية، فترجموه إلى لغاتهم لتدريس أبنائهم و عامة أهل بلادهم الذين لم يدرسوا العربية «١».

قال الدكتور شواخ: وهكذا يتضح لنا، أن الحركة ضد ترجمة القرآن إلى سائر اللغات، انحصرت في بلاد العرب، و بالدولة العثمانية خاصة! «٢» و على هذا الغرار ساق الأستاذ الشاطر- رأس المعارضين- أدلة في المنع عن الترجمة، و ذكر أخطارا سوف تتجه نحو حامية الإسلام الحصينة (القرآن الكريم) إن أصبح عرضة للترجمة إلى لغات أجنبية، نذكر أهمها:

١- يقول: إن الترجمة تضيع بالقرآن، كما ضاعت التوراة و الإنجيل من جزاء ترجمتهما إلى غير لغتهما الأصل، فقد ضاع الأصل بضياع لغته و ضياع الناطقين بها. فيخشى أن يحلّ بالقرآن- لا سمح الله- لو ترجم إلى غير لغته، ما حلّ بأخويه (١) و سيوافيك- في نهاية المقال- جدول عن مائة و ثمانى عشرة لغة حية ترجم القرآن إليها، على يد أبنائها الغيارى على الإسلام، و لا تزال تتزايد مع اتساع رقعة الزمان.

(٢) معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور على شواخ إسحاق، ج ٢، ص ١٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٢٩

من ذى قبل! «١» قلت: هذا قياس مع الفارق؛ إذ السبب في ضياع التوراة و كذا الإنجيل، إنما يعود إلى إخفاء الأصل عن العامة و إبداء تراجمهما المحرّفة للناس، لغرض التمويه عليهم. كان الأخبار و القساوسة يدأبون في تحريف تعاليم العهدين تحريفا في معانى الكلم دون نصّ اللفظ؛ إذ لم يكن ذلك بمقدورهم، فعمدوا إلى تفسيرهما على غير وجهه، و إبداء ذلك إلى الملأ باسم التعاليم الإلهية الأصيلة.

قال تعالى- بشأن التوراة:- الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَ هُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قُرْآنًا تُبْدُونَهَا وَ تُخْفُونَ كَثِيرًا ... «٢»، أى تبتدون منه مواضع و تخفون أكثره.

و قد أسبقنا- في مسألة تحريف الكتاب- أن التحريف في العهدين إنما يعنى التحريف في معناهما؛ أى التفسير على غير وجهه، الأمر الذى حصل في تراجم العهدين دون نصّهما.

قال تعالى: قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حَتَّى تُقِيمُوا التَّوْرَةَ وَ الْإِنْجِيلَ وَ مَا أَنْزَلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ «٣» و قال: قُلْ فَاتُوا بِالْتَّوْرَةِ فَاتْلُوهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ «٤».

فالكارثة كل الكارثة إنما هي في إخفاء نصّ العهدين الأصليين عن أعين الناس، و هذا هو السبب الوحيد لضياعهما، دون مجرد ترجمتهما. (١) القول السديد، ص ١٥-١٦.

(٢) الأنعام / ٩١.

(٣) المائدة / ٦٨.

(٤) آل عمران / ٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٠

أما القرآن فهو الكتاب الذى يتعاهده المسلمون جيلا بعد جيل، بل العالم كله من مسلم معتقد و آخر محقق مضطلع، يحرسون على نصّ القرآن العزيز، و قد قال تعالى: إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَ إِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ «١»، أى فى صدور الرجال و على أيدي الناس، الأولياء و الأعداء جميعا، معجزة قرآنية خالدة.

٢- يقع- بطبيعة الحال- اختلاف بين التراجم؛ لاختلاف السلائق بل العقائد التى يذهب إليها كل مذهب من المذاهب، و كذا اختلاف المواهب و الاستعدادات فى فهم معانى القرآن و ترجمتها وفق الأفهام و الآراء المتضاربة؛ و لهذا الاختلاف فى تراجم القرآن آثار سيئة؛ إذ يستتبعها اختلاف الاستفادة و استنباط الأحكام و الآداب الشرعية، و كل قوم من الأقوام إنما يرتئى حسب ما فهم من الترجمة التى أتت له، و ربّما لا يدري مدى اختلافها مع سائر التراجم «٢».

لكن هذا خروج عن مفروض الكلام، فإن للترجمة ضوابط يجب مراعاتها، ولا سيما ترجمة القرآن الكريم، يجب أن تكون تحت إشراف لجنة رسمية، ومن هيئة علماء وأدباء اختصاصيين برعاية حكومة إسلامية قاهرة، لا تدع مجالاً لتناوش أيدي الأجانب فيجعلوا القرآن عظيم، كما هو الشأن في رسم خط المصحف الشريف، وطباعته على أصول مقررة، تحفظه عن الاختلاف والاضطراب. نعم يجب أن يعلم كل الأمم الإسلامية، أن الترجمة لا تضمن واقع القرآن، وأن المصدر للاستنباط واستخراج الأحكام والسنن للمجتهدين هو نص القرآن (١) الحجر / ٩.

(٢) محمد مصطفى الشاطر في «القول السديد في حكم ترجمة القرآن المجيد»، ص ١٧-١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣١

الأصل، ليس ما سواه. هذا أمر يجب الإعلان به، فلا يذهب وهم الواهين إلى حيث لا ينبغي.

نعم، على كل محقق إسلامي أن يتعلم القرآن بلغته العربية الفصحى، وليست الترجمة بذاتها لتفي بمقصوده أو تشبع نهمه.

٣- أن للقرآن في كثير من آياته حقائق غامضة، قد تخفى على كثير من العلماء، وقد يعلمها غيرهم ممن جاء بعدهم؛ ولذلك أمثلة كثيرة. فلو ترجمنا القرآن وفق معلومنا اليوم، ثم جاء الغد ليرتفع مستوى العلوم وينكشف من حقائق القرآن ما كان خافياً علينا، فهل نخطئ أنفسنا بالعلانية ونغير الترجمة ونعلن للملأ، أن الذي ترجمناه أمس أصبح خطأ، وأن الصحيح غيره.

فما ذا يقول لنا الناس؟ وما الذي يضمن بقاء ثقتهم اليوم كثقتهم بالأمس؟ ثم ضرب لذلك أمثلة:

١- منها: قوله تعالى: وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ (١) فَيَسِّرُ الْقَدَامَى «الزوجين» بالصفين. ثم جاء العلم الحديث ليكشف النقاب عن المعنى الصحيح، وهو أن كل ثمرة فيها ذكر وأنثى (٢).

قال: فلو حصلت الترجمة وفق التفسير الأول لأضاعت على قارئها تلك الحقيقة التي أظهرها العلم الحديث! (١) الرعد / ٣.

(٢) وللآيات التي يذكرها معاني أخر أوفى سوف نتعرض لها، ولقد اشتبه على الأستاذ الشاطر مواضع كثيرة من هذه الآيات، فنتبه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٢

٢- ومنها: قوله تعالى: وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ فَتَثِيرٌ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَّيِّتٍ (١). فقد فسّر «تثير» بمعنى «تسوق»، وبذلك قد ضاع المعنى البديع الذي أصبح معجزة للقرآن. وهو أن لفظ «تثير» من الإثارة وهو التهيج، نظير تهيج الغبار والدخان، وهذا مبدأ «عملية التبخير» وتكوين الأمطار. فإن التبخير يحصل من الحرارة المركزية والحرارة الجوية والرياح، أي لا بد من هذه العوامل الثلاثة لتكوين «عملية التبخير»، ثم بعد ذلك تحمل الرياح هذا البخار إلى حيث شاء الله، وهذا المعنى لم يظهر إلّا حديثاً.

٣- ومنها: قوله تعالى: وَفِرْعَوْنَ ذِي الْأَوْتَادِ (٢). فسّروا «الأوتاد» بكثرة الجنود، أو أنها كانت مسامير أربعة كان يعذب الناس بها. وقد تبين الآن أن المراد هي هذه الأهرام وهي تشبه الجبال، وقد عبر القرآن عن الجبال بالأوتاد في قوله تعالى: أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٣).

٤- ومنها: قوله تعالى: وَالْأَرْضَ بَعِيدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٤). فسّر «الدحو» بعض المفسرين بالبسط. فلو ترجم إلى هذا المعنى ضاع المعنى الذي يؤخذ من «الدحو»، وهو التكوير غير التام، كتكوير البيضة مع الدوران. ولا يزال أهل الصعيد - وأصل أكثرهم عرب - يعبرون عن «البيض» بالدحو أو الدحي أو الدح. (١) فاطر / ٩.

(٢) الفجر / ١٠.

(٣) النبأ / ٧.

(٤) النازعات / ٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٣

٥- وكذلك إذا ترجم قوله تعالى: يُكْوَرُ اللَّيْلَ عَلَى النَّهَارِ وَيُكْوَرُ النَّهَارَ عَلَى اللَّيْلِ (١) بما يقوله بعض المفسرين (٢)، ذهب المعنى

المستفاد من الآية، و هو كروية الأرض؛ لأن تكوير الضوء أو تقوسه يستلزم تكوير المضاء و تقوسه؛ لأنّ النور و الظلمة إنما يتشكلان بأشكال الجسم الواقعين عليه. فلو ترجمت الآية بذلك المعنى (التغشية) ثم دللتنا الأدلة على صحة المعنى الثاني، لكننا قد خسرنا معجزة من معجزات القرآن.

قال الأستاذ الشاطر: إنى لأخشى أن ينطبق علينا

الحديث الشريف: «لتبعن سنن من قبلكم شبرا بشبر و ذراعا بذراع، حتى لو دخلوا جحر ضبّ خرب لا تبعتموهم.

قيل: يا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم اليهود و النصارى؟ قال: فمن؟!» (٣)

دفاع حاسم

و لقد أحسن الأستاذ محمد فريد و جدى الدفاع عن «مشروع ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية» و أجاب عن اعتراض الأستاذ (الشاطر) قائلا: نحن نعتقد أن القرآن كتاب لا تنقضى عجائبه و لا يدرك غوره، كما يعتقد الأستاذ (الشاطر) و لكننا لا نذهب بالغلو في هذا المعنى إلى درجة التعطيل، و اعتباره طلسمًا تضلّ العقول في فهمه، و لا تصل منه إلى حقيقة ثابتة. فإنّ هذا الفهم يصطدم بالقرآن نفسه، فقد وصفه في غير آية بأنه آيات بينات، و بأنه منزل ليتدبر الناس هذه الآيات، حتى (١) الزمر/ ٥.

(٢) فسروا «التكوير» بمعنى التغشية.

(٣) أخرجه مسلم، ج ٨، ص ٥٧. راجع القول السديد، ص ٢١-٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٤

قال: وَ لَقَدْ يَسْرَنَّا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدْكِرٍ «١»، أى سهّلناه للتعاظ. و كرّرت هذه الآية أربع مرات في سورة واحدة! فلا يجوز أن ندعى أنّ ما يسره الله للتدكر و الاتعاظ، معنى لا يمكن فكّه، و طلسم لا يستطيع حلّه.

نعم إنّ المفسرين بعد القرنين الأولين تذرّعوا بالفنون الآلية التى وضعوها لضبط قواعد اللّغة، من: نحو و بيان و بديع و معانى، إلى زيادة التعمق فى تمحيص الآيات لهذا السبب- و أكثر هذا التعدد آلى محض- و لكن المعانى لم تخرج قطّ عن دائرة الفهم، فلم يدع أحد أنّ القرآن لم يفهم فى عصر من العصور، و لا- سيما الآيات المحكمات. و كيف يمكن أن يقال: إنّ محكمات القرآن لم تفهم على حقيقتها، و قد انبنى عليها الدين كله عقائده و عباداته و معاملاته؟! فاللجنة التى استدعى لترجمة القرآن ستنظر فى المعانى التى قرّرها أئمة التفسير، فإنّ أنسوا فى بعضها- خلافا بينهم- عمدوا إلى اختيار ما رضىه جمهورهم، مشيرين فى الهامش إلى بقية الاحتمالات؛ فتكون الترجمة قد استوعبت جميع الآراء.

هذا فى آيات العقائد و العبادات و المعاملات. و أمّا الآيات الكونية و التاريخية و المتشابهات، فإنّ اللّجنة ستترجم معانيها على ما يحتمله اللفظ العربى، و لا- تتعرض لشرحها، فمثل قوله تعالى: وَ اللَّهُ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيحَ فَثِيرٌ سَحَاباً ... مثل هذه الآية تتولّاها لجنة التفسير فتعطى معناها الصحيح للجنة الترجمة لترجمه، دون أن تتعرض- هذه الأخيرة- لما تشير إليه الألفاظ من الدلالات العلمية. و لكنها تجتهد فى ترجمة كلمة «ثير» مثلا لتكون واجدة لجميع (١) القمر/ ١٧، ٢٢، ٣٢، ٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٥

خصائصها اللّغوية «١»، تاركه دلالاتها العلمية إلى عقول القارئ، تفاديا من الوقوع فى مثل هذا الخطأ الكبير الذى وقع فيه الأستاذ (الشاطر) فى هذا الموطن نفسه «٢»، و حفظا للقرآن الكريم مما عسى أن يرجع عنه العلم من مقرّراته الحالية، و هو دائم التغير بطبيعته. قال: و هنا يسوغ لنا أن نقول: إذا جرينا على مذهب الأستاذ الشاطر فى تفسير الآيات و ترجمتها، ثم رجع العلم عن رأيه الأول، أن نعيد إذ ذاك ترجمة القرآن، أم نترك الترجمة على خطائها. و لكن الترجمة على الأسلوب الذى ذكرناه فلا تجعل محلا لمثل هذا الندم؛ لأن الكلمة قد تبدلت إلى ما يرادفها فى الإفادة، من دون التعرض للشرح و البيان، تاركين ذلك إلى فهم القراء، كما هو الحال بالنسبة

إلى الكلمة في موضعها من القرآن (٣).

و أما الآيات التي استشهد بها، فأظنه مشتبهها فيها، فضلا عن أن الاختلاف في الترجمة لا يزيد خطرا عن الاختلاف في التفسير الذي لا محيص عنه البتة.

وقد تعرّض الأستاذ و جدى لبيان الآيات على وجه يخالف رأى الأستاذ الشاطر، نذكرها على الترتيب:

أما الآية الأولى التي قال فيها: لكن العلم الحديث كشف لنا أن كل ثمرة فيها ذكر و أنثى. (١) و قد جاءت ترجمه كلمة «تثير» في التراجم الفارسيه ب «بر مى انگيزد»، لأن معنى «الإثارة» بالفارسيه «برانگيختن». و هى تنطبق مع الكلمه فى العرييه تماما. (٢) سنذكر مواضع اشتباهه.

(٣) راجع: الأدلة العلمية على جواز ترجمه معانى القرآن، بقلم الأستاذ و جدى، ص ٢٨-٣٠، (ملحق العدد الثانى من مجله الأزهر، ع ١/ ١٣٥٥)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٦

فقال الأستاذ و جدى: هذا خطأ؛ إذ الثمار ليس فيها ذكر و لا أنثى على الإطلاق، نعم إن الذكوره و الأنوثة من أعضاء الأزهار لا الأثمار. فقد يكون هناك عضوان ذكر و أنثى فى زهرة واحدة، و قد يكونان فى زهرتين من نفس الشجرة، أو فى زهور شجرتين مستقلتين. و هذا اللقاح النباتى كان معروفا منذ أقدم العصور، حتى أن عرب الجاهلية كانوا يعرفونه، فكانوا يلقحون إناث النخيل بالطلع المستخرج من ذكورها.

إذن فلم يكن هذا المعنى خافيا على المفسرين القدامى، و من ثم أخذوا الآية حسب مفهومها الظاهر اللغوى، و هو الصحيح، بعد ملاحظة آية أخرى جاء فيها وصف الجنّتين اللتين وعد الله بهما المتقين، قال تعالى: فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ (١) و لا- يمكن صرف هذه الآية بحال من الأحوال إلى المعنى الذى أراده الأستاذ (الشاطر) و الآية الثانية، التى جعل لفظه «تثير» فيها إشارة إلى «عملية التبخير» بفعل الحرارة و الرياح، فالمعروف فى علم الطبيعة أن عملية التبخير- فى المياه و الرطوبات- إنما تقوم على فعل الحرارة المركزية للأرض، و الحرارة الجوىة للشمس، أما الرياح فلا دور لها فى ذلك، و لم يقل به أحد من العلماء.

و قد كان العلماء منذ خمسمائة عام قبل ميلاد المسيح عليه السلام يعرفون تكوّن الأبخرة الأرضية، التى هى المؤلفة للسحب. و هذه كتب الطبيعات القديمة شاهده بذلك، و ليس أمرا اكتشفه العلم حديثا.

و الآية الثالثة- التى زعم «الأوتاد» فيها هى الأهرام- فلا يمكن المصادقة عليه، بعد أن كان السبب فى إطلاق «الوتد» على الجبل باعتبار تأثيره فى ضبط الأرض (١) الرحمن / ٥٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٧

عن الميدان و عن التفّت و الاندثار، الأمر الذى يرجع إلى ضخامته و صلابته، مما لا تناسب بينه و بين أكبر هرم من أهرام مصر، الذى يبلغ ارتفاعه مائة و خمسين مترا، و طول قاعدته عن ثلاثمائة و ثلاثة و ثلاثين مترا. فأين ذلك من جبل «هماليا» الذى يزيد ارتفاعه عن ثمانية آلاف متر و ثمانمائة متر، و يشغل شمالى الهند كله.

أو جبال أنده فى أمريكا الجنوبية التى يبلغ طول قاعته نحو سبعة آلاف كيلومترا، و ارتفاعها بضعة آلاف متر. لا جرم كان أطول الأهرام لا- يساوى أصغر تلال الأرض، فلا يتناسب و الإطلاق و تد الأرض عليه؛ إذ لا مناسبة حينذاك. على أن «الأهرام» هى قبور فراعنة مصر ممن سبقوا فرعون موسى نحو ثلاثة آلاف عام، و لم يكن هذا الأخير ممن شيدها، فكيف يصح نسبتها إليه؟! و الآية الرابعة، و كذا الخامسة، فإن الذى ذكره احتمال، لا- نستبعد إمكان الدلالة عليه إجمالا، لكن ليس من الحتم، فهو احتمال كسائر الاحتمالات التى تحتملها جلّ آيات الذكر الحكيم، كما

قال على عليه السلام: «القرآن حمال ذو وجوه»،

لكن لا يرتبط الأمر وقضية إمكان الترجمة بشكل يبقى احتمالات اللفظ على حالها في الترجمة، كما هي في الأصل. وعلى أية حال فليست الترجمة بذاتها مما يتنافى واحتمالات لفظ القرآن، إن كانت الترجمة- كما ذكره الأستاذ و جدى «١»- قائمة على أصولها حسبما عرفت.

الترجمة من الوجهة الشرعية

سبق أن الغاية من الترجمة هي الإيفاء بمفاهيم القرآن و إيضاح ما يحويه هذا الكتاب السماوى الخالد، إيضاحا بسائر اللغات لسائر الأمم، تقريبا لهم إلى تعاليم (١) راجع: الأدلة العلمية، ص ٣١-٣٥. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٨ القرآن و آداب الإسلام و أحكامه و سننه، الأمر الذى لا بأس به- فضلا عن كونه من ضرورة الدعاء إلى الإسلام- ما دام لا تعتبر الترجمة قرآنا، بل ترجمة له محضا. فلا تشملها أحكام القرآن الخاصة به، و إنما شأنها شأن التفسير الذى وضع على أساس الإيجاز و الإيفاء حسب المستطاع. و أما

الحديث المأثور عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «تعلموا القرآن بعربيته» ، فإنما هو حث على تعلم العربية؛ حيث عبادات الإسلام عربيته، و على كل مسلم أن يتقنها مهما أمكن. قال الإمام الصادق عليه السلام: «تعلموا العربية فإنها كلام الله الذى كلم به خلقه و نطق به للماضين» و روى ابن فهد الحلبي فى «عدة الداعى ص ١٨» عن الإمام الجواد عليه السلام، قال: ما استوى رجلان فى حسب و دين قطّ إلا كان أفضلهما عند الله- عزّ و جلّ- أأدبهما. قال الراوى: قلت: قد علمت فضله عند الناس فى النادى و المجلس، فما فضله عند الله؟ قال عليه السلام: بقراءة القرآن كما أنزل، و دعائه من حيث لا يلحن؛ و ذلك أن الدعاء الملحون لا يصعد إلى الله. هذا إن أريد قراءة القرآن ذاته، و ليس نهيا عن تفسيره أو ترجمته بغير لغة العرب إذا دعت الضرورة إلى ذلك، كما تبينها. و مع ذلك فقد أجزى القراءة بلحن غير عربى لمن يتعذر عليه التلّحج بلهجة العرب. قال النبى صلى الله عليه و آله و سلم: «إن الرجل الأعجمى من أمتى ليقرا القرآن بعجميته، فترفعه الملائكة على عربيته» (١).

وثائق شرعية

إشارة

لم يبحث علماؤنا السلف رحمهم الله عن مسألة «ترجمة القرآن إلى سائر اللغات» بحثا مستوفى يشمل جوانب المسألة و فى تمام أبعادها بتفصيل، و إنما جاء (١) الأحاديث مستخرجة من كتاب الوسائل، ج ٤، ص ٨٦٦. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٣٩

كلامهم عن الترجمة عرضا عند التكلم فى شروط القراءة فى الصلاة. و يبدو من كلماتهم هناك: أن الترجمة فى حدّ ذاتها لا ضير فيها، و من ثم وقع البحث منهم فى جواز قراءتها فى الصلاة بدلا عن الفاتحة بحثا ثانويا، مفروغا عن جواز أصل الترجمة ذاتها. كما أنه فى طول حياة المسلمين، قام رجال من أهل الفضيلة و الأدب بترجمة القرآن، تماما أو بعض آية و سورة، عرضا على أناس كانوا لا يحسنون العربية «١»، و كان ذلك بمراى و مسمع من فقهاء الإسلام من غير نكير منهم، مما ينبؤك عن تسالمهم على الجواز،

و لا سيما للهدف المذكور.

نعم صدرت- أخيرا- فتاوى بشأن جواز الترجمة، و كتب كثيرون حول المسألة، نقضا و إبراما. أما الفقهاء فقد توافقوا على الجواز، بشروط ذكروها، و قد نوهنا عن طرف منها. و نورد هنا بعضا من تلك النظرات و الآراء:

فتوى الحجة كاشف الغطاء

جاء فيما كتبه سماحة الحجة الشيخ محمد حسين آل كاشف الغطاء- تغمده الله برحمته- جوابا على استفتاء الأستاذ عبد الرحيم محمد على، بشأن جواز ترجمة القرآن إلى اللغات الأجنبية- ما نصه:-

«إذا أمعنا النظر في هذه القضية نجد أن إعجاز القرآن الذي أدهش العلماء، بل و أدهش العالم، يرجع إلى أمرين: فصاحة المباني إلى فصاحة الألفاظ، و بلاغة الأساليب و التراكيب. و الثاني قوة المعاني. و ما في القرآن من التشريع البديع و الوضع الرفيع، و الأحكام الجامعة في صلاح البشر عامة من العبادات و الاجتماعيات، يعنى من أول كتاب الطهارة إلى الحدود و الديات، بعد العقائد (١) سوف نوفي لك عن تراجم عقيدة قام بها رجال الإسلام منذ عهد قديم.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٠

المبرهنة في التوحيد و النبوة و المعاد. و بالجملة فقد تكفل القرآن بصلاح عامة البشر معاشهم و معادهم بما لم يأت بمثله أى كتاب سماوى، و أى شريعة من الشرائع السابقة. و لا شك أن الترجمة مهما كانت من القوة و البلاغة في اللغة الأجنبية فإنها لا تقدر على الإتيان بها بلسان آخر، مهما كان المترجم قويا ماهرا في كلتا اللغتين العربية و الأجنبية. فإذا صححت الترجمة و لم يكن فيها أى تغيير و تحريف، فهي جائزة، بل نقلها واجب على المقتدر فردا كان أو جماعة؛ لأن فيها أبلغ دعوة للإسلام و دعاية للدين، و يشمله قوله تعالى: «وَلَتَكُنَّ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ (١)» و أى خير أهم و أعظم من الدعوة إلى الإسلام! و لم تزل ترجمة القرآن باللغة الفارسية شائعة من زمن قديم، و لم يذكر أحد من علمائنا الأفاضل رحمهم الله المنع عنها، و إذا جاز بالفارسية جاز بغيرها قطعا. و بهذا البيان لا حاجة إلى التمسك بأصالة الإباحة و نحوها، فإن الأمر أوضح و أصح و أجلى من أن يحتاج إلى دليل أو أصل أصيل، و حسبنا الله و نعم الوكيل» (٢).

نظرة الإمام الخوئي

لسيدنا الأستاذ الإمام الخوئي- دام ظله- نظرة وافية بشأن ترجمة القرآن إلى سائر اللغات، ذكرها في ملحق كتابه «البيان» مع إشارة إجمالية إلى شروطها الأولية، و إليك نصها:

«لقد بعث الله نبيه لهداية الناس فعززه بالقرآن، و فيه كل ما يسعدهم و يرقى بهم إلى مراتب الكمال. و هذا لطف من الله لا يختص بقوم دون آخر، بل يعم (١) آل عمران/ ١٠٤.

(٢) نقلا عن رسالة «القرآن و الترجمة» بقلم الأستاذ عبد الرحيم، ص ٣-٤، طبعة النجف الأشرف، ١٣٧٥ هـ. ق.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤١

البشر عامة. و قد شاءت حكمته البالغة أن ينزل قرآنه العظيم على نبيه بلسان قومه، مع أن تعاليمه عامة و هدايته شاملة؛ و لذلك فمن الواجب أن يفهم القرآن كل أحد ليتهدى به. و لا شك أن ترجمته مما يعين على ذلك، و لكنه لا بد أن تتوفر في الترجمة براعة و إحاطة كاملة باللغة التي ينقل منها القرآن إلى غيرها؛ لأن الترجمة مهما كانت متقنة لا تفي بمزايا البلاغة التي امتاز بها القرآن، بل و

يجرى ذلك في كل كلام؛ إذ لا يؤمن أن تنتهي الترجمة إلى عكس ما يريد الأصل. ولا بدّ إذن في ترجمة القرآن من فهمه، و ينحصر فهمه في أمور ثلاثة: ١- الظهور اللفظي الذي تفهمه العرب الفصحى، ٢- حكم العقل الفطري السليم، ٣- ما جاء من المعصوم في تفسيره. و على هذا تتطلّب إحاطة المترجم بكل ذلك لينقل معناها إلى لغة أخرى. و أما الآراء الشخصية التي يطلقها بعض المفسّرين في تفاسيرهم، و لم تكن على ضوء تلك الموازين، فهي من التفسير بالرأى و ساقطة عن الاعتبار، و ليس للمترجم أن يتكل عليها في ترجمته. و إذا روعى في الترجمة كل ذلك، فمن الراجح أن تنقل حقائق القرآن و مفاهيمه إلى كل قوم بلغتهم؛ لأنها نزلت للناس كافة. و لا ينبغي أن تحجب ذلك عنهم لغة القرآن، ما دامت تعاليمه و حقائقه لهم جميعا» (١).

كتاب شيخ الأزهر

جاء في كتاب رسمي قدّمه شيخ الجامع الأزهر الأسبق الشيخ محمد مصطفى المراغي إلى رئيس مجلس الوزراء المصري عام (١٣٥٥ هـ. ق) ما نصّه:

«اشتغل الناس قديما و حديثا بترجمة معاني القرآن الكريم إلى اللغات المختلفة، و تولّى ترجمته أفراد يجيدون لغاتهم و لكنهم لا يجيدون اللغة العربيّة، (١) البيان- قسم التعليقات- رقم ٥، ص ٥٤٠، (ط نجف)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٢

و لا يفهمون الاصطلاحات الإسلامية، الفهم الذي يمكنهم من أداء معاني القرآن على وجه صحيح؛ لذلك حدث في التراجم أخطاء كثيرة، و انتشرت تلك التراجم و لم يجد الناس غيرها، فاعتمدوا عليها في فهم أغراض القرآن الكريم و فهم قواعد الشريعة الإسلاميّة، فأصبح لزاما على أميّة إسلامية كالأميّة المصريّة التي لها المكان الرفيع في العالم الإسلامي أن تبادر إلى إزاحة هذه الأخطاء، و إلى إظهار معاني القرآن الكريم نقيّة في اللغات الحيّة لدى العالم.

و لهذا العمل أثر بعيد في نشر هداية الإسلام بين الأمم التي لا تدين بالإسلام، ذلك أنّ أساس الدعوة إلى الدين الإسلامي إنما هو الإدلاء بالحجة الناصعة و البرهان المستقيم. و في القرآن من الحجج الباهرة و الأدلّة الدامغة ما يدعو الرجل المنصف إلى التسليم بالدين و الإذعان له.

و فائدة أخرى للأمم الإسلاميّة التي لا تعرف العربيّة و تشرّب أعناقها إلى اقتطاف ثمرات الدين من مصدرها الرفيع، فلا تجد أمامها إلّا تراجم قد ملئت بالأخطاء. فإذا ما قدّمت لها ترجمة صحيحة تصدرها هيئتها مكانتها الدينيّة في العالم، اطمأنت إليها و ركنت إلى أنّها تعبّر عن الوحي الإلهي تعبيرا دقيقا.

و نرى أنّ عهد حضرة صاحب الجلالة الملك فؤاد الذي تمّت فيه أعمال جليّة لخير الإسلام و المسلمين، خليق بأن يتمّ هذا المشروع الجليل، أطال الله بقاء جلالته نصيرا للعلم و الدين.

لذلك أقترح: أن يقرّر مجلس الوزراء ترجمة معاني القرآن الكريم ترجمة رسميّة، على أن تقوم بذلك مشيخة الأزهر بمساعدة وزارة المعارف، و أن يقرّر مجلس الوزراء الاعتماد اللازم لذلك المشروع الجليل، فأرجو النظر في هذا...».

و هناك كتاب رسمي آخر من وزير المعارف المصريّة إلى رئيس مجلس

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٣

الوزراء، بشأن تأييد كتاب شيخ الأزهر و التأكيد من إنجاز الطلب (١).

فتوى علماء الأزهر

قدّم إلى هيئة علماء الأزهر استفتاء بشأن ترجمة القرآن إلى سائر اللغات، ضمّنه الشروط المقرّرة لهذا المشروع. فكان الجواب هي الموافقة الصريحة.

و إليك نصّ الاستفتاء مشفوعاً بجوابه:

«ما قول السادة أصحاب الفضيلة العلماء في السؤال الآتي بعد ملاحظة المقدمات الآتية؟»

١- لا شبهة في أنّ القرآن الكريم اسم للنظم العربي الذي نزل على سيدنا محمد بن عبد الله صلى الله عليه وآله وسلم ولا شبهة أيضاً في أنه إذا عبّر عن معاني القرآن الكريم بعد فهمها من النصّ العربي بأيّ لغة من اللغات، لا تسمى هذه المعاني ولا العبارات التي تؤدّي هذه المعاني قرآناً.

٢- ومما لا خلاف فيه أيضاً أنّ الترجمة اللفظية، بمعنى نقل المعاني مع خصائص النظم العربي المعجز مستحيلة.

٣- وضع الناس تراجم للقرآن الكريم بلغات مختلفة اشتملت على أخطاء كثيرة، واعتمد على هذه التراجم بعض المسلمين الذين لا يعرفون اللغة العربيّة، وبعض العلماء من غير المسلمين ممن يريد الوقوف على معاني القرآن الكريم.

٤- وقد دعا هذا التفكير في نقل معاني القرآن الكريم إلى اللغات الأخرى على الوجه الآتي: يراد- أولاً- فهم معاني القرآن الكريم بواسطة رجال من خيرة علماء الأزهر الشريف، بعد الرجوع لآراء أئمة المفسرين، وصوغ هذه المعاني بعبارات دقيقة محدودة. ثم نقل المعاني التي فهمها العلماء، إلى اللغات الأخرى، (١) راجع: كتاب «حدث الأحداث» للشيخ محمد سليمان، ص ٣٣-٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٤

بواسطة رجال موثوق بأماناتهم واقتدارهم في تلك اللغات؛ بحيث يكون ما يفهم في تلك اللغات من المعاني هو ما تؤدّيه العبارات العربيّة التي يضعها العلماء.

فهل الإقدام على هذا العمل جائز شرعاً أو هو غير جائز؟

هذا مع العلم بأنه سيوضع تعريف شامل يتضمّن أنّ الترجمة ليست قرآناً، وليس لها خصائص القرآن، وليست هي ترجمة كل المعاني التي فهمها العلماء، وأنه ستوضع الترجمة وحدها بجوار النصّ العربي للقرآن الكريم».

وجاء الجواب ما نصّه:

«الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وبعد فقد أطلعنا على جميع ما ذكر بالاستفتاء المدوّن بباطن هذا، ونفيد بأن الإقدام على الترجمة على الوجه المذكور تفصيلاً في السؤال، جائز شرعاً، والله سبحانه وتعالى أعلم».

وقد وقّعه كبار علماء الأزهر وأسماؤهم كما يلي:

محمود الدنياوى عضو جماعة كبار العلماء، و شيخ معهد طنطا.

عبد المجيد اللبان شيخ كلية أصول الدين، و عضو جماعة كبار العلماء.

إبراهيم حمروش شيخ كلية اللغة العربيّة و عضو جماعة كبار العلماء.

محمد مأمون الشناوى شيخ كلية الشريعة و عضو جماعة كبار العلماء.

عبد المجيد سليم مفتى الديار المصريّة و عضو جماعة كبار العلماء.

محمد عبد اللطيف الفحام وكيل الجامع الأزهر و عضو جماعة كبار العلماء.

دسوقي عبد الله البدرى عضو جماعة كبار العلماء.

أحمد الدلبشاني عضو جماعة كبار العلماء.

يوسف الدجوى عضو جماعة كبار العلماء.

محمد سبيع الذهبي شيخ الحنابلة و عضو جماعة كبار العلماء.

عبد الرحمن قراءة عضو جماعة كبار العلماء.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٥

أحمد نصر عضو جماعة كبار العلماء.

محمد الشافعي الظواهري عضو جماعة كبار العلماء.

عبد الرحمن عليش الحنفي عضو جماعة كبار العلماء.

و عقّب شيخ الجامع الأزهر محمد مصطفى المراغي على الفتوى المذكورة بالنص التالي، و أبدى موافقته لهم في الجواب. و هذا نصّه:

«بسم الله الرحمن الرحيم. و جَهِت هذا السؤال إلى حضرات أصحاب الفضيلة جماعة كبار العلماء. و إنّي أوافقهم على ما رأوه».

رئيس جماعة كبار العلماء محمد مصطفى المراغي

قرار مجلس الوزراء المصري

أقرّ مجلس الوزراء المصري المشروع و وافق عليه، و أدخل عليه عشرة آلاف جنيه في ميزانية السنّة الجديدة، لتنفيذ بعضها في ميزانية وزارة المعارف، و بعضها في ميزانية الجامع الأزهر، و بعضها في ميزانية المطبعة الأميرية. و أصبح المشروع نافذ المفعول من الوجهة القانونية، و استوفى الإجراءات من الناحيتين العلمية و الرسمية، و هذا قرار مجلس الوزراء المصري كما يلي:

«بعد الاطلاع على كتاب فضيلة شيخ الجامع الأزهر، و كتاب سعادة وزير المعارف العموميّة، بشأن ترجمة معاني القرآن الكريم، و مع تقدير مجلس الوزراء لمشقّة هذا العمل و صعوبته، و منعا لإضرار التراجم المنتشرة إلى الآن، رأى بجلسته المنعقدة في (١٢ أبريل /

١٩٣٦ م) الموافقة على ترجمة معاني القرآن الكريم، ترجمة رسمية تقوم بها مشيخة الجامع الأزهر، بمساعدة وزارة المعارف

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٦

العموميّة؛ و ذلك وفقا لفتوى جماعة كبار العلماء، و أساتذة كلية الشريعة». (١)

محاولة دون تنفيذ القرار

تكتلت الجماعة المعارضة بزعامه الشيخ محمد سليمان نائب المحكمة الشرعيّة العليا، و قاومت المشروع مقاومة عنيفة. و انحاز إليهم شخصيات كبيرة، أمثال الشيخ محمد الأحمدى الظواهري، شيخ الجامع الأزهر السابق و العضو في هيئة كبار العلماء، فلم يشهد الاجتماع الذي عقدته هيئة كبار العلماء لإقرار المشروع، و لم يوافق عليه، أضف إلى ذلك أنه أرسل كتابا إلى علي ماهر باشا رئيس الوزارة السابقة، يحمله على رفض المشروع.

و عقد مقاومو المشروع اجتماعات، و أسدسوا جمعيّة لمقاومته، و وزّعوا بعض نشرات، و طافوا بمضابط في الأسواق، يسألون الناس توقيعها، فوقعها كثيرون يعدّون بالألوف، و رفعوها إلى البرلمان. و أصدر فريق كبير من العلماء فتوى ضدّ المشروع، و في مقدّماتهم

الشيخ موسى الغراوى رئيس المحكمة الشرعيّة العليا السابق، و غيره من قضاة المحاكم الشرعيّة و رؤسائها، و رفعوها إلى البرلمان.

و تألّف حزب في البرلمان، بزعامه الشيخ عباس الجمل المحامى الشرعى، يضمّ عددا كبيرا من النواب و الشيوخ لمقاومة المشروع، و الإلحاح بحذف المخصّصات المرصدة له في الميزانيّة.

و أرسل فريق من أهل الشام و فلسطين و العراق كتباً إلى رئيس الوزراء (النحاس باشا) يطلبون إليه بكلّ إلحاح و يستحلفونه باسم

الإيمان الذي يملأ صدره و باسم القرآن و الدين، أن يحول دون ترجمة القرآن. (١) حدث الأحداث، ص ٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٧

فكانت مغتبه هذه النعرات المعارضه أن حالت دون تحقيق المشروع و أوقفته و شيك تنفيذه. و قام النحاس باشا بحل المشكلة شكليا، فقرر ترجمة تفسير جديد للقرآن دون ترجمه نفسه؛ و بذلك حاول إرضاء كلا الفريقين ظاهريا، و تخلص بنفسه عن خوض المعركة، فانتهت بهذا الشكل الاسمي الباهت! «١».

مناقشات فقهية

سبق أن فقهاء الإمامية متفقون على أن الترجمة ليست قرآنا، ذلك الكتاب العلي الحكيم، الذي لا- يمسه إلا المطهرون. فبالتالي لا تجرى عليها الأحكام الخاصة بالقرآن، التي منها جواز القراءة بها في الصلاة. و قد عرفت كلام المحقق الهمداني: عدم أجزاء الترجمة عن القراءة في الصلاة، حتى للعاجز عن النطق بالعربية. و هذا إجماع من علمائنا- قديما و حديثا- أن الترجمة ليست قرآنا إطلاقا. أما سائر المذاهب، فقد ذهب أبو حنيفة إلى جواز قراءة الترجمة بدلا عن القرآن نفسه، مطلقا سواء أقر على العربية أم عجز عنها، و استدل على ذلك بأن القرآن الواجب قراءته في الصلاة، هي حقيقة القرآن و معناه الذي نزل على قلب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم لقوله تعالى: وَ إِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ «٢»، إِنَّ هَذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَى صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ وَ مُوسَى «٣»، و الضمير في «أنه»، و الإشارة في «إن هذا» إنما هو للقرآن، و معلوم أنه لم يكن في تلك الصحف إلّا معانيه. (١) راجع: مجلة الرابطة العربية المصرية. صفر و ربيع الأول سنة ١٣٥٥ هـ. ق. يونيو سنة ١٩٣٦ م.

(٢) الشعراء/ ١٩٦.

(٣) الأعلى/ ١٨-١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٨

و أيضا قوله تعالى: وَ أَوْحَىٰ إِلَيْنَا هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرْكُمْ بِهِ وَ مَنْ بَلَغَ «١». و إنما ينذر كل قوم بلسانهم «٢». و زاد السرخسي استدلال أبي حنيفة بما روى أن الفرس كتبوا إلى سلمان الفارسي، أن يكتب لهم الفاتحة بالفارسية، فكانوا يقرءون ذلك في صلاتهم حتى لانت ألسنتهم للعربية «٣».

أما أصحابه (أبو يوسف و محمد) فقد أجازا قراءة الترجمة للعاجز عن العربية دون القادر عليها، و بذلك أفتى الشيخ محمد بخيت مفتي الديار المصرية في فتوى له لأهل الترانسفال، قال فيها: «و تجوز القراءة و الكتابة (أى للقرآن) بغير العربية للعاجز عنها، بشرط أن لا يختل اللفظ و لا المعنى. فقد كان تاج المحدثين الحسن البصري يقرأ القرآن في الصلاة بالفارسية! لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية» و قد أرسل بها إلى مسلمي الترانسفال سنة (١٩٠٣ م) و نشرتها مجلة المنار في ذلك الحين «٤».

و بقية المذاهب وافقوا الإمامية في المنع إطلاقا، فلا يجوز عندهم قراءة الفاتحة بغير العربية على كل حال «٥». (١) الأنعام/ ١٩.

(٢) راجع: المغنى لابن قدامة، ج ١، ص ٥٢٦. و مدارك الأحكام للعالمى، ج ٣، ص ٣٤١. و رسالة ترجمة القرآن للمراغى، ص ٩.

(٣) المبسوط للسرخسي، ج ١، ص ٣٧. و فى رواية تاج الشريعة الحنفى زيادة «فكتب (بسم الله الرحمن الرحيم: بنام يزدان بخشاوند» (... و بعد ما كتب ذلك، عرضه على النبي صلى الله عليه و آله و سلم» (حاشية الهداية لتاج الشريعة ج ١، ص ٨٦. طبع دهلي، ١٩١٥

م)، معجم مصنفات القرآن لشواخ، ج ٢، ص ١٢.

(٤) محمد فريد و جدى فى الأدلة العلمية، ص ٦١.

(٥) راجع الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٢٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٤٩

و هكذا أفتى الشيخ محمد مصطفى المراغى شيخ الجامع الأزهر (١٩٣٢ م) بالجواز للعاجز عن العربية.

قال- فى رسالته التى كتبها بهذا الشأن:- «و أنتهى من البحث فى هذه المسألة إلى ترجيح رأى قاضى خان و من تابعه من الفقهاء، و هو وجوب القراءة فى الصلاة بترجمة القرآن للعاجز عن قراءة النظم العربى».

وقال- ردأ على المانعين و منهم صاحب الفتح:- «إن حجة المانع هو أن ترجمة القرآن ليست قرآناً، و ما كان كذلك كان من كلام الناس، فهو مبطل للصلاة».

قال: و هذا الاستدلال غير صحيح؛ لأنّ الترجمة و إن كانت غير قرآن، لكنها تحمل معانى كلام الله، لا محالة. و معانى كلام الله ليست كلام الناس. قال: و عجيب أن توصف معانى القرآن بأنها من جنس كلام الناس، بمجرد أن تلبس ثوبا آخر غير الثوب العربى، كأنّ هذا الثوب هو كل شىء» (١).

قال السيد محمد العاملى- فى شرح كلام المحقق الحلى: «و لا يجرى المصلى ترجمتها»:-

«هذا الحكم ثابت بإجماعنا، و وافقنا عليه أكثر علماء سائر المذاهب، لقوله تعالى: إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا (٢)؛ و لأن الترجمة مغايرة للمترجم، و إلّا لكانت ترجمة الشعر شعرا» (٣).

و أما استدلال أبى حنيفة بأنه جاء ذكر القرآن فى «زبر الأولين» و فى (١) بحث فى ترجمة القرآن للمراغى، ص ٣٢.

(٢) يوسف / ٢.

(٣) مدارك الأحكام فى شرح شرايع الإسلام، ج ٣، ص ٣٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٠

«الصحف الأولى»، فهذا يعنى وصفه و نعته، و ليس نفسه. قال الطبرسى: أى و أن ذكر القرآن و خبره جاء فى كتب الأولين على وجه البشارة به و بمحمد صلى الله عليه و آله و سلم لا بمعنى أنه تعالى أنزله على غير محمد (١).

وقال- فى آية الصحف الأولى:- يعنى أن هذا الذى ذكر من فلاح المتركى إلى تمام ما فى الآيات الأربع، لفى الكتب الاولى. فقد جاء فيها ذكر فلاح المصلى و المتركى و إثارة الناس الحياة الدنيا على الآخرة، و أن الآخرة خير و أبقى. (٢)

و هذا لا يعنى نفس الكتاب و أنه مذکور بذاته فى تلك الصحف، ليستلزم ذلك أن يكون ذكر المعانى ذكرا للقرآن نفسه.

وقال السيد العاملى- فى آية البلاغ:- الإنذار بالقرآن لا يستلزم نقل اللفظ بعينه؛ إذ مع إيضاح المعنى يصدق أنه أنذرهم به، بخلاف صورة النزاع (٣). يعنى أن هناك فرقا بين قولنا: أنذر بهذا القرآن، و قولنا: اقرأ بهذا القرآن. فإنّ الأول لا يستدعى حكاية نفس القرآن و نقله بالذات إلى المنذرين، بل يكفى تخويلهم بما يستفاد من القرآن من الوعد و الوعيد. و هذا بخلاف الثانى المستلزم تلاوة نفسه كما فى قراءة الصلاة.

قال ابن حزم: «و من قرأ أم القرآن أو شيئا منها أو شيئا من القرآن، فى صلاته مترجما بغير العربية، أو بألفاظ عربية غير الألفاظ التى أنزل الله تعالى، عامدا لذلك، أو قدّم كلمة أو آخرها عامدا لذلك، بطلت صلاته، و هو فاسق؛ لأن الله (١) مجمع البيان، ج ٨، ص ٢٠٤.

(٢) المصدر السابق، ج ١٠، ص ٤٧٦.

(٣) المدارك، ج ٣، ص ٣٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥١

تعالى قال: «قُرْآنًا عَرَبِيًّا» و غير العربى ليس عربيا، فليس قرآنا. و إحالة رتبة القرآن «١» تحريف كلام الله تعالى، و قد ذمّ الله تعالى قوما فعلوا ذلك، فقال:

«يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ».

«و قال أبو حنيفة: تجزئه صلاته. واحتج له من قلده بقول الله تعالى: «وَإِنَّهُ لَفِي زُبُرِ الْأَوَّلِينَ».

قال علي «٢»: لا حجة لهم في هذا؛ لأن القرآن المنزل علينا على لسان نبيتنا صلى الله عليه وآله وسلم لم ينزل على الأولين، وإنما في زبر الأولين ذكره والإقرار به فقط، ولو أنزل على غيره عليه السلام لما كان آية له ولا فضيلة له، وهذا لا يقوله مسلم.

«و من كان لا يحسن العربية فليذكر الله تعالى بلغته؛ لقوله تعالى: لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا «٣». ولا يحل له أن يقرأ أم القرآن ولا شيئاً من القرآن مترجماً على أنه الذي افترض عليه أن يقرأه؛ لأنه غير الذي افترض عليه كما ذكرنا، فيكون مفترياً على الله تعالى «٤». و أما فتوى الشيخ محمد بخيت لأهل الترانسفال، فقد تشابه عليه الحسن بصاحبه؛ لأن الذي كان يقرأ في الصلاة بالفارسية هو حبيب العجمي صاحب الحسن البصري.

قال- في شرح مسلم الثبوت:- «يجوز القرآن بالفارسية للعدر- وهو عدم العلم بالعربية وعدم انطلاق اللسان بها- وقد سمعت من بعض الثقات أن تاج (١) أي تحويل نظم القرآن و تغيير ترتيبه اللفظي.

(٢) يريد نفسه: علي بن أحمد بن سعيد بن حزم. توفي ٤٥٦.

(٣) البقرة/ ٢٨٦.

(٤) المحلى لابن حزم، ج ٣، ص ٢٥٤، المسألة رقم ٣٦٧، من كتاب الصلاة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٢

العرفاء و الأولياء الحبيب العجمي صاحب تاج المحدثين و إمام المجتهدين الحسن البصري كان يقرأ في الصلاة بالفارسية لعدم انطلاق لسانه باللغة العربية «١».

و أما حديث ترجمة سلمان للفاتحة، و قراءة الفرس لها في صلاتهم، فلم نعثر على مستند له وثيق، و إنما أرسله السرخسي عن أبي حنيفة إرسالا، لا يعلم مصدره. و لعل الترجمة- على فرض الثبوت- كانت لمجرد العلم بمعناها لا للقراءة بها في الصلاة!

ترجمة القرآن ضرورة دعائية

إشارة

و بعد، فإذ قد جازت ترجمة القرآن في حد ذاتها، ترجمة معنوية وافية بإفاده معاني القرآن كاملا، فعندئذ نقول:

إن ترجمة القرآن إلى سائر اللغات أصبحت ضرورة دينية و واجبا إسلاميا عاما (وجوبا بالكفاية) و كان من وظيفه كل مسلم يحمل رسالة الله في طيات وجوده، أن يهتم بهذا الأمر الذي يمسه صميم الإسلام، لغرض انتشار الدعوة و بث تعاليم الإسلام عبر الخافقين.

الإسلام دين البشريه عامه و ما أرسلناك إلا كافه للناس بشيرا و نذيرا «٢»، تبارك الذي نزل الفرقان على عبيده ليكون للعالمين نذيرا «٣» فلا يخص أمية دون أخرى و لا جيلا دون جيل، و كان في ذميه كل مسلم متعهد بدينه الاهتمام ببث الدعوة و نشرها بين الملأ،

وظيفة ديتية في الصميم (١) رسالة المراغي في الترجمة، ص ١٧.

(٢) سبأ/ ٢٨.

(٣) الفرقان/ ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٣

و لتكن منكم أمة يدعون إلى الخير و يأمرون بالمعروف و ينهون عن المنكر و أولئك هم المفلحون «١». و كذلك جعلناكم أمة

وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا «٢».

ولا شك أن القرآن هو السند الوثيق الوحيد لبناء الدعوة ونشر تعاليم الإسلام، وقد نزل بيانا للناس هذا بياناً للناس وَهُدًى وَ مَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ «٣» فكان حقيقاً أن يبين للناس وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٤».

فالمنع عن ترجمته و بثها بين الناس كتمان لما أنزله الله من البينات والهدى إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ «٥».

قال تعالى - عن لسان نبيه -: وَأَوْحَىٰ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنَ لِأُنذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ «٦».

إن في القرآن مقاصد عالية ومطالب سامية، هي ذوات أهداف عالمية كبرى عبر الآفاق ومز الأيام، يجب بثها والإعلام بها لكافة الأنام، مما لا يتم إلا بتعميم نشر القرآن وعرضه على العالمين جميعاً، الأمر الذي لا يمكن إلا بترجمة معانيه إلى كل اللغات الحيّة في العالم كله. (١) آل عمران / ١٠٤.

(٢) البقرة / ١٤٣.

(٣) آل عمران / ١٣٨.

(٤) النحل / ٤٤.

(٥) البقرة / ١٥٩.

(٦) الأنعام / ١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٤

أما لو أهملت هذه الأمة بالقيام بهذه المهمة، وتفاعست عن الإتيان بواجبها الديني الفرض، وقصّرت دون أداء رسالته الله في الأرض، فإن الله تعالى سوف يستبدل بهم قوما غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم وَإِنْ تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ «١».

وقد عرفت أن الأوائل كانوا يجيزون ترجمه معاني القرآن لأقوام كانوا جديدي عهد بالإسلام، ممن لم تكن لهم سابقة إلمام باللغة العربية، فكانت تعرض عليهم الآية مصحوبة بترجمتها؛ لغرض إفهام معاني الذكر الحكيم و بيان مقاصده و تعاليمه الرشيدة لملاّ الناس. لا شك أن في الهجرة الأولى (إلى الحبشة) حيث عرضت آي من القرآن الكريم على حاضري مجلس النجاشي من الوزراء وأعيان الدولة، قد ترجمت ما تليت من آي الذكر الحكيم، باللغة الحبشية (الأمهرية)؛ إذ لم يكن الحضور يحسنون العربية بطبيعه الحال، و في ذلك يقول صدر الأفاضل: و إنى اعتقد أن جعفر بن أبى طالب عليه السلام كان يجيد اللغة الحبشية، وهو الذى قام بترجمه الآيات التى تلاها حينذاك من سورة مريم «٢»، فكان ذلك التأثير العجيب فى نفوس القوم و لا سيما النجاشي نفسه؛ حيث قال: «و الله إن كلام محمد، لا يختلف شيئاً عن تعاليم سيدنا المسيح...»، و بكى بكاء شديداً.

و هكذا لما طلب الراجا (رائك مهروق) - الذى كان أميراً على منطقة الرور - من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز، مندوب الحكومة الإسلامية هناك سنة (١) محمد / ٣٨.

(٢) عن مقال له فى مجلة التوحيد، السنة الثانية، العدد ٩، ص ٢١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٥

(٢٣٠ هـ. ق) أن يفسر القرآن له، أى يترجمه بالهنديّة. و عند إنجاز الطلب على يد كاتب قدير، يقول المترجم: فانتهيت من التفسير إلى سورة (يس) حتى وصلت إلى الآية قال مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ. قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ «١». قال: فلما فسرت له هذا- أى ترجمته له باللغة السنسكريتية (الهنديّة القديمة) خزّ من سريره على الأرض واضعاً خده عليها و هى مبتلة، فتأثر وجهه من بلّة الأرض، و قال- باكياً:- «هذا هو الربّ المعبود، و الذى لا يشبه شىء». و كان قد أسلم سزاً، فكان بعد ذلك يخلو بنفسه فى بيت عزلة يعبد الله و يناجى ربه سزاً «٢».

هذا من ناحية، و من ناحية أخرى أنّ كثيرا من الناس قاموا- في زعمهم- ينقل القرآن إلى لغات كثيرة و ترجمات متعدّدة، قد بلغت المآت في خمس و ثلاثين لغة حيّة في العالم المتمدّن اليوم. و قد طبعت بعض هذه التراجم عدة طبعات بل عشرات الطبعات، فقد طبعت الترجمة الإنجليزية التي قام بها (سيل) أكثر من أربعين مرّة. و هكذا بالنسبة إلى تراجم فرنسيّة و ألمانيّة و إيطاليّة و فارسيّة و تركيّة و أوردية و صينيّة و جاويّة، إلى غيرها من لغات العالم الحيّة.

و من هؤلاء المترجمين من يحمل عداة للإسلام و المسلمين عداوة ظاهرة، و منهم من تعوّزه كفاءة المقدره على ترجمة تامّة، وافية بمعاني القرآن، و هذا الأخير لا يقلّ ضرره عن الأوّل الذي يتعمّد الدسّ و التزوير. فمن هذا و ذاك قد (١) يس / ٧٨-٧٩.

(٢) المصدر نفسه و راجع كتاب (عجائب الهند)، طبعه ليدن ١٨٨٣ م لمؤلفه بزرك. و كان عائشا حتى سنة (٣٣٩ هـ. ق)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٦

حصل تحريف في معاني القرآن كثيرا، الأمر الذي يعود ضرره في نهاية المطاف إلى كيان الإسلام و المسلمين، فضلا عن الأخطاء الفاحشة التي وقعت في هكذا تراجم، قام بها غير الأهل.

إذن ينبغي أن لا- نقف- نحن أبناء الإسلام و دعائه- مكتوفي الأيدي ملجمين بلجام العار و الشغار، مصمّمي الإيخوان تجاه هذه الحوادث الفادحة و الحقائق المرّة الماثلة بين أيدينا، نحن المسلمين.

و قد تصدّى لترجمة القرآن- لغرض خبيث- قبل ثمانية قرون، مطران مسيحي يدعى «يعقوب بن الصليبي» ترجمه إلى السريانية، و نشرت خلاصتها سنة (١٩٢٥ م) و تابع هذا المطران أبحار و رهبان كانوا أسبق من غيرهم في هذا الميدان، و الله أعلم بما بيّتون «١».

قال العلامة أبو عبد الله الزنجاني: و ربما كانت أوّل ترجمة إلى اللغة اللاتينية- لغة العلم في أوروبا- و ذلك سنة (١١٤٣ م) بقلم «كنت» الذي استعان في عمله ببطرس طليطلي و عالم ثان عربي، و كان الغرض من الترجمة عرضه على «دي كلوفى» و بقصد الردّ على القرآن الكريم، و في عام (١٥٩٤ م) أصدر «هنكلمان» ترجمته، و جاءت على الأثر (١٥٩٨ م) طبعه مرانشى مصحوبة بالردود «٢».

و بعد، فأى عذر يبيديه زعماء الأميّة تجاه هذا التلاعب بأساس الدين؟! و ما هو المبرر للسكوت أمام هذا التناوش المقيت بمقدّسات الإسلام من قريب و بعيد، لو لا- قيام المضطّلين بأعباء رسالة الإسلام- حفظا على ناموس الدين- فيستعيدوا نشاطهم بأمر الشريعة الغراء، و يؤلّفوا لجنة مركزية من علماء مبرزين، (١) المصدر نفسه.

(٢) تاريخ القرآن للزنجاني، ص ٦٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٥٧

فيقدّموا إلى العالم تراجم صحيحة من القرآن الكريم، معترفا بها رسميا من مراجع دينية صالحة؛ فيكون ذلك مكافحة صريحة مع تلك المناوشات الخبيثة، و مقابلة عملية تجاه أعداء الإسلام.

و سنوفى لك نماذج خاطئة في نهاية المقال دليلا على ضرورة القيام بهذه المقابلة الإيجابية.

تراجم إسلامية عريقة

قد عرفت حديث ترجمة (سلمان الفارسي) لسورة الحمد، بطلب من فرس اليمن المسلمين «١». و هكذا قام دعاة الإسلام و علماء المسلمين بتراجم لسور و آيات قرآنية، لغرض إفهام معانيها لسائر الأمم ممن دخلوا في الإسلام، و كانوا لا يحسنون فهم العربية آنذاك.

و أضخم هيئة علمية قامت بترجمة القرآن، مصحوبة بترجمة أكبر موسوعة تفسيرية، في أواسط القرن الرابع للهجرة، هم علماء ما وراء النهر (شرقي بلاد إيران) بطلب من السلطان منصور بن نوح الساماني (٣٥٠-٣٦٥) و ذلك لكيما أن أرسل إليه التفسير الكبير (جامع

البيان) لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (توفي سنة ۳۱۰) في أربعين مجلدا ضخما، فاستعظمه و أكبر من شأنه، لكنه تأسف على عدم إمكان استفادة شعبه من هذا التفسير العظيم، فاستفتى -أولا- جميع علماء و فقهاء ما وراء النهر (بلخ و بخارى و باب الهند و سمرقند و سييجاب و فرغانة ...) في جواز الترجمة، فأجازوه جميعا. فطلب منهم أن (۱) المبسوط للسرخسي، ج ۱، ص ۳۷. و تقدم- في الهامش - عن تاج الشريعة الحنفي: أنه ترجم البسملة ب «بنام يزدان بخشاونده ... الخ ..» ثم عرضها على النبي صلى الله عليه و آله و سلم (معجم مصنفات القرآن لشواخ، ج ۲، ص ۱۲).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۱، ص: ۱۵۸

ينتدب منهم من يصلح لهذا الشأن. فاجتمع لفييف من العلماء المعروفين من تلك الديار، فترجموا القرآن بدء، ثم التفسير بكامله. و يوجد من نسخ هذه الترجمة في مكتبات العالم ما فوق العشرة، و طبع منها سنة () في إيران- طهران- نسخة صحيحة في طباعة جيدة. و قد وضع- في النسخ المخطوطة- نص القرآن الكريم- في عدد من آياته- أولا، ثم ترجمته، و أخيرا ترجمة التفسير. لكن النسخة المطبوعة أهملت ذكر النص، و اكتفت بترجمة الآيات مسبقا ثم ترجمة التفسير، الأمر الذي يؤخذ على مسئول الطبع، و لا يقبل منه اعتذاره غير العاذر (۱).

و إليك نص ما جاء في مقدمه الأصل (الترجمة السامانية):

«این کتاب تفسیر بزرگ است، از روایت محمد بن جریر الطبری، ترجمه کرده بزبان پارسی و دری راه راست. و این کتاب بیاوردند از بغداد چهل مصحف بود. این کتاب نبشته بزبان تازی و به اسنادهای دراز بود. و بیاوردند سوی امیر سعید مظفر ابو صالح منصور بن نوح بن نصر بن احمد بن اسماعیل ... پس دشخوار آمد بروی خواندن این کتاب و عبارت کردن آن بزبان تازی، و چنان خواست که مر این را ترجمه کند بزبان پارسی.

پس علماء ما وراء النهر را گرد کرد و این از ایشان فتوی کرد که روا باشد خواندن و نبستن تفسیر قرآن پارسی، مر آن کس را که او تازی نداند؟ از قول خدای عز و جل که گفت: و ما أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا لِبَلْسَانٍ قَوْمِهِ (۲) گفت: من هیچ پیغامبری را نفرستادم مگر بزبان قوم او و آن زبانی که ایشان دانستند ... و اینجا (۱) راجع مقدمه الناشر، ص ۱۴.

(۲) إبراهيم / ۴.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۱، ص: ۱۵۹

بدین ناحیت زبان پارسی است، و ملوکان این جای ملوک عجم اند. پس بفرمود ملک مظفر ابو صالح تا علمای ما وراء النهر را گرد کردند از شهر «بخارا» چون فقیه ابو بکر بن احمد بن حامد، و چون خلیل بن احمد سجستانی. و از شهر «بلخ» ابو جعفر بن محمد بن علی. و از «باب الهند» فقیه الحسن بن علی مندوس را، و ابو الجهم خالد بن هانی المتفقه را. و هم از این گونه از شهر «سمرقند» و از شهر «سیيجاب» و «فرغانه» و از هر شهری که بود در ماوراء النهر. و همه خطبها بدادند بر ترجمه این کتاب، که این راه راست است. پس بفرمود امیر سعید ملک مظفر ابو صالح این جماعت را تا ایشان از میان خویش هر کدام فاضل تر و عالم تر اختیار کنند تا این کتاب را ترجمه کنند، پس ترجمه کردند. (۱)

و لعل أقدم ترجمة رسمية للقرآن، قام بها رجال الحكم، هي التي وقعت بطلب من الراجا (رائك مهروق) في مقاطعة (الرور) من بلاد السند. طلب من عبد الله بن عمر بن عبد العزيز - و كان واليا هناك سنة (۲۳۰) - أن يترجم له معاني القرآن، فأمر عبد الله بن عمر أحد العلماء العرب ممن كانوا يجيدون لغة الهند القديمة (السنسكريتية) هناك، فترجم له حسبما مرّت عليك (۲).

و ترجمه فارسیه آخری قام بها الفقیه الحنفی أبو حفص نجم الدین عمر بن (۱) ترجمه الطبری، ص ۵- ۶.

(۲) عن کتاب (عجائب الهند) للسائح السندهی (بزرگ شهریار) و کان عائشا حتی عام (۳۳۹ ه. ق)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ۱، ص: ۱۶۰

محمد النسفى «١» (٤٦٢-٥٣٨) من علماء ماوراء النهر. له تفسير لطيف باللغة الفارسية، يبدأ فيه بترجمة الآية ثم تفسيرها على أسلوب بديع.

و للخواجه عبد الله الأنصارى تفسير فارسى للقرآن الكريم وصفه على أسلوب الذوق العرفانى، و كان موجزا و مختصرا فشرحه و أضاف إليه أبو الفضل رشيد الدين الميبدى عام (٥٢٠) يبدأ بالترجمة ثم بالتفسير فى تنوع لطيف و سماء (كشف الأسرار و عدة الأبرار) طبع أخيرا فى عشر مجلدات كبار. و سيأتى شرحه عند الكلام عن تفاسير أهل العرفان.

و للخواجه- عند تفسير قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ» (٢)- استظهار لطيف بجواز تبليغ القرآن إلى سائر الأمم بلغاتهم، نظرا لأنه صلى الله عليه و آله و سلم مبعوث إلى كافة الناس، و يستشهد على ذلك بعدة من الأدلة لإثبات مطلوبه.

و الأحسن الأكمل من الجميع تفسير مبسط باللغة الفارسية، قام بها العلم العلامة جمال الدين أبو الفتوح الحسين بن على بن محمد بن أحمد الرازى، من أحفاد نافع بن بديل بن ورقاء الخزاعى، من صحابة الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم. قام بهذا التفسير و أكمله- فى عشر مجلدات ضخام- فى المنتصف من القرن السادس للهجرة. (١) و (نسف) و يقال لها: (نخشب) بلدة عامرة واقعة على طريق بلخ إلى بخارا.

و هذا غير تفسير النسفى لأبى البركات عبد الله بن أحمد بن محمود النسفى.

(٢) إبراهيم / ٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦١

يبدأ فيه بالنص العربى، ثم ترجمته تحت اللفظ، ثم التفسير. و يعدّ من أفصح النثر الفارسى القديم فى أسلوب رائع و جيد للغاية، مع البسط و الشرح لمناحى معانى الآيات، بصورة مستوعبة و مستوفاة. و هو من أكبر الذخائر الإسلامية العريقة. طبع هذا التفسير القيم فى إيران عدة طبعات أنيقة، و قد اعتنى به العلماء الأفاضل.

و لنظام الدين الحسن بن محمد القمى النيسابورى (٧٢٨) تفسير بديع باسم (غرائب القرآن و رغائب الفرقان) يترجم الآية أولا باللغة الفارسية، ثم التفسير بالعربى، و يتعرض للتفسير الظاهرى، و يعقبه بالتفسير الباطنى على أسلوبه العرفانى المعروف. و قد طبع هذا التفسير مع حذف الترجمة فى مصر على هامش الطبرى، لكن النسخ المخطوطة و المطبوعة فى الهند و إيران مشتملة عليها.

كيفية ترجمة القرآن

تبيين- ضمن المباحث السابقة- أسلوب الترجمة الذى نتوخاه، و هو:

أن يعمد المترجم إلى آية آية من القرآن، وفق الترتيب الموجود، فيستجيد- أولا- فهم مضامينها عن دقة و إمعان، بما فيها من دلالات أصليّة و دلالات تبعيّة لفظيّة، دون الدلالات التبعيّة العقليّة؛ اذ التصدى لهذه الأخيرة شأن التفسير دون الترجمة.

فيفرغ المستفاد من كل آية، فى قالب لفظى من اللغة المترجم إليها. و يتحرى الكلمات التى تفى بتأدية المعانى التى كانت ألفاظ الأصل تؤدّيها، و فاء كاملا حتى فى الدلالات التبعيّة اللفظيّة مهما أمكن، و إلّا فيحاول تأديتها أيضا و لو بمعونة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٢

قرائن؛ لينعكس المعنى فى الترجمة كما هو فى الأصل. كما يحاول- مبلغ جهده- أن لا يصطدم القالب اللفظى المشابه للأصل بشىء من التحوير أو التحريف.

و هذه الكيفية من الترجمة- التى تحافظ على سلامة المعنى بالدرجة الأولى- قد تستدعى تبديلا فى مواضع بعض الألفاظ و التعابير- من تقديم أو تأخير- أو تغييرا فى روابط كلامية معمولّة فى الأصل، و فى الترجمة على سواء.

كما قد تستدعى زيادة لفظة فى التعبير؛ لغرض الوفاء بأصل المراد تماما. الأمر الذى لا بأس به، ما دامت الغاية هى المحافظة على

سلامة المعنى.

غير أن الأولى أن يضع اللفظ المزيد بين قوسين، فلا يلتبس على القارئ هذه الزيادة مع ألفاظ الأصل.

و بالجمله فالواجب على المترجم - ترجمة معنوية صحيحة - أن يتابع الخطوات التالية:

١- فهم المعنى الجملى فهما جيدا دقيقا، و التأكد من ذلك.

٢- تحليل جملة ألفاظ الأصل إلى كلماتها و روابطها الموجودة، و فصل بعضها عن بعض، ليعرف ما لكل من معنى و مفاد استقلالى أو رابطى فى لغة الأصل، و التدقيق فيما إذا كان للوضع التركيبى الخاص معنى زائد على ما للألفاظ من معانى، و يتأكد ذلك عن إمعان.

٣- التحزى لكلمات و روابط من اللغة المترجم إليها، تشاكل الكلمات و الروابط الأصل، تشاكلا فى الإفاده و المعانى، إن حقيقة أو مجازا.

٤- تركيب هذه الكلمات و الألفاظ تركيبا صحيحا يتوافق مع أدب اللغة المترجم إليها، أدبا عاليا، و مراعى ترتيب الأصل مهما أمكن.

٥- إفراز الألفاظ و الكلمات الزائدة، التى لا تقابلها كلمات و ألفاظ فى الأصل، و إنما زيدت فى الترجمة لغرض الإيفاء بتمام المعنى، فيضعها - مثلا - بين

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٣

قوسين. لكن يمسك عن تكرار ذلك كثيرا فى كلام واحد؛ لأنه يمل، و قد يسبب تشويش فهم المعانى.

٦- و أخيرا مقابلة الترجمة مع الأصل فى حضور هيئة ناظرة، تحكم بالمطابقة فى الآراء و الإيفاء.

أما الشروط التى يجب توفرها فى المترجم أو المترجمين؛ لتقع الترجمة مأمونه عن الخطأ و الخلل، فهى كما يلى:

١- أن يكون المترجم مضطعا بكلتا اللغتين: لغة الأصل و اللغة المترجم إليها.

عارفا بأدابهما و المزاي الكلامية التى تبتتها كلتا اللغتين، معرفة كاملة.

٢- أن يتناول المعنى المستفاد من كل آية، بمعونه التفاسير المعتمدة الموثوق بها، و لا يقتنع بما استظهره من الآية حسب فهمه العادى، و حسب معرفة أوضاع اللغة فحسب؛ إذ قد يكون دلائل و شواهد على إرادة غير الظاهر قد خفيت عليه، لو لا - مراجعته للمصادر التفسيرية المعتمدة.

٣- أن لا - يحمل ميلا - إلى عقيدة بذاتها، أو انحيازها إلى مذهب بخصوصه؛ لأنه حينذاك قد تجرفه رواسبه الذهنية التقليدية إلى منعطفات السبل الضالة، فتكون تلك ترجمة لعقيدة، و ليست ترجمة لمعانى القرآن.

٤- أن يترك الألفاظ المتشابهة كما هى، و يكتفى بتبديلها إلى مرادفاتها من تلك اللغة، فلا يتعرض لشرحها و بسط معانيها، فإن هذا الأخير من مهمة التفسير فقط.

٥- أن يترك فواتح السور على حالها؛ لأنها رموز يجب أن تبقى بألفاظها من غير تبديل و لا تفسير.

٦- أن يترك استعمال المصطلحات العلمية أو الفنية فى الترجمة؛ لأن مهمة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٤

المترجم إفراغ المعانى المستفاده إفراغه لغوية بحتة.

٧- أن لا - يتعرض للآراء و النظريات العلمية، فلا - يترجم الكلمات الواردة فى القرآن بمعانى اكتشفها العلم، بل يترجمها حسب الاستفادة اللغوية؛ لتكون التادية لغوية بحتة.

تلك شروط خاصة يجب توفرها فى كل مترجم يقوم بترجمة القرآن الكريم.

و هناك شروط عامة يجب مراعاتها فى ترجمة القرآن ترجمة رسمية، معترفا بها لدى جامعه المسلمين العامة، هى:

٨- أن تقوم هيئة أو لجنة متشكلة من علماء صالحين لذلك، و معروفين بسلامة الفكر و النظر و الاجتهاد، لأنّ الترجمة الفردية كالتفسير الفردية غير مأمونة عن الخطأ و الاشتباه كثيرا، و على الأقل يكون العمل الجماعي أبعد من الزلل مما يكون عملا فرديا؛ و لذلك يكون آمن و أحوط بالنسبة إلى كتاب الله العزيز الحميد.

و هذه الهيئة يجب أن تحمل تأييدا من قبل مقامات رسمية إسلامية، إما حكومات عادلة أو مراجع دينية عالية؛ ذلك لكي يتنفذ القرار تنفيذا رسميا قاطعا.

٩- أن يشترك مع اللجنة شخصيه أو شخصيات معروفة من اللغة المترجم إليها، لغرض التأكد من صحة الترجمة أولا، و ليطمئن إليها أصحاب تلك اللغة.

١٠- و الشرط الأخير- المتمم للعشر- أن توضع الترجمة مع الأصل، مصحوبا معها، فلا- يقدم إلى مختلف الأقوام و الملل، تراجم مجردة عن النص العربي الأصل.

و ذلك لغرض خطير، هو أن لا يلتبس على سائر الملل، فيحسبوا من الترجمة قرآنا هو كتاب المسلمين، لا، بل هي ترجمة محضه و ليست قرآنا، و إنما القرآن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٥

هو الأصل، و كانت الترجمة إلى جنبه توضيحا و تبيينا لمعانيه فحسب.

و بذلك نكون قد أمتنا على القرآن ضياعه، فلا- يضع كما ضاعت التوراه و الإنجيل من قبل؛ بتجريد تراجمهما عن النص الأصل، الأمر الذي يجب أن لا يتكرر بشأن هذا الكتاب السماوي الخالد إنا نحن نزلنا الذكر و إنا له لحافظون «١».

نماذج من تراجم خاطئة

لا- ريب أن كل عمل فردى قد يتحمل أخطاء لا يتحملها عمل جماعي، و من ثم وقع الكثير من الأفاضل في مآزق الانفراد فزلوا أو أخطئوا المقصود، هذا الإمام بدر الدين الزركشى، المضطلع باللغّه و الأدب، و كذا تلميذه جلال الدين السيوطى الخبير بمواضع الكلام، نراهما قد اشتبها في اشتقاق «هدنا» «٢»، فزعماه من: هدى يهدى «٣». مع العلم أنه من: هاد يهود!

لكن الزمخشري في تفسيره يقول: هدنا- بالضم-: فعلنا. من: هاده يهيده «٤».

و قال الراغب: اليهود: الرجوع برفق، و منه التهويد و هو مشى كالديب. و صار (١) الحجر/ ٩.

(٢) من قوله تعالى: وَ أَكْتُبْ لَنَا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَ فِي الْآخِرَةِ، إنا هُندنا إِلَيْكَ- الأعراف/ ١٥٦.

(٣) قال الزركشى (البرهان، ج ١، ص ١٠٣-١٠٤): فمنه الهدى سبعة عشر حرفا- إلى قوله- أو بمعنى التوبة: «إنا هُندنا إِلَيْكَ» أى تبنا:

و قال السيوطى (الإتقان، ج ٢، ص ١٢٢-١٢٣): من ذلك الهدى يأتى على سبعة عشر وجها- إلى قوله- و التوبة: «إنا هُندنا إِلَيْكَ»!

(٤) الكشاف، ج ٢، ص ١٦٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٦

«الهود» فى التعارف التوبة، قال تعالى: إنا هُندنا إِلَيْكَ أى تبنا «١».

و الأعجب اشتباه مثل الراغب، ذكر فى مادة (عنت) قوله تعالى: وَ عَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ «٢» أى ذلت و خضعت «٣»، فى حين أنه من (عنى) بمعنى العناء و هو ذل الاستسلام؛ و لذلك يقال للأسير: العانى. و قد غفل الراغب فذكره فى (عنى) أيضا. قال الطبرسى: أى خضعت و ذلت خضوع الأسير فى يد من قهره ... «٤»

فإذا كان مثل هؤلاء الأئمة الأعلام يزلون مغتبه انفرادهم فى المسيرة، فكيف بمن دونهم من ذوى الأقلام؟! هذا العلماء المعاصر «إلهى قمشاهى» مع اضطلاعهم بالأدب و العلوم الإسلامية، تراه لم يسلم- فى ترجمته الفارسية للقرآن الكريم- من ذلة الانفراد، فقد ترجم قوله

تعالى: فَاتَتْ بِهِ قَوْمَهَا تَحْمِلُهُ قَالُوا يَا مَرْيَمُ لَقَدْ جِئْتِ شَيْئًا فَرِيًّا «٥» بما يلي:

«أنگاه قوم مریم که به جانب او آمدند که از این مکان همراه ببرند گفتند...»

فحسب من القوم فاعلا، و أنهم أتوا مریم! كما حسب أن الضمير المنصوب في «تحمله» يعود إلى مریم، و أنهم أتوها ليحملوها معهم! في حين أن الآية تعني: «أن مریم عليها السلام هي التي أتت إلى القوم، في حال كونها تحمل الوليد المسيح عليه السلام على عكس ما زعمه المترجم. (١) المفردات، ص ٥٤٦.

(٢) طه / ١١١.

(٣) المفردات، ص ٣٤٩.

(٤) مجمع البيان، ج ٧، ص ٣١.

(٥) مریم / ٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٧

و هكذا ترجم قوله تعالى: وَ كُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ «١» إلى قوله:

«تو خود بر آن مردم گواه و ناظر اعمال بودی مادامی که من در میان آنها بودم!» و لم يلتفت إلى أن الضمير في «كنت» للمتكلم لا للمخاطب، فضلا عن تهافت المعنى على حسابه.

و ترجم قوله تعالى: فَيَوْمَئِذٍ لَا يُعَذِّبُ عَذَابُهُ أَحَدًا وَلَا يُوثِقُ وَثَاقَهُ أَحَدًا «٢»، إلى قوله: «و آن روز بمانند عذاب انسان کافر هیچ کس عذاب نکشد، و آن گونه جز انسان کافر، کسی به بند (هلاک) گرفتار نشود!» فحسب من «لا-يُعَذِّبُ» و «لا يُوثِقُ» مضارعا مبتدئا للمفعول، كما حسب من الضمير عوده إلى الإنسان المعذب و الموثق.

و هذه غفلة عجيبة في قراءة الآية القرآنية، لا يمكن إغفائها أبدا.

و قد جمع الدكتور السيد عبد الوهاب الطالقاني «٣» من ذلك لَمِيَّةً من تراجم قام بها أساتذة ذووا كفاءة راقية، فكيف بغير الأكفاء! و من التراجم الأجنبية، جاءت ترجمة «كازانوف» لكلمة «الأمي» -وصفا للنبي صلى الله عليه و آله و سلم بمعنى «الشعبي» مأخوذا من «الأمية» حسبما زعم. في حين أنه من «أم القرى» -اسما لمكة المكرمة- ليكون بمعنى «المكي»، أو نسبة إلى «الأم» كناية عن الذي لا يكتب و لا يقرأ.

و ترجم «كازيميرسكي» «اسجدوا» في قوله تعالى: (١) المائدة / ١١٧.

(٢) الفجر / ٢٤ - ٢٥.

(٣) نشر بعضها في مجلة (كيهان انديشه)، ع ٢٨، ص ٢٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٨

وَ إِذِ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ «١» بمعنى «اعبدوا لآدم»! في حين أنه بمعنى الخضوع التام لآدم عليه السلام أو جعله قبلة للسجود لله تعالى - كما عن بعض التفاسير -.

و ترجم «هواء» قوله تعالى: وَ أَفْتَدَتْهُمْ هَوَاءٌ «٢» بمعنى الهوى و الميل النفساني، في حين أنه بمعنى «الفارغة الجوفاء»! «٣». (١) البقرة / ٣٤.

(٢) إبراهيم / ١٤.

(٣) من رسالة «القرآن و الترجمة» ص ١١، للأستاذ عبد الرحيم محمد على النجفي.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٦٩

التفسير نشأته و تطوره في مراحل:

إشارة

أولاً- في عهد الرسالة.

ثانياً- في دور الصحابة ثالثاً- في دور التابعين رابعاً- دور أهل البيت في التفسير خامساً- التفسير في دور التدوين
التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧١

المرحلة الأولى التفسير في عهد الرسالة

إشارة

* النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم مفسراً! هل تناول القرآن كله بالتفسير؟
* حجم المأثور من تفاسيره! * أوجه بيانه لمعاني القرآن! * نماذج من تفاسيره!
التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٣

التفسير في نشأته الأولى (في عهد الرسالة)

قال تعالى: وَ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ. وَ هُدًى وَ رَحْمَةً وَ بُشْرَى لِّلْمُسْلِمِينَ «١».

إنّ في القرآن الكريم من أصول معارف الإسلام و شرائع أحكامه، الأسس الأولى التي لا غنى لأى مسلم يعيش على هدى القرآن و يستظل بظلّ الإسلام، أن يراجع دلالة الواضح و يتلمس حججه اللائحه، و إن أبهم عليه شيء فليستطرق أبواب أهل الذكر ممن نزل القرآن في بيوتهم، فيهدوه سواء السبيل.

نعم كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله و سلم هو المرجع الأول لفهم غوامض الآيات و حلّ مشاكلها، مدة حياته الكريمة؛ إذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ. قال تعالى: وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٢»، فكان (١) النحل / ٨٩.
(٢) النحل / ٤٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٤

دوره صَلَّى الله عليه وآله و سلم دور مرشد و معين، و كان الناس هم المكلفين بالتفكر في آيات الله و التماس حججه.
و قد تصدى النبي صَلَّى الله عليه وآله و سلم لتفصيل ما أجمل في القرآن إجمالاً، و بيان ما أبهم منه إمّا بيانا في أحاديثه الشريفة و سيرته الكريمة، أو تفصيلاً جاء في حلّ تشريعاته من فرائض و سنن و أحكام و آداب، كانت سنّته صَلَّى الله عليه وآله و سلم قولاً و عملاً و تقريراً، كان كلها بيانا و تفسيراً لمجملات الكتاب العزيز و حلّ مبهمات في التشريع و التسنين. فقد كان قوله صَلَّى الله عليه وآله و سلم: «صلّوا كما رأيتموني أصلى ..» شرحاً و بيانا لما جاء في القرآن، من قوله تعالى: فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ .. «١» و لقوله: إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا «٢» و كذا قوله صَلَّى الله عليه وآله و سلم: «خذوا عني مناسككم»
بيان و تفسير لقوله تعالى: وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ ... «٣»،
و هكذا فكلّ ما جاء في الشريعة من فروع أحكام العبادات و السنن و الفرائض، و أحكام المعاملات، و الأنظمة و السياسات، كل ذلك تفصيل لما أجمل في القرآن من تشريع و تكليف.
و هكذا كان الصحابة يستفهمونه كلّما تلا عليهم القرآن أو قرأهم آية أو آيات، كانوا لا يجوزونه حتى يستعلموا ما فيه من مرام و

مقاصد و أحكام؛ ليعملوا بها و يأخذوا بمعالمها.

أخرج ابن جرير بإسناده عن ابن مسعود، قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن و العمل بهن. و قال أبو عبد الرحمن (١) البقرة/ ٤٣.

(٢) النساء/ ١٠٣.

(٣) آل عمران/ ٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٥

السلمي: حدثنا الذين كانوا يقرءوننا، أنهم كانوا يستقروا من النبي صلى الله عليه و آله و سلم فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلفوها حتى يعملوا بما فيها من العمل، قال: فتعلمنا القرآن و العمل جميعا «١».

نعم، ربما كانوا يحتشمون هيبه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم فتحجبهم دون مساءلته، فكانوا يترصدون مجيء الأعراب المغتربين عن البلاد، ليسألوه عن مسائل، فيغتنموها فرصة كانوا يترقبونها.

قال على عليه السلام: و ليس كل أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان يسأله و يستفهمه، حتى كانوا ليحبون أن يجيء الأعرابي أو الطارئ فيسأله عليه السلام حتى يسمعوا... قال:

و كان لا يمر من ذلك شيء إلا سألت عنه و حفظته. «٢» و هكذا

حدث أبو أمامة ابن سهل بن حنيف «٣» قال: كان أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقولون: إن الله ينفعنا بالأعراب و مسائلهم، قال: أقبل أعرابي يوما فقال: يا رسول الله، لقد ذكر الله في القرآن شجرة مؤذية، و ما كنت أرى أن في الجنة شجرة تؤذى صاحبها! فقال رسول الله: و ما هي؟ قال: السدر، فإن لها شوكا.

فقال رسول الله: في سدر مخضود «٤» يخضد الله شوكه فيجعل مكان كل شوكه ثمرة، فإنها تنبت ثمرا، تفتق الثمرة معها عن اثنين و سبعين لونا، ما منها لون يشبه الآخر «٥». (١) تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٧-٢٨ و ص ٣٠.

(٢) المعيار و الموازنة للإسكافي، ص ٣٠٤.

(٣) اسمه أسعد، سماه بذلك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و دعا له و برك عليه توفي سنة (١٠٠) و هو ابن نيف و تسعين. (أسد الغابة، ج ٥، ص ١٣٩)

(٤) الواقعة/ ٢٨.

(٥) أخرجه الحاكم و صححه، المستدرک، ج ٢، ص ٤٧٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٦

و من ثم كان ابن مسعود يقول: و الله الذي لا إله غيره ما نزلت آية في كتاب الله إلا و أنا أعلم فيم نزلت و أين نزلت. و هكذا تواتر عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و تلميذه ابن عباس، و غيرهم من علماء الصحابة، حسبما يأتي في تراجمهم. «١»

هل تناول النبي القرآن كله بالبيان؟

عقد الأستاذ الذهبي بابا ذكر فيه الجدل بين فريقين، يرى أحدهما: أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قد بين لأصحابه معاني القرآن كله أفرادا و تركيبا. و يترأس هذا الفريق أحمد بن تيمية، كان يرى أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم بين جميع معاني القرآن كما بين ألفاظه؛ لقوله تعالى: لُتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ «٢» فإنه يشمل الألفاظ و المعاني جميعا. «٣»

و الفريق الثاني - و يترأسهم الخوي و السيوطي -: يرون أنه لم يبين سوى البعض القليل، و سكت عن البعض الآخر، ثم فرض لهم دلائل، أهمها ما أخرجه البرزاز عن عائشة، قالت: ما كان رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يفسر شيئا من القرآن إلا آيا بعدد، علمه

إياهن جبريل (٤).

و أسهب في النقض والإبرام، و أخيرا نسب كلّا من الفريقين إلى المغالاة، و اختار هو وسطا بين الرأيين - فيما حسب - و أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بَيْنَ الكَثِيرِ دُونَ الجَمِيعِ، وَ تَرَكَ مَا اسْتَأْثَرَ اللهُ بَعْلَمَهُ، وَ مَا يَعْلَمُهُ العُلَمَاءُ، وَ تَعْرِفُهُ العَرَبُ بِلِغَاتِهَا، (١) عِنْدَ الكَلَامِ عَنِ دَوْرِ الصَّحَابَةِ فِي التَّفْسِيرِ.

(٢) النحل / ٤٤.

(٣) راجع: مقدمته في أصول التفسير، ص ٥-٦.

(٤) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٦. و تفسير الطبري، ج ١، ص ٢٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٧

مما لا يعذر أحد في جهالته. قال: و بديهى أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لم يفسّر ما يرجع فهمه إلى معرفة كلام العرب، كما لم يفسّر ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة و حقيقة الروح، مما يجرى مجرى علم الغيوب التي لم يطلع الله عليها نبيه (١). قلت: لم أجد، كما لا أظن أحدا ذهب إلى أنّ النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لم يبيّن من معاني القرآن سوى البعض القليل و سكت عن الباقي (الكثير طبعاً)، بعد الذي قدّمنا، و بعد ذلك الخضمّ من تفاصيل الأحكام و التكاليف التي جاءت في الشريعة، و كانت تفسيراً و بياناً لما أبهم في القرآن من تشريعات جاءت مجملّة و بصورة كئيبة، فضلاً عمّا بيّنه الرسول و فضلاء صحابته و العلماء من أهل بيته، شرحاً لمعضلات القرآن و حلّاً لمشكلاته.

أمّا الذي نسبته إلى شمس الدين الخويّ (٢) و جلال الدين السيوطي، من ذهابهما إلى ذلك، فإنّ كلامهما ناظر إلى جانب المأثور من تفاسير الرسول، المنقول بالنصّ فإنه قليل (٣)، لو أغفلنا ما رويناه بالإسناد إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عن طرق أهل البيت الأئمة من عترته الطاهرة - صلوات الله عليهم - كما أغفله القوم، و إلّا فالواقع كثير و شامل، و لا سيما إذا ضمنا تفاصيل الشريعة (السنة الشريفة) إلى ذلك (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٥٣-٥٤.

(٢) هو أبو العباس أحمد بن خليل المهلبى الخويّ (٥٨٣-٦٣٧) صاحب الإمام الرازي و المتمم لتفسيره. ولد في خوى من أعمال آذربيجان، و تعلم بها و بخراسان، ثم ولي قضاء دمشق و توفى بها.

(٣) قال الخويّ: و أما القرآن فتفسيره على وجه القطع لا يعلم إلّا بأن يسمع من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ و ذلك متعذّر إلّا في آيات قلائل (الإتقان، ج ٤، ص ١٧١) و قال السيوطي - عند بيان مأخذ التفسير -: الذي صحّ من ذلك (المنقول عن النبيّ) قليل جداً.

(الإتقان، ج ٤، ص ١٨١)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٨

المنقول من التفسير الصريح.

و قد جعل السيوطي جلاً تفاصيل الشريعة الواردة في السنة تفسيراً حافلاً بمعاني القرآن و مقاصده الكريمة. و نقل عن الإمام الشافعي:

أن كل ما حكم به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ فهو مما فهمه من القرآن و بينه، و

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه

، يعنى السنة. و أخيراً نقل كلام ابن تيمية الأنف، و عقبه بالتأييد، بما أخرجه أحمد و ابن ماجه عن عمر، أنه قال: من آخر ما نزل آية الرّبّ، و أنّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قبض قبل أن يفسرها. قال السيوطي: دلّ فحوى الكلام على أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ كان يفسر لهم كل ما أنزل، و أنه إنما لم يفسر هذه الآية؛ لسرعة موته بعد نزولها، و إلّا لم يكن للتخصيص بها وجه. (١)

و أمّا حديث عائشة - لو صحح السند، و لم يصحح كما قالوا - (٢) فهو ناظر إلى جانب رعاية الترتيب في تفسير الآي، أعداداً فأعداداً، أو

حسب عدد الآي التي كان ينزل بها جبرائيل. وهذا يشير إلى نفس المعنى الذي روينا عن ابن مسعود و تلميذه السلمي، و قد نقله ابن تيمية نقلا بالمعنى. قال السلمي: حدّثنا الذين كانوا يقرءوننا القرآن، أنهم كانوا إذا تعلّموا من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ عشر آيات، لم يجاوزوها حتى يتعلموا ما فيها من العلم و العمل، قالوا: فتعلمنا القرآن و العلم و العمل جميعا «٣».

قال الخطيب: هذا أقدم نصّ تاريخي عرفنا به الطريقة التي كان يتعلم بها المسلمون الأوّلون، كانوا لا يعنون بالإكثار من العلم إلّا بعد إتقان ما يتعلّمونه منه، (١) الإتقان، ج ٤، ص ١٧٤ و ١٧٥ و ٢٥٨.

(٢) ذكروا أنه حديث منكر غريب، و الاستدلال به باطل. (التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٥٥)

(٣) راجع: رسالة الإكليل، المطبوعة ضمن المجموعة الثانية من رسائل ابن تيمية، ص ٣٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٧٩

و بعد العمل به «١».

و أما الوسط الذي اختاره، و أن الذي لم يبيّنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ من القرآن: هو ما استأثر الله بعلمه، كقيام الساعة، و حقيقة الروح، و ما يجري مجرى ذلك من الغيوب التي لم يطلع الله عليها نبيّه... «٢» فشيء غريب! إذ لم نجد في معاني القرآن ما استأثر الله بعلمه، و لو كان لكان الأجدر عدم إنزاله، و الكفّ عن جعله في متناول الناس عامّة. و قد تعرّض المفسرون لتفسير آي القرآن جميعا حتى الحروف المقطعة، فكيف يا ترى خفى عليهم أن لا يتعرضوا لما لا يريد الله بيانه للناس؟! إذن فالصحيح من الرأى هو: أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قد بين لأمته- و لأصحابه بالخصوص- جميع معاني القرآن الكريم، و شرح لهم جلّ مراميه و مقاصده الكريمة، إما بيانا بالنص، أو ببيان تفاصيل أصول الشريعة و فروعها، و لا سيما إذا ضمنا إليه ما ورد عن الأئمة من عترته، في بيان تفاصيل الشريعة و معاني القرآن، و الحمد لله.

حجم المأثور من تفاسير الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ

قد يستغرب البعض إذ يجد قلّة في التفسير المأثور عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بالنصّ! لكن، لا موضع للاستغراب بعد الذي قدّمنا؛ أوّلا- و فرّة الوسائل لفهم معاني القرآن حينذاك، ثانيا: جلّ بيانات الشريعة كانت تفسيراً لمبهمات القرآن و تفصيلاً لمجملاته. (١) هامش مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير، ص ٦.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٥٦ و ٥٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٠

نعم، كانت موارد السؤال و الإجابة عليه فيما يخصّ تفسير القرآن بالنصّ قليل، نظرا لعدم الحاجة إلى أكثر من ذلك حسبما عرفت. غير أن لهذا القليل من تفاسير الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ كثيرا في واقعه، قليلا في نقله و حكايته. فالمأثور منه قليل، لا أصله و منبعه الأصل.

قال جلال الدين السيوطي: الذي صحّ من ذلك قليل جدا، بل أصل المرفوع منه في غاية القلّة. و قد أنهاه في خاتمة كتاب الإتقان إلى ما يقرب من مائتين و خمسين حديثا في التفسير، مأثورا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ بالنص. «١»

و هذا عدد ضئيل جدا، لا- نسبة له مع عدد آي القرآن الكريم، و مواضع إبهامه الكثير، الأمر الذي دعا بابن حنبل أن ينكره رأسا، إلحاقا له بالعدم. قال: ثلاثة ليس لها أصول، أو لا أصل لها: المغازي، و الملاحم، و التفسير. قال بدر الدين الزركشي: قال المحققون من أصحابه: يعني أن الغالب أنها ليس لها أسانيد صحاح متصلة الإسناد، و إلّا فقد صحّ من ذلك كثير «٢». هذا مع أن ابن حنبل قد جعل السنّة برمتها تفسيرا للقرآن، و سنذكره.

فلو ضمنا سيرته الكريمة و سنّته في الشريعة، و أحاديثه الشريفة في أصول الدين و فروع و معارف الإسلام و دلائل الأحكام، لو

ضمنا ذلك كله إلى ذلك العدد القليل - في الظاهر - لأصبح التفسير المأثور عن عهد الرسالة - على مشرفها آلاف التحية و الثناء - في حجم كبير و في كمية ضخمة، كان الرصيد الأوفى للتفاسير الواردة في سائر العصور. (١) راجع: الإتيقان، ج ٤، ص ١٨٠ و ٢١٤ - ٢٥٧.

(٢) البرهان للزركشي، ج ٢، ص ١٥٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨١

أضف إلى ذلك ما ورد عن طريق أهل البيت عليهم السّلام من التفسير المأثور «١» المستند إلى جدّهم الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و هو عدد و فير، يضاف إلى ذلك الكثير الوارد عن غير طرقهم.

و بعد، فإنها تكون مجموعة كبيرة من التفسير المستند إلى صاحب الرسالة، لها شأن في عالم التفسير عبر القرون.

أوجه بيان النبي لمعاني القرآن

قد عرفت كلام السيوطي: إنّ السنّة بجنب القرآن شارحة له و موضحة له.

قال صلّى الله عليه و آله و سلّم: «ألا إني أوتيت القرآن و مثله معه»
يعني السنّة الشريفة «٢».

قال الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام: «إن الله أنزل على رسوله الصلاة و لم يسمّ لهم: ثلاثا و لا أربعا، حتى كان رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم هو الذي فسّر ذلك لهم.

و أنزل الحج فلم ينزل: طوفوا أسبوعا، حتى فسّر ذلك لهم رسول الله - و في رواية أخرى زيادة قوله - فنزلت عليه الزكاة فلم يسمّ الله: من كل أربعين درهما درهما، حتى كان رسول الله هو الذي فسّر ذلك لهم...» «٣».

و معنى ذلك أن الفرائض و السنن و الأحكام إنما جاءت في القرآن بصورة إجمال في أصل تشريعاتها، أمّا التفصيل و البيان فقد جاء في السنّة في تفاصيل (١) قام زميلنا الفاضل السيد محمد برهاني - نجل العلامة المحدث السيد هاشم البحراني صاحب تفسير البرهان - بجمع ما أسند إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم من التفسير، المروي عن طرق أهل البيت عليهم السّلام فبلغ لحدّ الآن حوالي أربعة آلاف حديث، و لا يزال يزيد، ما دام العمل مستمرا، وفقه الله.

(٢) الإتيقان، ج ٤، ص ١٧٤.

(٣) الكافي الشريف، ج ١، ص ٢٨٦. و العياشي، ج ١، ص ٢٤٩ - ٢٥١، رقم ١٦٩ و ١٧٠. و الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٤٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٢

الشريعة، التي بينها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم طيلة حياته الكريمة. فكانت السنّة إلى جنب القرآن تفسيرا لمواضع إجماله، و شارحة لمواضع إبهامه.

روى القرطبي بالإسناد إلى عمران بن حصين، أنه قال لرجل - كان يزعم كفاية الكتاب عن السنّة - إنك رجل أحمق، أ تجد الظهر في كتاب الله أربعا لا يجهر فيها بالقراءة! ثم عدّد عليه الصلاة و الزكاة و نحو هذا. ثم قال: أ تجد هذا في كتاب الله مفسّرا! إن كتاب الله تعالى أبهم هذا، و إنّ السنّة تفسّر هذا.

و عن حسان بن عطية قال: كان الوحي ينزل على رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و يحضره جبرئيل بالسنّة التي تفسّر ذلك. و عن مكحول قال: «القرآن أحوج إلى السنّة من القرآن»، و قال يحيى بن أبي كثير: «السنّة قاضية على الكتاب و ليس الكتاب

بقاض على السنّة»، قال الفضل بن زياد: سمعت أحمد بن حنبل - و سئل عن هذا الحديث الذي

روى أن «السنّة قاضية على الكتاب»

- فقال: ما أجسر على هذا أن أقوله، و لكنني أقول: إن السنّة تفسّر الكتاب و تبينه «١».

و بعد، فإن تبين مجملات القرآن، من تفاصيل واردة في السنّة، يمكن على وجوه:

الأول: ما ورد في القرآن بصورة تشريعات كليّة، لا تفصيل فيها و لا تبين عن شرائطها و أحكامها، فهذا يجب طلب تفاصيلها من السنّة، في أقوال الرسول و أفعاله و تقاريره، كما في قوله تعالى: «أَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَ آتُوا الزَّكَاةَ» (٢)، و قوله: (١) تفسير القرطبي - المقدمة - ج ١، ص ٣٩.

(٢) البقرة / ٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٣

وَ لِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ (١) و ما شابهه، من تكاليف عباديّة جاء تشريعها في القرآن بهذا الوجه الكلي. فلا بدّ لمعرفة أعداد الصلاة و ركعاتها و أفعالها و أذكارها و سائر شروطها و أحكامها «٢»، من مراجعة السنّة، و فيها البيان الوافي بجميع هذه التفاصيل، و هكذا مسألة الزكاة المفروضة و الحج الواجب.

و هكذا ما جاء في مختلف أبواب المعاملات، من قوله تعالى: «وَ أَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَ حَرَّمَ الرِّبَا» (٣) فإن للبيع الجائر أنواعا، و للربا أحكاما، ينبغي طلبها من السنّة، فهي التي تحدّد موضوع كل معاملة و تبين الشرائط التي فرضتها الشريعة في تفاصيل هذه المعاملات.

الوجه الثاني: عمومات ذوات تخصيص، جاء العام في القرآن و كانت موارد تخصيصه في السنّة. و هكذا مطلقات ذوات تقييد، جاء الإطلاق في القرآن و كان التقييد في السنّة. و لا شك أن التخصيص و كذا التقييد بيان للمراد الجدّي من العام و كذا من المطلق، و هذا الذي دلّ عليه العام في ظاهر عمومه و المطلق في ظاهر إطلاقه، إنما هو المعنى الاستعمالي المستند إلى الوضع أو دليل الحكمة. و الذي يكشف عن الجدّي في المراد هو الخاصّ الوارد بعد ذلك، و كذا القيد المتأخّر.

و هذا معروف في علم الأصول. (١) آل عمران / ٩٧.

(٢) مثلا- قوله تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا» (النساء / ١٠٣) ما هذا الوقت المحدّد للصلاة؟ فقد أحيل بيان ذلك إلى السنّة. و هكذا بيان الأوقات الخمسة التي جاءت الإشارة إليها إجماليا في قوله: «أَقِمِ الصَّلَاةَ لِذُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَ قُرْآنِ الْفَجْرِ ...» (الإسراء / ٧٨)

(٣) البقرة / ٢٧٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٤

و مثال الأول قوله تعالى: «وَ الْمُطَّلَقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ» (١) و هذا عام لمطلق المطلقات. و في السنّة تخصيص هذا الحكم بالمدخول بهنّ، أما غير المدخول بهنّ فلا اعتداد لهنّ. و كذلك قوله- بعد ذلك-: «وَ بَعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ مَخْصُوصًا بِالرَّجْعِيَّاتِ».

مثال الثاني: (تقييد المطلق)

قوله تعالى: «وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَ غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا» (٢) و قد تقيّد هذا الإطلاق بما إذا لم يتب، و كان قد قتله لإيمانه، كما رواه العياشي عن الإمام الصادق عليه السلام «٣». و

قوله تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَ لَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَ هُمْ يُهْتَدُونَ» (٤)؛ إذ ليس المراد مطلق الظلم، بل هو «الشرك» خاصّة. روى ذلك عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم «٥»

، و هكذا فسّر اليد (في القطع بالسرقة «٦») باليمين من مفصل الأصابع. و مثله جلد الزاني المتقيّد بغير المحصن.

و أيضا قوله تعالى: «مَنْ بَغَدَ وَصَبَّحَهُ يَوْمَئِذٍ يَوْمِي بِهَا أَوْ ذَيْنِ» (٧). فقد كان الميراث بعد إخراج ما أوصى به الميت و كذا دينه. فالدين مطلق، أما الوصية فقيّدت بما إذا لم تتجاوز ثلث التركة بعد وضع الدين. فهذا التقيّد تعرّضت له السنّة، و كان (١) البقرة / ٢٢٨.

(٢) النساء / ٩٣.

(٣) راجع: مجمع البيان للطبرسي، ج ٣، ص ٩٢-٩٣. و العياشي، ج ١، ص ٢٦٧.

(٤) الأنعام / ٨٢.

(٥) مجمع البيان، ج ٤، ص ٣٢٧.

(٦) الآية رقم ٣٨ من سورة المائدة.

(٧) النساء / ١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٥

قد أبهم في القرآن إبهاما.

الوجه الثالث: ما إذا ورد عنوان خاص في القرآن، و كان متعلقا لتكليف، أو قيادا في عبادة مثلا، و لكنه كان مصطلحا شرعيا من غير أن يكون مفهومه العام مرادا، فهذا أيضا مما يجب تبيينه من السنّة. و هذا في جميع المصطلحات الشرعية- أي الحقائق الشرعية على حدّ تعبيرهم- مما لم تكن لها سابقة في العرف العام.

و هذا كما في الصلاة و الزكاة و الحج و الجهاد و ما شاكل، إنها مصطلحات شرعية خاصة، «١» لا بدّ لمعرفة حقائقها و ماهياتها من مراجعة الشرية، كما كان يجب الرجوع إليها لمعرفة أحكامها و شرائطها؛ إذ ليست الصلاة مطلق الدعاء و المتابعة- كما هي في اللغة و العرف العام غير الإسلامي- بل عبادة خاصة ذات كيفية و أفعال و أذكار خاصة، أعلن بها الشرع الحنيف، و تصدّى لبيانه الرسول الكريم،

قال: «صلّوا كما رأيتموني أصلي».

و هكذا ليست الزكاة مطلق النمو، بل إنفاق خاص في كيفية خاصية، توجب تنمية المال بفضل الله تعالى إن وقعت عن صدق و إخلاص، الأمر الذي جاء تبيينه في السنّة الشريفة. و مثلها الحج ليس مطلق القصد، و كذا الجهاد ليس مطلق الاجتهاد و السعي، و هكذا ..

و كذلك موضوع الخطأ و العمد في القتل، تعرّضت السنّة لبيانها، و ليس مطلق ما يفهم من هذين اللفظين لغة أو في المتفاهم العام، فقد جاء في السنّة أن الخطأ محضا هو ما لم يكن المقتول مقصودا أصلا. أما إذا كان مقصودا و لكن (١) المقصود بالشرع: مطلق الشرائع الإلهية و ليس شرع الإسلام فحسب. نعم لم تكن هذه المفاهيم مما وضعه العرف العام و لا اللغة، و إنما هو أمر جاء به الشرع في مصطلحه الخاص.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٦

لم يقصد قتله- بأن لم يكن العمل الذي وقع عليه مما يقتل به غالبا- فوقع قتله اتفاقا، فهو شبه العمد. أما إذا كان مقصودا بالقتل فهو العمد محضا. فهذا التفصيل و البيان إنما تعرضت له السنّة تفسيريا لما أبهم في القرآن من بيان هذه المفاهيم.

الوجه الرابع: موضوعات تكليفية تعرّض لها القرآن من غير استيعاب و لا شمول؛ إذ لم يكن الاستقصاء مقصودا بالكلام، و إنما هو بيان أصل التشريع و ذكر جانب منه، مما كان موضع الابتلاء ذلك الحين و من ثم يبدو ناقصا غير مستقصى، و مجملا في الشمول و البيان.

أما الاستقصاء و الشمول فالسنّة الشريفة موردها، ففيها البيان و الكمال، كما لم تأت في القرآن شريعة (رجم المحسن) و إنما فصلته السنّة عن مطلق حكم الزاني الوارد في القرآن.

و مثل أحكام الخطأ و العمد في القتل لم يتعرّض لها القرآن باستيعاب؛ إذ هناك خطأ محض، و شبه العمد، و العمد المحض. ليرتب على الأول أنّ الدية على العاقلة، و على الثاني كانت الدية على القاتل، و في الثالث كان تشريع القصاص هو الأصل إلّا إذا رضى الأولياء بالدية أو العفو.

فهذا الاستيعاب و الاستقصاء إنما تعرضت له السنّة، فأكملت بيان القرآن و رفعت من إبهامه، في هذا الجانب الذي كان يبدو مجملا لو كان بصدد البيان و لم يكن أصل التشريع مقصودا فقط.

الوجه الخامس: بيان الناسخ من المنسوخ في أحكام القرآن؛ إذ في القرآن أحكام أوليّة منسوخة، و أحكام آخر هي ناسخة نزلت متأخرا؛ فلتمييز الناسخ من المنسوخ لا بدّ من مراجعة السنّة. أما القرآن ذاته فلا تمييز فيه بين ناسخه و منسوخه، و لا سيّما و الترتيب الراهن بين الآيات و السور قد تغير عمّا كان عليه النزول في البعض على الأقل. إذن لم يبق لمعرفة وجه التمايز بين الحكم المنسوخ التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٧

و الحكم الناسخ إلّا مراجعة نصوص الشريعة. و من ثم

قال مولانا أمير المؤمنين عليه السلام لقاض مرّ عليه بالكوفة: أ تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فهاب الإمام و أجاب بالنفي! فقال له الإمام: إذن هلكت و أهلكت. «١» فمن ذلك قوله تعالى- بشأن المتوفى عنها زوجها-: وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنْكُمْ وَيَذُرُونَ أَزْوَاجًا، وَصِيَّةٌ لِّأَزْوَاجِهِمْ مَتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرِ إِخْرَاجٍ «٢» كانت الشريعة في البدء أن المرأة المتوفى عنها زوجها لا ميراث لها سوى الإمتاع في التركة حولا كاملا، و كان ذلك عدتها أيضا. لكنها نسخت بآية المواريث «٣» و بآية التبرص أربعة أشهر و عشرة «٤» (و آية التبرص الناسخة مثبتة في سورة البقرة قبل آية الحول المنسوخة) هكذا ورد في الحديث عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام «٥».

و من ذلك أيضا آية جزاء الفحشاء، فما في سورة النساء (١٥-١٦) منسوخة بشريعة الجلد (سورة النور/ ٢) و الرجم، هكذا ورد عن الإمام الصادق عليه السلام «٦».

و نظير ذلك كثير، و لا سيّما إذا عمّنا النسخ ليشمل التخصيص و الاستثناء و سائر القيود أيضا، و قد كان معهودا ذلك الحين. (١) تفسير العياشي، ج ١، ص ١٢، رقم ٩. و الإتقان، ج ٢، (ط ١)، ص ٢٠.

(٢) البقرة/ ٢٤٠.

(٣) النساء/ ١٢.

(٤) البقرة/ ٢٣٤.

(٥) راجع: بحار الأنوار، ج ٩٣، ص ٦. و الصافي، ج ١، ص ٢٠٤.

(٦) العياشي، ج ١، ص ٢٢٧-٢٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٨

نماذج من تفاسير مأثورة عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم

قلنا: إن الصحابة كانوا في غنى- في الأغلب- عن مساءلة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بشأن معاني القرآن، أو كانوا يحتشمون سؤاله، لما كان القرآن قد نزل بلغتهم و في مناسبات كانوا هم حضور مشهدها. و أحيانا إذا كان إبهام في وجه آية، أو خفى المراد من سياقها، كانوا يراجعونه لا محالة، و في الأكثر كانوا يترصدون أسئلة الأعراب أو الطارئین فيتبادرون إلى تفهم ما يجرى بينهم و بين الرسول بشأن معاني القرآن، حتى قالوا: إن الله ينفعنا بالأعراب و مسائلهم. «١»

و بعد فقد جمع من هذا و ذاك حشد كبير من تفاسير مأثورة عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم رواها أئمة الحديث في أمهات الجوامع الحديثية المعروفة.

و الأكثر سؤالا إنما وقع عن مرادات القرآن، بعد وضوح الكلمة في مفهومها اللغوي؛ حيث ظاهر اللفظ ينبئ عن شيء، لكن المراد غير هذا الظاهر المفهوم حسب دلالة الوضع، أو يشك في إرادة هذا الظاهر، لقرائن حاليّة أو مقاليّة، تبعث على السؤال عن المراد الواقعي.

* فقد سئل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ «السَّائِحِينَ» فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ» (٢)، فَقَالَ: هُمُ الصَّائِمُونَ (٣). فَلَا غَمُوضَ فِي مَعْنَى السَّيَاحَةِ، وَ لَكِن أَى مَصَادِيقِ السَّيَاحَةِ مَقْصُودَةٌ هُنَا؟ وَ لَعَلَّ هُنَا اسْتِعَارَةٌ جَاءَتْ لِأَمْرٍ مَعْنَوِيٍّ، مِمَّا يَدْعُو إِلَى السُّؤَالِ عَنْهُ وَ مَرَاجَعَةُ أَهْلِ الذِّكْرِ. قَالَ الطَّبْرَسِيُّ: السَّائِحُ مِنْ: سَاحَ فِي الْأَرْضِ يَسِيحُ سَيْحًا، إِذَا اسْتَمَرَ فِي الذَّهَابِ، وَ مِنْهُ (١) سَبَقَ ذَلِكَ فِي أَوَّلِ الْفَصْلِ.

(٢) التوبة/ ١١٢.

(٣) المستدرک، ج ٢، ص ٣٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٨٩

السيح للماء الجاري، و من ذلك يسمّى الصائم سائحًا، لاستمراره على الطاعة في ترك المشتهى. قال: و روى عن النبي أنه قال: «سباحة أمتي الصيام» (١).

* و

سئل عن الاستطاعة في قوله تعالى: «وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتِطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا» (٢) قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الزاد و الراحلة» (٣). فَإِنَّ مَفْهُومَ الاسْتِطَاعَةِ عَامٌ يَشْمَلُ أَى نَحْوٍ مِنَ الاسْتِطَاعَةِ وَ بِأَى وَسِيلَةٍ مَقْدُورَةٌ وَ كَانَتْ بِالْإِمْكَانِ، غَيْرَ أَنَّ هَذَا غَيْرَ الْمُرَادِ بِالْاسْتِطَاعَةِ إِلَى الْحِجِّ الْوَاجِبِ، فَبَيَّنَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنَّهُ الْقُدْرَةُ عَلَى الزَّادِ وَ الرَّاحِلَةِ، إِنْ كَانَ ذَلِكَ يَوْسَعُهُ مِنْ غَيْرِ تَكْلُفٍ. وَ هَذَا كِنَايَةٌ عَنِ الاسْتِطَاعَةِ الْمَالِيَّةِ، كَمَا فَهَمَهُ الْفُقَهَاءُ رِضْوَانُ اللهِ عَلَيْهِمُ.

* و هكذا

لَمَّا سَأَلْتَهُ عَائِشَةُ عَنِ الْكُفُوفِ الْوَاجِبَةِ فِي كَفَّارَةِ الْإِيمَانِ، فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَكَفَّارَتُهُ إِطْعَامُ عَشْرَةِ مَسَاكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعَمُونَ أَهْلِيكُمْ، أَوْ كِسْوَتُهُمْ» (٤) أَجَابَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «عِبَاءَةٌ لِكُلِّ مَسْكِينٍ» (٥).

* و

سأله رجل من هذيل عن قوله تعالى: «وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ» (٦) قَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَنْ تَرَكَهُ فَقَدْ كَفَرَ! نَظَرْنَا لِأَنَّ هَذَا الْعِنَاوَانَ «مَنْ كَفَرَ» أَطْلَقَ عَلَى مَنْ تَرَكَ الْحِجَّ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ تَرَكَهُ لَا يَخَافُ عِقُوبَتَهُ وَ لَا يَرْجُو مَثُوبَتَهُ» (٧) كِنَايَةٌ عَمَّنْ تَرَكَهُ جُحُودًا لَا يُؤْمِنُ بِعَاقِبَتِهِ، فَهَذَا كَافِرٌ بِالْمَعَادِ وَ بِيَوْمِ الْجَزَاءِ (١) مَجْمَعُ الْبَيَانِ، ج ٥، ص ٧٥ وَ ٧٦.

(٢) آل عمران/ ٩٧.

(٣) الإتيقان، ج ٤، ص ٢١٨.

(٤) المائدة/ ٨٩.

(٥) الإتيقان، ج ٤، ص ٢٢١.

(٦) آل عمران/ ٩٧.

(٧) الإتيقان، ج ٤، ص ٢١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٠

و الحساب، الأمر الذي يعود إلى إنكار ضروري للدين و إنكار الشريعة رأسًا، أما الذي تركه لا عن نكران فهو فاسق عاص و ليس بكافر جاحد.

و هكذا

روى عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام حينما سأله أخوه علي بن جعفر:

من لم يحجّ منّا فقد كفر؟! قال: لا، و لكن من قال: ليس هذا هكذا فقد كفر (١).

* و

سئل عن قوله تعالى: «كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِبِينَ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ» (٢)، ما معنى «عضين»؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «آمَنُوا بِبَعْضٍ وَكَفَرُوا بِبَعْضٍ» (٣). فالآية الكريمة إنكار على الذين فرّقوا بين أجزاء القرآن. الأمر يثير السؤال عن المراد من هذه التجزئة المستنكرة؟ و من ثمّ كان الجواب: إنها التفرقة في الإيمان بالبعض و الكفر بالبعض.

* و

سئل عن قوله تعالى: «فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صِدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ» (٤)، كيف يشرح صدره؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «نور يقذف به فينشرح له و ينفسح!» قالوا: فهل لذلك من أمارة يعرف بها؟ قال: «الإنبابة إلى دار الخلود، و التجافى عن دار الغرور، و الاستعداد للموت قبل لقاء الموت» (٥).

* و

سأله عبادة بن الصامت (٦) عن قوله تعالى: (١) الصافي - الفيض الكاشاني - ج ١، ص ٢٨٢.
(٢) الحجر / ٩١.

(٣) الإتقان، ج ٤، ص ٢٣٤. عضون: جمع عضه بمعنى عضو، كقولهم: ثبه و ظبه، و الجمع: ثبون و ظبون.
و معنى العضين: جعله عضوا عضوا، أى فى أجزاء متفرقة كالتعضية، بمعنى التفرقة، فهو تجزئة الأعضاء.

(٤) الأنعام / ١٢٥.

(٥) الإتقان، ج ٤، ص ٢٢٢.

(٦) كان ممن جمع القرآن على عهده صلى الله عليه و آله و سلم و كان يعلم أهل الصفة القرآن و شهد المشاهد كلها مع التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩١

لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَ فِي الْآخِرَةِ (١)، ما ذا تكون تلك البشارة؟ قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل، أو ترى له» (٢).

و

روى الكليني فى الكافي و الصدوق فى الفقيه بإسنادهما عن النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «البشرى فى الحياة الدنيا هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن فيبشر بها فى دنياه».

و

زاد فى الفقيه: «و أما قوله: فى الآخرة، فإنها بشارة المؤمن عند الموت، يبشر بها عند موته: أن الله عزّ و جلّ قد غفر لك و لمن يحملك إلى قبرك...».

و قال على بن إبراهيم القمي: و فى الآخرة عند الموت، و هو قوله تعالى: الَّذِينَ تَتَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٣).

* و

سئل عن قوله تعالى: الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَى وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا (٤) كيف يحشر أهل النار على وجوههم؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم» (٥).

و بهذا المعنى آية أخرى أوضحت الحشر على الوجوه بالسحب على وجوههم، قال تعالى: يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ، ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ (٦)، و قوله: وَ نَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمِيًّا وَ بُكْمًا وَ صُمًّا (٧). رسول الله. و استعمله النبى على بعض الصدقات، و كان نقيبا فى الأنصار. كان طويلا جسيما جميلا.

توفى سنة ٧٢.

(١) يونس / ٦٤.

(٢) المستدرک، ج ٢، ص ٣٤٠.

(٣) النحل / ٣٢؛ تفسير الصافي، ج ١، ص ٧٥٨.

(٤) الفرقان / ٣٤.

(٥) المستدرک، ج ٢، ص ٤٠٢.

(٦) القمر / ٤٨.

(٧) الإسراء / ٩٧.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٢

* و

أخرج الحاكم بإسناده إلى الأصبح بن نباتة- وقال: إنه أحسن الروايات في هذا الباب- عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، قال: لما نزلت الآية فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ «١» قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: يا جبرئيل، ما هذه النحية التي أمرني بها ربي؟ قال: إنها ليست بنحية، و لكنه يأمرك إذا تحزمت للصلاة أن ترفع يديك إذا كبرت و إذا ركعت و إذا رفعت رأسك من الركوع؛

فإنها صلاتنا و صلاة الملائكة الذين في السماوات السبع «٢». و

في رواية أخرى زيادة قوله: إن لكل شيء زينة، و زينة الصلاة رفع الأيدي.

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: رفع الأيدي من الاستكانة التي قال الله- عزَّ و جلَّ-: فَمَا اسْتَكَانُوا لِربِّهِمْ وَ مَا يَتَضَرَّعُونَ «٣».

* و سألت أم هانئ (بنت أبي طالب) عن المنكر الذي كان قوم لوط يأتونه في ناديهم؛ حيث قوله تعالى: وَ تَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ الْمُنْكَرَ

«٤»؟

فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كانوا يخذفون أهل الطريق و يسخرون» «٥».

و لعل هذا كان بعض أعمالهم المنكرة، ففي المجمع: كانت مجالسهم تشتمل على أنواع من المناكير و القبائح، مثل الشتم و السخف و الصفع و القمار، و ضرب المخارق و خذف الأحجار على المازين و ضرب المعازف و المزامير، و كشف العورات و اللواط، و قيل:

كانوا يتضارطون من غير حشمة و لا حياء «٦». (١) الكوثر / ٢.

(٢) المستدرک، ج ٢، ص ٥٣٢.

(٣) المؤمنون / ٧٦. المستدرک، ج ٢، ص ٥٣٨.

(٤) العنكبوت / ٢٩.

(٥) المستدرک، ج ٢، ص ٤٠٩.

(٦) مجمع البيان للطبرسي، ج ٨، ص ٢٨٠.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٣

* و ربما سأله عن عموم حكم و شموله لبعض ما اشتبه عليهم أمره،

فقد سأله جرير بن عبد الله الجبلي «١» عن نظرة الفجأة، و قد قال تعالى: قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ .. «٢»، فهل يشمل عموم

الأمر بالغض لما إذا كانت النظرة فجأة، و هي غير إرادية؟

قال جرير: فأمرني صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن أصرف بصري «٣»، أي لا يداوم في النظرة، و يصرف ببصره من فوره.

* و

عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: جاء رجل إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسأله عن أمر اليتامى؛ حيث قوله تعالى: وَآتُوا الْيَتَامَىٰ أَمْوَالَهُمْ وَلَا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَهُمْ إِلَىٰ أَمْوَالِكُمْ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا إِلَىٰ قَوْلِهِ: وَلَا تَأْكُلُوا إِشْرَافًا وَبِدَارًا أَنْ يَكْبَرُوا، وَمَنْ كَانَ عَنِيًّا فَلْيَسِتْ تَعْفُفًا، وَمَنْ كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِالْمَعْرُوفِ «٤» فقال: يا رسول الله، إن أخي هلك و ترك أيتاما و لهم ماشية، فما يحل لي منها؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إن كنت تليط حوضها، و ترد ناديتها، و تقوم على رعيتها، فاشرب من ألبانها، غير مجتهد و لا ضار بالولد، و الله يعلم المفسد من المصلح «٥». إشارة إلى قوله تعالى: (١) أسلم قبل وفاة النبي بأربعين يوما. كان سيد قومه و جيتها حسن الصورة و كان يلقب بيوسف هذه الأمة. و لما دخل على النبي رحب به و أكرمه، و قال: إذا أتاكم كريم قوم فأكرموه. و بعثه في مائة و خمسين فارسا إلى ذى الخلصة ليهدم بيت صنم كان هناك لخنعم، و دعا له، و قال: اللهم اجعله هاديا مهديا . توفي سنة ٥١.

(٢) النور / ٣٠.

(٣) المستدرک، ج ٢، ص ٣٩٦.

(٤) النساء / ٢ و ٦. و الحوب: الإثم.

(٥) العياشي، ج ١، ص ١٠٧، رقم ٣٢١. لاط الحوض: مدره لثلا ينشف الماء. و النادية: النوق

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٤

وَيَسْتَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَىٰ قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ وَإِنْ تُخَالِطُوهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ الْمُفْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ ... «١».

و أحيانا كانت الأسئلة لغوية، على ما أسبقنا أن القرآن أخذ من لغات القبائل كلها، و ربما كانت اللفظة المتداولة في قبيلة، غير معروفة عند الآخرين.

* من ذلك ما

سأله قطبة بن مالك الذيباني «٢» عن معنى «البسوق» من قوله تعالى: وَ النَّخْلَ بِاسِقَاتٍ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ «٣» قال: ما بسوقها؟ فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: طولها «٤». قال الراغب: باسقات، أى طويلات. و الباسق هو الذاهب طولاً من جهة الارتفاع، و منه بسق فلان على أصحابه: علاهم.

* و

سأله عبد الله بن عمرو بن العاص عن الصور في قوله تعالى: وَ نَفِخَ فِي الصُّورِ، «٥» قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: هو قرن ينفخ فيه «٦».

* و

عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قوله تعالى: فَتَقَعِدَ مَلُومًا مَحْسُورًا «٧»- الإحسار: الإقتار. «٨» الحسر: كشف الملابس عما عليه. و الحاسر: من لا درع له و لا مغفر. و ناقة المتفرقة.

(١) البقرة / ٢٢٠.

(٢) كان من الصحابة الذين سكنوا الكوفة. روى عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و عن زيد بن أرقم و غيره.

(٣) ق / ١٠.

(٤) المستدرک، ج ٢، ص ٤٦٤.

(٥) الزمر / ٦٨.

(٦) المستدرک، ج ٢، ص ٤٣٦.

(٧) الإسراء / ٢٩.

(٨) تفسير العياشي، ج ٢، ص ٢٨٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٥

حسير: انحسر عنها اللحم و القوة. و الحاسر: المعيا، لانكشاف قواه.

إذن فالمحسور: من افتقد أسباب المعيشة التي أهمها المال، و ليس من الحسرة كما توهم، فصحّ تفسير المحسور بالمقتر؛ لأنّ القتر فقد النفقة أو تقليلها، و المقتر: الفقير.

و ربما كانت الآية شديدة الوطأة، قد تجعل المسلمين في قلق، لو لا مراجعته صلّى الله عليه و آله و سلّم ليفسّر لها لهم بما يرفع عنهم ألم اليأس و قلق الاضطراب.

من ذلك ما

رواه محمد بن مسلم عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لما نزلت الآية: مَنْ يَعْمَلْ سُوءًا يُجْزَ بِهِ «١»، قال بعض أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم:

ما أشدها من آية! فقال لهم رسول الله: أما تبتلون في أموالكم و أنفسكم و ذراريتكم؟ قالوا: بلى، قال: هذا مما يكتب الله لكم به الحسنات و يمحو به السيئات «٢».

* و

سئل فيما النجاة غدا؟ فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: «النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم، فإنه من يخادع الله يخدعه و يخلع منه الإيمان، و نفسه يخدع لو يشعر».

فقيل: كيف يخادع الله؟ قال: «يعمل بما أمره الله ثم يريد به غيره، فاتّقوا الله فاجتنبوا الرياء فإنه شرك بالله». «٣»، و ذلك قوله تعالى: إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَ هُوَ خَادِعُهُمْ وَ إِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلَاةِ قَامُوا كُسَالَى يُرَآؤُنَ النَّاسَ. «٤»

(١) النساء/ ١٢٣.

(٢) تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٧٧. رقم ٢٧٨.

(٣) تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٨٣، رقم ٢٩٥.

(٤) النساء/ ١٤٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٦

* و

لما نزلت الآية: وَ إِن تَوَلَّوْا يَسْتَبَدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ «١» قالوا: يا رسول الله، من هؤلاء الذين إذا تولّينا استبدلوا بنا؟! - و سلمان إلى جنبه- فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: هم الفرس، هذا و قومه

و .

في رواية الطبري: فضرب على منكب سلمان و قال: من هذا و قومه. و الذى نفسى بيده لو أن الدين تعلّق بالثريا لثالته رجال من أهل فارس

و .

في رواية البيهقي: لو كان الإيمان منوطا بالثريا لتناوله رجال من فارس «٢». * و ربما سأله صلّى الله عليه و آله و سلّم عن غير الأحكام مما جاء ذكره في القرآن إجمالاً، ليعثهم حب الاستطلاع على السؤال عنه. من ذلك

سؤال فروة بن مسيك المرادى «٣» عن «سبأ»: رجل أو امرأة أم أرض؟ فقال صلّى الله عليه و آله و سلّم: هو رجل ولد عشرة من الولد، ستة من ولده باليمن، و أربعة بالشام. فأما اليمانيون فمذحج و كندة و الأزدي و الأشعريون و أنمار و حمير، خير كلها، و أما الشاميون

فلخم و جذام و عاملة و غسان. «٤»

(١) محمد / ٣٨.

(٢) راجع: المستدرک للحاکم، ج ٢، ص ٤٥٨. و الطبری فی التفسیر، ج ٢٦، ص ٤٢. و الدر المنثور، ج ٦، ص ٦٧.

(٣) قدم على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم سنة عشر فأسلم، فبعثه على مراد و زبيد و مذحج.

قال ابن إسحاق: فلما انتهى إلى رسول الله، قال له- فيما بلغنا-: يا فروة، هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟ قال: يا رسول الله، و

من ذا الذي يصيب قومه ما أصاب قومي يوم الردم و لا يسوؤه؟! فقال صلى الله عليه و آله و سلم:

أما إن ذلك لم يزد قومك في الإسلام إلا خيرا. (أسد الغابة، ج ٤، ص ١٨٠) (٤) المستدرک، ج ٢، ص ٤٢٣-٤٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٧

قال الطبرسي: سبأ، هو أبو عرب اليمن كلها، و قد تسمى به القبيلة «١»، و هو الظاهر من عود ضمير العقلاء إليهم في قوله تعالى: لَقَدْ

كَانَ لِسَبَأٍ فِي مَسْكَنِهِمْ آيَةٌ، جَنَّاتٍ عَنْ يَمِينٍ وَ شِمَالٍ، كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ، وَ اشْكُرُوا لَهُ. بَلَدَةٌ طَيِّبَةٌ وَ رَبُّ غَفُورٌ «٢».

* و

سأله أبو هريرة عن قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ «٣»، قال: أنبئني عن «كل شيء»؟ قال صلى الله عليه و آله و سلم: «كل

شيء خلق من الماء» «٤»، بمعنى أن الماء أصل الحياة، حيوانا كان أم نباتا

و .

ورد في الحديث: أول ما خلق الله الماء. «٥» * و أحيانا كان صلى الله عليه و آله و سلم يتصدى لتفسير آية أو آيات لغرض العظة أو

الاعتبار، كالذي

رواه أبو سعيد الخدري «٦» عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في قوله تعالى: تَلْفُحٌ وَ جُوهَهُمُ النَّارُ وَ هُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ «٧» قال

صلى الله عليه و آله و سلم: تشويها النار فتقلص شفاها العليا حتى تبلغ وسط الرءوس، و تسترخي شفاها السفلى حتى تبلغ الأسرّة.

(١) مجمع البيان، ج ٨، ص ٣٨٦.

(٢) سورة سبأ / ١٥.

(٣) الأنبياء / ٣٠.

(٤) الإتقان، ج ٤، ص ٢٣٨.

(٥) كتاب التوحيد، للصدوق، ص ٦٧، رقم ٨٢.

(٦) هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري. كان من الحفاظ للحديث المكثرين، و من العلماء الفضلاء النبلاء. غزا مع رسول الله صلى

الله عليه و آله و سلم و هو ابن خمس عشرة سنة، مات سنة ٧٤. (أسد الغابة، ج ٢، ص ٢٨٩ و ج ٥، ص ٢١١)

(٧) المؤمنون / ١٠٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٨

أخرجه الحاكم

، و قال: صحيح الإسناد «١».

* و

عن أبي هريرة، قال: قرأ النبي صلى الله عليه و آله و سلم: يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ثم قال:

أ تدرؤن ما أخبارها؟ قالوا: الله و رسوله أعلم! قال: أن تشهد على كل عبد و أمه بما عمل على ظهرها، تقول: عمل كذا و كذا في يوم

كذا و كذا «٢».

* و

عن أبي الدرداء «٣» قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قرأ: ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا، فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ يُؤْتِنُ اللَّهُ، ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ، جَنَّتْ عَدْنٌ يَدْخُلُونَهَا .. «٤» ثم قال: «السابق والمقتصد يدخلان الجنة غير حساب، والظالم لنفسه يحاسب حسابا يسيرا ثم يدخل الجنة» «٥».

* وهكذا

روى عمران بن حصين «٦» قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يحدثنا عامه ليله عن بنى إسرائيل، لا يقوم إلا لعظيم صلاة «٧».

(١) المستدرک، ج ٢، ص ٣٩٥.

(٢) المستدرک، ج ٢، ص ٥٣٢.

(٣) هو عويمر بن مالك بن زيد. كان من أفاضل الصحابة و فقهاءهم و حكمائهم، و كان مشاهده الخندق. مات سنة ٣٢.

(٤) فاطر / ٣٢.

(٥) المستدرک، ج ٢، ص ٤٢٦.

(٦) أسلم عام خيبر، و غزا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم غزوات. بعثه عمر على البصرة ليفقه أهلها و يتولى قضاءها. فاستعفى بعد قليل عن ولاية القضاء، و كان من فضلاء الصحابة، و لم يكن بالبصرة من يفضل عليه. ابتلى بمرض الاستسقاء و دام به المرض ثلاثين يوما، و هو مسجى على سريره. توفى سنة ٥٢. (أسد الغابة، ج ٤، ص ١٣٧).

(٧) المستدرک، ج ٢، ص ٣٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ١٩٩

و لعله ذات ليلة أو ليالي معدودة كانت معهودة.

هذا غيظ من فيض و رشف من رشح، فاضت به ينبوع الحكمة و مهبط الوحي الكريم، و لا زالت بركاته متواصله عبر الخلود.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠١

المرحلة الثانية التفسير في دور الصحابة

إشارة

* هم درجات عند الله * المفسرون من الصحابة * أعلم الصحابة بمعاني القرآن * قيمة تفسير الصحابي * ميزات تفاسير الصحابة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٣

التفسير في دور الصحابة

هم درجات عند الله

قال تعالى: نَزَّعَ دَرَجَاتٍ مِّنْ نَّشَأٍ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ «١».

لا شك أن الصحابة، ممن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ «٢» كانوا هم مراجع الأئمة بعد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إذ كانوا حاملى لوائه و مصادر شريعته إلى الملاء، ليس يعدل عنهم إلى الأبد.

نعم كانوا على درجات من العلم و الفضيلة حسبما أتوا من فهم و ذكاء و سائر المواهب و الاستعداد أنزلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ

أُودِيَتْ بِقَدْرِهَا «٣»، يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَ مَنْ يُؤْتِ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا «٤». (١) يوسف / ٧٦.

(٢) التوبة / ١٠٠.

(٣) الرعد / ١٧.

(٤) البقرة / ٢٦٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٤

قال مسروق بن الأجدع الهمداني «١»: جالست أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمْ فوجدتهم كالإخاذه - يعني الغدير من الماء - فالإخاذه يروى الرجل، و الإخاذه يروى الرجلين، و الإخاذه يروى العشرة، و الإخاذه يروى المائة، و الإخاذه لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم «٢».

و في لفظ ابن الأثير: تكفى الإخاذه الراكب، و تكفى الإخاذه الراكبين، و تكفى الإخاذه الفئام من الناس. قال: و الإخاذه ككتاب: مصنع للماء يجتمع فيه. و الفئام: الجماعة الكثيرة «٣».

و يعنى بالأخير (لأصدرهم) الإمام أمير المؤمنين، عليه صلوات المصلين؛ حيث كان - سلام الله عليه - ينحدر عنه السيل و لا يرقى إليه الطير. «٤» قال مسروق:

«انتهى العلم إلى ثلاثة: عالم بالمدينة علي بن أبي طالب، و عالم بالعراق عبد الله ابن مسعود، و عالم بالشام أبي الدرداء، فإذا التقوا سأل عالم الشام و عالم العراق عالم المدينة و هو لم يسألهم» «٥».

قال الأستاذ محمد حسين الذهبي: الحق أن الصحابة كانوا يتفاوتون في القدرة على فهم القرآن و بيان معانيه المرادة منه؛ و ذلك راجع إلى اختلافهم في أدوات الفهم. فقد كانوا يتفاوتون في العلم بلغتهم، فمنهم الواسع الاطلاع الملم بغريبها (كعبد الله بن عباس)، و منهم دون ذلك، و منهم من لازم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمْ (١) كان من التابعين، فقيه عابد. قال الشعبي: ما رأيت أطلب منه للعلم. كان معلماً و مقرئاً و مفتياً.

صحب عليا عليه السلام و لم يتخلف عن حروبه. توفي سنة ٦٢، و له من العمر ٦٣ سنة.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٦.

(٣) النهاية، ج ١، ص ٢٨.

(٤) راجع: الخطبة الشقشقية من نهج البلاغة، رقم ٣.

(٥) راجع: تاريخ دمشق لابن عساكر، ترجمة الإمام علي بن أبي طالب، ج ٣، ص ٥١، رقم ١٠٨٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٥

فعرّف من أسباب النزول ما لم يعرفه غيره (كعلي بن أبي طالب عليه السلام) أضف إلى ذلك أن الصحابة لم يكونوا في درجتهم العلمية و مواهبهم العقلية سواء، بل كانوا مختلفين في ذلك اختلافا عظيما «١».

هذا

عدى بن حاتم «٢»، العربي الصميم، حسب من قوله تعالى: وَ كُلُّوا وَ اشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ... «٣» أنه تمايز أحد خيطين: أبيض و آخر أسود، أحدهما عن الآخر في ضوء الفجر، فأخذ عقالين أبيض و أسود و جعلهما تحت و ساد، فجعل ينظر إليهما فلا يتبين له أحدهما عن الآخر، فلما أصبح غدا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمْ يخبره بما صنع، فضحك رسول الله من صنيعه ذلك، حتى بدت نواجذه

في رواية، قال له: إنَّ وسادك إذن لعريض - كناية عن عدم تتيهه لحقيقة الأمر - ثم قال له: إنما ذاك بياض النهار من سواد الليل «(٤)»، إنه البياض المعترض على الأفق تحت سواد الليل المنصرم.

و

في الدر المنثور: لا يمنعكم من سحوركم أذان بلال ولا الفجر (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٥.

(٢) هو ابن حاتم الموصوف بالجود الذي يضرب به المثل، وفد على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنة تسع. كان جوادا شريفا في قومه. وكان ثابت الإيمان راسخ العقيدة، روى عنه أنه قال: ما دخل عليّ وقت صلاة إلّا وأنا مشتاق إليها. وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يكرمه إذا دخل عليه. قال الشعبي: أرسل إليه الأشعث يستعير منه قدور حاتم فملأها وحملها الرجال إليه. فقال: إنما أردناها فارغة، فقال عدّي: إنّا لا نغيرها فارغة. كان منحرفا عن عثمان، ثابتا مع أمير المؤمنين عليه السلام فقئت عينه يوم الجمل و قتل ابنان له في ركاب علي عليه السلام وشهد صفين بنفسه. توفي سنة ٦٧ بالكوفة أيام المختار، وله مائة وعشرون سنة، (أسد الغابة، ج ٣، ص ٣٩٢)

(٣) البقرة/ ١٨٧.

(٤) فتح الباري بشرح البخاري لابن حجر، ج ٤، ص ١١٣-١١٤. و تفسير الطبري، ج ٢، ص ١٠٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٦

المستطيل - وهو الساطع المصعد - ولكن الفجر المستظهر في الأفق، هو المعترض الأحمر، يلوح إلى الحمرة

و.

في حديث: لا- يمنعكم أذان بلال من سحوركم فإنه ينادى بليل، فكلوا واشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر «(١)».

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: «الفجر هو الخيط الأبيض المعترض، وليس هو الأبيض صعدا» «(٢)».

وزعمت عائشة من قوله تعالى: يُؤْتُونَ مَا آتَوْا إرادة ارتكاب المآثم، الأمر الذي يتنافى مع سياق الآية الواردة بشأن الإشادة بموضع المؤمنين حقا، قال تعالى: إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشِيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ - إلى قوله - وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ. أَنَّهُمْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ.

(١) الدر المنثور، ج ١، ص ١٩٨ - ٢٠٠.

هكذا رواه القوم بشأن بلال و ابن أم مكتوم، ولعله اشتباه من الراوى أو الناسخ؛ لأن بلالا كان هو المؤذن المعتمد عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم والأصحاب. وكان ابن أم مكتوم مكفوبا، يؤذن قبيل طلوع الفجر، وكان ذلك سبب تشريع أذانين. وقد تداول عليه أهل المدينة، حتى اليوم.

قال أبو جعفر الصدوق: كان لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مؤذنان، بلال و الآخر ابن أم مكتوم و كان أعمى، و كان يؤذن قبل الصبح. و كان بلال يؤذن بعد الصبح، فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: إن ابن أم مكتوم يؤذن بالليل، فإذا سمعتم أذانه فكلوا و اشربوا، حتى تسمعوا أذان بلال. فغيرت العامة هذا الحديث عن جهته، و

قالوا: إنه عليه السلام قال: إن بلالا يؤذن بليل، فإذا سمعتم أذانه فكلوا و اشربوا حتى تسمعوا أذان ابن أم مكتوم (من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ١٩٣-١٩٤) (٢) وسائل الشيعة، ج ٣، ص ١٥٣، رقم ٤، باب ٢٧، المواقيت.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٧

أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَ هُمْ لَهَا سَابِقُونَ «(١)».

فسألت عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وقالت: هو الذي يسرق و يزنى و يشرب الخمر، و هو يخاف الله؟! فقال

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لا، و لكنّه الذي يصوم و يصلّي و يتصدّق و يخاف الله. «٢» كناية عن إتيانه الطاعات، و جلا أن لا يكون مؤدياً لها تامّة حسبما أرادته الله.

و لعلّها كانت تتصور من الكلمة أنها مقصورة (يأتون ما أتوا) بمعنى: (يعملون ما عملوا)، و قد أسلفنا الكلام عن تزييفه. «٣» و أنّ الصحيح هو قراءة المدّ (يؤتون ما أتوا) بمعنى: يؤدّون ما أدّوا، أى من أفعال البرّ و الخيرات، من غير إعجاب و لا رياء، و إلى ذلك ينظر تفسيره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

و

روى زرارة عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السّلام قال: أتى عمّار بن ياسر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله، أجنبت اللّيلة و لم يكن معي ماء. قال: كيف صنعت؟ قال: طرحت ثيابي ثم قمت إلى الصعيد فتمعّكت «٤»!! فعلمه رسول الله التيمّم، سواء أ كان بدل وضوء أم بدل غسل «٥».

و قرأ عمر بن الخطّاب من سورة «عبس» حتى وصل إلى قوله تعالى: (١) المؤمنون / ٥٧-٦١.

(٢) الإتقان، ج ٤، ص ٢٣٨.

(٣) عند المبحث عن مسألة التحريف عند حشوية العامة برقم ٢٠. و راجع: المستدرک، ج ٢، ص ٢٣٥ و ٢٤٦.

(٤) التمعك: التمرغ في التراب.

(٥) العياشي، ج ١، ص ٢٤٤، رقم ١٤٤ و ١٤٥ و ص ٣٠٢، رقم ٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٨

فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ، أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا، ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا، فَأَبْتْنَا فِيهَا حَبًّا، وَ عَنَّا وَ قَصَبًا، وَ زَيْتُونًا وَ نَخْلًا، وَ حَدَائِقَ غُلْبًا، وَ فَاكِهَةً وَ أَبًّا، مَتَاعًا لَكُمْ وَ لِأَنْعَامِكُمْ «١»، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال:

إنّ هذا لهو التكلّف يا عمر! و فى رواية: ثم رفض - أو نقض - عصا كانت فى يده، و قال: هذا لعمر الله هو التكلّف، فما عليك أن لا تدرى ما الأب، اتّبِعُوا مَا بَيَّنَّ لَكُمْ هَدَاهُ مِنَ الْكِتَابِ فَاعْمَلُوا بِهِ، و ما لم تعرفوه فكلوه إلى ربّه! - و لعلّه سئل عن تفسير الآية فحار فى الجواب.

و قد ورد أن أبا بكر - أيضا - سئل قبل ذلك عن تفسير الآية، فقال: أىّ سماء تظلّنى، و أىّ أرض تقلّنى، إذا قلت فى كتاب الله ما لم أعلم. «٢»

قال الذهبي: و لو أنّا رجعنا إلى عهد الصحابة لوجدنا أنّهم لم يكونوا فى درجة واحدة بالنسبة لفهم معانى القرآن، بل تتفاوت مراتبهم، و أشكال على بعضهم ما ظهر لبعض آخر منهم. و هذا يرجع إلى تفاوتهم فى القوّة العقليّة، و تفاوتهم فى معرفة ما أحاط بالقرآن من ظروف و ملابسات. و أكثر من هذا أنّهم كانوا لا يتساوون فى معرفة المعانى التى وضعت لها المفردات، فمن مفردات القرآن ما خفى معناه على بعض الصحابة، و لا ضير فى هذا، فإنّ اللغّة لا يحيط بها إلّا معصوم، و لم يدّع أحد أن كل فرد من أمة يعرف جميع ألفاظ لغتها. (١) عبس / ٢٤-٣٢.

(٢) راجع: الدر المنثور، ج ٦، ص ٣١٧، و المستدرک للحاكم، ج ٢، ص ٥١٤.

و الأب: العشب المتهبّ للزّعى و الجّرّ، من قولهم: أبّ لكذا، إذا تهبّأ له. كما أنّ الفاكهة هى الثمرة الناضجة للأكل و القطف. جاء فى المعجم الوسيط: الأب: العشب رطبه و يابس. يقال: فلان راع له الحبّ، و طاع له الأبّ، إذا زكا زرعه و اتّسع مرعاه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٠٩

قال: و مما يشهد لهذا الذى ذهبنا إليه، ما أخرجه أبو عبيدة فى الفضائل عن أنس: أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر وَ فَاكِهَةً وَ أَبًّا فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأب؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إنّ هذا لهو التكلّف يا عمر! و ما روى من أن عمر كان على المنبر

فقرأ: «أَوْ يَأْخُذْهُمْ عَلَى تَخَوُّفٍ» (١) ثم سأل عن معنى التَخَوُّفِ، فقال له رجل من هذيل: التَخَوُّفُ عندنا التَنَقُّصُ، ثم أنشد:

تَخَوُّفُ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامِكًا قَرْدًا كَمَا تَخَوُّفُ عَوْدِ النَّبْعَةِ السَّفْنِ (٢)

قال الطبرسي: التَخَوُّفُ: التَنَقُّصُ، وهو أن يأخذ الأول فالأول حتى لا يبقى منهم أحد، و تلك حالة يخاف معها الهلاك و الفناء و هو الغناء تدريجا، ثم أنشد البيت بتبديل الرحل إلى السير (٣).

قال الفراء: جاء التفسير بأنه التَنَقُّصُ. و العرب تقول: تَحَوَّفْتَهُ - بالحاء المهملة-: تَنَقَّصْتَهُ مِنْ حَافَاتِهِ. (٤)

و معنى الآية- على ذلك-: أنه تعالى يهلكهم على تدرج شيئا فشيئا، بما (١) النحل / ٤٧.

(٢) الموافقات، ج ٢، ص ٨٧-٨٨. (الذهبي، ج ١، ص ٣٤)

(٣) مجمع البيان، ج ٦، ص ٣٦٣.

و الرحل: القتب و هو ما يجعل على ظهر البعير كالسرج للفرس. و التامك: السنام، لارتفاعه، يقال: تمك السنام تموكا إذا طال و ارتفع. و القرد: الذي تجعد شعره فصار كأنه وقاية للسنام. و النبع:

شجر للقسي و السهام. و السفن: ما ينحت به كالمبرد و نحوه.

و معنى البيت: أن الرحل قد أخذ من جوانب السنام فجعل يأكله و ينقص من أطرافه، رغم سموكه و تجعده بالشعر المتلبد. كما يأخذ المبرد من أطراف عود النبع لبريه سهما أو قوسا.

(٤) معاني القرآن، ج ٢، ص ١٠١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٠

يجعلهم على خوف الفناء؛ حيث يرون أنهم في تنقيص، و الأخذ من جوانبهم تدريجا، و هذا نظير ما ورد في آية أخرى: أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنْقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا (١) و قوله: وَ لَنْبَلُونَكُمْ بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَ الْجُوعِ وَ نَقُصِّ مِنَ الْأَمْوَالِ وَ الْأَنْفُسِ وَ الثَّمَرَاتِ (٢).

و أيضا أخرج أبو عبيدة من طريق مجاهد عن عبد الله بن عباس، قال: كنت لا أدري ما «فاطر السماوات» حتى أتاني أعرابيان يتخاصمان في بشر. فقال أحدهما:

أنا فطرتها، و الآخر يقول: أنا ابتدأتها ... (٣)

قال الذهبي: فإذا كان عمر بن الخطاب يخفى عليه معنى «الأب» و معنى «التخوف»، و يسأل عنهما غيره، و ابن عباس- و هو ترجمان القرآن- لا يظهر له معنى «فاطر» إلا بعد سماعه من غيره، فكيف شأن غيرهما؟! لا شك أن كثيرا منهم كانوا يكتبون بالمعنى الإجمالي

للآية: فيكفيهم- مثلا- أن يعلموا من قوله تعالى:

«وَ فَكِّهَتْهُ وَ أَبَّأ» أنه تعداد للنعم التي أنعم الله بها عليهم، و لا يلزمون أنفسهم بتفهم معنى الآية تفصيلا، ما دام المراد واضحا جليا (٤).

المفسرون من الأصحاب

اشتهر بالتفسير من الصحابة أربعة، لا خامس لهم في مثل مقامهم في العلم بمعاني القرآن، و هم: علي بن أبي طالب عليه السلام و كان رأسا و أعلم الأربعة، و عبد الله (١) الأنبياء / ٤٤. و نظيرتها آية أخرى في سورة الرعد / ٤١ أَوْ لَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ ...

(٢) البقرة / ١٥٥.

(٣) الإتيقان، ج ٢، ص ٤ (ط ٢) و ج ١، ص ١١٣، (ط ١)

(٤) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١١

ابن مسعود، وأبي بن كعب، و عبد الله بن عباس، كان أصغرهم و أوسع باعا في نشر التفسير.

أما غير هؤلاء الأربعة فلم يعهد عنهم في التفسير سوى النزر اليسير.

قال جلال الدين السيوطي: اشتهر بالتفسير من الصحابة عشرة: الخلفاء الأربعة، و ابن مسعود، و ابن عباس، و أبي بن كعب، و زيد بن ثابت، و أبو موسى الأشعري، و عبد الله بن الزبير. أما الخلفاء فأكثر من روى عنه منهم علي بن أبي طالب، و الرواية عن الثلاثة (أبي بكر و عمر و عثمان) نزره جدًا «١».

قال الأستاذ الذهبي: و هناك من تكلم في التفسير من الصحابة غير هؤلاء، كأنس بن مالك، و أبي هريرة و عبد الله بن عمر، و جابر بن عبد الله، و عبد الله بن عمرو بن العاص، و عائشة. غير أن ما نقل عنهم في التفسير قليل جدًا، كما أن العشرة الذين اشتهروا بالتفسير، تفاوتوا قلّة و كثرة، و المخصوصون بكثرة الرواية في التفسير منهم أربعة: علي بن أبي طالب، و ابن مسعود، و أبي بن كعب، و ابن عباس. أما باقي العشرة، و هم: زيد، و أبو موسى و ابن الزبير، فقد قلت عنهم الرواية، و لم يبلغوا ما بلغه الأربعة.

قال: لهذا نرى الإمساك عن الكلام في شأن السّنة، و نتكلم عن (علي بن أبي طالب) و (ابن مسعود) و (أبي بن كعب) و (ابن عباس) نظرا لكثرة الرواية عنهم في التفسير، كثرة غدت مدارس الأمصار على اختلافها و كثرتها «٢». (١) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٤.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٦٣-٦٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٢

أعلم الصحابة بمعاني القرآن فالأعلم

قال الإمام بدر الدين الزركشي: و صدر المفسرين من الصحابة هو علي بن أبي طالب، ثم ابن عباس. و هو تجرّد لهذا الشأن، و المحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن علي عليه السلام، إلّا أن ابن عباس كان قد أخذ عن علي عليه السلام «١».

قال الأستاذ الذهبي: كان علي عليه السلام بحرا من العلم، و كان قويّ الحجة سليم الاستنباط، أوتي الحظّ الأوفر من الفصاحة و الخطابة و الشعر، و كان ذا عقل ناضج و بصيرة نافذة إلى بواطن الأمور. و كثيرا ما كان يرجع إليه الصحابة في فهم ما خفي، و استجلاء ما أشكل. و قد دعا له رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم حين ولاه قضاء اليمن، بقوله: «اللهم ثبت لسانه و اهد قلبه».

فكان موقفا مسددا، فيصلا في المعضلات «٢»، حتى ضرب به المثل، فقيل: «فضية و لا أبا حسن لها».

قال: و لا عجب، فقد تربى في بيت النبوة، و تغذى بلبان معارفها، و عمته مشكاة أنوارها. و قيل لعطاء: أ كان في أصحاب محمد أعلم من علي؟ قال: لا، و الله لا أعلمه. و عن سعيد بن جبير عن ابن عباس، قال: إذا ثبت لنا الشيء عن علي، لم نعدل عنه إلى غيره «٣».

قال ابن عباس: جلّ ما تعلمت من التفسير، من علي بن أبي طالب. و قال: علي علم علما علمه رسول الله، و رسول الله علمه الله؛ فعلم النبي من علم الله، و علم (١) البرهان، ج ٢، ص ١٥٧، و البحار، ج ٨٩، ص ١٠٥ (بيروت)

(٢) و ناهيك قوله ابن الخطاب: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن» (أنساب الأشراف، ص ١٠٠، رقم ٢٩)

(٣) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٨٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٣

على من علم النبي، و علمي من علم علي عليه السلام. و ما علمي و علم أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم في علم علي إلّا كقطرة في سبعة أبحر. و في حديث آخر: فإذا علمي بالقرآن في علم علي عليه السلام كالقراءة في المثعنجر، قال: القراءة: الغدير، و المثعنجر:

البحر «١».

و قال: لقد أعطى عليّ بن أبي طالب عليه السّلام تسعة أعشار العلم، و أيم الله لقد شاركهم في العشر العاشر، الأمر الذي أحوج الكل إليه و استغنى عن الكل، كما قال الخليل.

و قال سعيد بن جبير: كان ابن عباس يقول: إذا جاءنا الثبث عن علي عليه السّلام لم نعدل به. و في لفظ ابن الأثير: إذا ثبت لنا الشيء عن علي لم نعدل عنه إلى غيره.

و قد عرفت أن ما أخذه ابن عباس من التفسير فإنما أخذه عن علي عليه السّلام.

و قال سعيد بن المسيب: ما كان أحد من الناس يقول سلوني غير عليّ بن أبي طالب

. قال: كان عمر يتعوّذ من معضلة ليس لها أبو حسن. و قد روى البلاذري في الأنساب قوله عمر: «لا أبقاني الله لمعضلة ليس لها أبو حسن».

و

قال أبو الطفيل: كان علي عليه السّلام يقول: سلوني، سلوني، سلوني عن كتاب الله تعالى، فو الله ما من آية إلّا و أنا أعلم أنزلت بليل أو نهار ...

و قال عبد الله بن مسعود: إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا و له ظهر و بطن، و أنّ عليّ بن أبي طالب عنده منه الظاهر و الباطن. «٢» (١) بحار الأنوار، ج ٨٩، (ط بيروت)، ص ١٠٥-١٠٦ عن كتاب سعد السعود للسيد ابن طاوس، ص ٢٨٥-٢٨٦. (٢) راجع في ذلك: أسد الغابة لابن الأثير، ج ٤، ص ٢٢-٢٣. و الإصابة لابن حجر، ج ٢، ص ٥٠٩ و حلية الأولياء لأبي نعيم، ج ١، ص ٦٥. و أنساب الأشراف للبلاذري، ج ٢، ص ١٠٠، رقم ٢٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٤

و روى أبو عمرو الزاهد (٢٦١-٣٤٥) بإسناده إلى علقمة، قال: قال لنا عبد الله بن مسعود ذات يوم في حلقة: لو علمت أحدا هو أعلم مني بكتاب الله عزّ و جلّ، لضربت إليه آباط الإبل. قال علقمة: فقال رجل من الحلقة: ألقيت عليّا عليه السّلام؟ فقال: نعم، قد لقيته، و أخذت عنه، و استفدت منه، و قرأت عليه، و كان خير الناس و أعلمهم بعد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم و لقد رأيت أنه كان بحرا يسيل سيلا ... «١»

قال ابن أبي الحديد- بصدد كونه عليه السّلام مرجع العلوم الإسلامية كلها-: و من العلوم علم تفسير القرآن و عنه أخذ، و منه فرّع. و إذا راجعت إلى كتب التفسير علمت صحّة ذلك؛ لأنّ أكثره عنه و عن عبد الله بن عباس. و قد علم الناس حال ابن عباس في ملازمته له و انقطاعه إليه، و أنه تلميذه و خريجه. و قيل له: أين علمك من علم ابن عمك؟ فقال: كنسبه قطرة من المطر إلى البحر المحيط. «٢»

و

أخرج الحاكم بإسناده عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «عليّ مع القرآن و القرآن مع عليّ، لن يفترقا حتّى يردا عليّ الحوض»

و

قال: «أنا مدينة العلم و عليّ بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها» «٣».

و الآن فلنستمع إلى ما يصف عليه السّلام نفسه و موضعه من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم

قال: «سلوني عن كتاب الله، فإنه ليست آية إلّا و قد عرفت بليل نزلت أم بنهار، في سهل أو جبل»، «و الله ما نزلت آية إلّا و قد علمت فيم أنزلت و أين نزلت. و أنّ ربّي و هب لي قلبا عقولا و لسانا سؤلا».

قيل له: «ما بالك أكثر أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حديثاً؟ فقال: لأنني كنت إذا سألته (١) سعد السعود، ص ٢٨٥. البحار، ج ٨٩، ص ١٠٥.
 (٢) شرح النهج، ج ١، ص ١٩.
 (٣) المستدرک للحاكم، ج ٣، ص ١٢٦ و ١٢٤.
 التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٥
 أنبأني، و إذا سكتت ابتدأني» (١).

قال عليه السَّلام: «كنت أول داخل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و آخر خارج من عنده، و كنت إذا سألت أعطيت، و إذا سكتت ابتديت. و كنت أدخل على رسول الله في كل يوم دخله، و في كل ليلة دخله و ربّما كان ذلك في بيتي، يأتيني رسول الله أكثر من ذلك في منزلي. فإذا دخلت عليه في بعض منازله أحلى بي و أقام نساءه، فلم يبق عنده غيري. و إذا أتاني لم يقم فاطمة و لا أحدا من ولدي. و إذا سألته أجنبي، و إذا سكتت عنه و نفدت مسائلي ابتدأني. فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلّا أقرأنيها و أملاها عليّ و كتبها بخطي، فدعا الله أن يفهمني و يعطيني، فما نزلت آية من كتاب الله إلّا حفظتها و علّمني تأويلها...» (٢).

و
 في الكافي: «فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلّا أقرأنيها و أملاها عليّ، فكتبها بخطي، و علّمني تأويلها و تفسيرها، و ناسخها و منسوخها، و محكمها و متشابهها، و خاصها و عامها. و دعا الله أن يعطيني فهمها و حفظها.
 فما نسيت آية من كتاب الله و لا علما أملاه عليّ و كتبه، منذ دعا الله لي بما دعا.

و ما ترك شيئاً علّمه الله من حلال و لا حرام، و لا أمر و لا نهى كان أو يكون، و لا كتاب منزل على أحد قبله من طاعة أو معصية، إلّا علّمني و حفظته، فلم أنس حرفاً واحداً. ثم وضع يده على صدري و دعا الله لي أن يملأ قلبي علماً و فهماً و حكماً و نوراً. فقلت: يا نبيّ الله- بأبي أنت و أمي- منذ دعوت الله لي بما دعوت، لم أنس شيئاً و لم يفتني شيء لم أكتبه، أفتتخوف على النسيان فيما بعد؟ فقال: لا، (١) أنساب الأشراف للبلاذري، ص ٩٨-٩٩، رقم ٢٦ و ٢٧ و ٢٨.

(٢) المعيار و الموازنة للإسكافي، ص ٣٠٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٦

لست أتخوف عليك النسيان و الجهل! (١).

و
 قد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعلي عليه السلام: «إن الله أمرني أن أدنيك و لا أقصيك، و أن أعلمك و لا أجفوك. فحقيق عليّ أن أعلمك، و حقيق عليك أن تعي» (٢).

و
 في الخطبة القاصعة- من نهج البلاغة-: «و قد علمتم موضعي من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالقرابة القريبة، و المنزلة الخصيصة. و وضعني في حجره و أنا ولد، يضمنني إلى صدره، و يكتفني إلى فراشه، و يمسنني جسده، و يشمّني عرفه، (٣) و كان يمضغ الشيء ثم يلقمنيه. و ما وجد لي كذبة في قول، و لا خطلة (٤) في فعل.
 و لقد قرن الله به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، من لدن أن كان فطيماً أعظم ملك من ملائكته، يسلك به طريق المكارم، و محاسن أخلاق العالم، ليله و نهاره.

و لقد كنت أتبعه أتباع الفصيل أثر أمه، يرفع لي في كل يوم من أخلاقه علماً، و يأمرني بالاعتداء به.
 و لقد كان يجاور في كلّ سنة بحراء، فأراه و لا يراه غيري. و لم يجمع بيت واحد يومئذ في الإسلام غير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

آله و سلم و خديجة و أنا ثالثهما. أرى نور الوحي و الرسالة، و أشم ريح النبوة.

و لقد سمعت رنة الشيطان حين نزل الوحي عليه صلى الله عليه و آله و سلم فقلت: يا رسول الله، ما هذه الرنة؟ فقال: هذا الشيطان أيس من عبادته. إنك تسمع ما أسمع، و ترى (١) الكافي الشريف، ج ١، ص ٦٤، كتاب فضل العلم، باب اختلاف الحديث، رقم ١.
(٢) المعيار و الموازنة، ص ٣٠١.

(٣) بفتح العين: رائحته الذكية.

(٤) الخطل: الخطأ ينشأ من عدم الروية.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٧

ما أرى، إلا أنك لست بنبي و لكنك لوزير. و أنك لعلى خير...» (١) و أما عبد الله بن مسعود، فهو من السابقين في الإيمان، و أول من جهر بالقرآن بمكة، و أسمعه قريشا بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أودى في الله من أجل ذلك. و كان قد أخذه رسول الله إليه، فكان يخدمه في أكثر شئونه، و هو صاحب طهوره و سواكه و نعله، و يلبسه إياه إذا قام، و يخلعه و يحمله في ذراعه إذا جلس، و يمشى أمامه إذا سار، و يستره إذا اغتسل، و يوقظه إذا نام، و يلج داره بلا حجاب، حتى لقد ظن أنه من أهل بيت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

هاجر الهجرتين، و صلى إلى القبلتين، و شهد المشاهد كلها مع رسول الله.

كان من أحفظ الناس لكتاب الله، و كان رسول الله يحب أن يسمع القرآن منه، و

كان صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «من سره أن يقرأ القرآن غصًا طرًا كما أنزل فليقرأه على قراءة ابن أم عبد».

و كان حريصا على طلب العلم و لا سيما معانى آيات القرآن الكريم، قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن و العمل بهن، و من ثم كان يقول: و الذى لا إله غيره، ما نزلت آية من كتاب الله إلا و أنا أعلم فيم نزلت و أين نزلت، كما كان شديد الحرص أيضا على بث العلم و نشره بين العباد.

قال مسروق بن الأجدع: كان عبد الله يقرأ علينا السورة ثم يحدثنا فيها و يفسرها، عامّة النهار، و قد أذعن له عامّة صحابة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بالفضيلة و العلم بالكتاب و السنة. (٢) «١» الخطة، رقم ١٩٢، النهج، ج ١، ص ٣٩٢-٣٩٤.

(٢) حلية الأولياء، ج ١، ص ١٢٤-١٣٩. و أسد الغابة، ج ٣، ص ٢٥٦-٢٦٠ و الاستيعاب بهامش

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٨

و من ثم كانت له مكانة سامية في التفسير، و بذلك طار صيته، و عنه في التفسير الشيء الكثير، و الطرق إليه متقنة.

قال الخليلي في الإرشاد: و لإسماعيل السدي تفسير يورده بأسانيد إلى ابن مسعود و ابن عباس. و روى عن السدي الأئمة، مثل الثوري و شعبه، و أضاف: أن أمثل التفاسير تفسير السدي.

قال جلال الدين السيوطي - تعقيا على كلام صاحب الإرشاد-: و تفسير السدي الذي أشار إليه، يورد منه ابن جرير (الطبري) كثيرا من طريق السدي عن أبي مالك، و عن أبي صالح عن ابن عباس، و عن مرة عن ابن مسعود، و ناس من الصحابة هكذا. قال: و الحاكم يخرج منه في مستدركه أشياء و يصححه، لكن من طريق مرة عن ابن مسعود، و ناس فقط دون الطريق الأول «١»، أى طريق أبي صالح عن ابن عباس.

و كان بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد أخذ العلم من علي عليه السلام و ليس من غيره بتاتا.

و قد تقدم حديث علقمة، قال: قال ابن مسعود ذات يوم، و كنا في حلقة: لو علمت أن أحدا هو أعلم مني بكتاب الله عز و جل لضربت إليه أباط الإبل. قال علقمة: فقال رجل من الحلقة. ألقيت عليا؟ فقال: نعم، قد لقيته، و أخذت عنه، و استفدت منه، و قرأت عليه. و كان خير الناس و أعلمهم بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لقد رأيتته كان بحرا يسيل سيلا. «٢» الإصابة، ج ٢، ص

٣١٦-٣٢٤ و الإصابة، ج ٢، ص ٣٦٨-٣٧٠.

(١) الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٧-٢٠٨.

(٢) سعد السعود، ص ٢٨٥. البحار، ج ٨٩، ص ١٠٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢١٩

و عدّه الخوارزمي و شمس الدين الجزري في «أسنى المطالب» من رواه حديث الغدير من الصحابة. «١»

و أخرج جلال الدين السيوطي عنه نزول آية التبليغ (سورة المائدة/ ٦٧) بشأن عليّ عليه السّلام يوم الغدير، قال: و أخرج ابن مردويه عن ابن مسعود، قال: كنّا نقرأ على عهد رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك- أن عليّا مولى المؤمنين- و إن لم تفعل فما بلغت رسالته، و الله يعصمك من الناس». «٢»

نعم كان ابن مسعود ممن شدّ وثاقه بولاء آل بيت الرسول، لم يشدّ عن طريقتهم المثلى منذ أوّل يومه فإلى آخر أيام حياته.

روى الصدوق أبو جعفر ابن بابويه بإسناده إلى زيد بن وهب الجهني أبي سليمان الكوفي «٣»: أنّ اثني عشر رجلا من صحابة رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم أنكروا على أبي بكر تقدّمه على عليّ عليه السّلام و عدّ منهم: عبد الله بن مسعود.

و كان هو الذي أشاد بذكر أهل البيت، و بثّ حديث «الخلفاء اثنا عشر...» في الكوفة و ما والاها «٤».

قال المرتضى علم الهدى- بشأنه-: لا خلاف بين الأمة في طهارة ابن مسعود (١) راجع: الغدير، ج ١، ص ٥٣، رقم ٧٩.

(٢) الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٩٨. و الآلوسى في روح المعاني، ج ٦، ص ١٧٢.

(٣) وثقه أصحاب التراجم. قال الأعمش: إذا حدّثك زيد بن وهب عن أحد فكأنك سمعته من الذي حدّثك عنه. أسلم في حياة النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و هاجر إليه، فبلغته وفاته في الطريق. فهو معدود من كبار التابعين، سكن الكوفة و كان في الجيش الذي مع عليّ عليه السّلام في حربه الخوارج. و هو أوّل من جمع خطب عليّ عليه السّلام في الجمع و الأعياد و غيرهما. توفّي سنة ٩٦، و قد عمّر طويلا. (الخصال، ج ٢، ص ٤٦١، باب ١٢)

(٤) راجع: بحار الأنوار، ج ٣٦ (بيروت) صفحات ٢٢٩ و ٢٣٠ و ٢٣٣ و ٢٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٠

و فضله و إيمانه، و مدح النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم له و ثنائه عليه، و أنه مات على الحالة المحموده «١».

و سيأتي من تقى الدين أبي الصلاح الحلبي، عدّه و أبيّا من المخصوصين بولاية آل البيت «٢».

و

روى رضى الدين أبو القاسم عليّ بن موسى بن طاوس (٦٦٤) عن كتاب أبي عبد الله محمد بن علي السّراج في تأويل قوله تعالى: وَ اتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً «٣» بالإسناد إلى عبد الله بن مسعود، أنه قال:

قال النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم: «يا ابن مسعود، أنه قد أنزلت عليّ آية وَ اتَّقُوا فِتْنَةً... و أنا مستودعكها، فكن لما أقول لك واعيا و عنيّ له مؤديا، من ظلم عليّا مجلسي هذا كمن جحد نبوتى و نبوة من كان قبلى. فقال له الراوى: يا أبا عبد الرحمن، أسمعت هذا من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم؟ قال: نعم. قال: فكيف وليت للظالمين؟ قال:

لا جرم حلت عقوبة عملي «٤»، و ذلك أنى لم استأذن إمامي كما استأذن جندب و عمّار و سلمان، و أنا أستغفر الله و أتوب إليه «٥».

و مما يجدر التنبيه له أنّ عامية الكوفيين من مفسّرين و فقهاء و محدّثين، كان طابعهم الولاء لأهل البيت عليهم السّلام و قد خصّ أصحاب ابن مسعود بالميل لعلّى عليه السّلام الأمر الذي كانت البيئة الكوفية تستدعيه بالذات، على أثر وفرة العلماء من صحابة (١) قاموس الرجال للتستري، ج ٦، ص ١٣٦، ط ١، نقلا عن الشافى.

(٢) تقريب المعارف، ص ١٦٨.

(٣) الأنفال / ٢٥.

(٤) و في نسخة: جلبت.

(٥) الطوائف في معرفة مذاهب الطوائف، ص ٣٦، برقم ٢٥. و قاموس الرجال، ج ٦، ص ١٤١-١٤٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢١

الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هناك. و لا غرو فإنهم أعرف بموضع أهل البيت و لا سيما سيدهم و كبيرهم علي بن أبي طالب، من رسول الله، و كثرة وصاياه بشأنهم، و التمسك بأذيالهم و السير على هديهم، فلا يضلوا أبدا.

و من ثم فقد امتازت الكوفة في أمور جعلتها في قمة العظمة و الإكبار، على مدى الدهور:

أولا: كانت مهجر علماء الصحابة الأخيار و أعلام الأمة الكبار، و بلغ أوجها عند مهاجرة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

أخرج ابن سعد عن إبراهيم، قال: هبط الكوفة ثلاثمائة من أصحاب الشجرة، و سبعون من أهل بدر. و بذلك قال ابن عمرو: ما من يوم إلا ينزل في فراتكم هذا ماثقيل من بركة الجنة. كناية عن مهاجرة أصحاب الرسول إليها فوجا فوجا. «١»

و ثانيا: أصبحت معهد العلم في الإسلام في دور نضارته و ازدهار معارفه، فمن الكوفة صدرت العلوم و المعارف الإسلامية، بشتى أنحاءها إلى البلاد، و سارت به الركبان إلى الأمصار في عهد طويل. أخرج ابن سعد- أيضا- عن عبيد الله بن موسى، قال: أخبرنا عبد الجبار بن عباس عن أبيه، قال: جالست عطاء، فجعلت أسأله. فقال لي: ممن أنت؟ فقلت: من أهل الكوفة. فقال عطاء: ما يأتينا العلم إلا من عندكم. «٢»

و ثالثا: كانت أرضا خصبة لتربية و لاء آل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في نفوس مؤمنه صادقه في إيمانها، مؤديه أجر رسالة نبيها، حافظه لكرامة رسول الله في ذريته الأنجاب، عارفة بأنهم سفن النجاة، و أحد الثقلين، و العروة الوثقى التي لا انفصام (١) الطبقات، ج ٦، (ط ليدن)، ص ٤٠، س ١٥ و ٢٠.

(٢) الطبقات، ج ٦، ص ٥، س ٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٢

لها، و من ثم

روى ابن سعد: «إن أسعد الناس بالمهدى أهل الكوفة» «١».

أما أصحاب ابن مسعود (الصحابي الجليل الموالى لآل بيت الرسول) فكانوا أصدق عند الناس على علي عليه السلام على ما أخرجه ابن سعد بإسناده عن أبي بكر ابن عياش عن مغيرة «٢»، كانوا لا يغالون و لا ينتقصون. و من ثم روى عن علي عليه السلام ما يدل على رضائه عن موقفهم هذا المشرف،

قال: «أصحاب عبد الله سرج هذه القرية» «٣».

ملحوظة

إنما يعرف صلاح الرجل و استقامته في الدين، بتقواه عن محارم الله و استسلامه لأوامره و نواهيه، و في إطاعة الرسول و اتباع سنته و العمل بوصاياه، من غير أن يكون له الخيرة من أمره بعد ما قضى الله و رسوله؛ إذ مقتضى الإيمان الصادق أن يسلم أمره إلى الله و رسوله تسليما.

و من أهم وصاياه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و الذي جعله أجر رسالته، هو الانضواء تحت لواء أهل البيت و الاستمسك بعري و ثائقهم مدى الحياة. و قد كان على عليه السلام شاخص هذا البيت الرفيع، فمن كان معه كان مع الحق، و من دار معه دار مع الحق، و

من حاد عنه حاد عن الإسلام و نبذ وصية الرسول وراء ظهره، و أعرض عن الحق الصريح. فكيف الثقة به و هو حائد عن الجادة، ضالّ عن الطريق، فلا يصلح أن يكون هاديا، و هو لم يهتد السبيل. (١) الطبقات، ج ٦، ص ٤، س ١٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥، س ٤.

(٣) المصدر نفسه، ص ٤، س ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٣

الأمر الذى يحفز بنا أن نجعل من الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام محورا أساسيا فى هذا الحقل، و ميزانا يفصل بين الصالح و الطالح من الصحابة و التابعين - الفقهاء و المفسرين و المحدثين - و ليس ذلك منا بدعا، بعد ما جعله الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم بابه الذى منه يؤتى، و سفينة النجاة، و ثانى الثقلين اللذين ما أن تمسّكت الأُمّة بهما معا (و لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض) لن يصلّوا أبدا.

و لسنا نأخذ العلم إلّا ممن عرفنا صلاحه و وثقنا بإيمانه الصادق.

تلك وصية إمامنا أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام قال فى قوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ «١»: «إلى العلم الذى يأخذه عمّن يأخذه» «٢».

و هكذا أبى بن كعب الأنصارى الخزرجى، هو أول من كتب لرسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عند مقدمه المدينة، و كان قد لُقّب بسيد المسلمين؛ لشرفه و فضله و علو منزلته فى العلم و الفضيلة، كما لُقّب بسيد القراء؛ لقوله صلّى الله عليه و آله و سلّم: «و أقرؤهم أبى بن كعب».

و كان هو الذى تولّى رئاسة لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان، عند ما عجز القوم الذين انتدبهم الخليفة لذلك، و لم يكونوا أكفاء، حسبما أسلفنا.

و عنه فى التفسير الشىء الكثير، و الطرق إليه متقنة أيضا.

قال جلال الدين: و أما أبى بن كعب، فعنه نسخة كبيرة يرويها أبو جعفر الرازى عن الربيع بن أنس عن أبى العالىة عنه، و هذا إسناد صحيح. و قد أخرج ابن جرير و ابن أبى حاتم منها كثيرا، و كذا الحاكم فى مستدركه، و أحمد فى (١) عبس / ٢٤.

(٢) وسائل الشيعة، ج ١٨، ص ١٠٩، رقم ٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٤

مسنده. «١»

و ذكر أبو الصلاح تقى الدين الحلبى (٣٧٤-٤٤٧) أبيّا و ابن مسعود من الثابتين على ولاء آل بيت الرسول، المتخصّصين بهم فى العهد الأول بعد وفاة الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم «٢»، و أضاف: أن أبيا حاول الإجهار بما يكنه ضميره فى أخريات حياته لو لا حؤول الموت. «٣» و قد كان من نفر الاثنى عشر الذين نعموا على أبى بكر تصديده ولاية الأمر دون الإمام أمير المؤمنين «٤»، و كابد الأمرين على ذاك الحادث الجلل، رافعا شكواه إلى الله (قال: و إلى الله المشتكى) «٥» و قد سمع من سعد بن عباد ما نطق بما يوجب فرض ولاية الإمام عليه السلام «٦».

و أما عبد الله بن عباس، فهو حبر الأُمّة و ترجمان القرآن، و أعلم الناس بالتفسير - تنزيله و تأويله - تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، الموقّ و تربيته الخاصة، و قد بلغ من العلم مبلغا

قال فى حقّه الإمام أمير المؤمنين: «كأنما ينظر إلى الغيب من ستر رقيق».

و لا غرو فإنّه

دعاء الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم بشأنه: «اللهم فقّهه فى الدين و علّمه التأويل»

أو ،

قوله: «اللهم علمه الكتاب والحكمة»، أو: «اللهم بارك فيه و أنشر منه». (٧)

(١) الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٩ - ٢١٠.

(٢) تقريب المعارف لأبي الصلاح، ص ١٦٨. و راجع: سفينة البحار، ج ١، ص ٨.

(٣) بنقل التستري في قاموس الرجال، ج ١، ص ٢٣٧.

(٤) الخصال للصدوق، ج ٢، ص ٤٦١.

(٥) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٥٢.

(٦) المصدر نفسه، ج ٦، ص ٤٤.

(٧) الإصابة، ج ٢، ص ٣٣٠ - ٣٣٤. و أسد الغابة، ج ٣، ص ١٩٢ - ١٩٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٥

قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ: «و لكل شىء فارس، و فارس القرآن ابن عباس» (١).

ولد فى الشعب قبل الهجرة بثلاث سنين، فحنكه النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ وَ بارك له.

فتربى فى حجره، و بعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ كان قد لازم بيت النبوة. و رباه الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام فأحسن

تربيته، و من ثم كان من المتفانين فى ولاء الإمام عليه السّلام.

و قد صحّ قوله: «ما أخذت من تفسير القرآن فمن على بن أبى طالب». هذا فى أصول التفسير و أسسه.

و كان يراجع سائر الأصحاب ممن يحتمل عنده شىء من أحاديث الرسول و سنته، مجدداً فى طلب العلم مهما كلف الأمر. فكان يأتى

أبواب الأنصار ممن عنده علم من الرسول، فإذا وجد أحدهم نائماً كان ينتظره حتى يستيقظ، و ربما تسفى على وجهه الريح، و لا

يكلف من يوقظه حتى يستيقظ هو على دأبه، فيسأله عما يريد و ينصرف، و بذلك كان يستعيز عما فاته من العلم أيام حياة النبى

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ لصغره، باستطراق أبواب العلماء من صحابته الكبار.

قيل لطاوس: لزم هذا الغلام - يعنى ابن عباس لكونه أصغر الصحابة يومذاك - و تركت الأكابر من أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

عليه و آله و سَلَّمَ؟ قال: إنى رأيت سبعين رجلاً من أصحاب رسول الله، إذا تدارءوا فى أمر، صاروا إلى قول ابن عباس.

و عن عبيد الله بن على بن أبى رافع، قال: كان ابن عباس يأتى جدى أبا رافع، فيسأله عما صنع النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ يوم

كذا، و معه من يكتب له ما يقول.

قال مسروق بن الأجدع: كنت إذا رأيت ابن عباس قلت: أجمل الناس، فإذا نطق قلت: أفصح الناس، فإذا تحدّث قلت: أعلم الناس.

و قال أبو بكر: قدم علينا ابن عباس البصرة، و ما فى العرب مثله حشما، (١) بحار الأنوار، ج ٢٢، (ط بيروت)، ص ٣٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٦

و علما، و ثيابا، و جمالا، و كمالا.

و قد لقب حبر الأمة، و البحر؛ لكثرة علمه. و ترجمان القرآن، و ربانى هذه الأمة؛ لاضطلاعه بمعانى القرآن و وجوه السنّة و الأحكام.

و له مواقف مشهودة مع أمير المؤمنين عليه السّلام فى جميع حروبه: صفين، و الجمل، و النهروان. مات بالطائف سنة (٦٨) و قد ناهز

السبعين، و صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ مُحَمَّدُ ابْنُ الْحَنْفِيَّةِ (١).

روى أبو عمرو و محمد بن عمر بن عبد العزيز الكششى بإسناده إلى عبد الله بن عبد ياليل - رجل من أهل الطائف - قال: أتينا ابن عباس

رحمه الله نعوذ فى مرضه الذى مات فيه، فأغمى عليه فأخرج إلى صحن الدار، فأفاق، و قال كلمته الأخيرة:

إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ أنبأنى أنى سأهجر هجرتين: فهجرة مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ، و هجرة مع

علّي عليه السّلام. و أمرني أن أبرأ من خمسة: من الناكثين: و هم أصحاب الجمل، و من القاسطين: و هم أصحاب الشام، و من الخوارج: و هم أهل النهروان، و من القدرية، و من المرجئة. ثم قال: «اللهم إني أحيا على ما حيي عليه علي بن أبي طالب، و أموت على ما مات عليه علي بن أبي طالب، ثم مات رحمه الله» (٢).

و هذا الذي

رواه الكشي عن رجل من أهل الطائف (عبد الله بن عبد ياليل)، رواه أبو القاسم علي بن محمد الخزاز الرازي - من وجوه العلماء في القرن الرابع - في كتابه «كفاية الأثر» - بصورة أوسع - بإسناده إلى عطاء، قال: دخلنا على عبد الله ابن عباس و هو عليل بالطائف، في العلة التي توفّي فيها - و نحن زهاء ثلاثين (١) الإصابة، ج ٢، ص ٣٣٠ - ٣٣٤، رقم ٤٧٨١. أسد الغابة، ج ٣، ص ١٩٢ - ١٩٥.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٢٧٧، رقم ١٠٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٧

رجلا من شيوخ الطائف - و قد ضعف، فسلمنا عليه و جلسنا، فقال لي: يا عطاء، من القوم؟ قلت: يا سيدي، هم شيوخ هذا البلد! منهم عبد الله بن سلمة بن حصرم الطائفي، و عمارة بن أبي الأجلح، و ثابت بن مالك. فما زلت أعدّ له واحدا بعد واحد. ثم تقدّموا إليه، فقالوا: يا ابن عمّ رسول الله، إنك رأيت رسول الله و سمعت منه ما سمعت، فأخبرنا عن اختلاف هذه الأمة؛ فقوم قدّموا علينا على غيره، و قوم جعلوه بعد الثلاثة؟

قال عطاء: فتنفّس ابن عباس الصعداء، فقال: سمعت رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم يقول: «علّي مع الحقّ و الحقّ معه، و هو الإمام و الخليفة من بعدي، فمن تمسّك به فاز و نجا، و من تخلف عنه ضلّ و غوى...»، و أخيرا قال: و تمسّكوا بالعروة الوثقى من عتره نبيكم، فإنّي سمعته يقول: «من تمسّك بعترتي من بعدي كان من الفائزين».

قال عطاء: ثم بعد ما تفرّق القوم، قال لي: يا عطاء، خذ بيدي و احملني إلى صحن الدار، فأخذنا بيده، أنا و سعيد، و حملناه إلى صحن الدار، ثم رفع يديه إلى السماء، و قال: «اللهم»، إنّي أتقرّب إليك بمحمد و آل محمد، اللهم إنّي أتقرّب إليك بولاية الشيخ، علي بن أبي طالب عليه السّلام». فما زال يكرّرها حتى وقع إلى الأرض. فصبرنا عليه ساعة ثم أقمناه فإذا هو ميت، رحمه الله عليه «١».

و له في فضائل أهل البيت و لا سيّما الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام أقوال و آثار باقية، إلى جنب مواقفه الحاسمة.

و يكفيك أنه من رواة حديث الغدير الناصّ علي و لايه علي بالأمر، و مفسّرا (١) كفاية الأثر، ص ٢٩٠ - ٢٩١، و البحار، ج ٣٦، ص ٢٨٧ - ٢٨٨، رقم ١٠٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٨

له بالخلافة و الوصاية بعد الرسول صلّى الله عليه و آله و سلم، مصرا على ذلك.

أخرج الحافظ السجستاني بإسناده إلى ابن عباس، قال: «وجبت و الله في أعناق القوم...» (١).

و أما مواقفه بشأن الدفاع عن حريم أهل البيت فكثير (٢).

و أخيرا فإنه هو القائل: «إنّ الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلم و بين أن يكتب لهم ذلك الكتاب! الذي كان فيه فصل الخطاب. و أيضا قوله: «يوم الخميس، و ما يوم الخميس!». ثم بكى حتى بلّ دمه الحصى، إلى غير ذلك مما لا يحصى (٣).

الأمر الذي ينبؤك عن مدى صلته بهذا البيت الرفيع، و مبلغ ولائه و عرفانه (١) راجع: الغدير للعلامة الأمينى، ج ١، ص ٤٩ - ٥٢ رقم ٧٦.

(٢) من ذلك ما نظمه الشاعر العبقرى أبو محمد سفيان بن مصعب العبدى الكوفى، فى أنشودة رثابها الإمام أبا عبد الله الحسين سيد الشهداء عليه السّلام، استنشدته إياها الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السّلام، قال فيها:

و قد روى عكرمة في خبر ما شك في أحد و لا امترا
 مرّ ابن عباس على قوم و قد سبوا علياً فاستراع و بكأ
 و قال مغتاضاً لهم: أيكم سبّ إله الخلق جلّ و علا؟!
 قالوا: معاذ الله. قال: أيكم سبّ رسول الله ظلماً و اجترأ؟!
 قالوا: معاذ الله. قال: أيكم سبّ علياً خير من وطئ الحصا؟!
 قالوا: نعم، قد كان ذا. فقال: قد سمعت و الله النبي المجتبي
 يقول: من سبّ علياً سبني و سبّني سبّ الإله، و اكتفى!
 (الغدِير، ج ٢، ص ٢٩٤-٣٠٠)

(٣) شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٥٤-٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٩

بشأن آل الرسول صلوات الله عليهم أجمعين. «١»

و من ثمّ كان الأئمة من ذريّة الرسول عليهم السّلام يحبّونه حبّاً جمّاً و يعظّمون من قدره و يشيدون بذكره.

روى المفيد في كتاب الاختصاص بإسناده إلى الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السّلام، قال: كان أبي (الإمام أبو جعفر الباقر عليه السّلام) يحبّه (أى ابن عباس) حبّاً شديداً. و كان أبي، و هو غلام، تلبسه أمّه ثيابه، فينطلق في غلمان بني عبد المطلب، فأتاه (أى ابن عباس) بعد ما أصيب بصره، فقال: من أنت؟ قال: أنا محمد بن عليّ بن الحسين بن عليّ فقال: حسبك، من لم يعرفك فلا عرفك «٢»، أى يكفى أنى أعرفك من أنت.

كانت ولادة الإمام أبي جعفر محمد بن عليّ الباقر عليه السّلام، سنه (٦٠) على قول راجع «٣»، قبل واقعة الطفّ (٦١) بسنة. و قد كفّ بصر ابن عباس بعد واقعة الطفّ؛ لكثرة بكائه على مصائب أهل البيت عليهم السّلام. «٤» و فى رواية: أنه كفّ بصره قبل وفاته بسنة «٥»، و كانت وفاته عام (٦٨) و عليه- إن صحت الرواية- فقد كانت سنّ الإمام أبي جعفر حينذاك بين السادسة و السابعة.

قال العلامة- فى الخلاصة-: عبد الله بن العباس من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، كان محبّاً لعلى عليه السّلام و تلميذه- حاله فى الجلالة و الإخلاص لأمر المؤمنين أشهر من أن يخفى. و قد ذكر الكشّى أحاديث تتضمن قدحاً فيه، و هو أجلّ من ذلك. (١) راجع: بحار الأنوار، ج ٣٦، ص ٢٤٣ و ٢٨٥ و ج ٤١، ص ١٦-١٨.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٨١، رقم ٣٩.

(٣) رجّحه ابن حجر فى تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٣٥١.

(٤) بحار الأنوار، ج ٨٩، ص ١٠٥، عن كتاب سعد السعود للسيد ابن طاوس، ص ٢٨٥.

(٥) سفينة البحار، ج ٢، ص ١٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٠

و قد حمل السيد ابن طاوس- فى التحرير الطاوسى- ما ورد فى جرحه بعد تضعيف الإسناد- على الحسد، قد صدر من الحاسدين الحاقدين عليه، قال:

و مثل حبر الأئمة- رضوان الله عليه- موضع أن يحسده الناس و ينافسوه، و يقولوا فيه و يباهتوه.

حسدوا الفتى إذ لم ينالوا فضله الناس أعداء له و خصوم

كضرائر الحسناء قلن لوجهها حسداً و بغيا: إنه لدميم

و قد بحث الأئمة النقاد عن روايات القدح، و لا سيّما ما قيل بشأنه من الهروب ببيت مال البصرة، و ما ورد من التعنيف لفعله ذلك،

فاستخرجوا في نهاية المطاف من ذلك دلائل الوضع و الاختلاق بشأن هذا العبد الصالح الموالى لآل بيت الرسول. نعم كان الرجل ممقوتا عند رجال السلطة الحاكمة، لا سيما و كان يجابههم بما يخشون صراحتة و صرامته، و من ثم كان طاغية العرب معاوية الهاوية، يلعنه ضمن نفر الخمسة الذين كان يلعنهم في قنوته «١»، و كان ذلك من شدة قنوته من رحمة الله التي وسعت كل شيء، أنه من قوم غضب الله عليهم قد يسوا من الآخرة كما ينس الكفار من أصحاب القبور «٢».

و للمولى محمد تقى التستري- أدام الله فضله و ألبسه ثوب العافية- تحقيق لطيف بشأن براءة الرجل من إصااق هكذا تهم مفضوحة، و أنه لم يزل في خدمة المولى أمير المؤمنين عليه السلام لم يبرح البصرة حتى قتل الإمام عليه السلام. و كان من المحرضين لبيعه الإمام الحسن المجتبي عليه السلام. و بعد أن تم الصلح اضطر إلى (١) و هم: على و الحسن و الحسين و ابن عباس و الأشتر. شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ١٥، ص ٩٨ و راجع: بحار الأنوار، ج ٤٢ (ط بيروت) ص ١٧٦.

(٢) من الآية رقم ١٣ من سورة الممتحنة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣١

المغادرة إلى بيت الله الحرام حتى توفاه الله، عليه رضوان الله «١».

و لسيدنا الأستاذ العلامة الفاني- رحمه الله عليه- رسالة و جيزة في براءة الرجل، استوفى فيها الكلام بشأنه، جزاه الله خيرا عن الحق و أهله. «٢»

توسعه في التفسير

و لم تمض العشرة الأولى من وفاة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم إلّا و نرى ابن عباس قد تفرغ للتفسير و استنباط معاني القرآن. «٣» بينما سائر الصحابة كانت قد أشغلتهم شئون شتى، مما يرجع إلى جمع القرآن أو إقرائه، أو تعليم السنن و القضاء بين الناس، أو التصدي لسياسة البلاد، و ما شاكل. و إذا باين عباس نراه صارفا همته في فهم القرآن و تعليمه و استنباط معانيه و بيانه، مستعيا بذلك عما فاتة أيام حياة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم لمكان صغره و عدم كفاءته ذلك الحين. فكان يستطرق أبواب العلماء من الصحابة الكبار، كآذا و جادا في طلب العلم من أهله أينما وجدته، و لا سيما من الإمام أمير المؤمنين باب علم النبي صلى الله عليه و آله و سلم، كما لم يفته عقد حلقات في مسجد النبي صلى الله عليه و آله و سلم لمدارسة علوم القرآن و معارفه و نشر تعاليم الإسلام من أفخم بؤرته القرآن. و يقال: «٤» إن ذلك كان بأمر من الإمام أمير المؤمنين عليه السلام؛ و بذلك فقد تحقق بشأنه دعاء الرسول: «اللهم بارك فيه و أنشر منه»

(١) راجع: قاموس الرجال (ط الأولى) ج ٦، ص ٢-٦٥.

(٢) طبعت في قم المقدسة، سنة ١٣٩٨ هـ. ق.

(٣) كما قال الزركشي في البرهان، ج ٢، ص ١٥٧. قال: «و هو تجرد لهذا الشأن».

(٤) حدثني بذلك السيد محمد باقر الأبطحي عن المرحوم زعيم الملة في وقته السيد آغا حسين البروجردى قدس سره.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٢

لكن بموازاة انتشار العلم منه في الآفاق، راجع الوضع على لسانه، لمكان شهرته و معرفته في التفسير. و من ثم فإن التشكيك في أكثر المأثور عنه أمر محتمل. قال الأستاذ الذهبي: روى عن ابن عباس في التفسير ما لا يحصى كثرة، و تعددت الروايات عنه، و اختلفت طرقها. فلا تكاد تجد آية من كتاب الله إلّا و لابن عباس فيها قول مأثور أو أقوال، الأمر الذي جعل نقاد الأثر و رواة الحديث يقفون

إزاء هذه الروايات - التي تجاوزت الحدّ - وقفه المرتاب «١».

قال جلال الدين السيوطي: و رأيت في كتاب فضائل الإمام الشافعي، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن شاعر القطن، أنه أخرج بسنده من طريق ابن عبد الحكم، قال: سمعت الشافعي يقول: لم يثبت عن ابن عباس في التفسير إلا شبيهه مائة حديث «٢».

و ذكر ابن حجر العسقلاني: أن البخاري لم يخرج من أحاديث ابن عباس، في التفسير وغيره، سوى مائتين و سبعة عشر حديثاً، بينما يذكر أن ما خرج من أحاديث أبي هريرة الدوسي، يبلغ أربعمئة و ستة و أربعين حديثاً. «٣»

غير أن معرفته الفائقة في التفسير، و أنّ الخريجين من مدرسته جعلته في قمة علوم التفسير. و هذا المأثور الضخم من التفسير الوارد عنه أو عن أحد تلامذته المعروفين - و هم كثرة عدد نجوم السماء - لما يفرض من مقامه الرفيع في إعلاء ذروة التفسير. منه يصدر و عنه كلّ مأثور في هذا الباب.

و لقد كان موضع عناية الأئمة، و لا سيما الكبار و الأئمة، من الصحابة و من (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٧٧.

(٢) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٩.

(٣) مقدمة شرح البخاري، ص ٤٧٦ - ٤٧٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٣

عاصره و ممن لحقه على مدى الأحقاب. فما أكثر ما يدور اسمه في كتب التفسير على اختلاف مبانيها و مناهجها، و متنوع مسالكها و منازعها في السياسة و المذهب.

قال الدكتور الصاوي: و لعلّ في كثرة ما وضع و نسب إليه آية على تقدير له و إكباراً من الوضاع، و رغبة في تنقّب بضاعتهم، موسومة بمن في اسمه الرواج العلمي «١».

منهجه في التفسير

إشارة

كان ابن عباس تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و منه أخذ العلم و تلقى التفسير، سواء في أصول مبانيه أم في فروع معانيه، فقد سار على منهج مستقيم في استنباط معاني القرآن الحكيم.

إنه لم يحد عن منهج السلف الصالح في تفسير القرآن و فهم معاني كتاب الله العزيز الحميد، ذلك المنهج الذي رست قواعده على أسس قويمه و مبان حكيمة.

و قد حدّد ابن عباس معالم منهجه في التفسير بقوله: «التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، و تفسير لا يعذر أحد بجهالته، و تفسير يعلمه العلماء، و تفسير لا يعلمه إلا الله» «٢».

و

قد فسّرت رواية أخرى عنه: أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم قال: «أنزل القرآن على أربعة أحرف: حلال و حرام لا يعذر أحد بالجهالة به، و تفسير تفسره العرب، و تفسير تفسره العلماء، و متشابه لا يعلمه إلا الله...» «٣». (١) مناهج في التفسير، ص ٤١.

(٢) أبو جعفر الطبري - جامع البيان - ج ١، ص ٢٦.

(٣) المصدر نفسه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٤

فالقرآن، فيه مواظ و آداب و تكاليف و أحكام، يجب على المسلمين عامة المعرفة بها و العمل عليها؛ لأنها دستور الشريعة العام. فهذا

يجب تعليمه و تعلمه، و لا يعذر أحد بجهالته.

و فيه أيضا غريب اللغة و مشكلها، مما يمكن فهمها و حلّ معضلها، بمراجعة الفصيح من كلام العرب الأوائل؛ لأن القرآن نزل بلغتهم، و على أساليب كلامهم المعروف.

و فيه أيضا نكات و دقائق عن مسائل المبدأ و المعاد، و عن فلسفة الوجود و أسرار الحياة، لا يبلغ كنهها و لا يعرفها على حقيقتها غير أولى العلم، ممن وقفوا على أصول المعارف، و تمكّنوا من دلائل العقل و النقل الصحيح.

و بقى من المتشابه ما لا يعلمه إلا الله، إن أريد به الحروف المقطعة في أوائل السور؛ حيث هي رموز بين الله و رسوله، لم يطلع الله عليها أحدا من العباد سوى النبي و الصفوة من آله؛ علمهم إياها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم.

و إن أريد به ما سوى ذلك مما وقع متشابها من الآيات، فإنه لا يعلم تأويلها إلا الله و الراسخون في العلم، و هم رسول الله و العلماء الذين استقوا من منهل عذبه الفرات، لا سبيل إلى معرفتها عن غير طريق الوحي. فالعلم به خاص بالله و من ارتضاه من صفوة خلقه.

و على ضوء هذا التقسيم الرباعي يمكننا الوقوف على مباني التفسير التي استندها ابن عباس في تفسيره العريض:

أولا- مراجعة ذات القرآن في فهم مراداته

إذ خير دليل على مراد أى متكلم، هي القرائن اللفظية التي تحفّ كلامه، و التي

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج 1، ص: 235

جعلها مسانيد نطقه و بيانه، و قد قيل: للمتكلم أن يلحق بكلامه ما شاء ما دام متكلمًا، هذا في القرائن المتصلة. و كثيرا ما يعتمد المتكلمون على قرائن منفصلة من دلائل العقل أو الأعراف الخاصة، أو ينصب في كلام آخر له ما يفسر مراده من كلام سبق، كما في العموم و الخصوص، و الإطلاق و التقييد، و هكذا ...

فلو عرفنا من عادة متكلم اعتماده على قرائن منفصلة، ليس لنا حمل كلامه على ظاهره البدائي، قبل الفحص و اليأس عن صوارفه. و القرآن من هذا القبيل، فيه من العموم ما كان تخصيصه في بيان آخر، و هكذا تقييد مطلقاته و سائر الصوارف الكلامية المعروفة. و ليس لأى مفسر أن يأخذ بظاهر آية ما لم يفحص عن صوارفها و سائر بيانات القرآن التي جاءت في غير آية، و لا سيما و القرآن قد يكرّر من بيان حكم أو حادثه و يختلف بيانه حسب الموارد، و من ثم يصلح كل واحد دليلا و كاشفا لما أبهم في مكان آخر.

و هكذا نرى مفسرنا العظيم، عبد الله بن عباس، يجرى على هذا المنوال، و هو أمتن المجارى لفهم معانى القرآن، و مقدّم على سائر الدلائل اللفظية و المعنوية. فلم يغفل النظر إلى القرآن الكريم نفسه، في توضيح كثير من الآيات التي خفى المراد منها في موضع، ثم وردت بشيء من التوضيح في موضع آخر.

شأنه في ذلك شأن سائر المفسرين الأوائل، الذين ساروا على هدى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم.

فمن هذا القبيل ما رواه السيوطي بأسانيده إلى ابن عباس، في قوله تعالى:

قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ ... «1» قال: كنتم أمواتا قبل أن يخلقكم؛ (1) غافر/ 11.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج 1، ص: 236

فهذه ميتة، ثم أحياكم؛ فهذه حياة، ثم يميتكم فترجعون إلى القبور؛ فهذه ميتة أخرى، ثم يعثكم يوم القيامة؛ فهذه حياة. فهما ميتتان و حياتان، فهو كقوله تعالى:

كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنْتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ «1»، و هكذا أخرج عن ابن مسعود و أبى مالك و قتادة أيضا «2».

ثانيا- رعايته لأسباب النزول

ولأسباب النزول دورها الخطير في فهم معانى القرآن؛ حيث الآيات و السور نزلت نجوما، و فى فترات و شئون يختلف بعضها عن بعض. فإذا كانت الآية تنزل لمناسبة خاصة و لعلاج حادثه وقعت لوقتها، فإنها حينذاك ترتبط معها ارتباطا وثيقا. و لو لا الوقوف على تلك المناسبة، لما أمكن فهم مرامى الآية بالذات، فلا بدّ لدارس معانى القرآن أن يراعى قبل كل شىء شأن نزول كل آية آية، و يهتم بأسباب نزولها. هذا إذا كان لنزولها شأن خاص، فلا بدّ من النظر و الفحص.

و هكذا اهتمّ حبر الأُمّية بهذا الجانب، و اعتمد كثيرا لفهم معانى القرآن على معرفة أسباب نزولها، و كان يسأل و يستقصى عن الأسباب و الأشخاص الذين نزل فيهم قرآن و سائر ما يمسّ شأن النزول، و هذا من امتيازها الخاص الموجب لبراعته فى التفسير. و قد مرّ حديث إتيانه أبواب الصحابة يسألهم الحديث عن رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم، «٣» كان حريصا على طلب العلم و منهوما لا يشع:

من ذلك ما رواه جماعة كبيرة من أصحاب الحديث، بإسنادهم إلى ابن (١) البقرة/ ٢٨.

(٢) الدر المنثور، ج ٥، ص ٣٤٧. و راجع: الطبرى تفسيره، ج ٢٤، ص ٣١.

(٣) الإصابه، ج ٢، ص ٣٣١-٣٣٢.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٧

عباس، قال: لم أزل حريصا أن أسأل عمر عن المرأتين من أزواج النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم اللّتين قال الله تعالى بشأنهما إنّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما ... «١» حتى حجّ عمر و حججت معه، فلما كان ببعض الطريق عدل عمر و عدلت معه بالإداوة، ففتبرز ثم أتى، فصبيت على يديه فتوضّأ، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان من أزواج النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم اللتان قال الله: إنّ تَتُوبَا إِلَى اللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُما؟ فقال: وا عجباً لك يا ابن عباس! هما: عائشه، و حفصه «٢».

و فى تفسير القرطبي، قال ابن عباس: مكثت سنتين أريد أن أسأل عمر عن المرأتين اللّتين تظاهرتا على النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم ما يمنعنى إلّا مهابته، فسألته، فقال: هما حفصه و عائشه «٣».

و لقد بلغ فى ذلك الغاية، حتى لنجد اسمه يدور كثيرا فى أقدم مرجع بين أيدينا عن سبب النزول، و هو سيرة ابن إسحاق التى جاء تلخيصها فى سيرة ابن هشام.

قال: و كان ابن عباس يقول: فيما بلغنى نزل فى النضر بن حارث ثمان آيات من القرآن: قول الله عز و جل: إِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِ آيَاتُنَا قَالَ أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ «٤»، و كل ما ذكر فيه من الأساطير من القرآن «٥».

قال: و حدثت عن ابن عباس أنه قال- و سرد قصه سؤال أحبار اليهود (١) التحريم/ ٤.

(٢) الدر المنثور، ج ٦، ص ٢٤٢.

(٣) الجامع لأحكام القرآن، ج ١، ص ٢٦.

(٤) القلم/ ١٥.

(٥) ابن هشام، ج ١، ص ٣٢١. تكرر لفظ «الأساطير» فى تسع سور مكية: الأنعام/ ٢٥. الأنفال/ ٣١.

النحل/ ٢٤. المؤمنون/ ٨٣. الفرقان/ ٥. النمل/ ٦٨. الأحقاف/ ١٧. القلم/ ١٥. المطّفين/ ١٣.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٨

النّبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم عند مقدمه المدينة:- فأنزل الله عليه فيما سأله عنه من ذلك: وَ لَوْ أَنَّ مَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ... «١».

قال: و أنزل الله تعالى عليه فيما سأله قومه من تسيير الجبال وَ لَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ ... «٢».

قال: و أنزل عليه في قولهم: خذ لنفسك و قالوا ما لهذا الرسول ... «٣»،
و أنزل عليه في ذلك من قولهم: و ما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا إنهم ليأكلون الطعام و يمشون في الأسواق ... «٤»، و كذا في قوله
تعالى: و لا تَجْهَرُ بِصَوْتِكَ و لا تُخَافِتْ بِهَا .. «٥»: إنما أنزلت من أجل أولئك النفر ... «٦» و هكذا يتابع ذكر أسباب نزول آيات، و
في الأكثر يسندها إلى ابن عباس.

و قد برع ابن عباس في هذه الناحية من نواحي أدوات التفسير، حتى كان يخلص آي القرآن المدني من المكي. فقد سأل أبو عمرو
ابن العلاء مجاهدا عن تلخيص آي القرآن المدني من المكي، فقال: سألت ابن عباس عن ذلك، فجعل ابن عباس يفصلها له. و هكذا
وجد ابن عباس بدوره قد سأل أبي بن كعب عن ذلك «٧».

كما تقصّى أسباب النزول فأحسن التقصّي، فكان يعرف الحضري من (١) لقمان / ٢٧.

(٢) الرعد / ٣١.

(٣) الفرقان / ٧.

(٤) الفرقان / ٢٠.

(٥) الإسراء / ١١٠.

(٦) راجع: ابن هشام، ج ١، ص ٣٣٠ و ٣٣٥.

(٧) راجع: الإتقان، ج ١، ص ٢٤ و ٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٣٩

السفري، و النهارى من الليلى، و فيم أنزل و فيمن أنزل، و متى أنزل و أين أنزل، و أول ما نزل و آخر ما نزل، و هلم جزأ «١»، مما يدل
على براعته و نبوغه في تفسير القرآن.

ثالثاً - اعتماده المأثور من التفسير المروي

اعتمد ابن عباس في تفسيره على المأثور عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم و الطيبين من آله و المنتجبين من أصحابه. و قد أسلفنا
تتبعه عن آثار الرسول و أحاديثه. كان يستطرق أبواب الصحابة العلماء، ليأخذ منهم ما حفظوه من سنة النبي و سيرته الكريمة. و قد جدّ
في ذلك و اجتهد مبلغ سعيه وراء طلب العلم و الفضيلة، حتى بلغ أقصاها. و قد سئل: أنى أدركت هذا العلم؟ فقال: بلسان سئول و
قلب عقول «٢».

هو حينما يقول: «جلّ ما تعلّمت من التفسير من عليّ بن أبي طالب عليه السلام» «٣»، أو «ما أخذت من تفسير القرآن فعن عليّ بن أبي
طالب» «٤»، إنما يعنى اعتماده المأثور من التفسير، إذا كان الأثر صحيحاً صادراً من منبع وثيق.

و هكذا عند ما كان يأتي أبواب الصحابة بغية العثور على أقوال الرسول في مختلف شئون الدين و منها المأثور عنه في التفسير، إنّ
ذلك كلّه لدليل على مبلغ اعتماده على المنقول صحيحاً من التفسير. (١) الإتقان، ج ١، ص ٥١-٥٧ و ٦٠-٦٤ و ٦٨-٧٦ و غير ذلك

..

(٢) التصحيح و التحريف للصاحبي، ص ٣.

(٣) سعد السعود لابن طاوس، ص ٢٨٥.

(٤) التفسير و المفسرون للذهبي، ج ١، ص ٨٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٠

فهو عند كلامه الأنف إنما يلقي الضوء على تفاسيره بالذات، و أنها من النمط النقلى في أكثره، و إن كان لا يصرّح به في الموارد، بعد

إعطاء تلك الكلية العامة.

رابعاً - اضطلاع بالأدب الرفيع

لا شك أن القرآن نزل بالفصحى من لغة العرب، سواء في مواد كلماته أم في هيئات الكلم و حركاتها البنائية و الإعرابية، اختار الأ فصح الأ فشى فى اللغه دون الشاذ النادر. و حتى من لغات القبائل اختار المعروف المألوف بينهم دون الغريب المنفور. فما أشكل من فهم معانى كلماته، لا بدّ لحلّها من مراجعة الفصيح من كلام العرب المعاصر لنزول القرآن؛ حيث نزل بلغتهم و على أساليب كلامهم المألوف.

و هكذا نجد ابن عباس يرجع، عند مبهمات القرآن و ما أشكل من لفظه، إلى فصيح الشعر الجاهلى، و البديع من كلامهم الرفيع. و كان استشهاده بالشعر إنما جاءه من قبل ثقافته الأديبية و اضطلاع بالغة و فصيح الكلام. و فى تاريخ الأدب العربى آنذاك شواهد رائعة تشيد بنبوغه و مكانته السامية فى العلم و الأدب.

و ساعده على ذلك ذكاء مفرد و حافظه قويّة لا قطة، كان لا يسمع شيئاً إلّا و كان يحفظه بكامله لوقته.

يروى أبو الفرج الأصبهاني بإسناده إلى عمر الركاء، قال: بينا ابن عباس فى المسجد الحرام و عنده نافع بن الأزرق (رأس الأزارقة من الخوارج) و ناس من الخوارج يسألونه؛ إذ أقبل عمر بن أبى ربيعة فى ثوبين مصبوغين موزدين أو ممصيرين «١» حتى دخل و جلس. فأقبل عليه ابن عباس فقال: أنشدنا، فأنشده: (١) ثوب ممصّر: مصبوغ باللون الأحمر، و فيه شىء من صفرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤١

أ من آل نعم أنت غاد فمبكر غداة غد أم رائح فمهجر؟

حتى أتى على آخرها فأقبل عليه نافع بن الأزرق، فقال: الله يا ابن عباس! إننا نضرب إليك أكباد الإبل من أقاصى البلاد نسألك عن الحلال و الحرام فتتناقل عنّا، و يأتيك غلام مترف من مترفى قريش فينشدك:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيخزى و أما بالعشى فيخسر!

فقال: ليس هكذا قال. قال: فكيف قال؟ فقال: قال:

رأت رجلاً أما إذا الشمس عارضت فيضحى و أما بالعشى فيحصر! فقال: ما أراك إلا و قد حفظت البيت! قال: أجل! و إن شئت أن أنشدك القصيدة أنشدتك إيّاها. قال: فإنى أشاء. فأنشده القصيدة حتى أتى على آخرها. و ما سمعها قطّ إلّا تلك المرّة صفحا «١»، و هذا غاية الذكاء.

فقال له بعضهم: ما رأيت أذكى منك قطّ! فقال: و لكننى ما رأيت قطّ أذكى من على بن أبى طالب عليه السلام.

و كان ابن عباس يقول: ما سمعت شيئاً قطّ إلّا رويته.

ثم أقبل على ابن أبى ربيعة، فقال: أنشد، فأنشده:

تشطّ غدا دار جيراننا ... و سكت.

فقال ابن عباس: و للدار بعد غد أبعد! فقال له عمر: كذلك قلت - أصلحك الله - أسمعته؟ قال: لا، و لكن كذلك ينبغي!! «٢» و هذا غاية فى الفطنة و الذكاء، مضافا إليه الذوق الأدبى الرفيع! (١) أى مرورا و عرضا.

(٢) الأغاني، ج ١، ص ٨١-٨٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٢

و هو الذى كان يحفظ خطب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الرنّانة فور استماعها، فكان راوية الإمام فى خطبه و سائر مقالاته.

و كان ذوقه الأدبى الرفيع و ثقافته اللغوية العالية، هو الذى حدا به إلى استخدام هذه الأداة ببراعة، حينما يفسّر القرآن و يشرح من

غريب لفظه. كان يقول: الشعر ديوان العرب، فإذا خفى علينا الحرف من القرآن، الذى أنزله الله بلغه العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا معرفة ذلك منه.

و أخرج ابن الأنبارى من طريق عكرمة عن ابن عباس، قال: إذا سألتموني عن غريب القرآن، فالتمسوه فى الشعر، فإن الشعر ديوان العرب (١).

و أخرج الطبرى من طريق سعيد بن جبير- فى تفسير قوله تعالى: وَ مَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ (٢)- عن ابن عباس، و قد سئل عن (الحرج)، قال: إذا تعاجم شىء من القرآن فانظروا فى الشعر فإن الشعر عربى. ثم دعا أعرابيا فقال: ما الحرج؟ قال: الضيق. قال ابن عباس: صدقت (٣).

و كان إذا سئل عن القرآن، فى غريب ألفاظه، أنشد فيه شعرا. قال أبو عبيد: يعنى كان يستشهد به على التفسير.

قال ابن الأنبارى: و قد جاء عن الصحابة و التابعين كثيرا، الاحتجاج على غريب القرآن و مشكله بالشعر، قال: و أنكروا جماعة- لا علم لهم- على النحويين ذلك، و قالوا: إذا فعلتم ذلك جعلتم الشعر أصلا للقرآن. و ليس الأمر كما زعموا، (١) الإتيان، ج ٢، ص ٥٥. (٢) الحج / ٧٨.

(٣) الطبرى، ج ١٧، ص ١٤٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٣

بل المراد تبين الحرف الغريب من القرآن بالشعر؛ لأنه تعالى يقول: إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا (١)، و قال: وَ هَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ (٢).

مسائل ابن الأزرق

و لعل أوسع ما أثر عن ابن عباس فى هذا الباب هى مسائل نافع بن الأزرق الخارجى (٣)، جاء ليسأل حبر الأمة تعنتا لا تفهما. و كان متقنا للعربية و أمير قومه و فقيههم، فحاول إفحام مثل ابن عباس استظهارا لمذهبه.

و القصة كما رواها السيوطى فى الإتيان، فيها شىء من الغرابة، و لعل فيها زيادة و تحريفا، غير أنها على كل حال تحدد من اتجاه ابن عباس اللغوى فى التفسير، و اضطلاع بالأدب الرفيع.

قال جلال الدين السيوطى: قد روينا عن ابن عباس كثيرا من استشهاده بالشعر لحل غريب القرآن، و أوعب ما روينا عنه مسائل ابن الأزرق- و ساقها تماما حسب استخراجها من كتاب الوقف لابن الأنبارى، و المعجم الكبير للطبرانى- (٤) و لنذكر منها طرفا:

قال بينا عبد الله بن عباس جالس بفناء الكعبة، قد اكتنفه الناس يسألونه عن تفسير القرآن، و إذا بنافع بن الأزرق قال لنجدة بن عويمر (٥): «٥» قم بنا إلى هذا الذى (١) الزخرف / ٣.

(٢) النحل / ١٠٣، الإتيان، ج ٢، ص ٥٥.

(٣) نافع بن الأزرق الحنفى الحرورى، رأس الأزارقة من الخوارج و إليه نسبتهم. هلك سنة (٦٥ هـ)

(٤) راجع الإتيان، ج ٢، ص ٥٦-٨٨.

(٥) نجدة بن عامر الحنفى الحرورى، رأس الفرقة النجدية. كان من أصحاب الثورات ذلك العهد. هلك سنة (٦٩ هـ).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٤

يجترئ على تفسير القرآن بما لا علم له به، فأتياه و قالوا: نريد أن نسألك عن أشياء من كتاب الله، فتفسرها لنا، و تأتينا بمصادقه من كلام العرب، فإن الله إنما أنزل القرآن بلسان عربى مبين. قال ابن عباس: سلانى عما بدا لكما.

فسأله نافع عن قوله تعالى: عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ «١»؟ قال:

العزون: الحلق الرقاق. قال نافع: و هل تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم، أما سمعت عبيد بن الأبرص و هو يقول:

فجاءوا يهرعون إليه حتى يكونوا حول منبره عزينا

قال الراغب: عزون، واحده عزة، و أصله من: عزوته فاعتزى، أى نسبته فانتسب.

و قال الطبرسى: عزون، جماعات فى تفرقة، واحدهم عزة. و إنما جمع بالواو و النون؛ لأنه عوض، مثل سنه و سنون. و أصل عزة عزوة

من: عزاه يعزوه، إذا أضافه إلى غيره. فكل جماعة من هذه الجماعات مضافه إلى الأخرى «٢».

و سأله عن قوله: إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ «٣»؟ قال: نضجه و بلاغه. و استشهد بقول الشاعر:

إذا مشت وسط النساء تأودت كما اهتزَّ غصن ناعم النبت يانع «٤»

و سأله عن الْفُلُوكِ الْمَشْحُونِ «٥»؟ قال: السفينة الموقرة الممتلئة. و استشهد بقول ابن الأبرص: (١) المعارج / ٣٧.

(٢) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٥٧.

(٣) الأنعام / ٩٩.

(٤) أود و تأود: اعوجَّ و انحنى.

(٥) الشعراء / ١١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٥

شحنًا أرضهم بالخييل حتى تركناهم أذلَّ من الصراط «١»

و سأله عن زَينِم «٢»؟ قال: ولد زنى. و استشهد بقول الخطيم التميمي:

زينم تداعته الزجال زيادة كما زيد فى عرض الأديم الأكارع «٣»

قال الراغب: الزينم: الزائد فى القوم و ليس منهم. و هو المنتسب إلى قوم هو معلق بهم لا منهم.

و سأله عن جَدُّ رَبَّنَا «٤»؟ قال: عظمة ربنا. و استشهد بقول أمية بن أبى الصلت:

لك الحمد و النعماء و الملك ربنا فلا شيء أعلى منك جدًا و أمجدًا

و كان يبحث عن لغات القبائل و يترصد أخبارهم، استطلاعاً للغريب من ألفاظهم الواقعة فى القرآن، و كان إذا أشكل عليه فهم كلمة

أرجأها حتى يتسمع قول الأعراب ليعثر على معناها، طريقه متبعه لدى أهل التحقيق.

أخرج الطبرى بإسناده إلى ابن أبى يزيد قال: سمعت ابن عباس، و هو يسأل عن قوله تعالى: ما جعلَ عَلَيْكُمْ فى الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ «٥»،

قال: ما هاهنا من هذيل «٦» أحد؟ فقال رجل: نعم، قال: ما تعدون الحرجه فيكم؟ قال: الشيء الضيق. (١) شحن المدينة بالخييل: ملأها.

(٢) القلم / ١٣.

(٣) تداعوا الشيء: ادَّعوه. تداعى القوم: دعا بعضهم بعضا. و الأديم: وجه الأرض. و أكارع الأرض:

أطرافها القاصية.

(٤) الجن / ٣.

(٥) الحج / ٧٨.

(٦) تروى الأخبار أن هذيلًا كانت أحسن القبائل ثقافة و أوسعها فى اللغة، و من ثم تمنى عثمان - عند ما

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٦

قال ابن عباس: فهو كذلك «١».

و أخرج من طريق قتادة عن ابن عباس، قال: لم أكن أدري ما أفتيح بيننا و بين قومنا بالحق «٢» حتى سمعت ابنه ذى يزن تقول لزوجها:

تعال أفاتحك، تعنى أفاضيك «٣».

و أخرج أبو عبيد فى الفضائل من طريق مجاهد عن ابن عباس، قال: كنت لا أدرى ما فاطر السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ «٤» حتى أتانى أعرابيان يختصمان فى بئر، رفع إليه المصحف و رأى فيه شيئاً من اللحن - قال: لو كان المملئ من هذيل، و الكاتب من ثقيف، لم يقع فيه هذا. (مصاحف السجستاني، ص ٣٢-٣٣) و يروى أن عمر قرأ على المنبر: أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَى تَخَوُّفِ النحل / ٤٧، و لم يدر ما معنى التَخَوُّفِ هنا! فسأل القوم عن ذلك، فقام إليه شيخ من هذيل و قال: هذه لغتنا التَخَوُّفِ: التنقص.

فقال له عمر: أو هل تعرف العرب ذلك؟ قال الشيخ: نعم، يقول الشاعر:

تَخَوُّفِ الرَّحْلِ مِنْهَا تَامَكَ قَرْدًا كَمَا تَخَوُّفِ عَوْدِ النَّبْعَةِ السَّفْنِ

و السَّفْنِ: الحديدية التى يبرد بها خشب القوس. و القرد: الكثير القردان. و التامك: العظيم السنام.

يقول: إن الرحل تنقص سنام الناقه كما تأكل الحديدية خشب القوس.

(فجر الإسلام لأحمد أمين، ص ١٩٦ عن الموافقات، ج ٢، ص ٥٧ و ٥٨. و الذهبى، ج ١، ص ٧٤، عنه ج ١، ص ٨٨)

(١) تفسير الطبرى، ج ١٧، ص ١٤٣.

(٢) الأعراف / ٨٩.

(٣) الطبرى، ج ٩، ص ٣. و فى رواية: انطلق أفاتحك، تعنى أخاصمك ... و راجع: الإتيان، ج ٢، ص ٥.

و جاءت القصة فى تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة، ج ١، ص ٤٨ محرّفة. و راجع: أيضا مناهج التفسير للصاوى، ص ٣٤.

(٤) فاطر / ١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٧

فقال أحدهما: أنا فطرتها، يقول: أنا ابتدأتها «١».

و فى تفسير الزمخشري - عند قوله تعالى: إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ «٢» - و عن ابن عباس: ما كنت أدرى ما معنى «يحور» حتى سمعت أعرابية تقول لبيتها لها:

حورى، أى ارجعى.

و استشهد الزمخشري بقول لبيد:

و ما المرء إلّا كالشهاب و ضوئه يحور رمادا بعد إذ هو ساطع «٣»

و قد جاء نفس الاستشهاد فى مسائل ابن الأزرقي أيضا «٤».

و هكذا استطاع بثقافته اللغوية أن يحيط بلغات القبائل، و يميز عن بعضها البعض.

روى عنه فى قوله تعالى: وَ كُنْتُمْ قَوْمًا بُورًا «٥» أنه قال: البور، فى لغة أذرعات الفاسد، فأما عند العرب فإنه لا شىء «٦».

و قال فى قوله تعالى: وَ أَنْتُمْ سَامِدُونَ «٧» السمود: الفناء، و هى يمانية. (١) الإتيان، ج ٢، ص ٤.

(٢) الانشاق / ١٤.

(٣) الكشف، ج ٤، ص ٧٢٧.

(٤) الإتيان، ج ٤، ص ٦٤.

(٥) الفتح / ١٢.

(٦) رواه ابن قتيبة مسندا له إلى ابن عباس (تأويل مشكل القرآن، ج ٢، ص ١٣٣) و فيه شىء من التصحيف، صححناه على تفسير

الطبرى (ج ٢٦، ص ٤٩) من غير أن ينسبه إلى ابن عباس.

(٧) النجم / ٦١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٨

و في قوله تعالى: أ تَدْعُونَ بَعْلًا «١» قال: ربًا، بلغة أهل اليمن.

و في قوله: كَلَّا لَا وَزَرَ «٢» قال: الوزر: ولد الولد، بلغة هذيل.

و في قوله: فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا «٣» قال: مكتوبا، و هي لغة حميرية، يسمون الكتاب أسطورا «٤».

بل نراه لم يقتصر على الإحاطة بلغات القبائل، حتى ضم إليها التعرّف إلى الكلمات الوافدة إلى العربية من لغات الأمم المجاورة. قال

في قوله تعالى: إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا بلسان الحبشة، إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ «٥».

و قال في قوله تعالى: فَوَتْ مِنْ قُصُورِهِ هُوَ بِالْعَرَبِيَّةِ الْأَسَدِ، و بالفارسية شار (شير)، و بالقبطية أريا، و بالحبشية قسورة «٦».

هذا، مضافا إلى معرفته بأداب سائر الأمم و رسومهم، كان يقول في قوله تعالى: يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ يُعَمَّرُ أَلْفَ سِنَةٍ هُوَ قَوْلُ الْأَعَاجِمِ: «زه،

نوروز، مهرجان حر.» «٧».

و عن تلميذه سعيد بن جبير: هو قول بعضهم لبعض إذا عطس: زه هزار (١) الصفات/ ١٢٥.

(٢) القيامة/ ١١.

(٣) الإسراء/ ٥٨.

(٤) الإتيان، ج ٢، ص ٨٩-٩١.

(٥) تفسير الطبري، ج ١، ص ٦، المزمّل/ ٦.

(٦) المصدر نفسه، المدثر/ ٥١.

(٧) الطبري، ج ١، ص ٣٤٠، البقرة/ ٩٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٤٩

سال، و في رواية عن ابن عباس: هو قول أحدهم: زه هزار سال، يقول: عش ألف سنة. «١» «زه» و «زى» بالفارسية بمعنى الدعاء بطول

العمر، من «زيستن» بمعنى الحياة.

أضف إلى ذلك معرفته بالتاريخ و الجغرافية، و ما جرت على جزيرة العرب من حوادث و أيام، و قد أتاح له حظًا وافرا من هذه

الثقافة، تنقله في البلاد، بين مكة و المدينة، ثم ولايته على البصرة و اشتراكه في غزوة إفريقية، بل و تنقله بين أنحاء الجزيرة في طلب

العلم؛ إذ كان يهتم الاهتمام كله بتعرّف قصية كل اسم أو موطن أو موضع جرى له ذكر في القرآن، إن مبهما أو صريحا. يقول:

«الأحقاف، المذكور في الكتاب العزيز: واد بين عمان و أرض مهرة». و أرض مهرة هي حضرموت كما جاء في كلام ابن إسحاق. و

قال قتادة: الأحقاف: رمال مشرفة على البحر بالشحر من أرض اليمن. قال ياقوت: هذه ثلاثة أقوال غير مختلفة في المعنى «٢».

و قال- في البحرين:- روى عن ابن عباس: البحرين من أعمال العراق، و حدّه من عمان ناحية جرفار، و اليمامة على جبالها «٣».

و قال- في عرفة:- و قال ابن عباس: حدّ عرفة من الجبل المشرف على بطن عرنة إلى جبالها إلى قصر آل مالك و وادي عرفة «٤». (١)

الطبري، ج ١، ص ٣٤٠ و الدر المنثور، ج ١، ص ٨٩.

(٢) معجم البلدان، ج ١، ص ١١٥.

(٣) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٤٧.

(٤) معجم البلدان، ج ٤، ص ١٠٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٠

و قال- في تحديد جزيرة العرب:- و أحسن ما قيل في تحديدها ما ذكره أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي مسندا إلى ابن

عباس، قال: اقتسمت العرب جزيرتها على خمسة أقسام. قال: و إنما سميت بلاد العرب جزيرة؛ لإحاطة الأنهار و البحار بها من جميع

أقطارها و أطرافها، فصاروا منها في مثل الجزيرة من جزائر البحر «١».

إلى غيرها من موارد تدلّك على سعة معرفة ابن عباس بالأوضاع و الأحوال التي تكتنفه، شأن أيّ عالم و محقق خبير. و بعد فإنّ إحاطته باللغة و بالشعر القديم، لتدلّك على قوة ثقافته البالغة حدّا لم يصل إليه غيره، ممّن كان في طرازه ذلك العهد، الأمر الذي جعله بحقّ زعيم هذا الجانب من تفسير القرآن، حتى لقد قيل في شأنه: هو الذي أبدع الطريقة اللغوية في التفسير «٢» فضلا عن كونه أبا للتفسير في جميع جوانبه و مجالاته.

و بذلك كان قد كشف النقاب عن وجه كثير من آيات أحاطت بها هالة من الإبهام، لو لا معرفة سبب النزول. مثلا نتساءل: ما هي العلاقة بين (ذكر الله و ذكر الآباء) في قوله تعالى: فَإِذَا قَضَيْتُمْ مَنَاسِكَكُمْ فَأَذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا «٣» و السياق وارد بشأن أحكام الحج و مناسكه؟

و هنا يأتي ابن عباس ليوضح من موضع هذه العلاقة. قال: «إنّ العرب كانوا (١) معجم البلدان، ج ٢، ص ١٣٧.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٧٥ عن مذاهب التفسير الاسلامي لجولد تسيهر، ص ٨٩.

(٣) البقرة/ ٢٠٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥١

عند الفراغ من حجّتهم بعد أيام التشريق، يقفون بين مسجد منى و بين الجبل، و يذكر كل واحد منهم فضائل آبائه في السماحة و الحماسة و صلة الرحم، و يتناشدون فيها الأشعار، و يتكلمون بالمنتور من الكلام، و يريد كل واحد منهم من ذلك الفعل، حصول الشهرة و الترفع بماثر سلفه. فلما أنعم الله عليهم بالإسلام أمرهم أن يكون ذكرهم لربّهم كذكرهم لآبائهم أو أشدّ ذكرا «١».

و هكذا لما تساءل بعضهم: ما وجه قوله تعالى: فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا «٢» أي لا حرج عليه و لا مآثم في السعي بين الصفا و المروة. و ظاهره نفى البأس، أي عدم المنع، و هو لا- يقتضى الوجوب، مع أنّ قوله تعالى- في صدر الآية-: إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ ... يستدعي الوجوب؛ لأنه خبر في معنى الأمر؟! و قد كان ذلك موضع تساؤل منذ أوّل يومه. أخرج الطبري بإسناده إلى عمرو ابن حبّيش قال: قلت لعبد الله بن عمر: إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ، فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا، قال: انطلق إلى ابن عباس فاسأله فإنه أعلم من بقى بما أنزل على محمّد صلّى الله عليه و آله و سلّم.

قال: فأتيت ابن عباس فسألته، فقال: إنّه كان عندهما أصنام، فلما أسلموا أمسكوا عن الطّواف بينهما حتى أنزلت إِنَّ الصَّفاَ وَ المَرْوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ «٣».

كان المشركون قد وضعوا على الصفا صنما يقال له: «أساف»، و على المروة «نائلة». فلما اعتمر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عمره القضاء تحرّج المسلمون عن السعي (١) الفخر الرازي، ج ٥، ص ١٨٣.

(٢) البقرة/ ١٥٨.

(٣) تفسير الطبري، ج ٢، ص ٢٨، الدر المنتور، ج ١، ص ١٥٩، البقرة/ ١٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٢

بينهما، زعما منهم أنّ السعي بينهما شيء كان صنعه المشركون تزلفا إلى الصنمين، فأنزل الله أن لا حرج و لا موضع لما و همه أناس «١».

مراجعة أهل الكتاب!

و هل كان ابن عباس يراجع أهل الكتاب في فهم معاني القرآن؟

سؤال أجيب عليه بصورتين: إحداهما مبالغ فيها، والأخرى معتدلة إلى حد ما؛ كانت مراجعته لأهل الكتاب - كمراجعة سائر الاصحاب - في دائرة ضيقة النطاق، في أمور لم يتعرض لها القرآن، ولا جاءت في بيان النبي صلى الله عليه وآله وسلم؛ حيث لم تعد حاجة ملحة إلى معرفتها، ولا فائدة كبيرة في العلم بها كعدد أصحاب الكهف، والبعض الذي ضرب به موسى من البقرة، و مقدار سفينة نوح، و ما كان خشبها، و اسم الغلام الذي قتله الخضر، و أسماء الطيور التي أحيها الله لإبراهيم، و نحو ذلك مما لا طريق إلى معرفة الصحيح منه. فهذا يجوز أخذه من أهل الكتاب، و التحدث عنهم و لا حرج، كما ورد «حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج» (٢)، المحمول على مثل هذه الأمور.

قال ابن تيمية: و في بعض الأحيان ينقل عنهم (عن بعض الصحابة مثل ابن مسعود و ابن عباس و كثير من التابعين) ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب التي أباحها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم؛ حيث قال: «بلغوا عني و لو آية، و حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج». رواه البخاري عن عبد الله بن عمرو بن العاص ، و لهذا (١) مجمع البيان للطبرسي، ج ١، ص ٢٤٠.

(٢) مسند أحمد، ج ٢، ص ١٥٩ و ٢٠٢ و ٢١٤. عن عبد الله بن عمرو بن العاص. و ص ٤٧٤ و ٥٠٢ عن أبي هريرة. و ج ٣، ص ١٣ و ٤٦ و ٥٦ عن أبي سعيد الخدري.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٣

كان عبد الله بن عمرو قد أصاب يوم اليرموك زاملتين (١) من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما، بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك. و لكن هذه الأحاديث الإسرائيلية إنما تذكر للاستشهاد لا للاعتقاد، فإنها من الأمور المسكوت عنها، و لم نعلم صدقها و لا كذبها مما بأيدينا، فلا تؤمن به و لا تكذبه، و تجوز حكايته، و غالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني، و قد أبهمه الله في القرآن، لا فائدة في تعيينه تعود على المكلفين في دنياهم و لا دينهم. (٢)

و وافقه على هذا الرأي الأستاذ الذهبي، قال: كان ابن عباس يرجع إلى أهل الكتاب و يأخذ عنهم، بحكم اتفاق القرآن مع التوراة و الإنجيل، في كثير من المواضع التي أجملت في القرآن و فصلت في كتب العهدين. و لكن في دائرة محدودة ضيقة، تتفق مع القرآن و تشهد له. أما ما عدا ذلك مما يتنافى مع القرآن و لا يتفق مع الشريعة، فكان لا يقبله و لا يأخذ به.

قال: فابن عباس و غيره من الصحابة، كانوا يسألون علماء اليهود الذين اعتنقوا الإسلام فيما لا يمس العقيدة أو يتصل بأصول الدين و فروعه، كبعض القصص و الأخبار الماضية.

قال: و بهذا المسلك يكون الصحابة قد جمعوا بين

قوله صلى الله عليه وآله وسلم: «حدثوا عن بني إسرائيل و لا حرج»

و ،

قوله: «لا تصدقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم».

فإن الأول محمول على ما وقع فيهم من الحوادث و الأخبار؛ لما فيها من العظة و الاعتبار، بدليل

قوله بعد ذلك: «فإن فيهم أعاجيب».

و الثاني محمول على ما إذا (١) أي ملفتين، من زمل الشيء بثوبه أو في ثوبه: لفته.

(٢) راجع: مقدمته في أصول التفسير، ص ٤٥-٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٤

كان المخبر به من قبلهم محتملا، و لم يقدّم دليل على صدقه و لا على كذبه. قال:

كما أفاده ابن حجر، و نبه عليه الشافعي (١).

و أما المستشرقون فقد ذهبوا في ذلك مذاهب بعيدة، بالغوا فيها إلى حدّ ترفضه شريعة النقد و التمحيص. يقول العلامة المستشرق إجتس جولد تسيهر:

«و ترى الرواية الإسلامية أن ابن عباس تلقى بنفسه- في اتصاله الوثيق بالرسول- وجوه التفسير التي يوثق بها وحدها. «٢» وقد أغفلت هذه الرواية بسهولة- كما في أحوال أخرى مشابهة- أن ابن عباس عند وفاة الرسول كان أقصى ما بلغ من السنّ (١٠-١٣) سنة. «و أجدر من ذلك بالتصديق، الأخبار التي تفيد أن ابن عباس كان لا يرى غضاضة أن يرجع، في الأحوال التي يخامر فيها الشك، إلى من يرجو عنده علمها. و كثيرا ما ذكر أنه كان يرجع- كتابه- في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى (أبا الجلد) و الظاهر أنه (غيلان بن فروة الأزدي) الذي كان يثنى عليه بأنه قرأ الكتب «٣». (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٧٠-٧١ و ٧٣ و ١٧٠-١٧٣. و راجع: فتح الباري لابن حجر، ج ٨، ص ١٢٩ و ج ١٣، ص ٢٨٢.

(٢) هنا يعلّق المترجم الدكتور عبد الحليم النجار. يقول: و أين الرواية التي يزعمها، و ما قيمتها في نظر رجال النقد؟ (مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٤) و الصحيح- كما أسلفنا- أنّ ابن عباس أخذ تفسيره من الصحابة و لا سيّما من أمير المؤمنين على عليه السلام، فهو إنّما أخذ التفسير من الرسول بواسطة أصحابه الأختار.

(٣) يقول فيه العسكري في كتاب التصحيف و التحريف: هو صاحب كتاب و جماع لأخبار الملاحم.

(مذاهب التفسير، ص ٨٥ الهامش رقم ٣)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٥

«و كثيرا ما نجد بين مصادر العلم المفضّلة لدى ابن عباس، اليهوديين اللذين اعتنقا الإسلام: كعب الأخبار، و عبد الله بن سلام، كما نجد أهل الكتاب على وجه العموم، أي رجالا من طوائف ورد التحذير من أخبارها- عدا ذلك- في أقوال تنسب إلى ابن عباس نفسه. و من الحقّ أن اعتناقهم للإسلام قد سما بهم على مظنة الكذب، و رفعهم إلى مرتبة مصادر العلم التي لا تثير ارتيابا «١».

«و لم يعدّ ابن عباس أولئك الكتائبين الذين دخلوا في الاسلام، حججا فقط في الإسرائيليات و أخبار الكتب السابقة، التي ذكر كثيرا عنها الفوائد «٢»، بل كان يسأل أيضا كعب الأخبار مثلا عن التفسير الصحيح للتعبيرين القرآنيين: أمّ الكتاب «٣» و المرجان «٤».

«كان يفترض عند هؤلاء الأخبار اليهود، فهم أدقّ للمدارك الدينية العامة الواردة في القرآن و في أقوال الرسول، و كان يرجع إلى أخبارهم في مثل هذه المسائل، على الرغم من ضروب التحذير الصادرة من جوانب كثيرة فيهم» «٥».

هذه هي عبارة (جولد تسيهر) البادي عليها غلوه المفرط بشأن مسلمة اليهود، (١) سترى أن الأمر كان بالعكس، كان هؤلاء موضع ارتياب المسلمين عامة، سوى أهل المطاعم كانوا قد استغلّوا من مواضع هؤلاء غير النزيهة، أمثال معاوية و ابن العاص و من على شاكلتهما.

(٢) مثل ما أخرجه ابن سعد في الطبقات (ج ١، ق ٢، ص ٨٧) بإسناده إلى ابن عباس أنه سأل كعب الأخبار عن صفة الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم في التوراة و الإنجيل.

و كذا ما أسنده إلى مولى عمر بن الخطاب أن كعبا أخبر بموته قبل ثلاثة أيام؛ إذ وجد ذلك مكتوبا عندهم في التوراة. (الطبقات، ج ٣، ق ٢، ص ٢٤٠)

(٣) من سورة الرعد / ٣٩. راجع الطبري، ج ١٣، ص ١١٥.

(٤) من سورة الرحمن / ٢٢. راجع: الطبري، ج ٢٧، ص ٧٦-٧٧.

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٤-٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٦

و دورهم في التلاعب بمقدّرات المسلمين، الأمر الذي لا يكاد يصدّق في أجواء كانت السيطرة مع الصحابة النبهاء، إنّما كان ذلك في

عهد طغى سطو أمية على البلاد و قد أكثروا فيها الفساد، على ما سنتبه.

و قد تابعه على هذا الرأي الأستاذ أحمد أمين، قال: و لم يتحرج حتى كبار الصحابة مثل ابن عباس من أخذ قولهم.

روى أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدّقوهم و لا تكذبوهم»

. و لكن العمل كان على غير ذلك، و أنّهم كانوا يصدّقونهم و ينقلون عنهم! و إن شئت مثلا لذلك فاقراً ما حكاه الطبري و غيره عند تفسير قوله تعالى: هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَ الْمَلَائِكَةُ «١».

و عقبه بقوله: و قد رأيت ابن عباس كان يجالس كعب الأحبار و يأخذ عنه «٢»، إشارة إلى ما سبق من قوله: و أمّا كعب الأحبار أو كعب بن ماع فيهودي من اليمن، و أكبر من تسربت منهم أخبار اليهود إلى المسلمين، أسلم في خلافة أبي بكر أو عمر - على خلاف في ذلك - و انتقل بعد إسلامه إلى المدينة ثم إلى الشام. و قد أخذ عنه اثنان، هما أكبر من نشر علمه: ابن عباس - و هذا يعلل ما في تفسيره من إسرائيليات - و أبو هريرة «٣».

نقد و تمحيص

و إنا لنأسف كثيرا أن يغترّ كتابنا النقاد - أمثال الأستاذ أحمد أمين و الأستاذ (١) البقرة / ٢١٠.

(٢) فجر الإسلام، ص ٢٠١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٧

الذهبي - بتخرّصات لفقها أوهام مستوردة، فلنترك المستشرقين في ريبهم يترددون، و لكن ما لنا - نحن معاصر المسلمين - أن نحذو حذوهم و نواكبهم في مسيرة الوهم و الخيال؟! لا - شكّ أن نهاء الصحابة أمثال ابن عباس كانوا يتحاشون مراجعة أهل الكتاب و يستقذرون ما لديهم من أساطير و قصص و أوهام، و إنما تسربت إسرائيليات إلى حوزة الإسلام، بعد انقضاء عهد الصحابة، و عند ما تسيطر الحكم الأموي على البلاد لغرض العيث في الأرض و شمول الفساد، الأمر الذي أحوجهم إلى مراجعة الأندال من مسلمة اليهود و من تبعهم من سفلة الأوغاد.

و سنذكر أن مبدأ نشر إسرائيليات بين المسلمين كان في هذا العهد المظلم بالخصوص، حاشا الصحابة و حاشا ابن عباس بالذات أن يراجع ذوى الأحقاد من اليهود، و يترك الخلص من علماء الإسلام أمثال الإمام عليّ بن أبي طالب عليه السلام، و كان سفظ العلم و لديه علم الأولين و الآخرين، علما ورثه من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في شمول و عموم.

و قد مرّ عليك أنه كان يستطرق أبواب العلماء من الصحابة بغية العثور على أطراف العلم الموروث من الرسول الأكرم صلى الله عليه و آله و سلم، و قد سئل: أنى أدركت هذا العلم؟ فقال: بلسان سنول و قلب عقول «١».

و إليك من تصريحات ابن عباس نفسه، يحذّر مراجعة أهل الكتاب بالذات، فكيف يا ترى، ينهى عن شيء ثم يرتكبه؟! (١) التصحيف و التحريف للصاحبى، ص ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٨

التحذير عن مراجعة أهل الكتاب

أخرج البخارى بإسناده إلى عبيد الله بن عبد الله بن عتبة عن ابن عباس، قال:

«يا معشر المسلمين كيف تسألون أهل الكتاب، و كتابكم الذى أنزل على نبيّه صلى الله عليه و آله و سلم أحدث الأخبار بالله تقرأونه لم يشب» (١)، و قد حدّثكم الله أنّ أهل الكتاب بدّلوا ما كتب الله و غيروا بأيديهم الكتاب، فقالوا: هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا، أفلا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم، و لا و الله ما رأينا منهم رجلا قطّ يسألكم عن الذى أنزل عليكم» (٢).

و أخرج عن أبى هريرة قال: كان أهل الكتاب (٣) يقرءون التوراة بالعبرانية و يفسّرونها بالعريية لأهل الإسلام، فقال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «لا تصدّقوا أهل الكتاب و لا تكذّبوهم، و قولوا: آمنا بالله و ما أنزل إلينا و ما أنزل إليكم» (٤).

و أخرج عبد الرزاق من طريق حريث بن ظهير، قال: قال عبد الله بن عباس:

«لا تسألوا أهل الكتاب، فإنهم لن يهدوكم و قد أضلوا أنفسهم، فتكذبوا بحقّ أو تصدّقوا بباطل» (٥).

و هذا الحديث وضح من كلام النبي صلى الله عليه و آله و سلم فى عدم تصديقهم و لا تكذيبهم؛ (١) جاء فى موضع آخر: «و كتابكم الذى أنزل على رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أحدث، تقرأونه محضا لم يشب» قوله: لم يشب، أى لم يخلطه شىء من غير القرآن، تعريضا بكتب العهدين التى دسّ فيها ما ينبو عن كونه وحيا.

(٢) جامع البخارى، ج ٩، ص ١٣٦، باب قول النبي: لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء و ج ٣، ص ٢٣٧ باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة و غيرها، و اللفظ على الأخير.

(٣) و يعنى بهم اليهود بالذات. صرح بذلك ابن حجر فى الشرح، ج ٣، ص ٢٨٢.

(٤) جامع البخارى، ج ٩، ص ١٣٦.

(٥) فتح البارى بشرح البخارى، ج ١٣، ص ٢٨٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٥٩

لأنهم كانوا يخلطون الحق بالباطل، فلا يمكن تصديقهم؛ لأنه ربما كان تصديقا لباطل، و لا تكذيبهم؛ لأنه ربما كان تكذيبا لحق، فالمعنى: أن لا يعتبر من كلامهم شىء و لا يترتب على ما يقولونه شىء. فلا حجية لكلامهم و لا اعتبار لأقوالهم على الإطلاق، إذن فلا ينبغى مراجعتهم و لا الأخذ عنهم فى وجه من الوجوه.

و أخرج أحمد و ابن أبى شيبه و البراز من حديث جابر، أن عمر أتى النبي صلى الله عليه و آله و سلم بكتاب أصابه من بعض أهل الكتاب، فغضب النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و قال:

«لقد جئتكم بها بيضاء نقية، لا تسألوهم عن شىء، فيخبروكم بحق فتكذبوا به، أو باطل فتصدّقوا به، و الذى نفسى بيده لو أنّ موسى كان حيا ما وسعه إلّا أن يتبعنى»

و .

فى رواية أخرى: «لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء ...» (١).

تلك مناهى الرسول صلى الله عليه و آله و سلم الصريحة فى المنع عن مراجعة أهل الكتاب إطلاقا، لا فى كبير و لا صغير، فهل يا ترى أحدا من صحابته الأخيار خالف أوامره و راجعهم فى شىء من مسائل الدين و القرآن؟! كما حسبه الأستاذ أحمد أمين، زعم أن العمل كان على ذلك، و أنهم كانوا يصدّقون أهل الكتاب و ينقلون عنهم! (٢) و أمّا الذى استشهدوا به على مراجعة مثل ابن عباس لليهود، فكّله باطل و زور، لم يثبت منه شىء.

أمّا الذى جاء به الأستاذ مثلا من قوله تعالى: (١) فتح البارى، ج ١٣، ص ٢٨٤.

(٢) نقلنا كلامه آنفا. راجع: فجر الإسلام، ص ٢٠١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٠

هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ «١» قال: فافقرأ ما حكاه الطبري وغيره عند تفسير الآية.

فقد راجعنا تفسير الطبري و الدر المنثور و ابن كثير و غيرها من أمهات كتب التفسير بالنقل المأثور «٢»، فلم نجد فيها ذكرا لكعب و لا مساءلته من قبل أحد من الأصحاب، أو غيرهم من التابعين أيضا. و لم ندر من أين أخذ الأستاذ هذا المثال، و من الذي عوّفه ذلك، فأوقعه في هذا الوهم الفاضح.

و أمّا قوله: كان ابن عباس يجالس كعب الأخبار، و كان أكثر من نشر علمه ... «٣»، فكلام أشدّ و هما و أكثر جفاء على مثل ابن عباس الصحابي الجليل؛ إذ لم نجد و لا- رواية واحدة تتضمن نقلا لابن عباس عن أحد من اليهود، فضلا عن مثل كعب الأخبار الساقط الشخصية «٤».

نعم أشار المستشرق جولدمان تسيهر إلى موارد، زعم فيها مراجعة ابن عباس لأهل الكتاب، و لعلها كانت مستند الأستاذ أحمد أمين تقليدا من غير تحقيق.

و لكننا راجعنا تلك الموارد، فلم نجدها شيئا، كسراب بقية يحسبه الظمان ماء.

منها: أن ابن عباس سأل كعب الأخبار عن تفسير تعبيرين قرآنيين: أم الكتاب، و المرجان «٥».

روى الطبري بإسناده إلى عبد الله بن ميسرة الحراني: أن شيخا بمكة من أهل (١) البقرة / ٢١٠.

(٢) جامع البيان للطبري، ج ٢، ص ١٩٠-١٩٢. و الدر المنثور للسيوطي، ج ١، ص ٢٤١-٢٤٢.

و تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٤٥-٢٤٩.

(٣) فجر الإسلام، ص ١٦٠.

(٤) سوف نتبه أن كعب الأخبار كان من صنایع معاوية، صنعه لنفسه لغرض الحطّ من كرامته الإسلام.

(٥) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦١

الشام سمع كعب الأخبار يسأل عن المرجان (الرحمن / ٢٢) فقال: هو البشد «١».

لكن من أين علم جولدمان تسيهر أن الذي سأل كعبا هو شيخ مكة و زعيمها ابن عباس؟! و كذا روى عن معتمر بن سليمان عن أبيه عن شيبان، أن ابن عباس سأل كعبا عن أم الكتاب (الرعد / ٣٩) فقال: علم الله ما هو خالق و ما خلقه عاملون، فقال لعلمه: كن كتابا، فكان كتابا «٢».

غير أن شيبان هذا- هو ابن عبد الرحمن التميمي مولاهم، النحوي أبو معاوية البصري المؤدّب، سكن الكوفة ثم انتقل إلى بغداد- مات في خلافة المهدي سنة (١٦٤) و كان من الطبقة السابعة «٣»، و عليه فلم يدرك ابن عباس المتوفى سنة (٦٨) و لا كعب الأخبار الذي هلك في خلافة عثمان سنة (٣٢) فالرواية مرسله لم يعرف الواسطة، فكانت ساقطة عن الاعتبار.

و أيضا روى عن إسحاق بن عبد الله بن الحرث عن أبيه، أن ابن عباس سأل كعبا عن قوله تعالى: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ و يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْأَمُونَ «٤» فقال: هل يثودك طرفك؟ هل يثودك نفسك؟ قال:

لا، قال: فإنهم ألهموا التسبيح، كما ألهمتم الطرف و النفس «٥». (١) تفسير الطبري، ج ٢٧، ص ٧٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٣، ص ١١٥.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٣٧٣-٣٧٤. و تقريب التهذيب أيضا له، ج ١، ص ٣٥٦، رقم ١١٥.

(٤) الأنبياء / ٢٠، فصلت / ٣٨.

(٥) تفسير الطبري، ج ١٧، ص ١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٢

و عبد الله هذا هو ابن الحارث بن نوفل بن الحارث بن عبد المطلب، ولد على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالمدينة و أصبح من فقهاءها، و تحوّل إلى البصرة و رضيته العامة، و اصطلحوا عليه حين هلك يزيد بن معاوية. توفّي سنة (٨٤) بالأبواء و دفن بها، و كان خرج إليها هاربا من الحجاج (١).

غير أن الطبري روى بإسناده إلى حسان بن مخارق عن عبد الله بن الحرث، أنه هو الذي سأل كعبا عن ذلك، قال: قلت لكعب الأخبار: يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ لَا- يَفْتَرُونَ ... أما يشغلهم رسالته أو عمل؟ قال: يا ابن أخي، إنهم جعل لهم التسييح كما جعل لكم النفس، أ لست تأكل و تشرب و تقوم و تقعد و تجيء و تذهب و أنت تتنفس؟ قلت: بلى! قال: فكذلك جعل لهم التسييح (٢).

قلت: يا ترى، هل كان هو الذي سأل كعبا أو أنه سمع ابن عباس يسأل كعبا؟

في حين أنه لا- يقول: سمعت ابن عباس يسأله، بل مجرد أن ابن عباس سأله، الأمر الذي لا يوتق بكون الرواية منتهية إلى سماع، و الظاهر أنه إرسال.

على أنه من المحتمل القريب أن السائل هو بالذات، لكنّ ابنه إسحاق كره نسبة السؤال من مثل كعب إلى أبيه، فذكر الحديث عن أبيه مع إقحام واسطة إرسال من غير إسناد. و يؤيد ذلك أنه لم تأت رواية غير هذه تنسب إلى ابن عباس أنه سأل مثل كعب، فالأرجح في النظر أنه مفتعل عليه لا محالة.

و استند جولد تسيهر- في مراجعته ابن عباس لأهل الكتاب- أيضا إلى ما رواه الطبري بإسناده إلى أبي جهضم موسى بن سالم مولى ابن عباس، قال: كتب ابن (١) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ١٨٠-١٨١.

(٢) تفسير الطبري، ج ١٧، ص ١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٣

عباس إلى أبي جلد (غيلان بن فروة الأزدي، كان قرأ الكتب، و كان يختم القرآن كل سبعة أيام و يختم التوراة كل ثمانية أيام) (١) يسأله عن «البرق» في قوله تعالى:

هُوَ الَّذِي يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَ طَمَعًا فَقَالَ: البرق: الماء (٢).

لكن في طبقات ابن سعد (٣) أن أبا الجلد الجوني- حي من الأزد- اسمه جيلان بن فروة، كان يقرأ الكتب. و زعمت ابنته ميمونة: أن أباها كان يقرأ القرآن في كل سبعة أيام، و يختم التوراة في ستّة، يقرأها نظرا، فإذا كان يوم يختمها حشد لذلك ناس.

لا شك أنها مغالاة من ابنته. يقول جولد تسيهر: و لا يتّضح حقا من هذا الخبر الغامض، الذي زادته مغالاة ابنته غموضا، أي نسخة من التوراة كان يستخدمها في دراسته. (٤)

لأن التوراة المعهودة اليوم و هي تشتمل على (٣٩) كتابا تكون في حجم كبير، ثم هي قصة حياة إسرائيل طول عشرين قرنا، و فيها تاريخ حياة أنبياء بني إسرائيل و ملوكهم و رحلاتهم و حروبهم طول التاريخ، و هي بكتب التاريخ أشبه منها بكتب الوحي. فهل كان يقرأ ذلك كله في ستّة أيام؟ و ما هي الفائدة في ذلك التكرار؟! على أن راوى الخبر- و هو موسى بن سالم أبو جهضم- لم يلق ابن

عباس و لا أدركه؛ لأنّه مولى آل العباس، و ليس مولى لابن عباس. ففي نسخة الطبري (١) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٥.

(٢) تفسير الطبري، ج ١٣، ص ٨٢، الرعد/١٢.

(٣) ج ٧، ق ١، ص ١٦١، س ١٥.

(٤) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٤

المطبوعة خطأ قطعاً. قال ابن حجر: موسى بن سالم أبو جهضم مولى آل العباس، أرسل عن ابن عباس. و هو من رواة الإمام أبي جعفر

محمد بن علي الباقر عليه السلام «١».

و في الخلاصة: موسى بن سالم مولى العباسيين أبو جهضم عن أبي جعفر الباقر، و عنه الحمّادان «٢». و الإمام الباقر توفّي سنة (١١٤) و أخيراً، فإنّ الموارد التي ذكروا مراجعته ابن عباس فيها لأهل الكتاب لا تعدو معاني لغوية بحتة، لا تمسّ قضايا سالفه عن أمم خلت كما زعموا، و لا سيّما السؤال عن «البرق»، و هو لفظ عربي خالص، لا موجب للرجوع فيه إلى رجال أجنبي عن اللّغة. كيف يا ترى يرجع مثل ابن عباس - و هو عربي صميم و عارف بمواضع لغته أكثر من غيره - إلى اليهود الأجنبي؟! و هل يخفى على مثله ما للفظ البرق من مفهوم؟ ثم كيف اقتنع بتفسيره بالماء؟ اللهم إن هذا إلّا اختلاق! الأمر الذي يقضى بالعجب، كيف يحكم هذا العلّامة المستشرق حكمه الباتّ، بأنّ كثيراً ما ذكر أنه كان يرجع - كتابةً - في تفسير معاني الألفاظ إلى من يدعى أبا الجلد؟! «٣» و يجعل مستنده هذه المراجعة المفتعلة قطعاً، إذ كيف يعقل أن يراجع، مثله في مثل هذه المعاني؟! و أسخف من الجميع تبرير ما نسب إلى ابن عباس من أقاصيص أسطورية جاءت عنه، بأنه من جزاء رجوعه إلى أهل الكتاب في هكذا أمور بعيدة عن صميم الدين. قال الأستاذ أمين: و هذا يعلّل ما في تفسيره من إسرائيليات. قال (١) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٣٤٤.

(٢) خلاصة التهذيب، ص ٣٩٠.

(٣) مذاهب التفسير الإسلامي، ص ٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٥

ذلك بعد قوله: و كان ابن عباس و أبو هريرة أكبر من نشر علم كعب الأخبار «١».

و قال الدكتور مصطفى الصاوي: و كثيراً ما ترد عن ابن عباس روايات في بدء الخليقة و قصص القرآن، مما لا يمكن أن يكون قد رجع فيها إلّا إلى أهل الكتاب؛ حيث يرد هذا القصص مفصلاً، مثال هذا تفسيره للآية: قالوا أ تجعلّ فيها من يفسد فيها و يشفكّ الدماء «٢» قال: لكنه حين يرجع إليهم مستفسراً، فإنما يرجع رجوع العالم الذي يعير سماعه لما يقال، ثم يعمل فكره و عقله فيما يسمع، ثم ينخلة مبعدا عنه الزيف «٣».

قلت: إن كانت فيما روى عنه في ذلك و أمثاله غرابية أو غضاضة، فإنّ العتب إنما يرجع إلى الذي نسبه إلى ابن عباس، ترويجا لأكذوبته، و لا لوم على ابن عباس في كثرة الوضع عليه. نعم و لعل هذه الكثرة في الوضع عليه آية على تقدير له و إكبار من الوضاع، لكنه في نفس الوقت، رغبة منهم في أن تنفق بضاعتهم، موسومة بمن في اسمه الرواج العلمي. و قد اعترف بذلك الدكتور الصاوي «٤»، فلما ذا حكم عليه ذلك الحكم القاسي؟! فالصحيح: أن ابن عباس كان في غنى عن مراجعة أهل الكتاب، و عنده الرصيد الأوفى بالعلوم و المعارف و التاريخ و اللّغة، و لا سيّما في مثل تلك الأساطير السخيفة التي كانت كل ما يملكه اليهود من بضاعة مزجاء كاسدة، بل إن (١) فجر الاسلام، ص ١٦٠.

(٢) البقرة / ٣٠، راجع: الطبري، ج ١، ص ١٥٨.

(٣) مناهج في التفسير، ص ٣٨.

(٤) مناهج في التفسير، ص ٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٦

موقف ابن عباس من أهل الكتاب عموماً، و من كعب الأخبار خصوصاً، ما يصوّره معتزاً بدينه كريماً على نفسه و ثقافته. يروى أنّ رجلاً أتى ابن عباس يبلغه زعم كعب الأخبار: أنه يجاء بالشمس و القمر يوم القيامة كأنهما ثوران عقيران فيقذفان في النار! فغضب ابن عباس و قال: كذب كعب الأخبار، كذب كعب الأخبار، بل هذه يهودية يريد إدخالها في الإسلام «١».

يقال: لما بلغ ذلك كعباً، اعتذر له بعد و تعلّل «٢».

و ربما كان كعب يجالس ابن عباس يحاول مرادته العلم فيما زعم، فكان ابن عباس يجابهه بما يحط من قيمته. روى أنه ذكر الظلم في مجلس ابن عباس، فقال كعب: إني لا أجد في كتاب الله المنزل (يريد التوراة) «٣» أن الظلم يخرب الديار، فقال ابن عباس: أنا أوجدك في القرآن، قال الله عز و جل: فَبَلَّغْ نَبِيَّوَهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا «٤».

هذه حقيقة موقف ابن عباس من اليهود كما ترى، و هو إذ كان يدعو إلى تجنّب الرجوع إلى أهل الكتاب، لما يدخل بسبب ذلك من فساد على العقول و تشويه على العامة، فكيف يا ترى أنه كان يرجع إليهم رغم نهيه و تحذيره! و هل لا طرق سمعه، و هو الحافظ لكلام الله (١) العرائس للثعالبي، ص ١٨. (مناهج في التفسير، ص ٢٩)
(٢) المصدر نفسه، ص ٢٤.

(٣) حسب التصريح به في الرواية: كتاب الله المنزل، يعني التوراة (راجع: ابن قتيبة في عيون الأخبار، ج ١، ص ١٤٦، س ١٣)

(٤) عيون الأخبار لابن قتيبة، ج ١، ص ٢٦ (مناهج، ص ٣٩)، النمل / ٥٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٧

يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ، كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ «١»، فحاشا ابن عباس أن يراجع أهل الكتاب، و حاشاه حاشاه!!

استعمال الرأي و الاجتهاد

و هل استعمل ابن عباس رأيه في تفسير القرآن؟

إذا كان المراد من الرأي، ما انتجه الفكر و الاجتهاد بعد تمام مقدماته المعروفة، فأمر طبيعي لا بد منه، و لا يستطيع أحد محايدته، إنما هو شيء كان عليه الأصحاب و العلماء من التابعين لهم بإحسان.

كان ابن عباس كغيره من الصحابة الذين اشتهروا بالتفسير، يرجعون في فهم معاني القرآن إلى القرآن ذاته أولاً، و إلى ما وعوه من أحاديث الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و أقواله في بيان معاني القرآن، ثم إلى ما يفتح الله به عليهم من طريق النظر و الاجتهاد، مع الاستعانة في ذلك بمعرفة أسباب النزول، و الظروف و الملابسات التي نزل فيها القرآن، بالإضافة إلى توسيعهم في المعارف، و لا سيما مثل ابن عباس، كان متوسعا في علومه فيما يتعلق بمواقع النزول و أنحاءه، و معرفته بالأحكام و التاريخ و الجغرافية، حسبما مرّ عليك.

فالرأي المستند إلى مثل هذه المقدمات المعروفة المتناسبة بعضها مع البعض، رأى ممدوح و أمر طبيعي، ليس ينكر البتة.

هذا هو المنهج الذي سار عليه ابن عباس في التفسير، لم يحد عن مناهج سائر الصحابة النبهاء. و قد ساهمت ثقافته العميقة في كثير من جوانب المعرفة، على أن يتألق في منهجه، كما ساعده على ذلك - إضافة على ما ذكرنا - تبخّره في (١) الصف / ٣ و ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٨

معرفة مواقع النزول، و استيعابه للمحكم و المتشابه، و القراءة و الأحكام و التاريخ و الجغرافية، فضلا عن اللغة و الأدب الرفيع.

و هكذا كان ابن عباس بمعارفه الوسيعة يهتم بتعرّف كل شيء في القرآن، حتى ليقول: إني لآتي على آية من كتاب الله تعالى، فوددت أن المسلمين كلهم يعلمون منها مثل ما أعلم «١». و يقول مصورا مدى اقتداره على استنباط معاني القرآن: لو ضاع لي عقل بعير لوجدته في كتاب الله تعالى «٢». قال الجويني: و ما كان له أن يقول ذلك لو لا أخذه من كل ثقافة بطرف، و تسخيرها جميعا لخدمة تفسير القرآن «٣».

و لهذا ظلّ ابن عباس دوما موضع الاعتبار و التقدير من الصحابة الأولين و من معاصريه من التابعين، و ممن لحقه بعد، منذ عهد

التدوين و لا يزال. فما أكثر ما يدور اسمه في كتب التفسير على اختلاف مناهجها و منازعها السياسية و المذهبية حتى الآن، فرحمه الله من مفسر لكلامه البليغ الوجيز.

الطرق إليه في التفسير

ذكر السيوطي تسعة طرق إلى ابن عباس في التفسير «٤»، وصف بعضها بالجودة و بعضها بالوهن حسبما يلي:
 أولها- و هو من جديدها-: طريق معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة الهاشمي عن ابن عباس. قال أحمد بن حنبل: بمصر صحيفة في التفسير، رواها (١) الإصاغة لابن حجر، ج ٢، ص ٣٣٤.
 (٢) الإتقان، ج ٣، ص ٢٦ عن تفسير ابن أبي الفضل المرسى.
 (٣) مناهج في التفسير، ص ٤٠-٤١.
 (٤) راجع: الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٧-٢٠٩.
 التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٦٩

علي بن أبي طلحة. و لو رحل رجل فيها إلى مصر قاصدا، ما كان كثيرا. قال ابن حجر: و هذه النسخة كانت عند أبي صالح كاتب الليث، رواها معاوية بن صالح عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس. و هي عند البخاري عن أبي صالح، و قد اعتمد عليها في صحيحه كثيرا فيما يعلقه عن ابن عباس. و أخرج منها ابن جرير الطبري، و ابن أبي حاتم، و ابن المنذر كثيرا، بوسائط بينهم و بين أبي صالح. و قد غمز بعضهم في هذا الطريق؛ حيث إن ابن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس. قال ابن حبان: روى عن ابن عباس و لم يره، و مع ذلك عدّه في الثقات «١». قالوا: و إنما أخذ التفسير عن مجاهد أو سعيد بن جبير، و أسنده إلى ابن عباس رأسا، و ذلك أنه توفي سنة (١٤٣) و قد توفي ابن عباس سنة (٦٨)، و ما بين الوفايتين (٧٥) سنة، الأمر الذي يمتنع معه الرواية عن ابن عباس مباشرة. قال الخليلي: و أجمع الحفاظ على أن ابن أبي طلحة لم يسمع التفسير من ابن عباس. «٢»

و حاول بعضهم رميه بالضعف و سوء الرأي و الخروج بالسيف أيضا. قال يعقوب بن سفيان: ليس محمود المذهب. قال ابن حجر- بصدد رد الاعتراض-: أما إسقاط الوساطة فلا ضير فيه بعد أن عرفنا الوساطة و هو ثقة «٣»، لا سيما و قد روى عنه الثقات. قال صالح بن محمد:

روى عنه الكوفيون و الشاميون- لأنه انتقل إلى حمص-، قال ابن حجر: و نقل (١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٣٤٠.
 (٢) الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٧.
 (٣) المصدر نفسه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٠

البخاري من تفسيره رواية معاوية بن صالح عنه عن ابن عباس شيئا كثيرا.
 قال: و قد وقفت على السبب الذي رمى به الرأي بالسيف؛ و ذلك فيما ذكره أبو زرعة الدمشقي عن علي بن عياش الحمصي، قال: لقي العلاء بن عتبة الحمصي علي بن أبي طلحة تحت القتيبة، فقال (علي لعلاء): يا أبا محمد، تؤخذ قبيلة من قبائل المسلمين فيقتل الرجل و المرأة و الصبي، لا يقول أحد: الله، الله! و الله لئن كانت بنو أمية أذنبت، لقد أذنب بذنبها أهل المشرق و المغرب! (يشير بذلك إلى استباحة دماء بنو أمية من قبل بنو العباس يومذاك و أنهم يستحقون ذلك، فطائفة منهم بارتكاب جرائم، و طائفة أخرى بالسكوت عما يفعله إخوانهم) ثم قال علي بن أبي طلحة: يا عاجز- خطابا مع العلاء؛ لأنه كان من أشياع بنو أمية «١»- أو ذنب على أهل بيت النبي صلى الله عليه و آله و سلم (يريد بهم بنو العباس) أن أخذوا قوما بجرائرهم و عفوا عن آخرين؟! فقال له العلاء: و إنه

لرأيك؟ قال: نعم. فقال له العلاء: لا كلمتك من فمي بكلمة أبدا. إنما أحيينا آل محمد بحبّه، فإذا خالفوا سيرته و عملوا بخلاف سنته، فهم أبغض الناس إلينا «٢».

إذن فلا مغمز فيما يرويه ابن أبي طلحة من تفسير يسنده إلى ابن عباس، كما (١) قال الذهبي: كان فيه لين. أخذ عن خالد بن معدان و عمير بن هانئ (ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ١٠٣) و قد تركه ابن حجر. أما عمير بن هانئ فكان ممن ولّاه الحجاج قضاء الكوفة، و كان يرى البيعة ليزيد بن الوليد هجرة ثانية بعد الهجرة إلى الله و رسوله (الميزان، ج ٢، ص ٢٩٧) و أمّا خالد بن معدان فكان من فقهاء الشام و كان يروى عن معاوية بن أبي سفيان (تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ١١٨)، و قد حيكت حوله خرافات و أوهام، و أنه كان إصبه يتحرك بالتسييح حين وضع على المغتسل! (الخلاصة لصفى الدين الخزرجي، ص ١٠٣)

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٣٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧١
لا ضعف في الإسناد.

قال الخليلي - في الإرشاد -: تفسير معاوية بن صالح قاضى الأندلس عن عليّ ابن أبي طلحة عن ابن عباس، رواه الكبار عن أبي صالح كاتب الليث، عن معاوية «١».

قلت: سبب الغمز فيه أنه كان متأثرا بمدرسة ابن عباس - و هو في حمص من بلاد الشام في تلك الأوساط المتأثرة بنفثات آل أمية المعادية للإسلام - فكان يحمل ولاء آل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم و يعادى أعداءهم، في أوساط ما كانت تتحملة ذلك العهد، و من ثمّ ألصقت به تهمة هو منها براء.

الثاني - أيضا من جيّد الطرق -: طريق قيس بن الربيع أبي محمد الأسدي الكوفي. توفى سنة (١٦٨) عن عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير عن ابن عباس.

قال جلال الدين: هذه طريق صحيحة على شرط الشيخين. و كثيرا ما يخرج منها الفريابي و الحاكم في مستدرکه «٢».

و ذكر ابن حجر عن أحمد بن حنبل أن قيسا هذا كان يتشيع. و لكن قال ابن أبي شيبة: هو عند جميع أصحابنا صدوق و كتابه صالح «٣».

و أمّا عطاء بن السائب فكان ممن أخلص الولاء لآل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم وفقا لتعاليم أشياخه سعيد و ابن عباس و غيرهما، و له حديث مع الإمام عليّ بن (١) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٧.

(٢) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٨.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٣٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٢

الحسين زين العابدين عليه السلام ينبؤك عن مدى قربته لحضرته السنية «١».

*** الثالث - كذلك جيّد الطريق -: طريق محمد بن إسحاق صاحب السير و المغازي عن محمد بن أبي محمد، عن عكرمة أو سعيد - هكذا بالترديد - عن ابن عباس.

و ابن إسحاق معروف بتشيعه. كما ذكره ابن حجر في التقريب، و شيخنا الشهيد الثاني في تعليقه على خلاصة الرجال «٢». قال صاحب الكشف: هو أول من صنّف في علم السير، و هو رئيس أهل المغازي «٣».

قال السيوطي: و هذه طريق جيّدة و إسناده حسن. و قد أخرج منها ابن جرير و ابن أبي حاتم كثيرا. و في معجم الطبراني منها أشياء.

«٤»

*** الرابع - و هو طريق حسن لا بأس به -: طريق إسماعيل بن عبد الرحمن أبو محمد القرشي الكوفي السدي الكبير، عن أبي مالك و

أبي صالح، عن ابن عباس. وكذلك عن مزة بن شراحيل الهمداني عن ابن مسعود، و ناس من الصحابة.
قال جلال الدين: وهذا التفسير يورد منه ابن جرير كثيرا، وكذا الحاكم في مستدركه يخرج منه أشياء، ويصححه، لكن من طريق مزة
عن ابن مسعود، دون (١) معجم رجال الحديث للإمام الخوئي، ج ١١، ص ١٤٥، رقم ٧٦٨٨.
(٢) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام للسيد الصدر، ص ٢٣٣ و راجع: التقريب، ج ٢، ص ١٤٤، رقم ٤٠.
(٣) كشف الظنون، ج ٢، ص ١٠١٢.
(٤) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٩.
التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٣
الطريق الأول.

و يرى صاحب التراث: أنه من الممكن جمع نصوص هذا التفسير، وإعادة تكوينه من جديد «١».
وقال الخليلي - في الإرشاد -: و تفسير السدي يورده بأسانيد إلى ابن مسعود و ابن عباس، و روى عن السدي الأئمة مثل الثوري و
شعبة. لكن التفسير الذي جمعه رواه أسباط بن نصر، و أسباط لم يتفقوا عليه. قال: غير أن أمثل التفاسير تفسير السدي «٢».
كان إسماعيل بن عبد الرحمن السدي «٣» من الأئمة الكوفيين، و كان شديد التشيع هو و الكلبي. و مع ذلك فقد وثقه القوم، و أخرج
مسلم عنه أحاديث؛ لأنه كان يرجح تعديله على تجربته. «٤» فقد ذكره ابن حبان في الثقات، و قال ابن عدى: له أحاديث يروها عن
عدة شيوخ، و هو عندي مستقيم الحديث صدوق لا بأس به «٥».
و عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من أصحاب الأئمة: علي بن الحسين زين العابدين، و محمد بن علي الباقر، و جعفر بن محمد الصادق
عليهم السلام. قال: إسماعيل ابن عبد الرحمن السدي أبو محمد المفسر الكوفي «٦».
قال المولى الوحيد - في التعليقة -: وصفه بالمفسر مدح. قال المامقاني: (١) تاريخ التراث العربي، ج ١، ص ١٩١ - ١٩٢. معجم
مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٥.
(٢) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٨.
(٣) كان يقعد في سدة باب الجامع في الكوفة فسمي بذلك. توفي سنة ١٢٧.
(٤) قيل كان يتناول الشيخين. تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣١٤.
(٥) تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ١، ص ٣١٤.
(٦) رجال الطوسي، ص ٨٢، رقم ٥، و ص ١٠٥، رقم ١٩، و ص ١٤٨، رقم ١٠٥.
التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٤
و المتحصل من مجموع ما ذكر بشأنه كون الرجل من الحسان «١»، و قد اعتمده الشيخ في تفسيره (التيان) كثيرا.
و هكذا عدّه ابن شهر آشوب من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام «٢».
و هو الذي روى قصة الأحنس بن زيد، الذي كان قد وطأ جسم الحسين عليه السلام و فعل ما فعل، فابتلى في تلك الليلة بحريق أصابه
من فتيلة السراج، فلم تزل به النار، حتى صار فحما على وجه الماء «٣».
*** الخامس - و هو أيضا حسن -: طريق عبد الملك بن عبد العزيز بن جريح، أبو خالد المكي من أصل رومي، أحد الأعلام الثقات،
فقيه أهل مكة في زمانه «٤».
قال ابن خلّكان: كان عبد الملك أحد العلماء المشهورين، و يقال: إنه أول من صنّف الكتب في الإسلام. كانت ولادته سنة (٨٠) و
توفي سنة (١٥٠) قال:
و جريح، بضم الجيم و فتح الراء و سكون الياء و بعدها جيم ثانية «٥».

قال الخطيب: وسمع الكثير من عطاء بن أبي رباح وغيره. و عن أحمد بن حنبل، قال: قدم ابن جريج بغداد على أبي جعفر المنصور، و كان صار عليه دين.

فقال: جمعت حديث ابن عباس ما لم يجمعه أحد. فلم يعطه شيئاً.

و عن علي بن المديني: نظرت فإذا الإسناد يدور على سته - فذكرهم - قال: ثم صار علم هؤلاء الستة إلى أصحاب الأصناف، ممن يصنف العلم، منهم من أهل (1) تنقيح المقال، ج 1، ص 137، رقم 861.

(2) المناقب، ج 4، ص 177.

(3) بحار الأنوار، ج 45، ص 321-322.

(4) ميزان الاعتدال للذهبي، ج 2، ص 659 رقم 5227.

(5) وفيات الأعيان، ج 3، ص 163، رقم 375.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج 1، ص: 275

مكة عبد الملك بن عبد العزيز (ابن جريج) و كان قد تعلم على يد عطاء بن أبي رباح، و لزمه سبع عشرة سنة. و سئل عطاء: من نسأل بعدك؟ فقال: هذا الفتى، يعنى ابن جريج، و كان يصفه بأنه سيد أهل الحجاز.

و عن أحمد بن حنبل: كان ابن جريج من أوعية العلم. و قال ابن معين:

أصحاب الحديث خمسة، و عدّ منهم ابن جريج. و قال يحيى بن سعيد القطان:

كتب ابن جريج كتب الأمانة، و إذا لم يحدثك عن كتابه لم ينتفع به.

قال أحمد: إذا قال ابن جريج: أخبرني و سمعت، فحسبك به. قال: الذي يحدث من كتاب أصح، و كان في بعض حفظه - إذا حدث حفظاً - سيئ. قال ابن معين: ابن جريج ثقة في كل ما روى عنه من الكتاب.

كان ابن جريج و مالك بن أنس (إمام المالكية) قد أخذوا الفقه من نافع. و لكن ابن جريج كان مفضلاً على مالك. فعن أحمد بن زهير، قال: رأيت في كتاب ابن المديني: سألت يحيى بن سعيد، من أثبت أصحاب نافع؟ قال: أيوب، و عبيد الله، و مالك بن أنس. و

ابن جريج أثبت من مالك في نافع. قلت: و من ثم كان مالك ينافسه في هذه الفضيلة، و ربما كان يرميه بالخلط. قال المخارقي: سمعت مالك بن أنس يقول: كان ابن جريج حاطب ليل.

و إذا كان مقدماً في الفقه عن نافع، فهو مقدّم في التفسير عن عطاء بن أبي رباح. فقد حدث صالح بن أحمد بن حنبل عن أبيه، قال: عمرو بن دينار و ابن جريج أثبت الناس في عطاء. (1)

و ذكره ابن حبان في الثقات، و قال: كان من فقهاء أهل الحجاز و قرّائهم (1) تاريخ بغداد، ج 10، ص 400-407.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج 1، ص: 276

و متقنيهم. و أضاف: و كان يدلّس (1)، لكن بم كان تدليسه؟

روى البخارى في تفسير (سوره نوح) حديثين أخرجهما عن طريق ابن جريج، قال: قال عطاء عن ابن عباس. فزعم أبو مسعود - في الأطراف - أنّ هذا هو عطاء الخراساني البلخي نزيل الشام. و عطاء هذا لم يسمع من ابن عباس، و ابن جريج لم يسمع التفسير من عطاء

هذا. قال ابن حجر: فيكون الحديثان منقطعين في موضعين. (2) و من ثم رموه بأنه كان يدلّس! و قد ردّ ابن حجر على هذا الوهم بما يبرئ ساحة ابن جريج من هذه التهمة، فراجع.

و أما حديثه عن ابن عباس فلا ضير فيه بعد أن كان الواسطة - و هو ثقة - معلوماً، ألا و هو عطاء بن أبي رباح تلميذ ابن عباس. و قد لازم ابن جريج سبعة عشر عاماً يتلقّى منه العلم.

*** إذن فقد صحّ ما ذكره ابن حبان بشأن ابن جريج أولاً من كونه ثقة ثبناً متقناً، و أن لا منشأ للغمز فيه، و بذلك نرى أنه كان

موضع اعتماد الأئمة من أهل البيت أيضا. على ما

رواه ثقة الإسلام الكليني بإسناده الصحيح عن إسماعيل بن الفضل الهاشمي، قال: سألت أبا عبد الله الصادق عليه السلام عن المتعة، فقال: الق عبد الملك بن جريج فسله عنها، فإنَّ عنده منها علما. فأتيته فأملى عليَّ منها شيئا كثيرا في استحلالها فكتبته، و أتيت بالكتاب أبا عبد الله عليه السلام فعرضت عليه. فقال: صدق، (١) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢١٣-٢١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٧

و أقرَّ به «١».

و قد استظهر المولى الوحيد البهبهاني من ذلك كون جريج موضع ثقة الإمام عليه السلام، و ممن يرى رأى الشيعة في فقه الشريعة، و لا سيما ما ذكره ابن أذينة- الراوى عن الهاشمي- في ذيل الحديث: و كان زرارة بن أعين يقول هذا و حلف أنه الحق. فهذا من المقارنة الظاهرة بين موضع الرجلين (ابن جريج و زرارة) في المسألة «٢».

و هكذا استظهر تشييعه منها كل من المولى محمد تقى المجلسى الأول، و الشيخ يوسف البحرانى، على ما جاء فى كلام الحائرى «٣».

و أيضا

روى الشيخ أبو جعفر الطوسى بإسناده إلى الحسن بن زيد، قال: كنت عند الإمام أبى عبد الله عليه السلام إذ دخل عليه عبد الملك ابن جريج المكى، فقال له أبو عبد الله: ما عندك فى المتعة؟ قال: حدّثنى أبوك محمد بن على عن جابر بن عبد الله الأنصارى، أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم خطب الناس، فقال: أيها الناس، إن الله أحلّ لكم الفروج على ثلاثة معان: فرج مورث و هو البتات، و فرج غير مورث و هو المتعة، و ملك أيمانكم «٤».

و فى سؤال الإمام منه عما لديه فى المتعة، دلالة على عنايته به و لطف سابق.

كما فى الإجابة بأنه حديث أبيك ظرافة و طرفة. أما الرواية عن جابر فلعله تغطيه لما عسى القوم ينكرون كيف الرواية عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم و لم يدركه! كما فعله (١) الكافى الشريف، ج ٥، ص ٤٥١، رقم ٦. و راجع: الوسائل، ج ١٨، ص ١٠٠، رقم ٥.

(٢) راجع: التعليقة (هامش رجال الاسترآبادى)، ص ٢١٥.

(٣) راجع: تنقيح المقال للمامقانى، ج ٢، ص ٢٢٩.

(٤) تهذيب الأحكام، ج ٧، ص ٢٤١، رقم ٣/١٠٥١، باب ٢٣. و راجع: الوافى، ج ١٢، مج ٣، ب ٥٢، من النكاح، ص ٥٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٨

الإمام الباقر عليه السلام عند ما واجه إنكار القوم.

و مسألة استحلال المتعة كانت حينذاك من اختصاص خلص الصحابة و التابعين ممن يميلون إلى مذهب أهل البيت عليهم السلام أمثال ابن مسعود و أبى بن كعب و ابن عباس و جابر بن عبد الله و أضرابهم، فلا غرو أن ينخرط مثل ابن جريج فى تلك الزمرة الفائزة، الأمر الذى دعا بابن جريج أن يكافح القوم رأيا و عملا أيضا. فقد ذكر ابن حجر عن الشافعى، قال: استمتع ابن جريج بسبعين امرأة، مع أنه كان من العبّاد، و كان يصوم الدهر إلّا ثلاثة أيام من الشهر «١».

هذا و قد وقع فى إسناد الصدوق من كتابه «من لا يحضره الفقيه»: ابن جريج عن الضحّاك عن ابن عباس، فى قضية الناقفة التى اشتراها النبى صلى الله عليه و آله و سلّم من الأعرابى أربعمئة درهم، فقبضها الأعرابى و لم يسلم الناقفة إلى النبى، و أنكر البيع رأسا، حتى جاء على عليه السلام فقضى قضاءه المبرم. «٢» و ظاهر الصدوق اعتماده. و قد عدّه الشيخ من أصحاب الإمام الصادق عليه السلام «٣».

نعم ذكر أبو عمرو الكشّى: أن محمد بن إسحاق، و محمد بن المنكدر، و عمرو بن خالد الواسطى، و عبد الملك بن جريج، و

الحسين بن علوان الكلبى، هؤلاء من رجال العامة، إلا أن لهم ميلا و محبة شديدة «٤» بالنسبة لآل البيت عليهم السلام. قال المامقانى: لا يبعد أن يكون بناء الكششى - على كونه عاميا - ناشئا من شدة تقيته، فإن مثل ذلك كثير فى رجال الشيعة «٥». (١) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٤٠٦.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٦١، رقم ٢.

(٣) رجال الطوسى، ص ٢٣٣، رقم ١٦٢.

(٤) رجال الكششى (ط نجف) ص ٣٣٣، رقم ٢٤٨ - ٢٥٢.

(٥) تنقيح المقال، ج ٢ (ط ١)، ص ٢٢٩، رقم ٧٤٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٧٩

السادس - حسن أيضا: طريق الضحّاك بن مزاحم الهلالى الخراسانى. قال ابن شهر آشوب: أصله من الكوفة، و كان من أصحاب السّجاد. «١» و قال ابن قتيبة:

هو من بنى عبد مناف بن هلال بن عامر بن صعصعة، و كان معلما، أتى خراسان فأقام بها. مات سنة (١٠٢) «٢».

و ذكره ابن حبان فى الثقات، و قال: لقي جماعة من التابعين، و لم يشافه أحدا من الصحابة، و كان معلّم كتاب. و قال عبد الله بن أحمد عن أبيه: ثقة مأمون. و قال ابن معين و أبو زرعة: ثقة.

قال أبو داود سلمة بن قتيبة عن شعبة: حدّثنى عبد الملك بن ميسرة، قال: لم يلق الضحّاك ابن عباس، إنما لقي سعيد بن جبير بالرى فأخذ عنه التفسير «٣».

قال الذهبي: الضحّاك بن مزاحم البلخى المفسّر، أبو القاسم، و كان يؤدّب، فيقال: كان فى مكتبته ثلاثة آلاف صبي، و كان يطوف عليهم «٤».

و نقل المامقانى عن ملحقات الصراح: أنه كان يقيم ببلخ و بمرو، و أيضا ببخارا و سمرقند مدّة، و يعلم الصبيان احتسابا، و له التفسير الكبير و التفسير الصغير. «٥»

و عدّه الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين، قال: الضحّاك بن مزاحم الخراسانى، أصله الكوفة، تابعى «٦». (١) المناقب، ج ٤، ص ١٧٧.

(٢) المعارف، ص ٢٠١ - ٢٠٢.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٤٥٤.

(٤) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٣٢٥.

(٥) تنقيح المقال، ج ٢، ص ١٠٥ / ٥٨٣٢.

(٦) رجال الطوسى، ص ٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٠

و استظهر المامقانى من عبارة الشيخ هذه كونه إماميا، و لعله من جهة كونه من الكوفة مهد التشيع آنذاك.

نعم روى عنه القمى (علّى بن إبراهيم بن هاشم) فى تفسيره، و قد تعهد فى مقدمته التفسير أن لا يروى إلّا عن مشايخه الثقات «١»، فقد روى - عند تفسير سورة الناس - بإسناده عن مقاتل بن سليمان عن الضحّاك بن مزاحم عن ابن عباس «٢» و قد جعل سيدنا الأستاذ الإمام الخوئى - عافاه الله و أعاده من شرّ الأعداء الظلمة الطغاة - تبعا للحر العاملى، ذلك دليلا على وثاقه كل من وقع فى إسناده هذا الكتاب «٣».

و إنما غمزوا فيه جانب إرساله فى الحديث، و لا سيّما عن ابن عباس. قال ابن حجر فى التقریب: صدوق كثير الإرسال! «٤» قلت: لا

ضير في الإرسال بعد معلومية الواسطة، وكون الرجل صدوقا. كما ذكره ابن حجر بشأن علي بن أبي طلحة الهاشمي. إذن لا وجه لما ذكره السيوطي: أن طريق الضحاك إلى ابن عباس منقطعة، فإن الضحاك لم يلقه. وأضاف: فإن انضم إلى ذلك رواية بشر بن عماره عن أبي روق عنه، فضعفه لضعف بشر. قال: وقد أخرج من هذه النسخة ابن جرير وابن أبي حاتم كثيرا.

قال: وإن كان من رواية جوير عن الضحاك فأشد ضعفا؛ لأن جويرا شديد (١) التفسير، ج ١، ص ٤. (٢) التفسير، ج ٢، ص ٤٥٠.

(٣) معجم رجال الحديث، ج ١، ص ٤٩ و ج ٩، ص ١٤٥-١٤٦.

(٤) تقريب التهذيب، ج ١، ص ٣٧٣/٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨١

الضعف متروك. و لم يخرج ابن جرير و لا ابن أبي حاتم من هذا الطريق شيئا، وإنما أخرجها ابن مردويه و أبو الشيخ ابن حبان «١». السابع: طريق صالح، هو طريق أبي الحسن مقاتل بن سليمان بن بشير الخراساني، المروزي. أصله من بلخ و انتقل إلى البصرة و دخل بغداد و حدث بها.

و كان مشهورا بتفسير كتاب الله العزيز، و له التفسير المشهور. قال ابن خلكان:

أخذ الحديث عن مجاهد بن جبر و عطاء بن أبي رباح و الضحاك و غيرهم، و كان من العلماء الأجلءاء. قال الإمام الشافعي: الناس كلهم عيال على مقاتل بن سليمان في التفسير. «٢» توفي سنة (١٥٠) كان تفسيره موضع إعجاب العلماء من أول يومه، غير أنهم كانوا يتهمونه بأشياء هو منها براء. قال القاسم بن أحمد الصفار: قلت لإبراهيم الحربي: ما بال الناس يطعنون على مقاتل؟ قال: حسدا منهم له. فعن ابن المبارك- لما نظر إلى شيء من تفسيره-: يا له من علم، لو كان له (١) الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٨.

(٢) وفيات الأعيان، ج ٥، ص ٢٥٥، رقم ٧٣٣. قال شواخ: و توجد قائمة بالتفاسير الثابتة التي أخذت من هذه التفاسير عند مسنون. و كان هذا التفسير أحد مراجع الثعلبي في كتابه «الكشف و البيان». و قد حصل الخطيب البغدادي في دمشق على إجازته و روايته. كما في مشيخته.

و قد استخدمه الطبري في تفسيره و في تاريخه. و قد حققه الدكتور شحاته، و هو في روايته أبي صالح الهذيل بن حبيب الدندانى الذى كان يعيش في سنة (١٩٠) ه و قد أضاف هذا في بعض المواضع في نص مقاتل من أسانيد بعض الآخريين. راجع: معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٧٠، رقم ١٠٠٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٢

إسناد! و عن سفيان بن عبد الملك، عنه قال: ارم به، و ما أحسن تفسيره، لو كان ثقة! قال عبد الرزاق: سمعت ابن عيينة يقول: قلت لمقاتل: تحدث عن الضحاك، و زعموا أنك لم تسمع منه! قال: سبحان الله، لقد كنت آتية مع أبي، و لقد كان يغلق علي و عليه الباب! كناية عن أنه كان يبادل الحديث ساعات طوال «١».

و رماه أبو حنيفة بالتشبيه. و لكن لما سأله بعضهم عن ذلك، فقال: بلغني أنك تشبهه؟ قال: إنما أقول: قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ، اللَّهُ الصَّمَدُ، لَمْ يَلِدْ و لَمْ يُولَدْ و لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ فمن قال غير ذلك فقد كذب «٢».

و أخرج الخطيب عن القاسم بن أحمد الصفار، قال: كان إبراهيم الحربي يأخذ مني كتب مقاتل، فينظر فيها. فقلت له ذات يوم: أخبرني يا أبا اسحاق، ما للناس يطعنون على مقاتل؟ قال: حسدا منهم لمقاتل، قال: و قال مقاتل: أغلق علي و على الضحاك باب أربع سنين.

قال الخطيب: و كان له معرفة بتفسير القرآن، و لم يكن في الحديث بذاك.

و أخرج عن أحمد بن حنبل، قال: كانت له كتب ينظر فيها، إلّا أنى أرى أنه كان له علم بالقرآن. و عن يحيى بن سبل، قال: قال لى عباد بن كثير: ما يمنعك من مقاتل؟

قال: قلت: إن أهل بلادنا كرهوه! قال: فلا تكرهه، فما بقى أحد أعلم بكتاب الله منه. و كان عند سفيان بن عيينة كتاب مقاتل، كان يستدل به و يستعين به. و قال مقاتل بن حيان- لما سئل أنت أعلم أم مقاتل بن سليمان-: ما وجدت علم مقاتل فى علم الناس إلا كالبحر الأخضر (المحيط) فى سائر البحور. و عن بقيه بن الوليد، قال: كنت كثيرا أسمع شعبه و هو يسأل عن مقاتل، فما سمعته قط ذكره إلّا بخير. (١) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٢٨٠.

(٢) المصدر نفسه، ص ٢٨١-٢٨٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٣

و من طريف ما يذكر عنه- و هو حال ببغداد:- إن أبا جعفر المنصور كان جالسا ذات يوم، و كان ذباب قد ألح عليه يقع على وجهه و ألح فى الوقوع مرارا حتى أضجره. فأرسل من يحضر مقاتل بن سليمان، فلما دخل عليه قال له: هل تعلم لما ذا خلق الله الذباب؟ قال: نعم، ليذل الله به الجبارين، فسكت المنصور «١».

نعم كان الرجل صريحا فى لهجته، واسع العلم، بعيد النظر، شديدا فى دينه، صلبا فى عقيدته. و فوق ذلك كان يميل مع مذهب أهل البيت، ذلك المنهج الذى انتهجه أشياخه من قبل، من المتأثرين بمدرسة ابن عباس رضوان الله عليه، الأمر الذى جعل من نفسه مرمى سهام الضعفاء القاصرين، و كم له من نظير.

يدلك على استقامة الرجل فى المذهب، كما يدل على وثاقته و اعتماده الأصحاب عليه أيضا، ما

رواه أبو جعفر الصدوق بإسناده الصحيح إلى الحسن بن محبوب- و هو من أصحاب الإجماع- عن مقاتل بن سليمان عن الإمام أبى عبد الله الصادق عليه السلام- يرفعه إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: قال: أنا سيد النبيين و وصي سيد الوصيين و أوصياؤه سادة الأوصياء- ثم جعل يذكر الأنبياء و أوصياءهم حتى انتهى إلى برده، من أوصياء عيسى بن مريم عليهما السلام- قال: و دفعها (أى الوصاية) إلى برده، و أنا أدفعها إليك يا على- إلى قوله- و لتكفرن بك الأئمة، و لتختلفن عليك اختلافا شديدا، الثابت عليك كالمقيم معي، و الشاذ عنك كالشاذ مني، و الشاذ مني فى النار، و النار مثنى الكافرين «٢».

هذه الرواية إن دلت فإنما تدل على كون الرجل من أخصّ الخواصّ لدى الإمام عليه السلام. و قد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسى، من أصحاب الباقر (١) تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ١٦٠-١٦٩. و ابن خلكان، ج ٥، ص ٢٥٥، رقم ٧٣٣.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ٤، ص ١٢٩-١٣٠، باب ١/٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٤

و الصادق عليهما السلام. «١»

و له رواية أخرى، رواها الكليني بإسناده الصحيح إلى ابن محبوب عنه عن الصادق عليه السلام «٢».

و عدّه أبو عمرو الكشي من البترية (الزيدية) «٣». لكن بيّعه أن عقيدته كانت امتدادا لعقيدة ابن عباس.

و بعد، فلعلك تعرف السبب فيما ذكره السيوطى بشأنه: الكلبى يفضّل عليه، لما فى مقاتل من المذاهب الرديئة. «٤» أما الخليلى فقد أنصف حيث قال: فمقاتل فى نفسه ضعّفوه، و قد أدرك الكبار من التابعين. و الشافعى أشار إلى أن تفسيره صالح «٥».

الثامن- أيضا صالح:- طريق أبى الحسن عطية بن سعد بن جنادة، العوفى الكوفى المتوفى سنة (١١١) قال الذهبى: تابعى شهير «٦»، روى عن ابن عباس و عكرمة و زيد بن أرقم و أبى سعيد. قال عطية: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرّات على وجه التفسير، و أمّا على وجه القراءة فقرأت عليه سبعين مرّة.

و عن ملحقات الصراح: أنّ له تفسيراً فى خمسة أجزاء «٧». قال ابن عدى: قد روى عن جماعة من الثقات، و هو مع ضعفه يكتب

حديثه، و كان يعدّ مع شيعة أهل (1) رجال الطوسي، ص 138، رقم 49 و ص 313، رقم 536.

(2) روضة الكافي، ج 8، ص 233، رقم 308.

(3) رجال الكشي، ص 334، رقم 252.

(4) الإتيقان، ج 4، ص 209.

(5) المصدر نفسه، ص 208.

(6) ميزان الاعتدال، ج 3، ص 79-80 رقم 5667.

(7) تنقيح المقال للمامقاني، ج 2، ص 253، رقم 7941.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج 1، ص: 285

الكوفة. كتب الحجاج إلى عامله محمد بن القاسم أن يعرضه على سبّ عليّ عليه السّلام فإن لم يفعل فاضربه أربعمائة سوط و احلق لحيته، فاستدعاه فأبى أن يسبّ، فأمضى فيه حكم الحجاج. ثم خرج إلى خراسان، فلم يزل بها حتى ولى عمر بن هبيرة العراق، فقدمها فلم يزل بها إلى أن توفّي سنة (111) و قال ابن حجر: و كان ثقة إن شاء الله، و له أحاديث صالحة، قال: و من الناس من لا يحتجّ به. و قال ابن معين: صالح الحديث.

قال أبو بكر البزار: كان يعد في التشيع، و روى عنه جلة الناس. و قال الساجي:

ليس بحجة، و كان يقدّم علينا على الكلّ (1).

قال السيوطي: و طريق العوفي عن ابن عباس، أخرج منها ابن جرير و ابن أبي حاتم كثيرا. و العوفي ضعيف ليس بواه. و ربّما حسن له الترمذي (2).

قلت: لا قدح فيه بعد أن كان منشأ الغمز هو تشييعه لآل بيت الرسول صلّى الله عليه و آله و سلّم و الدفاع عن حريمهم الطاهر. و من ثم فقد اعتمده القوم و رأوا أحاديثه صالحة و كان عندهم مرضيا.

فقد ذكر أبو عبد الله الذهبي - في ترجمته أبان بن تغلب، بعد أن يصفه بأنه شيعي جلد، لكنه صدوق، فلنا صدقه و عليه بدعته، و قد وثّقه ابن حنبل و ابن معين و أبو حاتم: فلقائل أن يقول: كيف ساغ توثيق مبتدع، و حدّ الثقة العدالة و الإتيقان؟ فكيف يكون عدلا من هو صاحب بدعة؟! قال: و جوابه، إن البدعة على ضربين، فبدعة صغرى كغلو التشيع أو كالتشيع بلا غلوّ و لا تحزف، فهذا كثير في التابعين و تابعيهم، مع الدين و الورع و الصدق. (1) تهذيب التهذيب، ج 7، ص 224-226.

(2) الإتيقان، ج 4، ص 209.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج 1، ص: 286

فلو ردّ حديث هؤلاء، لذهب جملة من الآثار النبوية، و هذه مفسدة بيّنة (1).

قال ابن حجر - بعد أن ذكر توثيق ابن عدى لأبان بن تغلب قائلا: له نسخ عامتها مستقيمة، إذا روى عنه ثقة. و هو من أهل الصدق في الروايات، و إن كان مذهبه مذهب الشيعة، و هو في الرواية صالح لا بأس به - قال ابن حجر: هذا قول منصف، و أما الجوزجاني فلا عبرة بحظه على الكوفيين (2).

و ذكر النجاشي أن عطية العوفي، روى عنه أبان بن تغلب، و خالد بن طهمان السلولي، و زياد بن المنذر (أبو الجارود) (3).

قال المحدّث القمي: عطية العوفي أحد رجال العلم و الحديث يروى عنه الأعمش و غيره، و روى عنه أخبار كثيرة في فضائل أمير المؤمنين عليه السّلام، و هو الذي تشرف بزيارة الحسين عليه السّلام مع جابر الأنصاري يوم الأربعاء، الذي يعدّ من فضائله أنه كان أوّل من زاره بعد شهادته. قال: و يظهر من كتاب بلاغات النساء أنه سمع عبد الله الحسن يذكر خطبة فاطمة الزهراء عليهما السّلام في أمر فدك (4).

و من مواقفه الحاسمة دون بنى هاشم، أنه كان رأس الفريق الذين انتدبهم أبو عبد الله الجدلي مبعوث المختار بن أبي عبيد القحفي في أربعة آلاف لإنقاذ بنى هاشم- وفيهم محمد ابن الحنفية و عبد الله بن عباس- من دور قد جمع عبد الله بن الزبير لهم حطبا ليحرقهم بالنار، إن لم يبايعوا، فدخل عطية بن سعد بن جنادة العوفي مكة، فكبروا تكبيره سمعها ابن الزبير، فانطلق هاربا حتى دخل دار (١) ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٥.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٩٣.

(٣) رجال النجاشي (ط حجرية)، ص ٧ و ١١٠ و ١٢١.

(٤) سفينة البحار، ج ٢، ص ٢٠٥. و أما الزيارة فقد نقلها السيد أمين في اللواعج، ص ٢٣٧-٢٣٨ عن كتاب بشاره المصطفى لعماد الدين الطبري.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٧

الندوة، و يقال: تعلق بأستار الكعبة، و قال: أنا عائذ الله. فأقبل عطية فأخر الحطب عن الأبواب، و أنقذهم. في تفصيل ذكره محمد بن سعد كاتب الواقدي في الطبقات «١».

قال الدكتور شواخ: كان عطية شيعيا و عدّه الكلبى حجة في تفسير القرآن.

و هذا التفسير مروى، فقد نقل الطبري من هذا التفسير نقولا استخدمها في (١٥٦٠) موضعا من تفسيره بالسند التالي: «حدثني محمد بن سعد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني عمي الحسين بن الحسن عن أبيه عن جدّه (عطية بن سعد العوفي) عن ابن عباس». كما استخدم الطبري في تاريخه أيضا نقولا و شواهد من هذا التفسير. و قد استخدم الثعلبي السند السابق في كتابه «الكشف و البيان». و هذا التفسير يدخل ضمن الكتب التي حصل الخطيب البغدادي على حق روايتها من أساتذته في دمشق، كما في مشيخته، و تاريخ التراث العربى (١/ ١٨٧-١٨٨) «٢».

و ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبري- في المنتخب من ذيل المذيل- فيمن توفى سنة (١١١)، قال: و منهم عطية بن سعد بن جنادة العوفي من جديلة قيس و يكنى أبا الحسن.

قال ابن سعد: أخبرنا سعيد بن محمد بن الحسن بن عطية، قال: جاء سعد بن جنادة إلى علي بن أبي طالب عليه السلام و هو بالكوفة فقال: يا أمير المؤمنين، أنه ولد لي غلام فسّمه، فقال: هذا عطية الله، فسّمى عطية

. و كانت أمية رومية. و خرج عطية مع ابن الأشعث. هرب عطية إلى فارس، و كتب الحجاج (١) الطبقات، ج ٥، ص ٧٤-٧٥ في ترجمه محمد ابن الحنفية. (ط ليدن ١٣٢٢ هـ)

(٢) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٢، رقم ٩٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٨

إلى محمد بن القاسم الثقفي أن ادع عطية فإن لعن علي بن أبي طالب عليه السلام و إلّا فاضربه أربعمئة سوط و احلق رأسه و لحيته. فدعا و أقرأه كتاب الحجاج، و أبي عطية أن يفعل، فاضربه أربعمئة سوط و حلق رأسه و لحيته. فلما ولى قتيبة بن مسلم خراسان خرج إلى عطية، فلم يزل بخراسان حتى ولى عمر بن هبيرة العراق، فكتب إليه عطية يسأله الإذن له في القدوم فأذن له، فقدم الكوفة فلم يزل بها إلى أن توفى سنة (١١١) و كان كثير الحديث ثقة إن شاء الله «١».

التاسع- و هو أيضا طريق صالح على الأرجح:- طريق أبي النضر محمد بن السائب بن بشر الكلبى الكوفى، النسابة المفسر الشهير. عن أبي صالح مولى أم هانئ، عن ابن عباس.

و قد وصفه السيوطى بأنه أوهى الطرق، و أضاف: فإن انضم إلى ذلك رواية محمد بن مروان السدى الصغير، فهي سلسلة الكذب. قال: و كثيرا ما يخرج منها الثعلبي «٢» و الواحدى «٣».

ثم استدرك ذلك بقوله: لكن قال ابن عدى في الكامل: للكلبى أحاديث صالحه، و خاصه عن أبى صالح، و أخيرا قال: و هو- الكلبى- معروف بالتفسير، (١) منتخب ذيل المذيل، ص ١٢٨ الملحق بالجزء الثامن من تاريخ الطبرى (ط القاهرة ١٣٥٨ هـ) (٢) هو أبو اسحاق أحمد بن محمد بن إبراهيم النيسابورى. و قد اعتمده أكابر المفسرين أمثال الزمخشرى و الطبرسى و غيرهما. قال القمى: كان يتشيع، أو لم يكن يتعصب كما يتعصب أقرانه. توفى سنة ٤٢٧ أو ٤٣٧ (الكنى و الألقاب، ج ٢، ص ١٣١) (٣) هو أبو الحسن على بن أحمد النيسابورى أستاذ عصره و واحد دهره، و كان النظام يكرمه و يعظمه. توفى سنة ٤٦٨. (الكنى و الألقاب، ج ٣، ص ٢٧٧)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٨٩

و ليس لأحد تفسير أطول و لا أشبع منه «١».

قال ابن خلّكان: صاحب التفسير و علم النسب، كان إماما فى هذين العلمين. «٢»

قال ابن سعد: كان محمد بن السائب عالما بالتفسير و أنساب العرب و أحاديثهم، و توفى بالكوفة سنة (١٤٦) فى خلافة أبى جعفر المنصور «٣».

و كان يتشيع عن إرث تليد، و ليس طارفا. قال ابن سعد: و كان جدّه بشر بن عمرو و بنوه: السائب و عبيد و عبد الرحمن، شهدوا الجمل مع على بن أبى طالب عليه السلام. «٤»

و للكلبى شهادة راقية بشأن الكلبى، يذكر قصة استبصاره، ثم يعقبها بقوله: «فلم يزل الكلبى يدين الله بحب آل هذا البيت حتى مات» «٥».

و من ثم رموه بالضعف تارة و بالابتداع أخرى، و مع ذلك فلم يجدوا بدّا من الانصياع لمقام علمه الرفيع، و أن يلمسوا أعتابه بكل خضوع و بخوع. فقد اعتمده الأئمة و جهابذة التفسير و الحديث «٦».

أما ما ألصقوه به من الغلو فى التشيع فلا أساس له، و إنما وضعوه عليه قصدا لتشويه سمعته، بعد أن لم يكن رمية بمجرّد التشيع قدحا فيه. فعن المحاربى قال:

قيل لزانده بن قدامة: ثلاثة لا تروى عنهم، ابن أبى ليلى، و جابر الجعفى، و الكلبى؟ (١) الإتيان، ج ٤، ص ٢٠٩.

(٢) وفيات الأعيان، ج ٤، ص ٣٠٩، رقم ٦٣٤.

(٣) الطبقات، ج ٦، ص ٢٤٩ (ط ليدن)

(٤) المصدر نفسه. و تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٨٠.

(٥) الكافى الشريف، ج ١، ص ٣٥١، رقم ٦.

(٦) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٧٨ رقم ٢٦٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٠

قال: أما ابن أبى ليلى فليست أذكره، و أما جابر فكان يؤمن بالرجعة «١»، و أما الكلبى- و كنت اختلف إليه- فسمعته يقول: مرضت مرضة فنسيت ما كنت أحفظ، فأتيت آل محمد، فتفلوا فى فئى فحفظت ما كنت نسيت! قال: فتركته «٢» و عن أبى عوانة: سمعت الكلبى بشىء، من تكلم به كفر. قال الأصمعى: فراجعت الكلبى و سألته عن ذلك، فجحده. قال الساجى: كان ضعيفا جدا، لفرطه فى التشيع «٣».

هذا، و لكن ابن عدى قال بشأنه: له غير ذلك (الذى رموه بالغلو) أحاديث (١) بما ذا يفسر منكروا الرجعة، قوله تعالى: و إذا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ أَخْرَجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِّنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ أَنَّ النَّاسَ كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ. و يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِّمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا

فَهُمْ يُوزَعُونَ النمل / ٨٢-٨٣.

ما ذاك اليوم الذى تخرج الدابة لتكلمهم و لتلزمهم الحجة، و قد وقع القول عليهم؟! (مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٣٤-٢٣٥) فى حين أن يوم الحشر الأكبر هو اليوم الذى يحشر من كل أمة فوج؟ و قد صرح المفسرون بأن «من» هنا للتبعيض (الفخر، ج ٢٤، ص ٢١٨) فى حين أن يوم الحشر الأكبر هو اليوم الذى يحشر فيه الناس جميعا وَ حَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا الكهف / ٤٧، قال تعالى: وَ يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَزِعَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَ كُلُّ أَتَوُّهُ دَاخِرِينَ النمل / ٨٧.

(٢) هذا كلام من أعمته العصبية الجهلاء، كيف يستنكر ذلك بشأن آل محمد الطيبين الذين أذهب الله عنهم الرجس و طهرهم تطهيراً! أليس الله قد شافى علياً عليه السلام من الرمد يوم خيبر، بريق النبي الكريم صلى الله عليه و آله و سلم حسبما رواه الفريقان و اتفقت عليه كلمة الأئمة الثقات.

قال أبو نعيم: فبصق رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى عينيه و دعا له فبرأ حتى كأن لم يكن به وجع (حلية الأولياء، ج ١، ص ٤٢، رقم ٤) و هذا من فضل الله على عباده المخلصين، يجب دعاءهم و يجعل الشفاء على يديهم رحمة منه على العباد.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٧٩-١٨٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩١

صالحه، و خاصة عن أبي صالح، و هو معروف بالتفسير، و ليس لأحد أطول من تفسيره. قال: و حدث عنه ثقات من الناس و رضوه فى التفسير (١).

و لأبى حاتم - هنا - كلام غريب، نقله بلفظه:

قال: يروى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس التفسير، و أبو صالح لم ير ابن عباس و لا سمع منه شيئاً، و لا سمع الكلبي من أبي صالح إلا الحرف بعد الحرف، فجعل لما احتيج له، تخرج له الأرض أفلاذ كبدها! قال: لا يحل ذكره فى الكتب، فكيف الاحتجاج به! و الله جلّ و علا ولى رسوله صلى الله عليه و آله و سلم تفسير كلامه. (٢) و محال أن يأمر الله نبيه أن يبين لخلقه مراده و يفسره لهم، ثم لا يفعل، بل أبان عن مراد الله و فسّر لأمته ما يهّم الحاجة إليه، و هو سننه صلى الله عليه و آله و سلم فمن تتبّع السنن، حفظها و أحكمها، فقد عرف تفسير كلام الله، و أغناه عن الكلبي و ذويه.

قال: و ما لم يبينه من معانى الآى، و جاز له ذلك، كان لمن بعده من أمته أجوز و ترك التفسير لما تركه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أخرى. و من أعظم الدليل على أن الله لم يرد تفسير القرآن كله، أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم ترك من الكتاب متشابها من الآى، و آيات ليس فيها أحكام، فلم يبين كيفيتها لأمته؛ فدل ذلك على أن المراد من قوله:

لِيُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ كان بعض القرآن لا كله (٣).

قلت: هذا كلام ناشئ عن عصبية عمياء. كيف يجراً مسلم متعهد أن ينسب إلى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه لم يفسّر لأمته جميع ما أبهم فى القرآن إبهاماً، و قد أمره (١) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٨٠.

(٢) فى الآية، رقم ٤٤ من سورة النحل.

(٣) كتاب المجروحين لابن حبان، ج ٢، ص ٢٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٢

تعالى بذلك: و قد أثبتنا فيما قبل أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم يبين الجميع إما فى إيجاز أو تفصيل، و لم يترك شيئاً تحتاج إليه أمته - و منها فهم معانى القرآن كله - لم يبينه لهم، إنما عليه البيان كما كان عليه البلاغ.

أما توسّع الكلبي فى التفسير فأمر معقول، بعد كونه ناجماً عن توسّعه فى العلم، و تربيته فى مهد العلم كوفه العلماء الأعلام من صحابة الرسول الأخيار.

و هذا لا يعدّ عيباً في الرجل.

و لا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلول من قراع الكنائب

و تفسير الكلبي هذا لا يزال موجوداً منعماً بالحياة، و قد استقصى الدكتور شواخ نسخه المخطوطة في المكتبات اليوم، منذ نسخته التي كتبت سنة (١٤٤) هـ حتى القرن (١٢) «١».

و أما أبو صالح- و يقال له: باذام أو باذان، مولى أم هانئ بنت أبي طالب- فقد روى عن علي عليه السلام و ابن عباس و مولاته أم هانئ، و روى عنه الأجلء كالأعمش و السدي الكبير و الكلبي و الثوري و غيرهم.

قال علي بن المديني عن يحيى القطان: لم أر أحداً من أصحابنا تركه، و ما سمعت أحداً من الناس يقول فيه شيئاً.

قال ابن حجر: وثقه العجلي وحده. قال: و لما قال عبد الحق- في الأحكام:-

إن أبا صالح ضعيف جداً، أنكر عليه أبو الحسن ابن القطان في كتابه «٢». و قال ابن معين: ليس به بأس. و قال ابن عدي: عامة ما يرويه تفسير «٣». (١) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٦-١٦٩، رقم ١٠٠٥.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٤١٦.

(٣) ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٢٩٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٣

قلت: ما وجه تضعيفه إلّا ما ضعف به نظراؤه ممن حام حول هذا البيت الرفيع؛ إذ من الطبيعي أن مولى أم هانئ أخت الإمام أمير المؤمنين، و قد كانت كأخيها الإمام موضع عناية النبي صلى الله عليه و آله و سلم من أول يومها «١»، و كانت ذات علاقة بأخيها أمير المؤمنين عليه السلام تخلص له الولاء، فلا يكون مولاه- و هو تحت تربيتها- بالذي يختار غير سبيلها المستقيم، فلا غرو إذن ممن لا يعرف ولاء لهذا البيت أن يتهم الموالين لهم، و أقله الرمي بالضعف! هذا الجوزجاني يقول: كان يقال له: ذو رأي غير محمود! «٢» نعم غير محمود عندهم، و لا كان مرضياً لديهم، ما دام لم ينخرط في زمرة من ذوي الرأي العام.

و بعد، فقد تفرد ابن حبان بأن أبا صالح باذان لم يسمع عن ابن عباس. كيف لم يسمع منه و هو معه في زمرة علي مع سائر أوليائه الكرام! قال ابن سعد: أبو صالح، و اسمه باذام، و يقال: باذان، مولى أم هانئ بنت أبي طالب، و هو صاحب التفسير الذي رواه عن ابن عباس، و رواه عنه الكلبي محمد ابن السائب، و أيضاً سماك بن حرب و إسماعيل بن أبي خالد «٣».

و أما محمد بن مروان بن عبد الله الكوفي، السدي الصغير، فقد روى عن جماعة من أهل العلم كالأعمش و يحيى بن سعيد الأنصاري و محمد بن السائب الكلبي و أضرابهم. و روى عنه الكثير من الأعلام كالأصمعي و هشام بن عبيد الله الرازي و يوسف بن عدي و أمثالهم. مما ينبؤك عن موضع الرجل، و أنه موضع (١) راجع: الإصباة لابن حجر، ج ٤، ص ٥٠٣.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٤١٧.

(٣) الطبقات، ج ٦، ص ٢٠٧ (ط ليدن)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٤

الثقة من أئمة الحديث.

و قد ضعفه كثير من أصحاب التراجم «١» على ديدنهم في التحامل على الكوفيين، على ما أسلفنا، سوى أن محمد بن إسماعيل البخاري لم يضعفه صريحاً؛ إذ لم يجد إلى ذلك سبيلاً، و اكتفى بأن لا يكتب حديثه. قال: محمد بن مروان الكوفي، صاحب الكلبي، سكتوا عنه، لا يكتب حديثه البتة. «٢» و قال النسائي: متروك الحديث «٣».

و قد عدّه ابن شهر آشوب من أصحاب الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال:

و محمد بن مروان الكوفي، من ولد أبي الأسود «٤»، و لعله من جهة البنت. و كذا عدّه الشيخ من رجال الباقر عليه السلام «٥»، لكن

وصفه بالكلمة نسبة إلى شيخه محمد بن السائب. وفي الكشي - في ترجمته معروف بن خربوذ - رواية عن محمد بن مروان - ولعله السدي - تدل على ملازمته للإمام الصادق عليه السلام عند ما كان يقدم عليه المدينة، أو عند ما كان الإمام مبعدا إلى الحيرة في العراق «٦».

و أما التفسير الذي يحمل عنوان «تفسير ابن عباس» باسم «تنوير المقباس» «٧»، فقد ذكروا أنه من جمع الفيروز آبادي صاحب القاموس، لكنه بنفس (١) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٤٣٦، رقم ٧١٩.
 (٢) كتاب الضعفاء للبخاري، ص ١٠٥، رقم ٣٤٠.
 (٣) كتاب الضعفاء و المتروكين للنسائي، ص ٩٤، رقم ٥٣٨.
 (٤) المناقب، ج ٤، ص ٢١١.
 (٥) رجال الطوسي، ص ١٣٥، رقم ٤.
 (٦) رجال الكشي، ص ١٨٤، رقم ٨٨.
 (٧) طبع مرارا و على هامش الدر المنثور أيضا.
 التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٥
 الإسناد الذي وصفه السيوطي بأنه سلسلة الكذب حسب تعبيره.
 و إليك بعض الكلام عنه:

تفسير ابن عباس

هناك تفاسير منسوبة إلى ابن عباس، منها: ما رواه مجاهد بن جبر. ذكره ابن النديم في الفهرست بروايتين: إحداهما عن طريق حميد بن قيس، و الأخرى عن طريق أبي نجیح يسار الثقفي الكوفي، توفي سنة (١٣١) يرويه عنه ابنه أبو يسار عبد الله بن أبي نجیح، و عنه و رقاء بن عمر الشكري «١».

و هذا الطريق صححته الأئمة و اعتمده أرباب الحديث. و قد طبع أخيرا باهتمام مجمع البحوث الإسلامية بباكستان سنة (١٣٦٧) هـ. ق «٢»، و قد مر شرحه في ترجمته مجاهد.

الثاني: تفسير ابن عباس عن الصحابة، لأبي أحمد عبد العزيز بن يحيى الجلودى المتوفى سنة (٣٣٢) و هذا ذكره أبو العباس النجاشي، قال: الجلودى الأزدي البصري أبو أحمد شيخ البصرة و أخباريها، و كان من أصحاب أبي جعفر الباقر عليه السلام. و جلود: قرية في البحر، و قيل: بطن من الأنزد. قال: و له كتب ذكرها الناس - و عدّها أكثر من سبعين كتابا - و ذكر منها الكتب المتعلقة بابن عباس مسندة عنه، منها: كتاب التنزيل عنه، و كتاب التفسير عنه، و كتاب تفسيره عن الصحابة «٣».

الثالث: تفسير ابن عباس الموسوم ب «تنوير المقباس» من تفسير عبد الله بن (١) الفهرست لابن النديم، ص ٥٦.

(٢) راجع: معجم مصنفات القرآن الكريم للدكتور شواخ، ج ٢، ص ١٦٠، برقم ٩٩٤.

(٣) فهرست مصنفى الشيعة للنجاشي، ص ١٦٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٦

عباس، في أربعة أجزاء، من تأليف محمد بن يعقوب الفيروز آبادي صاحب القاموس (٧٢٩-٨١٧) «١». و قد طبع مكررا، و في هامش الدر المنثور أيضا.

و السند في أوّله هكذا: أخبرنا عبد الله - الثقة - ابن المأمون الهروي، قال:

أخبرنا أبي، قال: أخبرنا أبو عبد الله، قال: أخبرنا أبو عبيد الله محمود بن محمد الرازي، قال: أخبرنا عمار بن عبد المجيد الهروي، قال: أخبرنا علي بن إسحاق السمرقندي، عن محمد بن مروان، عن الكلبي، عن أبي صالح، عن ابن عباس «٢».

غير أن علي بن إسحاق بن إبراهيم الحنظلي السمرقندي، قال ابن حجر: مات في شوال سنة (٢٣٧) «٣». و أما محمد بن مروان السدي الصغير، فقد توفي سنة (١٨٦) و عليه فيكون تحمله عنه في حال الصغر جدًا «٤».

و سائر رجال السند مجهولون، كما لم يأت تصريح باسم الجامع الذي يقول:

«أخبرنا عبد الله الثقة»، هل هو الفيروزآبادي صاحب القاموس أم غيره؟ وإنما ذكره الحلبي في كشف الظنون «٥». و سار خلفه (سائر أصحاب التراجم) و على أي تقدير فإن هذا التفسير الموجود يعتبر مجهول السند و مجهول النسبة إلى مؤلف خاص، فضلا عن مثل ابن عباس.

هذا و لا سيما بعد ملاحظة متن التفسير؛ حيث لا يعدو ترجمة ألفاظ القرآن ترجمة غير مستندة و مختصرة إلى حد بعيد، مما يبعد كونه من تفسير حبر الأمة و ترجمان القرآن. (١) الذريعة إلى تصانيف الشيعة لأغا بزرك الطهراني، ج ٤، ص ٢٤٤.

(٢) هامش الجزء الأول من الدر المنثور، ص ٢.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٨٣.

(٤) فلو فرض أن السمرقندي عاش سبعين عاما، فيكون حين وفاة السدي الصغير تحت العشرة.

(٥) كشف الظنون، ج ١، ص ٥٠٢. و راجع: الذريعة، ج ٤، ص ٢٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٧

على أن للكلبي، و كذا للسدي الصغير، تفسير جامع و موضع اعتبار لدى الأئمة على ما أسلفنا، فلو كانا هما الراويين لهذا التفسير لكان فيه شيء من آثارهما، و على تلك المرتبة من الجلالة و الشأن.

كما أن المأثور من ابن عباس، على ما جمعه الطبري و غيره، لا يشبه شيئا من محتوى هذا التفسير الساذج جدًا، مثلا يقول: عن ابن عباس في قوله تعالى: يَا أَيُّهَا النَّاسُ بِالْتَنَاسُلِ ... «١» و هلم جراً.

و الذي يبدو لنا من مراجعة هذا التفسير أن جامع عمده إلى تفسير القرآن تفسيراً ساذجاً في حدّ ترجمة بسيطة، تسهلاً على عموم المراجعين، و هذا أمر مطلوب و مرغوب فيه شرعاً. و لكنه صدر كل سورة برواية عن ابن عباس، تيمناً و تبرّكاً باسم ترجمان القرآن. و لم يقصد أن كل ما ورد في تفسير السورة من تفسيره بالذات، الأمر الذي اشتبه على الأكثر، فزعموه تفسيراً مستنداً إلى ابن عباس في الجميع. و هذا و هم أوهمه ظاهر التعبير، فليتبّه.

قيمة تفسير الصحابي

مما يجدر التتبّه له أن الدور الأول على عهد الرسالة، كان دور تربية و تعليم، و لا سيما بعد الهجرة إلى المدينة، كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم قد ركز جلّ حياته على تربية أصحابه الأجلاء و تعليمهم الآداب و المعارف، و السنن و الأحكام و ليجعل منهم أمة وسطا ليكونوا شهداء على الناس «٢»، فقد جاء صلى الله عليه و آله و سلم ل (١) أول سورة النساء (الدر المنثور- الهامش، ج ١، ص ٢٣٣)

(٢) من الآية رقم ١٤٣ من سورة البقرة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٨

يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَ يُزَكِّيهِمْ وَ يُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَ الْحِكْمَةَ وَ إِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ «١».

و لا شك أنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فعل ما كان من شأنه أن يفعل و رَبِّي من أصحابه ثلثه من علماء ورثوا علمه و حملوا حكمته إلى الملائمة من الناس.

و إذا كان القرآن تبييناً لكلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ «٢»، و قد بلغه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الناس، فقد بين معالمه و أرشدهم إلى معاني حكمه و معاني آياته؛ إذ كان عليه البيان كما كان عليه البلاغ و أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ «٣».

و هل كان دور النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أمته، و في أصحابه الخلفاء بالخصوص، سوى دور معلم و مرشد حكيم؟ فلقد كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حريصاً على تربيتهم و تعليمهم في جميع أبعاد الشريعة، و بيان مفاهيم الإسلام.

هذا من جهة، و من جهة أخرى، فإن من صحابته الأخيار- ممن رضى الله عنهم و رضوا عنه- من كان على وفرة من الذكاء، طالبا مجدداً في طلب العلم و الحكمة و الرشاد، مولعا بالسؤال و الازدياد من معارف الإسلام، و كانوا كثرة من ذوى النباهة و الفطنة و الاستعداد رجالاً صدقوا ما عاهدوا الله عليه «٤»، و استقاموا على الطريقة، فسقاهم ربهم ماءً غدقاً «٥».

و قد عرفت كلام ابن مسعود: «كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات، لم (١) الجمعة / ٢.

(٢) النحل / ٨٩.

(٣) النحل / ٤٤.

(٤) الأحزاب / ٢٣.

(٥) الجن / ١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٩٩

يجاوزهن حتى يعلم معانيهن و العمل بهن «١».

و هو أقدم نص تاريخي يدلنا على مبلغ اهتمام الصحابة بمعرفة معاني القرآن و اجتهادهم في العمل بأحكامه.

و هذا

الإمام أمير المؤمنين عليه السلام يقول- بشأن ما كان يصدر منه من عجائب أحكام و غرائب أخبار:- «و إنما هو تعلم من ذى علم، علم علمه الله نبيه فعلمنيه، و دعا لى بأن يعيه صدرى، و تظلم عليه جوانحى» «٢».

و هذا ابن عباس- تلميذه الموفق- كان من أحرص الناس على تعلم العلم و معرفة الأحكام و الحلال و الحرام من شريعة الإسلام. و

كان قد تدارك- لشدة حرصه في طلب العلم- ما فاتته أيام حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لصغره «٣» بمراجعة العلماء من

صحابته الكبار بعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و

قد كان النبي قد دعا له: «اللهم علمه التأويل و فقهه في الدين، و اجعله من أهل الإيمان» «٤».

روى الحاكم في المستدرک بشأن حرصه على طلب العلم: أنه بعد وفاة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال لرجل من الأنصار:

هلم، فلنطلب العلم، فإن أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحياء. فقال: عجباً لك يا ابن عباس، ترى الناس يحتاجون

إليك، و فى الناس من أصحاب رسول الله من فيهم. فأقبل ابن عباس يطلب العلم، قال: إن كان الحديث ليبلغنى عن الرجل من

أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد سمعه منه، فآتية فأجلس ببابه، فتسفى الریح على وجهى، فيخرج إلى فيقول: يا ابن

عم رسول الله، (١) تفسير الطبرى، ج ١، ص ٢٧ و ٣٠.

(٢) نهج البلاغة، خ ١٢٨، ص ١٨٦ (ص ص)

(٣) ولد قبل الهجرة بثلاث سنين.

(٤) أخرجه الحاكم و صححه. المستدرک، ج ٣، ص ٥٣٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٠

ما جاء بك، ما حاجتك؟ فأقول: حديث بلغني عنك ترويه عن رسول الله، فيقول:

ألا أرسلت إليّ؟! فأقول: أنا أحق أن آتيك «١».

و من ثم كان يسمّى «البحر» لكثرة علمه. و عن مجاهد: هو جبر الأمة. و عن ابن الحنفية: ربّاني هذه الأمة «٢»، إلى غيرها من تعابير تنم عن مدى رفعة في درجات العلم.

و قد كان يجلس للتفسير فيقع موضع إعجاب. قال أبو وائل: حججت أنا و صاحب لي، و ابن عباس على الحج، فجعل يقرأ سورة النور و يفسيّرها. فقال صاحبي: يا سبحان الله، ما ذا يخرج من رأس هذا الرجل، لو سمعت هذا الترك لأسلمت. و في رواية عن شقيق: ما رأيت و لا سمعت كلام رجل مثله، لو سمعته فارس و الروم لأسلمت. و قال عبد الله بن مسعود: نعم ترجمان القرآن ابن عباس «٣».

و أسلفنا حديث مسروق بن الأجدع: وجدت أصحاب محمد صلّى الله عليه و آله و سلّم كالإخاذ، فالإخاذة تكفي الراكب، و الإخاذة تكفي الراكبين، و الإخاذة تكفي الفئام من الناس. و في لفظ آخر: لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم «٤».

كناية عن أنهم كانوا على درجات من العلم، كانوا يصدرون الناس عن روى كان مستقاه و مادته الأولى، هو النبي الأكرم صلّى الله عليه و آله و سلّم هو ربّاهم و أدبهم فأحسن تأديبهم، و إن كانوا هم على تفاوت في استعداد الأخذ و التلقّي (١) المستدرک، ج ٣، ص ٥٣٨.

(٢) المصدر نفسه، ص ٥٣٥.

(٣) المستدرک، ج ٣، ص ٥٣٧.

(٤) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٣٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠١

أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَهُ بِقَدَرِهَا «١».

و بعد، فإذا كانت تلك حالة العلماء من أصحاب رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم لا يصدرون الناس إلّا عن مصدر الوحي الأمين، و لا ينطقون إلّا عن لسانه الناطق بالحق المبين، فكيف يا ترى مبلغ اعتبار ما يصدر عن ثلّمه، هم حملة علم الرسول، و الحفظه على شريعته الأمانة؟! نعم كان الشرط في الحجية و الاعتبار أولاً: صحة الإسناد إليهم، و ثانياً: كونهم من الطراز الأعلى. و إذ قد ثبت الشرطان، فلا محيص عن جواز الأخذ و صحة الاعتماد، و هذا لا شك فيه بعد الذي نوهنا.

إنما الكلام في اعتبار ذلك حديثاً مسنداً و مرفوعاً إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم، بالنظر إلى كونه الأصل في تربيتهم و تعليمهم، أو أنه استنباط منهم، لمكان علمهم و سعة اطلاعهم فربما أخطئوا في الاجتهاد، و إن كانت إصابتهم في الرأي أرجح في النظر الصحيح.

الأمر الذي فضّل القوم فيه، بين ما إذا كان للرأي و النظر مدخل فيه، فهذا موقوف على الصحابي، لا يصحّ إسناده إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم. و ما إذا لم يكن كذلك، مما لا سبيل إلى العلم به إلّا عن طريق الوحي، فهو حديث مرفوع إلى النبي صلّى الله عليه و آله و سلّم لا محالة؛ و ذلك لموضع عدالة الصحابي و وثاقته في الدين. فلا يخبر عما لا طريق للحسّ إليه، إلّا إذا كان قد أخبره ذو علم عليم صادق أمين.

و إليك بعض ما ذكره القوم بهذا الشأن:

قال العلامة الطباطبائي - عند تفسير قوله تعالى: (١) الرعد/ ١٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٢

وَ أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ... «١»:-

و في الآية دلالة على حجية قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في بيان الآيات القرآنية، و يلحق به بيان أهل بيته؛ لحديث الثقلين المتواتر و غيره. و أما سائر الأمة من الصحابة أو التابعين أو العلماء، فلا حجية لبيانهم، لعدم شمول الآية و عدم نص معتمد عليه، يعطى حجية بيانهم على الإطلاق.

قال: هذا كله في نفس بيانهم المتلقى بالمشافهة. و أما الخبر الحاكي له، فما كان منه بيانا متواترا أو محفوظا بقريته قطعية و ما يلحق به، فهو حجة لكونه بيانهم.

و أما ما لم يكن متواترا و لا محفوظا بالقريته، فلا حجية فيه؛ لعدم إحراز كونه بيانا لهم.

قال: و أما قوله تعالى: فَسَيُلْوَ أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ... «٢» فإنه إرشاد إلى حكم العقلاء برجوع الجاهل إلى العالم، من غير اختصاص بطائفة دون أخرى «٣».

هل المأثور من الصحابي حديث مسند؟

قال الحاكم النيسابوري: ليعلم طالب هذا العلم أن تفسير الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل، عند الشيخين، حديث مسند، أي إذا انتهت سلسلة الرواية إلى صحابي جليل، فإن ذلك يكفي في إسناد الحديث إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و إن كان الصحابي لم يسنده إليه. (١) النحل / ٤٤.

(٢) النحل / ٤٣.

(٣) الميزان، ج ١٢ (ط اسلامية)، ص ٢٧٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٣

ذكر ذلك في موضعين من مستدركه «١»، و هو عام سواء أ كان ذلك مما لا طريق إلى معرفته سوى الوحي أم لم يكن كذلك، و كان مما يمكن أن يراه الصحابي أو شاهده بنفسه. و من ثم كان هذا الكلام على عمومته و إطلاقه محل إشكال؛ لذلك رجع عنه في كتابه الذي وصفه لمعرفة علوم الحديث.

قال هناك: إن من الحديث ما يكون موقوفا على الصحابي، غير مرفوع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما إذا قال الصحابي: رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يفعل كذا أو يأمر بكذا، أو إن أصحابه كانوا يصنعون كذا، مثل ما روى عن المغيرة بن شعبه، قال:

كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقرعون بابه بالأظفير. قال الحاكم: هذا حديث يتوهمه من ليس من أهل الصنعة مسندا؛ لذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و ليس بمسند فإنه موقوف على صحابي، حكى عن أقرانه من الصحابة فعلا. و هكذا إذا قال الصحابي: إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يقول كذا، و كان يفعل كذا، و كان يأمر بكذا و كذا.

قال: و من الموقوف ما رويناه عن أبي هريرة، في قول الله - عز و جل - لَوَاحِجَةٌ لِلْبَشَرِ «٢» قال: تلقاهم جهنم يوم القيامة فتلفحهم لفحة، فلا تترك لحما على عظم إلا وضعت على العراقيب.

قال: و أشباه هذا من الموقوفات، تعد في تفسير الصحابة «٣».

قال: فأما ما نقول في تفسير الصحابي، مسندا، فإنما نقوله في غير هذا النوع، كما في حديث جابر، قال: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها (١) المستدرک، ج ٢، ص ٢٥٨، و في ص ٢٦٣ أيضا.

(٢) المدثر / ٢٩.

(٣) بناء على أن هذا التفسير من أبي هريرة كان من عنده، و لعله استظهارا من لفظ الآية! و لكن سيأتي عن السيوطي أنه مما لا سبيل

إلى معرفته سوى الوحي، فهو من المسند المرفوع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٤

جاء الولد أحول، فأنزل الله عزَّ و جلَّ نِسْأُكُمْ حَزَّتْ لَكُمْ ... «١». قال: هذا الحديث و أشباهه مسنده عن آخرها، و ليست بموقوفة، فإن الصحابي الذي شهد الوحي و التنزيل، فأخبر عن آية من القرآن أنها نزلت في كذا و كذا، فإنه حديث مسند «٢».

و هكذا قيّد ابن الصلاح و النووي و غيرهما ذاك الإطلاق بما لا يرجع إلى معرفة أسباب النزول المشاهدة، و نحو ذلك مما يمكن معرفته للصحابة بالمشاهدة و العيان. نعم إذا كان مما لا- مجال للرأى فيه، مما يعود إلى ما وراء الحس من قبيل أمر الآخرة و نحو ذلك، فإن مثل ذلك حديث مسند، مرفوع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نظرا لموضع عدالة الصحابة، و تنزيهه عن القول على الله بغير علم، و لا مستند إلى ركن و ثيق.

قال النووي- في التريب:- و أما قول من قال: تفسير الصحابي مرفوع، فذاك في تفسير يتعلّق بسبب نزول آية أو نحوه، و غير موقوف. قال السيوطي- في شرحه:- كقول جابر: كانت اليهود تقول: من أتى امرأته من دبرها في قبلها، جاء الولد أحول، فأنزل الله تعالى: نِسْأُكُمْ حَزَّتْ لَكُمْ ...

رواه مسلم، أو نحوه مما لا يمكن أن يؤخذ إلّا عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و لا مدخل للرأى فيه.

قال: و كذا يقال في التابعي، إلّا أن المرفوع من جهته مرسل.

قال: ما خصّص به المصنف كابن الصلاح و من تبعهما قول الحاكم، قد صرح به الحاكم في «علوم الحديث»، ثم ذكر حديث أبي هريرة في قوله تعالى: لَوْ آخِةٌ لِلْبَشَرِ (١) البقرة/ ٢٢٣.

(٢) معرفة علوم الحديث ص ١٩- ٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٥

فالحاكم أطلق في المستدرک و خصّص في علوم الحديث، فاعتمد الناس تخصيصه. و أظن أن ما حمّله في المستدرک على التعميم الحرص على جمع الصحيح، حتى أورد ما ليس من شروط المرفوع، و إلّا ففيه من الضرب الأول الجَمّ الغفير. على أنى أقول: ليس ما ذكره عن أبي هريرة من الموقوف؛ لما تقدّم من أن ما يتعلّق بذكر الآخرة و ما لا مدخل للرأى فيه، من قبيل المرفوع «١».

و على أيّة حال، فإن التفسير المأثور عن صحابي جليل- إذا صحّ الطريق إليه- فإنّ له اعتباره الخاص. فإنّما أن يكون قد أخذه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و هو الأكثر فيما لا يرجع إلى مشاهدات حاضرة أو فهم الأوضاع اللغوية الأولى أو ما يرجع إلى آداب و رسوم جاهلية بائدة، كان الصحابة يعرفونها، و أشباه ذلك. فإن كان لا يرجع إلى شيء من ذلك، فإنّ من المعلوم بالضرورة أنه مستند إلى علم تعلمه من ذي علم. هذا ما يقتضيه مقام إيمانه الذي يحجزه عن القول الجزاف.

و إلّا فهو موقوف عليه و مستند إلى فهمه الخاص، و لا ريب أنه أقرب فهما إلى معاني القرآن، من الذي ابتعد عن لمس أعتاب الوحي و الرسالة، و حتى عن إمكان معرفة لغة الأوائل، و عادات كانت جارية حينذاك.

و هكذا صرّح العلامة الناقد السيد رضی الدين بن طاوس المتوفى سنة (٦٦٤) بشأن العلماء من صحابة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إنهم أقرب علما بنزول القرآن» «٢». (١) تدريب الراوى، ج ١ ص ١٩٣ (ط ٢- ١٣٩٩ هـ)

(٢) في كتابه القيم (سعد السعود) الذي عالج فيه نقد أكثر من سبعين كتابا في تفسير القرآن، كانت في متناوله ذلك العهد. (ط نجف) ص ١٧٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٦

قال الإمام بدر الدين الزركشى: لطالب التفسير ماخذ كثيرة، أمهاتها أربعة:

الأول: النقل عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و هذا هو الطراز الأول، لكن يجب الحذر من الضعيف فيه و الموضوع، فإنه

كثير.

الثاني: الأخذ بقول الصحابي، فإن تفسيره عندهم بمنزلة المرفوع إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما قاله الحاكم في تفسيره. و قال أبو الخطاب- من الحنابلة:-

يحتمل أن لا يرجع إليه إذا قلنا: إن قوله ليس بحجة! و الصواب الأول؛ لأنه من باب الرواية لا الرأي.

و قد أخرج ابن جرير عن مسروق بن الأجدع قال: قال عبد الله بن مسعود:

و الذى لا إله الا هو، ما نزلت آية في كتاب الله إلا و أنا أعلم فيمن نزلت و أين نزلت، و لو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناله المطايا لأتيته. و قال أيضا:

كان الرجل منّا إذا تعلّم عشر آيات لم يتجاوزهنّ حتى يعلم معانيهنّ، و العمل بهنّ.

قال: و صدور المفسرين من الصحابة، على ثم ابن عباس- و هو تجرّد لهذا الشأن- و المحفوظ عنه أكثر من المحفوظ عن عليّ، إلا أن ابن عباس كان أخذ عن عليّ عليه السّلام، و يتلوه عبد الله بن عمرو بن العاص. و كل ما ورد عن غيرهم من الصحابة فحسن مقدم «١».

و أخيرا قال: و اعلم أن القرآن قسمان: أحدهما ورد تفسيره بالنقل عن تفسيره، و قسم لم يرد. و الأول ثلاثة أنواع: إما أن يرد التفسير عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو عن الصحابة، أو عن رؤوس التابعين. فالأول: يبحث فيه عن صحة السند. و الثاني: ينظر فى تفسير الصحابي، فإن فسره من حيث اللغة، فهم أهل اللسان، فلا (١) البرهان، ج ٢، ص ١٥٦-١٥٧.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٧

شك في اعتمادهم، و إن فسّره بما شاهدته من الأسباب و القرائن فلا شك فيه. و حينئذ إن تعارضت أقوال جماعة من الصحابة، فإن أمكن الجمع فذاك، و إن تعدّد قدم ابن عباس «١».

و سيأتي نقل كلامه فى الرجوع إلى التابعى.

هذا ما يقتضيه ظاهر البحث فى هذا المجال. و أما الذى جرى عليه مذهب علمائنا الأعلام، فهو: إن التفسير المأثور من الصحابي- مهما كان على جلاله من القدر و المنزلة- فإنه موقوف عليه، لا يصحّ إسناده إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما لم يسنده هو بالذات. و هذا منهم مطلق، سواء أ كان للرأى فيه مدخل أم لا؛ لأنه إنّما نطق عن علمه، حتى و لو كان مصدره التعليم من النبي، ما لم يصرّح به؛ إذ من الجائر أنه من استنباطه الخاص، استخراجه من مبان و أصول تلقّاها من حضرة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

أما التنصيص على هذا الفرع المستنبط بالذات فلم يكن من النبي، و إنما هو من اجتهاد الصحابي الجليل، و مرتبط مع مبلغ فطنته و سعة دائرة علمه، و المجتهد قد يخطأ، و ليس الصواب حليفه دائما، ما لم يكن معصوما.

و من ثم فإنّ الذى يصدر من أئمتنا المعصومين عليهم السّلام نسندهم إليهم، و إن كنا على علم و يقين أنه تعلّم من ذى علم عليهم، ذلك أنه حجة لدينا؛ لأنه صادر من منبع معصوم.

ميزان تفسير الصحابي

يمتاز تفسير الصحابي بأمر خمسة لم تتوفر جميعا فى سائر التفاسير (١) البرهان، ج ٢، ص ١٧٢.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٨

المتأخّرة:

أولا: بساطته، بما لم يتجاوز بضع كلمات فى حلّ معضل أو رفع إبهام، فى بيان واف شاف و مع كمال الإيجاز و الإيفاء. فإذا قد سئل

أحدهم عن معنى غَيْرِ مُتَّجَانِفٍ لِإِثْمٍ «١»، أجب على الفور: «غير متعرض لمعصية»، من غير أن يتعرض لاشتقاق الكلمة، أو يحتاج إلى بيان شاهد و دليل، و ما شاكل ذلك، مما اعتاده المفسرون. و إذا سئل عن سبب نزول آية، أو عن فحواها العام، أجب بشكل قاطع من غير ترديد، و على بساطة من غير تعقيد، كان قد ألفه المتأخرون.

ثانيا: سلامته عن جدل الاختلاف، بعد وحدة المبني و الاتجاه و الاستناد، ذلك العهد؛ إذ لم يكن بين الصحابة في العهد الأول اختلاف في مباني الاختيار، و لا تباين في الاتجاه، و لا تضارب في الاستناد، و إنما هي وحدة في النظر و الاتجاه و الهدف، جمعت طوائف الصحابة على خط مستقيم. فلم تكن ثمة داعية لنشوء الاختلاف و التضارب في الآراء، و لا سيما و الرسول صلى الله عليه و آله و سلم أذبهم على التزام سبيل الرشاد.

على أن التفسير ذلك العهد لم يكن ليتعدّ في شكله و هندامه - حدود الحديث و شكله، بل كان جزء منه و فرعا من فروعها، كما دأب عليه جامعو الأحاديث.

ثالثا: صيانتها عن التفسير بالرأى، بمعنى الاستبداد بالرأى غير المستند إلى ركن و ثيق، ذلك تعصّب أعمى أو تلبيس في الأمر، كان يتحاشاه الأجلء من الصحابة الأخيار. و سنشرح من معنى التفسير بالرأى الممنوع شرعا، و المذموم عقلا، بما يرفع الإبهام عن المراد به إن شاء الله. (١) المائدة/ ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٠٩

رابعا: خلوصه عن أساطير بائدة، و منها الأقاصيص الإسرائيلية، لم تكن لتجد مجالا للتسرب في الأوساط الإسلامية العريقة، ذلك العهد المناوئ لدسائس إسرائيل، الأمر الذي انقلب ظهرا لبطن بعد حين، و جعلت الدسائس السياسية تلعب دورها في ترويج أساطير بنى إسرائيل.

خامسا: قاطعيته عن احتمال الشكّ و تحمّل الظنون، بعد وضوح المستند و صراحتة، و وفرة وسائل الإيضاح و دلائل التفسير المعروضة ذلك العهد؛ لسذاجتها و سلامتها عن التعقيد الذي طرأ عليها في عهد متأخر.

لا- سيّما و الدلائل العلمية و الفلسفية التي استند إليها المتأخرون في تفسير معاني القرآن، لم تكن معهودة حينذاك، أو لم تكن مشروعة، و لا صالحة للاستناد في العهد الأول. و إنما كان استنادهم إلى العرف و اللغة، و العلم بأسباب النزول، إلى جنب النصوص الشرعية الصادرة في مختلف شئون الدين و القرآن، هذا لا غير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١١

المرحلة الثالثة التفسير في دور التابعين

إشارة

* مدارس التفسير * أعلام التابعين * قيمة تفسير التابعي * ميزات تفسير التابعي * منابع التفسير في هذا العهد

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٣

مدارس التفسير:

إشارة

* مدرسة مكة أقامها ابن عباس * مدرسة المدينة أقامها أبي بن كعب * مدرسة الكوفة أقامها ابن مسعود * مدرسة البصرة أقامها أبو

موسى* مدرسة الشام أقامها أبو الدرداء

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٥

مدارس التفسير

نعم الخلف لخير سلف

لم يكد ينصرم عهد الصحابة إلّا و قد نبغ رجال أكفاء، ليخلفوهم في حمل أمانة الله و أداء رسالته في الأرض، و هم التابعون الذين اتبعوهم بإحسان، رضى الله عنهم و رضوا عنه، و ذلك هو الفوز العظيم. إنهم رجال لم تمكنهم الاستضاءة من أنوار ذلك العهد (عهد الرسالة) الفاضل بالخير و البركات، فاستعاضوا عنها بالمثل بين يدي أكابر الصحابة الأعلام، و العكوف على أعتابهم المقدسة؛ يستفيدون من علومهم و يهتدون بهداهم. و قد كان أعيان الصحابة كثرة منتشرين في البلاد كنجوم السماء، مصايح الدجى و أعلام الهدى، أينما حلّوا أو ارتحلوا من بقاع الأرض؛ و بذلك انتشرت تعاليم الإسلام، و شاع و ذاع مفاهيم الكتاب و السنّة النبوية بين العباد، في مختلف البلاد.

مدارس التفسير

و حيثما ارتحل صحابي جليل و حلّ به من بلد إسلامي كبير، كان قد شيد فيه مدرسة واسعة الرحب، بعيدة الأرجاء، يبثّ بها معالم الكتاب و السنّة، و يقصدها

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٦

الرواد من كل صوب. و كان أشهر هذه المدارس - حسب شهرة مؤسسها - خمسة:

١- مدرسة مكة: أقامها عبد الله بن عباس، يوم ارتحل إليها عام الأربعين من الهجرة؛ حيث غادر البصرة و قدم الحجاز، بعد استشهاد الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام، و كان واليا من قبل الإمام، فلم يتصدّ ولاية بعده، عاكفا على أعتاب حرم الله، يؤدّي رسالته هناك في بثّ العلوم و نشر المعارف التي تعلّمها و أخذها عن الإمام عليه السّلام. و قد دامت المدرسة مدّة حياته حتى عام ثمانية و ستين؛ حيث وفاته بالطائف، رضوان الله عليه.

و قد تخرّج من هذه المدرسة أكبر رجالات العلم في العالم الإسلامي حينذاك، و كان لهذه المدرسة و لمن تخرّج منها صدى محمود في أرجاء البلاد، و بقيت آثارها الحسنه سنّة متبعة بين العباد، و لا تزال. و لعلّ أعلم التابعين بمعاني القرآن هم المتخرّجون من مدرسة ابن عباس و المتعلمون على يديه.

قال ابن تيمية: و أما التفسير فإنّ أعلم الناس به أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد و عطاء و عكرمة. و غيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس و أبي الشعثاء و سعيد بن جبير و أمثالهم. و كذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود. و من ذلك تميّزوا به على غيرهم «١».

٢- مدرسة المدينة: قيامها على الصحابة الموجودين بها، و لا سيما أبي بن كعب الأنصاري سيّد القراء. كان من أصحاب العقبة الثانية، و شهد بدرًا و المشاهد كلها.

قال له النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم: ليهنك العلم، أبا المنذر. (١) مقدمته في أصول التفسير، ص ٢٣-٢٤ (المطبعة السلفية ١٣٨٥)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٧

و كان أول من كتب لرسول الله مقدمه المدينة، فإذا لم يحضر أبي كتب زيد ابن ثابت. كان أقرأ أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم، و كان ممن جمع القرآن حفظا على عهد رسول الله، و تأليفا بعد وفاته. و كان قد تفرغ للإقراء بالمدينة ما لم يتفرغ له سائر الصحابة الباقين فيها.

و من ثم تصدى الإملاء على لجنة توحيد المصاحف على عهد عثمان، و كانوا يرجعون إليه عند الاختلاف. توفي سنة (٣٠) في خلافة عثمان، حسبما قدمنا.

٣- مدرسة الكوفة: أقام دعائمها الصحابي الكبير عبد الله بن مسعود، كان خصيصا برسول الله صلى الله عليه وآله و سلم يخدمه و يترى على يديه. قال حذيفة: أقرب الناس برسول الله صلى الله عليه وآله و سلم هديا و دلا و سمتا، ابن مسعود. و لقد علم المحفوظون من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله و سلم أن ابن أم عبد من أقربهم إلى الله زلفى. كان أول من جهر بالقرآن على ملأ من قريش، فأوذى في الله و اضطرب على البلاء. كان قد هاجر الهجرتين و شهد المشاهد كلها.

قدم الكوفة- على عهد ابن الخطاب- معلما و مؤدبا، حتى أحضره عثمان سنة (٣١) و كانت فيها وفاته. و لما بلغ أبا الدرداء نعيه قال: ما ترك بعده مثله.

ترى على يديه خلق كثير، فمن التابعين: علقمة بن قيس النخعي، و أبو وائل شقيق بن سلمة الأسدي الكوفي، و الأسود بن يزيد النخعي، و مسروق بن الأجدع، و عبيدة بن عمرو السلماني، و قيس بن أبي حازم، و غيرهم.

و قد عرفت أن مدرسة الكوفة كانت أهم المدارس بعد مدرسة مكة، توسعا و شمولاً لمعاني القرآن و الفقه و الحديث.

٤- مدرسة البصرة: أقامها أبو موسى الأشعري: عبد الله بن قيس (٤٤) قدم

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٨

البصرة سنة (١٧) واليا عليها من قبل عمر، بعد أن عزل المغيرة، ثم أقره عثمان، و بعد فترة عزله، فسار إلى الكوفة. و لما أن عزل سعيدا استعمله عليها، و عزله الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، فكان يراود معاوية في سر، و لأخوة قديمة كانت بينهما، كما يبدو من وصية معاوية لابنه يزيد بشأن أبي بردة ابن أبي موسى الأشعري «١». كان منحرفا عن علي عليه السلام و افتضح أمره يوم الحكمين.

و هو الذي فقه أهل البصرة و أقرأهم. قال ابن حجر: و تخرج على يديه جماعة من التابعين و من بعدهم «٢». و أخرج الحاكم عن أبي رجاء، قال: تعلمنا القرآن عن أبي موسى الأشعري في هذا المسجد- يعني مسجد البصرة- و كنا حلقا حلقا، و كأننا أنظر إليه بين ثوبين أبيضين «٣».

و كانت مدرسته ذات انحراف شديد، و من ثم كانت البصرة من بعده أرضا خصبة لشوء كثير من البدع و الانحرافات الفكرية و العقائدية، و لا سيما في مسائل الأصول و الإمامة و العدل.

قال عبد الكريم الشهرستاني: و سمعت من عجيب الاتفاقات أن أبا موسى الأشعري (المتوفى سنة ٤٤) كان يقرر عين ما يقرر حفيده أبو الحسن الأشعري (المتوفى سنة ٣٢٤) في مذهبه، و ذلك قد جرت مناظرة بين عمرو بن العاص و بينه، فقال عمرو: أين أجد أحدا أحاكم إليه ربّي؟ فقال أبو موسى: أنا ذلك المتحاكم إليه. فقال عمرو: أو يقدر على شيئا ثم يعذبني عليه؟ قال أبو موسى: نعم، (١) طبقات ابن سعد، ج ٤، ص ٨٣ ق ١.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٣٦٢.

(٣) المستدرک على الصحيحين، ج ٢، ص ٢٢٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣١٩

قال عمرو: و لم؟ قال: لأنه لا يظلمك! فسكت عمرو و لم يحرج جوابا «١».

و ذكر ابن أبي الحديد أبا بردة ابن أبي موسى الأشعري فيمن أبغض عليا، و كان من القالين له، ثم قال: ورث البغضة له، لا عن كلاله

«٢»، أى كان هذا الحقد للإمام أمير المؤمنين - صلوات الله عليه - قد أتاه مستقيماً من قبل والده، فكانت البغضة منه تليداً، و لم تأت من عرض عارض، لا تلد الحية إلا الحية.

٥- مدرسة الشّام: قام بها أبو الدرداء عويمر بن عامر الخزرجي الأنصارى. كان من أفاضل الصحابة و فقهاءهم و حكمائهم. أسلم يوم بدر، و شهد أحداً و أبلى فيها بلاء حسناً.

روى أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم قال بشأنه حينذاك: نعم الفارس عويمر، و قال: هو حكيم أمتى. تولّى قضاء دمشق أيام خلافة عمر، و توفّى فى خلافة عثمان سنة (٣٢) و لم ينزل دمشق من أكابر الصحابة سوى أبى الدرداء، و بلال بن رباح المؤدّن الذى مات فى طاعون عمواس سنة (٢٠) و دفن بحلب. و كذا واثله بن الأسقع، و كان آخر من مات بدمشق من أصحاب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم. مات سنة (٨٥) فى خلافة عبد الملك بن مروان.

تخرّج على يدى أبى الدرداء جماعة من أكابر التابعين، منهم: سعيد بن المسيّب، و علقمة بن قيس، و سويد بن غفلة، و جبير بن نفير، و زيد بن وهب، و أبو إدريس الخولانى، و آخرون.

كان أبو الدرداء من الثابتين على ولاء آل الرسول صلى الله عليه و آله و سلّم لم ترزعه (١) الملل و النحل، ج ١، ص ٩٤ ط القاهرة ١٣٨٧ هـ ق.

(٢) شرح النهج، ج ٤، ص ٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٠

العواصف.

روى الصدوق - فى أماليه - بإسناده إلى هشام بن عروة بن الزبير عن أبيه عروة، قال: كنّا جلوساً فى حلقة فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم نذاكر أهل بدر و بيعه الرضوان، فقال أبو الدرداء: يا قوم، ألا أخبركم بأقل القوم مالا و أكثرهم ورعاً و أشدهم اجتهاداً فى العبادة؟ قالوا: من؟ قال: ذاك أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب عليه السّلام.

قال عروة: فو الله، ما نطق أبو الدرداء بذلك إلّما و أعرض عنه بوجهه من فى المجلس. ثم انتدب له رجل من الأنصار، فقال له: يا عويمر، لقد تكلمت بكلمة ما وافقك عليها أحد منذ أتيت بها. فقال أبو الدرداء: يا قوم، إنى قائل ما رأيت، و ليقبل كل قوم منكم ما رأوا ... ثم أخذ فى بيان مواضع على عليه السّلام من العبادة و البكاء، عند ما كان يختلى برّبّه فى ظلمة الليل و الناس نيام «١». (١) بحار الأنوار، ج ٤١، ص ١١، عن أمالى الصدوق مج ١٨، ص ٦٩-٧٠ (ط نجف)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢١

أعلام التابعين المفسرين:

إشارة

- ١- سعيد بن جبير ٢- سعيد بن المسيّب ٣- مجاهد بن جبر ٤- طاوس بن كيسان ٥- عكرمة مولى ابن عباس ٦- عطاء بن أبى رباح ٧-
- عطاء بن السائب ٨- أبان بن تغلب ٩- الحسن البصرى ١٠- علقمة بن قيس ١١- محمد بن كعب القرظى ١٢- أبو عبد الرحمن السلمى
- ١٣- مسروق بن الأجدع ١٤- الأسود بن يزيد النخعى ١٥- مزة الهمداني ١٦- عامر الشعبي ١٧- عمرو بن شرحبيل ١٨- زيد بن وهب
- ١٩- أبو الشعثاء الكوفى ٢٠- أبو الشعثاء الأزدي ٢١- الأصعب بن نباتة ٢٢- زرّ بن حبيش ٢٣- ابن أبى ليلى ٢٤- عبيدة بن قيس ٢٥-
- الربيع بن أنس ٢٦- الحارث بن قيس ٢٧- قتادة بن دعامة ٢٨- زيد بن أسلم ٢٩- أبو العالیه ٣٠- جابر الجعفى

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٣

أعلام التابعين

إشارة

قلنا: إن كثيرا من رواد العلم، كانوا قد نهضوا نهضتهم الكبرى، في سبيل كسب المعرفة و الحصول على معالم الدين الحنيف. و حيث كان قد أعوزتهم الاستضاءة المباشرة من أنوار عهد الرسالة، استعاضوا عنها باللجوء إلى أعتاب الصحابة الأعلام، فأخذوا منهم العلوم و نشروها بين العباد. فكانوا هم الواسطة و الحلقة الواصلة بين منابع العلم الأولي و بين الأمة على الإطلاق، ليس لذلك الدور فحسب، بل لجميع الأدوار و الأعصار. فأصبحوا هم حاملو لواء هداية الإسلام إلى كافة الأنام. و هم جماعات، لا يحصون عددا، كنجوم السماء المتألقة في دياجى الظلام، و مبعوثون في الأرض منتشرون في الأقطار و الأكناف. غير أننا نقتصر على الأعلام، و المعروفين بتعليم القرآن، و نشر علومه و بيان معارفه بين الناس. و هم المتخرجون من المدارس التفسيرية المعهودة، و لا سيما مدرسة ابن عباس بمكة المكرمة، حسبما عرفت، و إليك منهم:

١. سعيد بن جبير

أبو عبد الله، أو أبو محمد الأسدي بالولاء، الكوفى، من أصل حبشى، أسود اللون أبيض الخصال. كان من كبار التابعين و متقدميهم فى الفقه و الحديث

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٤

و التفسير. أخذ القراءة من ابن عباس، و سمع منه التفسير، و أكثر روايته عنه. كان قد تفرغ للعلم و القرآن حتى صار علما و إماما للناس. قال أبو القاسم الطبرى: هو ثقة، حجة، إمام على المسلمين، و كان مجمعا عليه بين أرباب الحديث و التفسير. له مناظرة مع الطاغية الحجاج بن يوسف الثقفى، حينما أراد قتله، تدل على قوة إيمانه و صلابته فى الولاء لآل البيت عليهم السلام، قتله صبورا سنة (٩٥) و هو ابن (٤٩)

روى أبو عمرو و محمد بن عمر بن عبد العزيز الكششى بإسناده إلى الإمام أبى عبد الله الصادق عليه السلام قال: إن سعيد بن جبير كان يأتى بعلى بن الحسين عليهما السلام، و كان على عليه السلام يثنى عليه. و ما كان سبب قتل الحجاج له إلا على هذا الأمر، و كان مستقيما «١».

و فى مصنفات أصحابنا الإمامية عنه وصف جميل «٢»، و كذا فى سائر المصنفات الرجالية و غيرها «٣». (١) ذكر الكششى فى رجاله (ط رجائى)، ج ١، ص ٣٣٥، رقم ١٩٠: لما دخل سعيد على الحجاج، قال له: أنت شقى بن كسير. قال: كانت أمى أعرف باسمى. قال: ما تقول فى فلان و فلان، هما فى الجنة أو فى النار؟ قال: لو دخلت الجنة فنظرت إلى أهلها لعلمت من فيها، و إن دخلت النار و رأيت أهلها لعلمت من فيها. قال: فما قولك فى الخلفاء؟ قال: لست عليهم بوكيل. قال: أيهم أحب إليك؟ قال: أرضاهم لخالقي. قال: و أيهم أرضى للخالق؟ قال: علم ذلك عند الذى يعلم سرهم و نجواهم. قال:

أبيت أن تصدقنى! قال: بلى، لم أحب أن أكذبك!

(٢) راجع: أعيان الشيعة للأمين العاملى، ج ٧، ص ٢٣٤-٢٣٦. و سفينة البحار للقمى، ج ١، ص ٦٢١-٦٢٢. و مناقب ابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٧٦.

(٣) راجع: حلية الأولياء لأبى نعيم، ج ٤، ص ٢٧٢-٣١٠. و ابن خلكان، ج ٢، ص ٣٧١-٣٧٤، رقم ٢٤١. و المعارف لابن قتيبة، ص

١٩٧. و تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٤، ص ١١-١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٥

روى أبو نعيم الأصبهاني بإسناده إلى خلف بن خليفة عن أبيه قال: شهدت مقتل سعيد بن جبير، فلما بان رأسه، قال: لا إله إلا الله، ثم قالها الثالثة فلم يتمها «١».

و ذكر ابن قتيبة: أنه أمر الحجاج فضربت عنقه، فسقط رأسه إلى الأرض يتدحرج، و هو يقول: لا إله إلا الله، فلم يزل كذلك، حتى أمر الحجاج من يضع رجله على فيه، فسكت.

و لم يدم الحجاج بعده غير سنة، و لم يستطع إراقة دم بعد دمه الطاهر. و كان الحجاج عند ما حضره الموت يقول: ما لي و لسعيد بن جبير، كان يقول ذلك و هو يغوص ثم يفيق. و كان يراه في المنام، و قد أخذ بمجامع ثوبه يقول له: يا عدو الله، فيم قتلتنى؟ فيستيقظ مذعورا، و يقول: ما لي و لسعيد. ذكر ذلك ابن خلكان في الوفيات.

مكانته العلمية: أخذ العلم عن عبد الله بن عباس، و كان قد لازمه في طلب العلم، فأجازه ابن عباس في التحديث. قال له: حدث، فقال- متحاشيا:- أحدث و أنت هاهنا؟! - و في رواية- و أنت موجود! فقال ابن عباس: أليس من نعم الله عليك أن تحدثت و أنا شاهد؟! فإن أصبت فذاك، و إن أخطأت علمتك.

قال أحمد بن حنبل: قتل الحجاج سعيد بن جبير، و ما على وجه الأرض أحد إلا و هو مفتقر إلى علمه! «٢». و رواه أبو نعيم عن عمرو بن ميمون عن أبيه.

و كان ابن عباس إذا أتاه أهل الكوفة يستفتونه يقول: أليس فيكم ابن أمّ (١) حلية الأولياء، ج ٤، ص ٢٩١.

(٢) ابن خلكان، ج ٢، ص ٣٧١-٣٧٤. رقم ٢٤١. و راجع: الحلية، ج ٤، ص ٢٧٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٤

الدهماء، يعنى سعيد بن جبير.

قال يحيى بن سعيد: مرسلات ابن جبير أحب إليّ من مرسلات عطاء و مجاهد. و كان سفيان يقدّم سعيدا على إبراهيم النخعي في العلم، و كان أعلم من مجاهد و طاوس «١».

و كان سعيد يعظم من شيخه تعظيما بالغا، قال: كنت أسمع الحديث من ابن عباس، فلو أذن لي لقبّلت رأسه «٢».

و قد جمع أبو نعيم من التفسير المأثور عن سعيد بن جبير نخباً، و عقد له فصلاً، و عنوانه بآثاره في التفسير «٣». فقد روى عنه في قوله تعالى - حكاية عن نبي الله موسى عليه السلام-: رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ «٤». قال: إنه يومئذ لفقير إلى شقّ تمره. و في قوله تعالى: أَمْثَلُهُمْ طَرِيقَةً «٥» قال: أوفاهم عقلاً «٦».

٢- سعيد بن المسيّب

إشارة

قال أبو نعيم الأصبهاني: فأما أبو محمّد سعيد بن المسيّب بن حزن المخزومي، فكان من الممتحنين، أمتحن فلم تأخذه في الله لومة لائم. صاحب عبادة و جماعة و عفة و قناعة. و كان كاسمه بالطاعات سعيداً، و من المعاصي (١) تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٤، ص ١١-١٤. و الحلية، ج ٤، ص ٢٧٣.

(٢) حلية الأولياء لأبي نعيم الأصبهاني، ج ٤، ص ٢٨٣.

(٣) في الجزء الرابع من الحلية من الصفحة ٢٨٣ فما بعد.

(٤) القصص / ٢٤.

(٥) طه / ١٠٤.

(٦) الحلية، ج ٤، ص ٢٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٧
و الجهالات بعيدا «١».قال ابن المدينة: لا أعلم في التابعين أوسع علما من سعيد بن المسيب. قال:
و إذا قال سعيد: مضت السنة، فحسبك به. قال: هو عندي أجلّ التابعين.

و قال أبو حاتم: ليس في التابعين أنبل منه.

و قال سليمان بن موسى: كان أفضقه التابعين.

و قال أبو زرعة: مدني قرشي ثقة إمام.

و قال قتادة: ما رأيت أحدا قط أعلم بالحلال و الحرام منه.

و قال ابن شهاب: قال لي عبد الله بن ثعلبة: إن كنت تريد هذا - يعني - الفقه - فعليك بهذا الشيخ، سعيد بن المسيب.

و عن عمرو بن ميمون بن مهران عن أبيه، قال: قدمت المدينة فسألت عن أعلم أهلها، فدفعت إلى سعيد بن المسيب.

قال مكحول: طفت الأرض كلها في طلب العلم فما لقيت أعلم منه.

قال أحمد بن حنبل: مراسلات سعيد صحاح، لا نرى أصح من مراسلاته.

و قال الشافعي: إرسال ابن المسيب عندنا حسن «٢».

قال ابن خلكان: كان سعيد بن المسيب سيد التابعين من الطراز الأول، جمع بين الحديث و الفقه و الزهد و العبادة و الورع، و هو أحد

الفقهاء السبعة بالمدينة «٣». ولد سنة (١٥) و توفي سنة (٩٥) و

أسند ابن سعد - كاتب الواقدي - إلى الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (١) الحلية، ج ٢، ص ١٦١ رقم ١٧٠.

(٢) تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٤، ص ٨٤ - ٨٨.

(٣) وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٣٧٥ رقم ٢٦٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٨

سمعت أبي، علي بن الحسين عليهما السلام يقول: «سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدّمه من الآثار، و أفقهم في رأيه».

و له ترجمة مسهبة في الطبقات، و فيها من أحواله و قضاياه العجيبة الشيء الكثير «١».

أضف إلى ذلك ما ورد بشأنه من الثناء عليه عند أصحابنا الإمامية:

و أول شيء، أنه تربية الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، ربّاه في حجره بوصية من جدّه «حزن». فقد نشأ و ترعرع في أهل بيت العلم و

الورع و الطهارة، كما و أصبح من خلص أصحاب الإمام علي بن الحسين زين العابدين، و أحد الأوتاد الخمسة الذين ثبتوا على

الاستقامة في الدين على ما وصفهم الفضل بن شاذان. قال:

و لم يكن في زمان علي بن الحسين في أول أمره إلّا خمسة أنفس: سعيد بن جبير، سعيد بن المسيب، محمد بن جبير بن مطعم، يحيى

بن أمّ الطويل، أبو خالد الكابلي.

و كان يرى من الإمام السجاد عليه السلام النفس الزكية، لم يعرف له نظيرا و لا رأى مثله. كما كان يرى في مثاله القدوسى مثال داود

القدّيس عليه السلام تسبح معه الجبال بالعشى و الإشراق و الطير محشورة كل له أوّاب.

روى الكشي بإسناده إلى الزهري عن ابن المسيب، قال: كان القوم لا يخرجون من مكّة حتى يخرج علي بن الحسين سيد العابدين.

فخرج و خرجت معه، فنزل في بعض المنازل، فصلّى ركعتين فسبح في سجوده، فلم يبق شجر و لا مدر إلّا سبّحوا معه، ففرعنا! فرفع

رأسه فقال: يا سعيد! أفرغت؟ فقلت: نعم، يا ابن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: هذا التسييح الأعظم، حدثني أبي عن جدّي رسول (١) طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ٨٨-١٠٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٢٩

الله؛ إنه لا يبقى الذنوب مع هذا التسييح. فقلت: علمنا ...

و روى عن محمد بن قولويه بإسناده إلى أسباط بن سالم عن الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام في حديث حواريني «١» النبي و الأئمة عليهم السلام، و عدّ من حواريني الإمام زين العابدين: جبير بن مطعم، و يحيى بن أم الطويل، و أبا خالد، و سعيد بن المسيب. كما

روى عنه بإسناده إلى أبي مروان عن أبي جعفر قال: سمعت علي بن الحسين يقول: «سعيد بن المسيب أعلم الناس بما تقدمه من الآثار و أفهمهم- أو أفقههم- في زمانه» (٢). و قد تقدم الحديث، بروايه ابن خلكان عن أبي مروان أيضا، مع اختلاف في العبارة الأخيرة: «أفقههم في رأيه».

و روى الشيخ المفيد بإسناده إلى أبي يونس محمد بن أحمد قال: حدثني أبي و غير واحد من أصحابنا، أن فتى من قريش جلس إلى سعيد بن المسيب، فطلع علي بن الحسين، فقال القرشي لابن المسيب: من هذا يا أبا محمد؟ قال: هذا سيّد العابدين علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب عليهم السلام (٣).

و

روى الحميري بإسناده إلى البنظطي قال: و ذكر عند الرضا عليه السلام القاسم بن محمد بن أبي بكر خال أبيه، و سعيد بن المسيب، فقال: «كانا على هذا الأمر» (٤).

و

روى ثقة الإسلام الكليني- في باب مولد الصادق عليه السلام- بإسناده إلى إسحاق ابن جرير، قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: «كان سعيد بن المسيب، و القاسم بن محمد (١) الحواري: من الحوار، أي صاحب السرّ.

(٢) اختيار معرفة الرجال، ج ١، ص ٤٣ و ص ٣٣٢-٣٣٥.

(٣) الإرشاد للمفيد، ص ٢٥٧ (ط نجف)

(٤) قرب الإسناد (ط حجرية)، ص ١٥٧ الجزء الثالث.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٠

ابن أبي بكر، و أبو خالد الكابلي، من ثقات علي بن الحسين عليهما السلام (١).

و في مناقب آل أبي طالب لابن شهر آشوب بشأن كرامات الإمام زين العابدين عليه السلام، روايات عن سعيد بن المسيب، تدلّ على مبلغ ولائه لآل البيت و مدى صلته بسيّد الساجدين، فراجع (٢).

و للمحقق البحراني- في حاشية البلغة- استظهار تشييعه من كلام الشيخ في أوائل التبيان (٣).

و هو الذي روى قضية بجدل الجمال و قطعه لإصبع السبط الشهيد، و تعلقه بأستار الكعبة، آيسا من رحمة الله (٤).

و قد عدّه الشيخ من أصحاب الإمام زين العابدين و من السابقين الأوّلين.

قال: سعيد بن المسيب بن حزن أبو محمد المخزومي سمع من الإمام علي بن الحسين، و روى عنه عليه السلام. و هو من الصدر الأوّل (٥).

و قد استوفى السيد الأمين الكلام بشأنه و شأن ولائه لآل البيت، و ذكر أنه صحب عليا أمير المؤمنين عليه السلام و لم يفارقه حتى في حروبه. و نقل عن ابن أبي الحديد و غيره بعض الطعن عليه، و فنّده على أسلوب حكيم (٦).

نموذج من تفسيره

أخرج أبو نعيم - في الحلية - بإسناده إلى يحيى بن سعيد عن سعيد بن (١) الكافي الشريف، ج ١، ص ٤٧٢ كتاب الحجّة.

(٢) المناقب، ج ٤، ص ١٣٣ و ١٣٤ و ص ١٤٣.

(٣) تنقيح المقال للمامقاني، ج ٢، ص ٣١ رقم ٤٨٧٠.

(٤) بحار الأنوار، ج ٤٥ (ط بيروت)، ص ٣١٦.

(٥) رجال الطوسي، ص ٩٠.

(٦) راجع: أعيان الشيعة للسيد محسن الأمين العاملي طبعه دار التعارف، ج ٧، ص ٢٤٩ - ٢٥٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣١

المسيب، في قوله تعالى: رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ، إِنَّ تُكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً «١»، قال: «الذي يذنب الذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب، ولا يعود في شيء قصدا» «٢».

و هذا أدق تفسير للآية الكريمة. فَإِنَّ الآيَةَ قد فَسَّرَتْ على وجوه:

١- فقيل: هم المسبِّحون. عن ابن عباس و عمرو بن شرحبيل.

٢- وقيل: المطيعون المحسنون. عن ابن عباس أيضا.

٣- هم المطيعون و أهل الصلاة. عن قتادة.

٤- الذين يصلون بين المغرب و العشاء. عن ابن المنكدر يرفعه، و كذلك عن الإمام الصادق عليه السلام.

٥- يصلون صلاة الضحى. عن عون العقيلي.

٦- الراجع من ذنبه التائب إلى الله.

و هذا المعنى الأخير هو الراجح، و اختلفوا في شرائطه و كفيته:

فمن سعيد بن جبير: الراجعون إلى الخير.

و عن مجاهد: الذي يذكر ذنوبه في الخلاء فيستغفر الله منها.

و عن عطاء بن يسار: يذنب العبد ثم يتوب، فيتوب الله عليه، ثم يذنب فيتوب الله عليه، ثم يذنب الثالثة فإن تاب تاب الله عليه توبة لا تمحي.

و عن عبيد بن عمير: الأواب: الحفيظ أن يقول: اللهم اغفر لي ما أصبت في مجلسي هذا. (١) الإسراء / ٢٥.

(٢) حلية الأولياء، ج ٢، ص ١٦٥. و راجع: مجمع البيان للطبرسي، ج ٦، ص ٤١٠. و جامع البيان للطبري، ج ١٥، ص ٥١ - ٥٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٢

لكن سعيد بن المسيب فسرها بالذي يذنب و يتوب ثم يذنب و يتوب، و لكن ليس يعود في شيء من ذنوبه قصدا، و إنما هو شيء فرط منه. و هذه النكتة الظريفة هي بيت القصيد، نظرا لأن «الأواب» مبالغة في الأوب و الرجوع. و المراد:

الكثره و التكرار فيه، لكنه هل هو مطلق، أم الذي يصدر منه الذنب لا تمرّدا و عصيانا، و إنما هو شيء قد يفرط منه أو تغلبه نفسه ثم يتذكر عن قريب؟

قال تعالى: إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ «١».

و قال: إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ «٢».

و هذا هو معنى اللّمم المغفور في الآية الكريمة: وَيَجْزِي الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى الَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ إِلَّا اللَّمَمَ. إِنَّ

رَبِّكَ وَاسِعَ الْمَغْفِرَةِ. هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنْشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ «٣».

قال الإمام الصادق عليه السلام: «اللَّمَم: الرجل يَلَمُّ بالذنب فيستغفر الله منه. قال: ما من ذنب إلا و قد طبع عليه عبد مؤمن يهجره الزمان ثم يَلَمُّ به. قال: اللَّمام: العبد الذي يَلَمُّ بالذنب ليس من سليقته»
أى من طبيعته. و

فى رواية قال: «الهنة بعد الهنة»

أى الذنب بعد الذنب يَلَمُّ به العبد. و

فى أخرى: «هو الذنب يلم به الرجل، فيمكث ما شاء الله ثم يلم به بعد» «٤». (١) النساء / ١٧.
(٢) الأعراف / ٢٠١.

(٣) النجم / ٣٢.

(٤) تفسير الصافي للمولى محسن الفيض، ج ٢، ص ٦٢٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٣

فالعبد قد تغلبه نفسه فيرتكب إثما ليس من دأبه، و من ثم يتذكر فيتوب إلى الله مما اعترف، و هكذا فلو عاد ليس من عادته، و تاب تاب الله عليه، إن الله هو التواب الرحيم.

و هذه هى النكتة الدقيقة التى جاءت الإشارة إليها فى تفسير ابن المسيب «و لا يعود فى شىء قصدا»، و هذا المعنى هو الذى يفيد صدر الآية رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فى نُفُوسِكُمْ، إِنَّ تَكُونُوا صَالِحِينَ ... فَإِنَّهُ كَانَ لِلأَوَّابِينَ غَفُوراً ... «١».

و إلى هذا المعنى يشير التفسير الوارد

عن الإمام أبى عبد الله جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، قال: «و الأواب: النواح المتعبد الراجع عن ذنبه»
. و هكذا روى عن مجاهد بن جبر أيضا «٢».

النواح: مبالغة فى النوح، و هو الذى ينوح على نفسه و ندبها ندما على ما فرط منه، منيما مستغفرا أوابا. و تدل أداة الإعراض «عن» على ندم بالغ، و عزم صارم على الترك أبدأ.

و أما ما روى من التفسير ب «الصلاة» بين المغرب و العشاء، فهذا من الوسيلة التى يجب ابتغاؤها إلى الله عز شأنه يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ «٣». و من ثم سميت صلاة الأوابين.

روى هشام بن سالم عن الإمام أبى عبد الله الصادق عليه السلام، قال: صلاة أربع ركعات، يقرأ فى كل ركعة خمسين مرّة «قل هو الله أحد ...» هى صلاة الأوابين «٤». (١) الإسراء / ٢٥.

(٢) راجع: مجمع البيان للطبرسى، ج ٦، ص ٤١٠.

(٣) المائة / ٣٥.

(٤) مجمع البيان، ج ٦، ص ٤١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٤

و قد ورد الترغيب فى التنفل بأربع ركعات بعد المغرب، لا يدعهن العبد فى حضر و لا سفر «١».

من نواذر حكمته:

و لما أن جرد ليضرب على امتناعه من البيعة للوليد و سليمان ابني عبد الملك، قالت امرأة: إن هذا لمقام الخزى. فقال سعيد: «من مقام الخزى فررنا» «٢».

و قال: «يد الله فوق عباده، فمن رفع نفسه وضعه الله، و من وضعها رفعه الله.

الناس تحت كنفه يعملون أعمالهم، فإذا أراد الله فضيحة عبد، أخرجه من تحت كنفه، فبذت للناس عورته» (٣).

و قال: «لا خير فيمن لا يحب هذا المال، يصل به رحمه، و يؤدى به أمانته، و يستغنى به عن خلق ربه» (٤).

و

روى عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أنه سأل فاطمة عليها السلام: ما خير للنساء؟

قالت: أن لا يرين الرجال و لا يرونهن. فذكره للنبي صلى الله عليه و آله و سلم فقال: «إنما فاطمة بضعة مني».

و أيضا

عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «من اتقى الله عاش قويا و سار في بلاده آمنا» (٥).

و

قال: «لا تملئوا أعينكم من أعوان الظلمة إلا بإنكار من قلوبكم، لكي لا تحبط (١) راجع: وسائل الشيعة للحر العاملي، ج ٣، ص ٦٣ باب

٢٤ أعداد الفرائض و النوافل. و ج ٥، ص ٢٤٧ و ٢٤٩.

(٢) الحلية، ج ٢، ص ١٧٢.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٦٦.

(٤) المصدر نفسه، ص ١٧٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٧٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٥

أعمالكم الصالحة» (١).

و كان معبرا للرؤيا، معروفا بذلك. فوجه إليه عبد الملك بن مروان من يسأله عن منامه، كان قد رأى كأنه قد بال في المحراب أربع

مرات! فقال سعيد بن المسيب: يملك من ولده لصلبه أربعة. فكان كما قال، فإنه ولى الوليد و سليمان و يزيد و هشام، و هم أولاد عبد

الملك لصلبه (٢).

٣- مجاهد بن جبر

إشارة

هو أبو الحجاج المخزومي المكي، المقرئ المفسر. ولد سنة (٢١)، و توفي بمكة ساجدا سنة (١٠٤) كان أوثق أصحاب ابن عباس، و

من ثم اعتمده الأئمة و أصحاب الحديث و التفسير.

و روى عنه أنه قال: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرات، أقف عند كل آية، أسأله فيم نزلت، و كيف نزلت.

قال ابن أبي مليكة (٣): رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن و معه ألواح، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن

التفسير كله. و من ثم قيل:

أعلمهم بالتفسير مجاهد.

و قال سفيان الثوري: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به.

قال الذهبي: أجمعت الأمة على إمامة مجاهد و الاحتجاج به. كان ثقة مأمونا، (١) الحلية، ج ٢، ص ١٧٠، و ابن خلكان، ج ٢، ص

٣٧٨.

(٢) ابن خلكان، ج ٢، ص ٣٧٨.

(٣) هو عبد الله بن عبيد الله التميمي المدني أدرك ثلاثين من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثقة فقيه مات سنة (١١٧) وُلِّه ابن الزبير قضاء الطائف. (تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٣٠٧)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٦

و فقيها ورعا، و عالما كثير الحديث، جيد الحفظ متقنا.

قال الأعمش: إذا رأيت مجاهدا كأنه جمال أو خربندج «١»، فإذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ «٢».

مكانته في التفسير: استفاضت شهادة العلماء بعلو مكانته في التفسير و ثقته و أمانته و سعة علمه. و قد احتج بتفسيره الأئمة النقاد و العلماء و أصحاب الحديث.

اتهم بالأخذ من أهل الكتاب، و لكن شدة نكير شيخه ابن عباس على الآخذين من أهل الكتاب، يتنافى و هذه التهمة. و الأرجح أن رجوعه إليهم كان في أمور لا تدخل في دائرة النهي الوارد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، و ربما كان لغرض التحقيق لا التقليد.

و كذلك اتهم بأنه يفسر القرآن برأيه- كان قد أعطى نفسه حريته واسعة في التفسير العقلي- فقد روى ابنه عبد الوهاب أن رجلا قال لأبيه: أنت الذي تفسر القرآن برأيك؟ فبكى أبي ثم قال: إني إذن لجرىء، لقد حملت التفسير عن بضعة عشر رجلا من أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «٣».

قلت: و هذه التهمة يرجع سببها إلى الجور الحاكم آنذاك من التحاشي عن الخوض في معاني القرآن، و لا سيما المتشابهات، غير أن شريعة العقل ترفض كل (١) ضل حماره فهو مهتم.

(٢) راجع: ترجمته في الطبقات لابن سعد، ج ٥، ص ٣٤٣-٣٤٤ و تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ١٠ ص ٤٣-٤٤. و ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٣، ص ٤٣٩. و مقدمة ابن تيمية في أصول التفسير، ص ٤٨. و الجرح و التعديل للرازي، ج ٨، ص ٣١٩.

(٣) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٠٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٧

مناشئ الجمود. و سنبحت عن مسألة التفسير بالرأى الممنوع.

حريته في التفسير العقلي: كان مجاهد حرّ الرأي، يفسر القرآن حسبما يبدو له من ظاهر اللفظ، و يرشده إليه عقله الرشيد و فطرته السليمة، بعد إحاطته بمفاهيم الكلمات و الأوضاع اللغوية و العرفية (حسب متفاهم العرف العام آنذاك) و ما كان قد عهده من مباني الشريعة و أسس الدين القويم. و بعد مراجعته كلمات أعلام الأمة و خيار الصحابة الأولين، الأمر الذي يجب توفره في كل مفسر حرّ الرأي و مضطلع خبير.

قال- في تفسير قوله تعالى: فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين «١»:-

لم يمسخوا قردة، و إنما هو مثل ضربه الله، كما قال: كمثل الجمار يحمل أشفارا «٢». قال: إنه مسخت قلوبهم فجعلت قلوب القردة لا تقبل وعظا و لا تتقى زجرا. قال الطبرسي: و هذا يخالف الظاهر الذي عليه أكثر المفسرين من غير ضرورة تدعو إليه «٣».

و للزمخشري هنا كلام يشبه تفسير مجاهد، في دقة أدبيته لطيفة. قال: قوله تعالى: كونوا قردة خاسئين خبران، أي كونوا جامعين بين القردية و الخسوء، و هو الصغار و الطرد «٤».

و من ثم قال المولى جمال الدين أبو الفتوح الرازي- من أعلام القرن (١) البقرة/ ٦٥.

(٢) الجمعة/ ٥.

(٣) مجمع البيان للطبرسي، ج ١، ص ١٢٩. و راجع: الطبري التفسير، ج ١، ص ٢٦٣. و تفسير مجاهد، ص ٧٥-٧٦.

(٤) الكشاف، ج ١، ص ١٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٨

السادس-: مجاهد كُفِت: معنى آن است «اذلاء صاغرين» ذليل و مهين. و در اين عظمتي و عبرتي است آنان را .. «١». قال الإمام الرازي (٥٤٤-٦٠٦): إن ما ذكره مجاهد- رحمه الله- غير مستبعد جداً، لأن الإنسان إذا أصرَّ على جهالته بعد ظهور الآيات و جلاء البينات، فقد يقال- في العرف الظاهر-: إنه حمار و قرد. و إذا كان هذا المجاز من المجازات الظاهرة المشهورة، لم يكن في المصير إليه محذور البتة «٢».

قلت: و يشهد لهذا التأويل قوله تعالى- في سورة المائدة-: مَنْ لَعَنَهُ اللَّهُ وَ غَضِبَ عَلَيْهِ وَ جَعَلَ مِنْهُمْ الْقِرَدَةَ وَ الْخَنَازِيرَ وَ عَبَدَ الطَّاغُوتَ، أُولَئِكَ شَرٌّ مَكَانًا وَ أَضَلُّ عَنْ سَوَاءِ السَّبِيلِ «٣».

بدليل عطف «و عبد الطاغوت»، و كذا عطف «الخنازير». و هذان لم يأت ذكرهما في سائر القرآن؛ فيكون المعنى: أن من شديد العقوبة أن يتحول الإنسان من شموخ كرامته و اعتلاء شرفه، إلى سافل مبتذل يحمل سمات القردة و الخنازير، مهانا لثيما، يرضخ للطواغيت رضوخ الذليل الحقير.

و عند تفسير قوله تعالى: وَجُودٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ «٤»، روى و كيع عن سفيان عن منصور عن مجاهد، قال: تنتظر الثواب من ربها. و عن الأعمش عنه: «تنتظر رزقه و فضله». و في حديث: «تنتظر من ربها ما أمر لها». قال (١) تفسير أبي الفتوح، ج ١، ص ٢١٧.

(٢) التفسير الكبير، ج ٣، ص ١١١.

(٣) المائدة/ ٦٠.

(٤) القيامة/ ٢٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٣٩

منصور: قلت لمجاهد: إن أناسا يقولون: إنه تعالى يرى، فيرون ربهم؟! فقال مجاهد: لا يراه من خلقه شيء. و في حديث آخر: يرى و لا يراه شيء «١».

و أنت ترى أن القول بامتناع الرؤية يخالف عقيدة السلفيين من أصحاب الظواهر، و من ثم رموه بالحياد عن طريقة السلف، و أنه يفسر برأيه، أو أنه يرى مذهب الاعتزال، كما رموا تلاميذه حسبما يأتي في ابن أبي نجیح راوی تفسيره.

و من ثم قال الطبري- تعقبا على ذلك-: و أولى القولين في ذلك عندنا بالصواب، القول الذي ذكرناه عن الحسن و عكرمة، من أن معنى ذلك: تنظر إلى خالقها.

قال الأستاذ الذهبي: و هذا التفسير عن مجاهد كان فيما بعد متكافؤاً قوياً للمعتزلة فيما ذهبوا إليه في مسألة الرؤية «٢».

قلت: و العجيب أن الآراء المستقيمة المتوافقة مع الفطرة و العقل الرشيد؛ حيث صدرت قديما و حديثا، فإنها تعزى إلى فريق المعتزلة، أو هي منشأ لمذاهبهم في العقيدة الإسلامية، الأمر الذي يجعل من العقل و الفطرة- في نظر أهل الجمود- في قبضة أهل الاعتزال، و في منحصر آرائهم و مذاهبهم.

قال الزمخشري: ينظرون إلى أشياء لا يحيط بها الحصر، فإن المؤمنين نظارة ذلك اليوم؛ لأنهم الآمنون الذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون. فاختصاصه بنظرهم إليه لو كان منظورا إليه، محال؛ فوجب حمله على معنى يصح معه الاختصاص. و الذي يصح منه أن يكون من قول الناس: أنا إلى فلان ناظر ما يصنع بي، تريد معنى التوقع و الرجاء، و منه قول القائل: (١) تفسير الطبري، ج ٢٩، ص ١٢٠.

(٢) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٠٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٠

و إذا نظرت إليك من ملك و البحر دونك زدتنى نعماً

و سمعت سرويةً مستجديّة بمكّة وقت الظهر، حين يغلق الناس أبوابهم و يأوون إلى مقائلهم، تقول: عييتى نويظرة إلى الله و إليكم. و المعنى: أنهم لا يتوقّعون النعمة و الكرامة إلّا من ربّهم، كما كانوا في الدنيا لا يخشون و لا يرجعون إلّا إياه «١».

و علّق عليه ابن المنير - في الهامش - بأنّ عدم كونه تعالى منظورا إليه، مبني على مذهب المعتزلة، و هو عدم جواز رؤيته تعالى. و مذهب أهل السنّة جوازها!! و قال الفخر: اعلم أن جمهور أهل السنّة يتمسّكون بهذه الآية في إثبات أن المؤمنين يرون الله تعالى يوم القيامة. أما المعتزلة فأنكروا دلالة الآية على ذلك أولاً، و إمكان تأويلها على الفرض ثانياً؛ حيث الرؤية تمتنع عليه تعالى عقلاً و نقلاً قطعياً، الأمر الذي لا يختلف في هذه الحياة أم في الآخرة «٢».

أما المفسرون من علمائنا الإمامية فإنهم مطبقون على امتناع الرؤية مطلقاً، و ليس في الآية دلالة صريحة على ذلك، مع شيوع استعمال النظر في التوقّع و الانتظار.

قال الشيخ أبو جعفر الطوسي رضى الله عنه: معناه، منتظرة نعمة ربّها و ثوابه أن يصل إليهم. و يكون النظر بمعنى الانتظار، كما قال تعالى: وَ إِنِّي مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِمْ بِهَدِيَّةٍ فَنَظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ «٣»، أى منتظرة. و قال الشاعر:

وجوه يوم بدر ناظرات إلى الرحمن يأتي بالفلاح

(١) الكشاف، ج ٤، ص ٦٦٢.

(٢) التفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٢٢٦.

(٣) النمل / ٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤١

و قوله تعالى: وَ لَا يَنْظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ «١» معناه، لا ينيلهم رحمته.

قال رحمه الله: و ليس النظر بمعنى الرؤية أصلاً، بدلالة أنهم يقولون: نظرت إلى الهلال فلم أراه. فلو كان بمعنى الرؤية لتناقض؛ و لأنّهم يجعلون الرؤية غاية للنظر، يقولون: ما زلت أنظر إليه حتى رأيت، و لا- يجعل الشئ غاية لنفسه، فلا يقال: ما زلت أراه حتى رأيت. قال: و النظر - في الأصل - قلب حدقة العين نحو المرئي طلباً للرؤية، فاستعمل في مطلق التأميل و التوقّع و الانتظار.

قال: و ليس لأحد أن يقول: إنّ ذا يخالف إجماع المفسرين القدامى؛ لأننا لا نسلم ذلك، بل قد قال مجاهد و أبو صالح (و الحسن «٢»)

و سعيد بن جبير و الضحاك: إن المراد نظر الثواب.

و روى مثله عن عليّ عليه السلام ثم أخذ في التعمق و الاستدلال، جزاه الله عن الإسلام خيراً «٣».

تفسير مجاهد برواية ابن أبي نجیح

هناك تفسير متقطع و مرتّب على السور، يتدبّر من سورة البقرة حتى نهاية القرآن، منسوب إلى مجاهد، يرويه عنه أبو يسار عبد الله بن أبي نجیح يسار، الثقفى الكوفى (توفى سنة ١٣١)، بطريق عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الهمداني، عن إبراهيم الحسين الهمداني، عن آدم بن أياس، عن ورقاء بن عمر اليشكرى عن ابن أبي نجیح. و قد صحّحه الأئمة و اعتمده أرباب الحديث. (١) آل عمران / ٧٧.

(٢) ضم الحسن إلى هؤلاء الأعلام يخالف ما نقلناه عن الطبرى، روى بإسناده عن الحسن، قال: تنظر إلى خالقها، و حقّ لها أن تنظر و هى تنظر إلى الخالق. (تفسير الطبرى، ج ٢٩، ص ١١٩ - ١٢٠)

(٣) أورد هذا البحث في موضعين من تفسيره القيم «التبيان»، ج ١، ص ٢٢٧ - ٢٢٩، و ج ١٠، ص ١٩٧ - ١٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٢

قال وكيع بن الجراح «١»: كان سفيان يصحّح تفسير ابن أبي نجیح. قال أحمد ابن حنبل: ابن أبي نجیح ثقة، و كان أبوه من خيار عباد

الله «٢». قال الذهبي: هو من الأئمة الثقات «٣». وقد اعتمده البخارى فيما يرويه فى التفسير عن مجاهد «٤». قال ابن تيمية: تفسير ابن أبى نجیح عن مجاهد من أصح التفاسير، بل ليس بأيدى أهل التفسير كتاب فى التفسير أصح من تفسير ابن أبى نجیح عن مجاهد «٥». وقد طبع هذا التفسير باهتمام مجمع البحوث الإسلامية فى باكستان سنة (١٣٦٧ هـ. ق) وهذا التفسير ينقص كثيرا عما جاء فى الطبرى من تفسير مجاهد، لكنه عن غير طريق ابن أبى نجیح.

قال شواخ: وقد نقل الطبرى من هذا التفسير حوالى (٧٠٠) مرة فى مواضع مختلفة. وقد دخلت بعض أجزاء هذا التفسير فى تفسير الطبرى عن طريق تفاسير أخرى، مثل تفسير ابن جريج و الثورى وغيرهما «٦». (١) من أكابر الحفاظ و من الأئمة الأعلام (٢٧-٩٦) من أصحاب سفيان الثورى. قال القعنبي كنا عند حماد بن زيد فجاء وكيع، فقالوا: هذا راوية سفيان. فقال حماد: لو شئت قلت هذا أرجح من سفيان. وقال: أحمد: وكيع شيخ، مطبوع الحديث. (تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ١٢٥)

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٥٤-٥٥.

(٣) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٥١٥ رقم ٤٦٥١.

(٤) انظر: فتح البارى بشرح البخارى- كتاب التفسير- ج ٨، ص ١٢٢ و ١٢٥.

(٥) تفسيره لسورة الإخلاص، ص ٩٤. راجع: المقدمة بقلم عبد الرحمن الطاهر مندوب المجمع ص ٦٠.

(٦) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٠ رقم ٩٩٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٣

٤- طاوس بن كيسان

أبو عبد الرحمن طاوس بن كيسان الخولانى الهمدانى اليمانى، من أبناء الفرس، أحد الأعلام التابعين. كان فقيها جليل القدر، نبيه الذكر. قال ابن عيينة:

قلت لعبيد الله بن أبى يزيد: مع من تدخل على ابن عباس؟ قال: مع عطاء وأصحابه. قلت: و طاوس؟ قال: أيها، كان ذلك يدخل مع الخواص. وقال عمرو بن دينار: ما رأيت أحدا قط مثل طاوس «١».

وقد شهد بشأته الكثير من العلماء، فعن ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس، قال: إني لأظن طاوسا من أهل الجنة. وقال ابن حبان: كان من عباد أهل اليمن، و من سادات التابعين، و كان قد حج أربعين حجة، و كان مستجاب الدعوة. و قال ابن عيينة: متجنبو السلطان ثلاثة: أبو ذر فى زمانه، و طاوس فى زمانه، و الثورى فى زمانه. و كان ابن معين يعدله بسعيد بن جبير «٢».

قال أبو نعيم: هو أول الطبقة من أهل اليمن، الذين

قال فيهم النبى صلى الله عليه وآله و سلم: الإيمان يمان

. و قد أدرك خمسين رجلا من الصحابة و علماءهم و أعلامهم، و أكثر روايته عن ابن عباس. و روى عنه الصفوة من الأئمة التابعين «٣».

و عدّه ابن شهر آشوب من أصحاب الإمام زين العابدين عليه السلام و وصفه بالفقيه «٤». و له مع الإمام مواقف مشهودة، منها:

عند ما خرّ الإمام ساجدا عند بيت الله الحرام، فدنا منه و شال برأسه و وضعه (١) ابن خلكان: وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٥٠٩ رقم ٣٠٦ و الحلية، ج ٤، ص ٩.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٨-١٠.

(٣) حلية الأولياء، ج ٤، ص ٣-٢٣.

(٤) المناقب، ج ٤، ص ١٧٧. و كذا الشيخ فى رجاله. معجم رجال الحديث، ج ٩، ص ١٥٥ رقم ٥٩٨٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٤

على ركبته، و بكى حتى جرت دموعه على خد الإمام، و عند ذلك استوى الإمام جالسا، و قال: من الذى أشغلنى عن ذكر ربى؟! فقال: أنا طاوس يا ابن رسول الله، ما هذا الجزع و الفزع؟! «١».

و أيضا موقفه الآخر مع الإمام فى الحجر «٢»، مما يدل على اختصاصه به و شدة قربه منه عليه السلام. و اليمانيون - و لا سيما همدان - معروفون بالولاء، و إن كانت النسبة بالولاء.

و هكذا كان يوم موته سنة (١٠٦) أيضا يوما مشهودا، و قد وضع عبد الله بن الحسن المثنى سريره على كاهله، و قد سقطت قلنسوته و مزق رداؤه، من كثرة الزحام «٣».

كما أن له مع طواغيت زمانه مواقف حاسمة، إنما تدل على صلابته فى جنب الله:

قال ابن خلكان: قدم هشام بن عبد الملك حاجا إلى بيت الله الحرام، فلما دخل الحرم قال: آتوني برجل من الصحابة، فقبل له: قد تفانوا. قال: فمن التابعين، فأتى بطاوس اليماني. فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه، و لم يسلم بإمرة المؤمنين، و لم يكنه، و جلس إلى جانبه بغير إذنه، و قال: كيف أنت يا هشام؟

فغضب هشام من ذلك غضبا شديدا و هم بقتله، فقبل له: أنت فى الحرم، لا يمكن ذلك.

فقال: يا طاوس، ما حملك على ما صنعت؟ قال: و ما صنعت؟ فاشتد غضبه (١) المناقب، ج ٤، ص ١٥١. و البحار، ج ٤٦، ص ٨٢.

(٢) الإرشاد للمفيد، ص ٢٧٣. و البحار، ج ٤٦، ص ٧٦.

(٣) ابن خلكان، ج ٢، ص ٥٠٩ رقم ٣٠٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٥

و غيظه، و قال: خلعت نعليك بحاشية بساطي، و لم تسلم بإمرة المؤمنين، و لم تكننى، و جلست بإزائي بغير إذنى، و قلت: يا هشام، كيف انت؟! قال: أما خلع نعلى بحاشية بساطك، فإني أخلعهما بين يدي رب العزة كل يوم خمس مرات، فلا يعاتبني و لا يغضب علي. و أما ما قلت: لم تسلم علي بإمرة المؤمنين، فليس كل المؤمنين راضين بإمرتك، فخفت أن أكون كاذبا. و أما ما قلت: لم تكننى، فإن الله عز و جل سمي أنبياءه، قال: يا داود، يا يحيى، يا عيسى. و كنى أعداءه فقال: تبت يدا أبي لهب. و أما قولك: جلست بإزائي، فإني سمعت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام يقول: «إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار، فانظر إلى رجل جالس و حوله قوم قيام».

فقال له هشام: عظمى! قال: إني سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: «إن فى جهنم حيات كالقلال، و عقارب كالبغال، تلدغ كل أمير لا يعدل فى رعيتته»، ثم قام و خرج «١».

انظر كيف يكرر لفظ «أمير المؤمنين» يعنى به علي بن أبي طالب عليه السلام فى حين امتناعه من التسليم عليه بذلك، بحجة أن فى المؤمنين - و يعنى أمثال نفسه - من لا يرضى بإمرته! إن هذا إلّا تربية أهل الولاء لآل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم دون غيرهم إطلاقا.

و روى ابن خلكان بشأن ابنه عبد الله ما يشبه صلابه أبيه فى الدين، قال:

و روى أن أمير المؤمنين أبا جعفر المنصور، استدعى عبد الله بن طاوس و مالك ابن أنس، فأحضرهما. فلما دخلا عليه أطرق المنصور ساعة، ثم التفت إلى ابن (١) ابن خلكان، ج ٢، ص ٥١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٦

طاوس، و قال له: حدثنى عن أبيك. فقال: حدثنى أبى أن أشد الناس عذابا يوم القيامة رجل أشركه الله تعالى فى سلطانه، فأدخل عليه الجور فى حكمه. فأمسك أبو جعفر ساعة، قال مالك: فضمت ثيابى خوفا أن يصيبنى دمه. ثم قال له المنصور: ناولنى تلك الدواء -

ثلاث مرّات - فلم يفعل، فقال له: لم لا تناولني؟

فقال: أخاف أن تكتب بها معصية، فأكون قد شاركتك فيها! فلما سمع ذلك، قال:

قوما عني. قال عبد الله: ذلك ما كنّا نبعي. قال مالك: فما زلت أعرف لابن طاوس فضله من ذلك اليوم «١».

قلت: وهذا يتنافى مع تاريخ وفاته بسنة (١٣٢) حسبما ذكره ابن حجر «٢»؛ لأن أبا جعفر إنّما تصدّى للخلافة بعد موت السفّاح سنة (١٣٦) «٣». وقد ذكر ابن خلكان تلك الحكاية عن المنصور بعنوان أنه أمير المؤمنين.

كما يتنافى هذا الموقف من ابن طاوس مع ما ذكروا عنه أنه كان على خاتم سليمان بن عبد الملك، و كان كثير الحمل على أهل البيت «٤».

ولعل عبد الله هذا هو ابن عطاء، الذي صحب الإمامين الباقر والصادق عليهما السلام، و كان من خلّص شيعتهما كأبيه عطاء بن أبي رباح «٥». قال الكشي: ولد عطاء بن أبي رباح تلميذ ابن عباس: عبد الملك، و عبد الله، و عريف، نجباء، من أصحاب (١) ابن خلكان، ج ٢، ص ٥١١.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٢٦٧.

(٣) تتمّة المنتهى للقمي، ص ١٦٧.

(٤) تهذيب الأحكام للشيخ أبي جعفر الطوسي، ج ٩، ص ٢٦٢. و تهذيب التهذيب لابن حجر، ج ٥، ص ٢٦٨.

(٥) راجع: الإرشاد للمفيد، ص ٢٦٣. و بصائر الدرجات للصفّار، ص ٢٥٢-٢٥٣ و ص ٢٥٧-٢٥٨ و روضة الكافي، ج ٨، ص ٢٧٦ رقم ٤١٧. و المناقب لابن شهر آشوب، ج ٤، ص ١٨٨ و ص ٢٠٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٧

أبي جعفر و أبي عبد الله عليهما السلام. ثم روى حديثا يدل على اختصاص عبد الله بالصادق، و قربه منه حسبما يأتي «١».

و لطاوس مواقف و آراء تخصّه لا تخلو من طرفاه و ظرافه، منها: أنه كان يكره أن يقول: حجّة الوداع، و يقول: حجّة الإسلام! أخرج ذلك ابن سعد عن إبراهيم بن ميسرة عنه «٢».

و كان ابنه يقول: إن العالم لا يخرف، يريد أباه. فقد أخرج أبو نعيم بإسناده إلى وكيع، قال: حدثنا أبو عبد الله الشامي، قال: أتيت طاوسا فخرج إليّ ابنه شيخ كبير، فقلت: أنت طاوس؟ فقال: أنا ابنه. قلت: فإن كنت ابنه فإن الشيخ قد خرف، يعني أباه طاوسا. فقال: إن العالم لا يخرف «٣».

و

أخرج أبو نعيم بإسناده عن ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن طاوس عن بريده عن النبيّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آله وَ سَلَّمَ قال: «من كنت مولاه فعلىّ مولاه».

قال أبو نعيم: غريب من حديث طاوس، لم نكتبه إلّا من هذا الوجه «٤».

و له ذيل قوله تعالى: الْأَخْلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ حديث طريف جرى بين رسول الله و على عليهما السلام. و قد تفرد بنقله عنه وهب بن متبه الذي وصفه أبو نعيم بالحكيم الحليم «٥».

و جاء ابن سليمان بن عبد الملك فجلس إلى جنب طاوس، فلم يلتفت إليه، (١) رجال الكشي (ط نجف)، ص ١٨٨.

(٢) الطبقات (ط ليدن)، ج ٢، ص ١٣٥ س ١٨.

(٣) حلية الأولياء، ج ٤، ص ١١.

(٤) المصدر نفسه، ص ٢٣.

(٥) المصدر نفسه، ص ٢٢-٢٣، و الآية من سورة الزخرف / ٦٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٨

فقيل له: جلس إليك ابن أمير المؤمنين، فلم تلتفت إليه؟! قال: أردت أن يعلم أن لله عبادا يزهدون فيما في يديه، يعنى يدى ابن الخليفة «١».

كما أن له مع سليمان بن عبد الملك موقفاً حكيماً يدل على صلابته في الدين و صدقه في جنب الله «٢».

و فسر قوله تعالى: وَ خَلَقَ الْإِنْسَانَ ضَعِيفاً قَالَ: في أمور النساء، ليس يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أمور النساء «٣».

و فسر قوله تعالى: أُولَئِكَ يُنَادُونَ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ قَالَ: بعيد من قلوبهم «٤».

و كان يقول: لم يجهد البلاء من لم يتولّ اليتامى أو يكون قاضياً بين الناس في أموالهم، أو أميراً على رقابهم «٥».

٥- عكرمة مولى ابن عباس

إشارة

أبو عبد الله عكرمة بن عبد الله. أصله من البربر من أهل المغرب، كان لحصين بن الحرّ العنبري، فوهبه لابن عباس، حين ولّى البصرة لعليّ بن أبي طالب عليه السلام، و اجتهد ابن عباس في تعليمه القرآن و الشنن، و سماه بأسماء العرب «٦». (١) حلية الأولياء، ج ٤، ص ١٦.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٥.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٢، و الآية من سورة النساء / ٢٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ١١، و الآية من سورة فصلت / ٤٤.

(٥) المصدر نفسه، ص ١٣.

(٦) ابن خلكان- وفيات الأعيان-، ج ٣، ص ٢٦٥ رقم ٤٢١. و في الطبقات: كان ابن عباس يسمّى

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٤٩

قال ابن سعد: كان يقيده فيعلمه القرآن و يعلمه السنن «١». فربّاه فأحسن تربيته، و علمه فأحسن تعليمه، و أصبح فقيهاً و أعلم الناس بالتفسير و معانى القرآن. قال ابن خلكان: أصبح عكرمة أحد فقهاء مكة و تابعيها، و كان ينتقل من بلد إلى بلد. قال: و روى أن ابن عباس قال له: انطلق فأفت للناس. و قيل لسعيد بن جبيرة: هل تعلم أحدا أعلم منك؟ قال: عكرمة.

و أخرج الذهبي عن عكرمة قال: طلبت العلم أربعين سنة، و كنت أفتى بالباب و ابن عباس في الدار «٢».

و أخرج ابن سعد عن سلام بن مسكين، قال: كان عكرمة من أعلم الناس بالتفسير. و عن عمرو بن دينار، قال: دفع إليّ جابر بن زيد مسائل أسأل عنها عكرمة، و جعل يقول: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا البحر فسلوه. و أخرج عنه أبو نعيم، قال: هذا عكرمة مولى ابن عباس، هذا أعلم الناس.

و كان ابن عباس لا يمدح فرصة لتعليمه، قال لى ابن عباس و نحن ذاهبون من منى إلى عرفات: هذا يوم من أيامك (أى هذه فرصة لك فاغتنمها) فجعلت أرجن به و يفتح عليّ ابن عباس «٣».

و أخرج ابن سعد أيضاً عن خالد بن القاسم البياضى قال: مات عكرمة و كثير عبيده أسماء العرب، عكرمة و سميع و كريب. و كان يأمرهم بالتزويج و ترك العزوبة. (ابن سعد، ج ٥، ص ٢١٢).

(١) الطبقات، ج ٥ (ط ليدن)، ص ٢١٢. قال: كان يضع في رجله الكبل لذلك. و راجع: أيضاً، ج ٢، ص ١٣٣. و راجع: حلية الأولياء

لأبي نعيم الأصبهاني، ج ٣، ص ٣٢٦ رقم (٢٤٥) و في الميزان، ج ٣، ص ٩٥ رقم ٥٧١٦: كان يضع في رجله الكبل على تعليم القرآن و الفقه.

(٢) ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٩٥، رقم ٥٧١٦.

(٣) أرجن به، أى أوقفه فأسأله. (الطبقات، ج ٥، ص ٢١٢).

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٠

عزّة الشاعر فى يوم واحد سنة (١٠٥) فرأيتهما جميعا صلّى عليهما فى موضع واحد بعد الظهر فى موضع الجنائز، فقال الناس: مات اليوم أفقه الناس و أشعر الناس «١».

و أخرج أبو نعيم عن إسماعيل بن أبى خالد، قال: سمعت الشعبي يقول: ما بقى أحد أعلم بكتاب الله تعالى من عكرمة. و عن سلام بن مسكين، قال: سمعت قتادة يقول: أعلمهم بالتفسير عكرمة.

و أخرج عن يزيد النحوى عن عكرمة، قال ابن عباس لى: انطلق فأفت للناس، فمن سألك عمّا يعنيه فأفته، و من سألك عما لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنى ثلثى مئونة الناس.

و عن عمرو بن دينار، قال: كنت إذا سمعت من عكرمة يحدث عن المغازى، كأثمه مشرف عليهم ينظر كيف كانوا يصنعون و يقتلون. و كان سفيان الثورى يقول بالكوفة: خذوا التفسير عن أربعة: سعيد بن جبير، و مجاهد، و عطاء، و عكرمة. و فى رواية: تبادل عطاء بالضحاك «٢».

و أخرج ابن حجر عن يزيد النحوى عن عكرمة، قال: قال لى ابن عباس:

انطلق فأفت بالناس و أنا لك عون. قال: فقلت له: لو أن هذا الناس مثلهم مرتين لأفتيتهم. قال: فانطلق فأفتتهم، فمن جاءك يسألك عمّا يعنيه فأفته، و من سألك عمّا لا يعنيه فلا تفته، فإنك تطرح عنك ثلثى مئونة الناس.

و قال ابن جواس: كنا مع شهر بن حوشب بجران، فقدم علينا عكرمة، فقلنا لشهر: ألا نأتيه؟ فقال: اتوه، فإنه لم يكن أمّة إلّا كان لها حبر، و أن مولى ابن عباس (١) الطبقات، ج ٥، ص ٢١٦.

(٢) حلية الأولياء، ج ٣، ص ٣٢٦ - ٣٢٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥١

حبر هذه الأمّة «١». فقد حمل هذا اللقب الرفيع من مؤدّبه ابن عباس و ورثه منه.

و قال المروزى: كان عكرمة أعلم شاكردى ابن عباس بالتفسير، و كان يدور البلدان يتعرّض «٢».

و قال قتادة: كان أعلم التابعين عطاء و سعيد بن جبير و عكرمة، قال: و أعلمهم بالتفسير عكرمة.

و قال ابن عيينة: سمعت أيوب يقول: لو قلت لك: إن الحسن ترك كثيرا من التفسير، حين دخل علينا عكرمة البصرة حتى خرج منها، لصدقت «٣».

و قال ابن المدينى: كان عكرمة من أهل العلم، و لم يكن فى موالى ابن عباس أغزر علما منه.

و قال ابن مندة: قال أبو حاتم: أصحاب ابن عباس عيال على عكرمة.

و قال ابن خيثمة: كان عكرمة من أثبت الناس فيما يروى «٤».

تلك شهادات ضافية و مستفيضة بشأن الرجل، تجعله فى قمة الفضيلة و العلم، و الثقة و الاعتماد عليه لدى الأمّة، مما يوهن ماحيك حول الرجل من أوهام و أكاذيب مفضوحة، ليست تتناسب مع شخصيته كانت تربية مثل ابن عباس، و موضع عنايته الخاصة.

قال أبو جعفر الطبرى: و لم يكن أحد يدفع عكرمة عن التقدّم فى العلم بالفقه (١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٦٥، و ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٩٣، رقم ٥٧١٦.

(٢) المصدر نفسه. و شاگرد- بالكاف الفارسية-: التلميذ. و قد ذكره ابن حجر فى مقدمة شرح البخارى ص ٤٢٨ بلفظ: «كان عكرمة أعلم موالى ابن عباس و أتباعه بالتفسير».

(٣) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٤) ابن حجر في مقدمة شرح البخارى، ص ٤٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٢

و القرآن و تأويله، و كثرة الرواية للآثار، و أنه كان عالما بمولاه. و فى تقريره جلمة أصحاب ابن عباس إياه و وصفهم له بالتقدم فى العلم و أمرهم الناس بالأخذ عنه، ما بشهادة بعضهم تثبت عدالة الإنسان، و يستحق جواز الشهادة. و من تثبت عدالته لم يقبل فيه الجرح، و ما تسقط العدالة بالظن، و يقول فلان لمولاه:

لا- تكذب علىّ، و ما أشبهه من القول الذى له وجوه و تصارييف و معان غير الذى وجهه إليه أهل الغاوة، و من لا علم له بتصارييف كلام العرب «١».

و قال أبو نعيم: و منهم مفسر الآيات المحكمة، و منور الروايات المبهمه، أبو عبد الله مولى ابن عباس عكرمه. كان فى البلاد جوالاً، و من علمه للعباد بذا «٢».

و أما الذين طعنوا فيه، فقد قصرت أنظارهم و لم يعرفوا وجه المخرج من ذلك، مع وضوح براءة الرجل مما قيل فيه. و يتلخص فى رمية بالكذب، و ميله إلى رأى الخوارج. أما الأول فلرواية رووها عن ابن عمر أنه قال لمولاه نافع: لا تكذب علىّ كما كذب عكرمه على ابن عباس. و أما الثانى فلوهم توهموه من سفرته إلى المغرب عند تجواله البلاد، و أن الخوارج هناك أخذوا عنه أحاديث. و من الواضح أن هكذا تشبثات غريبة إنما تنم عن حسد كان يحمله مناوئوه تجاه منزلة الرجل و شموخه فى الفقه و العلم، بمعانى القرآن الكريم.

قال ابن حجر- بشأن الرواية عن ابن عمر:- إنها ضعيفة الإسناد، فضلا عن اختلاف المتن و تباين النقل فيها. قال: إنها لم تثبت؛ لأنها من رواية أبى خلف الجزار عن يحيى البكاء، و البكاء متروك الحديث. (١) عن المقدمة لابن حجر، ص ٤٢٨-٤٢٩.

(٢) حلية الأولياء، ج ٣، ص ٣٢٦، رقم ٢٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٣

و من ثم قال ابن حبان: و من المحال أن يجرح العدل بكلام المجروح. يقصد به البكاء.

و أضاف ابن حجر: أن إسحاق بن عيسى سأل مالكا: أبلغك أن ابن عمر قال لنافع كذا؟ قال: لا. و لكن بلغنى أن سعيد بن المسيب قال ذلك لمولاه برد! «١» قلت: و لقد كان رمية بالكذب شائعا على عهده، و ربما على عهد سيده ابن عباس أيضا؛ حيث ورد الذب عن نفسه صريحا، و إنكار ابن عباس ذلك.

قال ابن حكيم: كنت جالسا مع أبى أمامة بن سهل بن حنيف، إذ جاء عكرمه، فقال: يا أبا أمامة، أذكرك الله، هل سمعت ابن عباس يقول: «ما حدّثكم عكرمه عنى فصدّقوه، فإنه لم يكذب علىّ»؟ فقال أبو أمامة: نعم «٢».

و قال أيوب: قال عكرمه: أ رأيت هؤلاء الذين يكذبونى من خلفى، أ فلا يكذبونى فى وجهى! قال ابن حجر: يعنى أنهم إذا واجهوه بذلك أمكنه الجواب عنه و المخرج منه. و ذلك أن عكرمه كان يسمع الحديث من شيخ و مثله من شيخ آخر، فربما حدّث و أسنده إلى الأول، ثم يحدّث و يسنده إلى الآخر، فمن ذلك رموه بالكذب، كما قال أبو الأسود: كان عكرمه ربما سمع الحديث من رجلين، فكان إذا سئل حدّث به عن رجل، ثم يسأل عنه بعد حين فيحدّث به عن الآخر، فيقولون: ما أكذبه! و هو صادق «٣».

قال ابن حجر: احتج بحديث عكرمه البخارى و أصحاب السنن. و تركه مسلم- إلّا حديثا واحدا- و إنما تركه لكلام مالك فيه (كان مالك لا يراه ثقة و يأمر (١) مقدمة شرح البخارى، ص ٤٢٥.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٦٥ و المقدمة، ص ٤٢٧.

(٣) مقدمة فتح البارى، ص ٤٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٤

أن لا يؤخذ عنه) «١». قال: وقد تعقب جماعة من الأئمة ذلك، و صنفوا في الذب عن عكرمة، منهم: أبو جعفر ابن جرير الطبري، و محمد بن نصر المروزي، و أبو عبد الله ابن مندة، و أبو حاتم ابن حبان، و أبو عمرو ابن عبد البر، و غيرهم. و قد لخص ابن حجر ما قيل فيه، ثم عقبه بالإجابة عليه، قائلاً: فأما أقوال من أوهاه، فمدارها على ثلاثة أشياء: على رميه بالكذب، و على الطعن فيه بأنه كان يرى رأى الخوارج، و على القدح فيه بأنه كان يقبل جوائز الأمراء. قال: أما قبول الجوائز فجمهور أهل العلم على الجواز، و قد صنف في ذلك ابن عبد البر «٢» قال: على أن ذلك ليس بمانع من قبول روايته، و هذا الزهري قد كان في ذلك أشهر من عكرمة، و مع ذلك فلم يترك أحد الرواية عنه بسبب ذلك «٣».

و أما تهمة البدعة فإنها لم تثبت، و قد نفاها عنه جماعة من الأئمة النقاد. قال ابن أبي حاتم: سألت أبي عن عكرمة، فقال: ثقة. قلت: يحتج بحديثه؟ قال: نعم، إذا روى عنه الثقات. و الذي أنكر عليه مالك، إنما هو بسبب رأى، على أنه لم يثبت عنه من وجه قاطع أنه كان يرى ذلك، و إنما كان يوافق في بعض المسائل «٤» (١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٦٨. و في الميزان، ج ٣، ص ٩٥: قال مطرف: سمعت مالكا يكره أن يذكر عكرمة، و لا رأى أن يروى عنه. (٢) لم نجد فقيها من فقهاء ذلك العهد، كان قد سلم من ذلك، لا سيما إذا كان الأمير صالحا، و كان الفقيه بحاجة، كما هو الشأن في مثل عكرمة. فقد قيل له: ما جاء بك إلى هذه البلاد؟ قال: الحاجة. (طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ٢١٤) و في رواية: أسعى على عيالي (مقدمة الفتح، ص ٤٢٦) (٣) مقدمة فتح الباري، ص ٤٢٤-٤٢٧.

(٤) ما من مذهب و طريقة إلّا و يتوافق بعض مسائله مع مسائل مذاهب آخرين، و هذا لا- يعنى التوافق فى الأصول و فى كل الاتجاهات. نعم، الذين فى قلوبهم زيغ، يتبعون ما تشابه، ابتغاء الفتنة و سعيًا و راء الفساد فى الأرض. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٥

فنسبوه إليهم. و قد برأه أحمد و العجلي من ذلك، فقال- فى كتاب الثقات له:- عكرمة مولى ابن عباس، مكى تابعى ثقة، برىء مما يرميه الناس به من الحرورية. و قال ابن جرير: لو كان كل من ادعى عليه مذهب من المذاهب الرديئة، ثبت عليه ما ادعى به، و سقطت عدالته، و بطلت شهادته بذلك؛ للزم ترك أكثر محدثي الأمصار؛ لأنه ما منهم إلّا و قد نسبة قوم إلى ما يرغب به عنه «١». قال الذهبي: عكرمة مولى ابن عباس، أحد أوعية العلم. تكلم فيه، لرأيه لا لحفظه، فاتهم برأى الخوارج. و قد وثقه جماعة، و اعتمده البخارى «٢».

و أما الكذب فلا- منشأ لرميه به سوى حديث ابن عمر الأنف، و فى طريقه ضعف الأمر الذى لا يصطدم مع وفرة توثيقه: أخرج ابن حجر عن البخارى قال:

ليس أحد من أصحابنا إلّا احتج بعكرمة. و قال ابن معين: إذا رأيت إنسانا يقع فى عكرمة فاتهمه على الإسلام. و قال المروزي: قلت لأحمد بن حنبل: يحتج بحديث عكرمة؟ قال: نعم. قال المروزي: أجمع عامة أهل العلم على الاحتجاج بحديث عكرمة، و اتفق على ذلك رؤساء أهل العلم بالحديث من أهل عصرنا، منهم: أحمد بن حنبل، و إسحاق بن راهويه، و أبو ثور، و يحيى بن معين. قال: و لقد سألت إسحاق عن الاحتجاج بحديثه، فقال: عكرمة عندنا إمام أهل الدنيا، و تعجب من سؤالى إياه. قال: و حدثنا غير واحد أنهم شهدوا يحيى بن معين، و سأله بعض الناس عن الاحتجاج بعكرمة، فأظهر التعجب. و قال البراز: روى عن عكرمة مائة و ثلاثون رجلا من وجوه البلدان، كلهم رضوا به، إلى غيرها من (١) فتح الباري- المقدمة- ص ٤٢٧.

(٢) ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٩٣، رقم ٥٧١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٦

توثيقات قيمة «١».

و يبدو من روايات أصحابنا الإمامية كونه من المنقطعين إلى أبواب آل بيت العصمة، وفقا لتعاليم تلقاها من مولاه ابن عباس - رضى الله عنه -.

فقد روى محمد بن يعقوب الكليني بإسناده إلى أبي بصير، قال: كنا عند الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام و عنده حمران؛ إذ دخل عليه مولى له، فقال: جعلت فداك، هذا عكرمة في الموت، و كان يرى رأى الخوارج، و كان منقطعا إلى أبي جعفر عليه السلام. فقال لنا أبو جعفر: أنظروني حتى أرجع إليكم، فقلنا: نعم. فما لبث أن رجع، فقال: أما إنى لو أدركت عكرمة، قبل أن تقع النفس موقعها لعلمته كلمات ينتفع بها، و لكنى أدركته و قد وقعت النفس موقعها. قلت: جعلت فداك، و ما ذاك الكلام؟ قال: هو - و الله - ما أنتم عليه، فلقنوا موتاكم عند الموت شهادة أن لا إله إلا الله و الإقرار بالولاية «٢».

في هذه الرواية مواضع للنظر و الإعمان: أولا دخول مولى أبي جعفر بذلك الخبر المفاجئ، لدليل على أن لعكرمة كانت منزلة عند الإمام عليه السلام، و كان الإمام يهتم بشأنه. ثانيا قوله: و كان منقطعا إلى أبي جعفر، يؤيد كون الرجل من خاصة أصحابه، و لم يكن يدخل على غيره دخوله على الإمام عليه السلام.

و أما قوله: و كان يرى رأى الخوارج، فهو من كلام الراوى، حدسا بشأنه، (١) راجع: مقدمة فتح البارى، ص ٤٢٨.

(٢) الكافي الشريف، ج ٣، ص ١٢٣، رقم ٥. باب تلقين الميت من كتاب الجنائز. و المرأة، ج ١٣، ص ٢٧٨ - ٢٧٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٧

حسبما أملت عليه الحياكات الشائعة عنه «١»، و إلما فهو متناقض مع انقطاعه إلى الإمام. كيف يختص بالحضور لدى إمام معصوم من أهل بيت النبوة، من كان يرى رأى خارجي مبغض لآل أبي طالب بالخصوص؟! إن هذا إلّا تناقض، يرفضه العقل السليم، فهذا قول ساقط لا وزن له مع سائر تعابير الحديث المتقنة.

و أخيرا فإن

قوله عليه السلام: لقنوا موتاكم

الخ مع اهتمامه البالغ بشأن إدراكه قبل الموت ليلقنه؛ لدليل واضح على كونه ممن يرى رأيهم لا رأى غيرهم، و إلّا فلا يتناسب قوله أخيرا مع فعله أولا، فتدبر.

و هذه الرواية رويت مع اختلاف في بعض ألفاظها، رواها البرقى في كتاب «الصفوة» بإسناده إلى أبي بكر الحضرمي، «٢» و الكشي عن طريق محمد بن مسعود العياشي بإسناده إلى زرارة بن أعين عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام «٣».

غير أن الكشي استنتج من

قول الإمام: «لو أدركته لنفعته»

أنه مثل ما

يروى «لو أتخذت خليلا لاتخذت فلانا خليلا»

لا يوجب لعكرمة مدحا بل أوجب ضده «٤».

لكنه استنتج غريب ناشئ عن ذهنيته الخاصة بشأن الرجل. قال المحقق التستري - رداً عليه -: إن الرواية المقيس عليها غير ثابتة، و على فرض الثبوت فهو (١) فقد كان طلبه الوالى على المدينة، فتغيب عند داود بن الحصين، حتى مات عنده، غير أن الإمام أبا جعفر و صحابته الخواص كانوا يعرفون موضعه. و فى ذلك أيضا دلالة على كونه من الخاصة.

(طبقات ابن سعد، ج ٥، ط ليدن، ص ٣١٦)

(٢) المحاسن (ط نجف) ص ١١٢-١١٣، باب ١٩ المعرفة، رقم ٦٣. و البحار، ج ٦٨ (ط طهران)، ص ١١٩-١٢٠، رقم ٤٨.

(٣) رجال الكشي (ط نجف)، ص ١٨٨ رقم ٩٤.

(٤) اختيار معرفة الرجال (ط مشهد)، ص ٢١٦، رقم ٣٨٧. و (ط مؤسسة آل البيت) ج ٢، ص ٤٧٧-٤٧٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٨

مدح لا قدح «١». قلت: معنى

«لو أدركته لنفخته» «٢»: إنه لم يدركه فلم ينتفع بما كان من شأنه أن ينتفع به. و كذا معنى

«إن أدركته علمته كالما لم تطعمه النار» «٣»: إن كنت لقتته لم تذقه النار أصلا. فلازم ذلك أنه بسبب عدم هذا الانتفاع يكون بمعرض لإذافة النار- على بعض ذنوبه أحيانا- أو فوته بعض المنافع لذلك.

و على جميع هذه الفروض، لا تدل الرواية على أنه كان من المخالفين أو الفاسقين، حاشاه من عبد صالح كان تربيته مثل ابن عباس من خاصة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و هذا كما يقال: لو عمل كذا لنفحه أو لم يكن ليتضرر شيئا، و لازمه أنه لم ينتفع بذلك، أو تضرر شيئا.

و للمولى المجلسي العظيم كلام بشأن عكرمة، عند ما نقل عنه في تفسير قوله تعالى: وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ «٤» إنها نزلت بشأن أبي ذرّ و صهيب «٥»، على خلاف سائر المفسرين قالوا: نزلت بشأن علي عليه السلام ليلة المبيت.

قال- بصدد القدح في الرواية:- إن روايتها عكرمة، و هو من الخوارج «٦».

و لعلّ هذا منه كان جدلا، و إلّا فالرواية في نفسها ضعيفة لضعف الراوي لا المرؤى عنه. فقد أخرجها الطبري عن طريق الحجاج بن محمد المصيصي عن ابن جريح عن عكرمة. و المصيصي ضعيف واه، قد خلط في كبره، و من ثم تركه (١) قاموس الرجال، ج ٦، (ط أولى)، ص ٣٢٧.

(٢) كما في رواية الكشي «لو أدركت عكرمة عند الموت لنفخته». (ط نجف)، ص ١٨٨ رقم ٩٤.

(٣) كما في رواية البرقي- المحاسن باب ١٩ (المعرفة) من كتاب الصّفوة و النور و الرحمة، رقم ٦٣.

(٤) البقرة/ ٢٠٧.

(٥) الطبري، ج ٢، ص ١٨٦، و المجمع، ج ٢، ص ٣٠١.

(٦) بحار الأنوار، ج ٣٦ (ط بيروت) ص ٤٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٥٩

يحيى بن سعيد و أوصى ابنه بتركة «١». و قد سمعت أبا حاتم قوله بشأن عكرمة:

ثقة يحتج بقوله إذا روى عنه الثقات «٢».

و بعد، فلم نجد مغمزا في عكرمة مولى ابن عباس الثقة الأمين، الأمر الذي استنتجه ابن حجر في التقريب. قال: عكرمة، ثقة ثبت، عالم بالتفسير، لم يثبت تكذيبه عن ابن عمر، و لا يثبت عنه بدعة «٣».

منهجه في التفسير

كان ينتهج منهج مولاة و شيخه و مؤدبه ابن عباس، في حرّية الرأي و ثبات العقيدة من غير أن يهاب أحدا، أو يشنيه عن اختياره شيء. و من ثم عرّض نفسه للقدف و الرمي، و ربّما التحمّل لما كان المناوئون يهابون موضع سيده ابن عباس، فوجدوا من تلميذه مندوحة ليقدموا فيه و يجرحوه.

و إليك نموذج من تفسيره:

كان يرى من آية الوضوء «٤» نزولها بمسح الأرجل دون غسلها، و لم يزل عمله على ذلك، و إن استدعى مخالفة عامة الفقهاء في عصره. قال يونس: حدثني من صحب عكرمة إلى واسط، قال: فما رأيت غسل رجله، إنما كان يمسح عليهما «٥». و أخرج الطبري بإسناده إلى عبد الله العتكي عن عكرمة، قال: «ليس على الرجلين غسل، إنما نزل فيهما المسح». و هكذا أخرج بإسناده إلى عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس، قال: «الوضوء غسلتان و مسحتان». و كذا عن (١) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٠٦.

(٢) المصدر نفسه، ج ٧، ص ٢٧٠.

(٣) التقريب، ج ٢، ص ٣٠، رقم ٢٧٧.

(٤) المائدة/ ٦.

(٥) الطبرسي في مجمع البيان، ج ٣، ص ١٦٥. و الطبري في جامع البيان، ج ٦، ص ٨٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٠

جمع كثير من التابعين، و لا سيما المتأثرين بمدرسة ابن عباس، أمثال قتادة و الضحاك و الشعبي و الأعمش و غيرهم. و جماعة من الصحابة أمثال أنس بن مالك و جابر بن عبد الله و غيرهما، ذهبوا إلى أن القرآن نزل بمسح الأرجل لا غسلها «١».

قال أمين الإسلام الطبرسي: اختلف في ذلك، فقال جمهور الفقهاء: إن فرضهما الغسل. و قالت الإمامية: فرضهما المسح لا غير، و به قال عكرمة. و قد روى القول بالمسح عن جماعة من الصحابة و التابعين كابن عباس و أنس و أبي العالبي و الشعبي. و قال الحسن البصري: بالتخيير بين الغسل و المسح.

قال: و أما ما روى عن سادة أهل البيت عليهم السلام في ذلك فأكثر من أن تحصى «٢».

و للطبرسي هنا بشأن المسألة تحقيق لطيف، ينبغي لرواد الحقيقة مراجعته.

و

أخرج البيهقي بإسناده عن رفاعه بن رافع: أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قال: «إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله به: يغسل وجهه و يديه إلى المرفقين، و يمسح رأسه و رجله إلى الكعبين» «٣».

و هكذا في المسح على الخفين - الذي يقول به جمهور الفقهاء - كان عكرمة (١) الطبري في جامع البيان، ج ٦، ص ٨٢-٨٣. و أخرج البيهقي في سننه، ج ١، ص ٧٢ عن ابن عباس قال: ما أجد في الكتاب إلّا غسلتين و مسحتين. كما أخرج في ص ٤٤ عن رفاعه بن رافع: المسح على الرجلين.

(٢) الطبرسي في مجمع البيان، ج ٣، ص ١٦٤.

(٣) السنن الكبرى، ج ١، ص ٤٤، باب التسمية على الوضوء و ج ٢، ص ٣٤٥ باب من سها فترك ركنا، و هناك كامل الحديث. و

أخرجه السيوطي في الدر المنثور، ج ٢، ص ٢٦٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦١

ينكره أشد الإنكار، و يقول: «سبق الكتاب المسح على الخفين» «١»، يعني: أن القرآن نزل بالمسح على الأرجل، أمّا المسح على الخفين - على ما وردت به بعض الروايات - فأمر متأخر عن نزول الآية، و لا دليل على نسخ الآية، رواه لم تثبت «٢».

و هذا الذي ذكره عكرمة هو الذي نقلته الأئمة عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

فقد روى أبو جعفر الطوسي بإسناده إلى أبي الورد، قال: قلت لأبي جعفر الباقر عليه السلام: إن أبا ظبيان حدثني أنه رأى عليا عليه

السلام أراق الماء ثم مسح على الخفين! فقال: كذب أبو ظبيان «٣» أما بلغك قول علي عليه السلام فيكم: «سبق الكتاب الخفين»؟

فقلت: فهل فيهما رخصة؟ فقال: لا، إلّا من عدوّ تتّقيه، أو ثلج تخاف على رجلك «٤».

و لا شكّ أن ابن عباس كان يرى رأى الإمام الذى هو شاخص أهل البيت عليهم السّلام فلا وقع لتكذيب عكرمة بأنه خالف شيخه، فقد افترى عليه كما افترى على الإمام عليه السّلام.

و عقد أبو نعيم الأصبهاني فصلا من حليته «٥»، أورد فيه من تفاسير مأثورة عن عكرمة، دررا و غررا هي من جلائل الآثار و كرائم الأفكار، و يتبين منها مدى سعة (١) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٦٨.

(٢) ذكر أبو يوسف أن سنّة المسح على الخفين نسخت آية المسح على الأرجل. أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ٣٤٨.

(٣) هو حصين بن جندب الكوفى. مات سنه ٩٠. و قد أنكروا سماعه من على عليه السّلام فيما يرويه عنه.

تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٨٠. و لم يذكره الشيخ فى أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام.

(٤) الوسائل، ج ١، ص ٣٢٢، رقم ٥.

(٥) حلية الأولياء، ج ٣، ص ٣٢٩-٣٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٢

علم الرجل و شموخ فكره الصائب، ينبغى مراجعتها فإنها ممتعة جدًا.

٦- عطاء بن أبى رباح

أبو محمّد عطاء بن أبى رباح أسلم- و قيل: سالم- بن صفوان، من أصل نوبى (١٧-١١٥) كان من أجلمة فقهاء مكة و زهادها، و من خواصّ ابن عباس و المتربّين فى مدرسته. «١» و هو الذى حضر وصيته بالطائف فى جماعة من الشيوخ، و روى عنه حديث الإمامة و الولاية- على ما سبق فى ترجمة ابن عباس «٢»- مما يدلّ على مبلغ ولائه لأهل البيت و تمسّكه بأذيالهم الطاهرة، شأن سائر المتربّين بتربية ابن عباس الصحابى الملهم الجليل.

و ذكره أبو نعيم فى التابعين ممن رووا عن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السّلام. «٣» كما ذكر ثناء الإمام عليه، فيما أخرجه بإسناده عن أسلم المنقرى، قال: كنت جالسا مع أبى جعفر فمرّ عليه عطاء، فقال: ما بقى على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحجّ من عطاء بن أبى رباح

. و عن أحمد بن محمد الشافعى، قال: كانت الحلقة فى الفتيا بمكة فى المسجد الحرام لابن عباس، و بعد ابن عباس لعطاء بن أبى (١) صرّح الكشى (ص ١٨٨ رقم ٩٢ و ٩٣) بأن عطاء بن أبى رباح تلميذ ابن عباس. و كان ولده:

عبد الملك و عبد الله و عريف، نجباء من أصحاب الإمامين الباقر و الصادق عليهما السّلام. و قد تقدّم فى ترجمة طاوس.

(٢) نقلا عن كفاية الأثر للخزّاز الرازى، ص ٢٩٠. و البحار، ج ٣٦، ص ٢٨٧، رقم ١٠٩.

(٣) و هم أربعة: عمرو بن دينار، و عطاء بن أبى رباح، و جابر الجعفى، و أبان بن تغلب. و من الأئمّة و الأعلام: ليث و ابن جريج و ابن أرطأة فى آخرين، راجع: حلية الأولياء، ج ٣، ص ١٨٨، فى ترجمة الإمام، برقم ٢٣٥. و عنه كشف الغمّة للأربلى، ج ٢، ص ١٣٤. و الوحيد فى التعليقة على هامش الاسترآبادى، ص ٢٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٣

رباح. «١»

قال ابن سعد: و قد انتهت فتوى أهل مكة إليه و إلى مجاهد، فى زمانهما، و أكثر ذلك إلى عطاء. قال: كان يعلم الكتاب، و كان ثقة فقيها كثير الحديث. و عن قتادة: كان عطاء من أعلم الناس بالمناسك «٢».

قال ابن حجر: قال ابن معين: كان عطاء معلّم كتاب «٣». و أخرج عن أبى نوف عن عطاء، قال: أدركت مائتين من الصحابة. و عن ابن

عباس أنه كان يقول:

تجتمعون إلي يا أهل مكة وعندكم عطاء! و عن ربيعة قال: فاق عطاء أهل مكة في الفتوى. و قال قتادة: قال لى سليمان بن هشام: هل بمكة أحد؟ قلت: نعم، أقدم رجل فى جزيرة العرب علما! قال: من؟ قلت: عطاء بن أبى رباح، إلى غيرها من شهادات ضافية بشأنه. و أنه من سادات التابعين فقها و علما و ورعا و فضلا «٤».

و لابن خلكان بشأنه حكاية طريفة، قال: حكى عن وكيع، قال: قال لى أبو حنيفة النعمان بن الثابت: أخطأت فى خمسة أبواب من المناسك بمكة، فعلمنيها حجّام! و ذلك أنى أردت أن أحلق رأسى، فقال لى: أعربى أنت؟ قلت: نعم، و كنت قد قلت له: بكم تحلق رأسى؟ فقال: لا يشارط فيه، اجلس، فجلست منحرفا عن القبلة، فأوما إلى باستقبال القبلة. و أردت أن أحلق رأسى من الجانب الأيسر، فقال: أدر شقّك الأيمن من رأسك، فأدرته. و جعل يحلق رأسى و أنا ساكت، فقال لى: كبير، فجعلت أكبر، حتى قمت لأذهب، فقال: أين تريد؟ قلت: (١) حلية الأولياء، ج ٣، ص ٣١١، رقم ٢٤٤. و طبقات ابن سعد، ج ٥، ص ٣٤٤.

(٢) الطبقات لابن سعد، ج ٥، ص ٣٤٤-٣٤٦. و تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٠١.

(٣) بضم الكاف، جمعه كتابيب: موضع التريبة و التعليم.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ١٩٩-٢٠٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٤

رحلى. فقال: صلّ ركعتين ثم امض. فقلت: ما ينبغى أن يكون هذا من مثل هذا الحجّام إلّا و معه علم. فقلت: من أين لك ما رأيتك أمرتنى به؟ فقال: رأيت عطاء بن أبى رباح يفعل هذا «١».

قال: و كان أسود، أعور، أفطس، أشلّ، أعرج، ثم عمى بعد ذلك. و كان مفلغل الشعر. قال سليمان بن رفيع: دخلت المسجد الحرام و الناس مجتمعون على رجل، فأطلعت، فإذا عطاء بن أبى رباح جالس كأنه غراب أسود «٢».

قال محمد بن عبد الله «٣»: ما رأيت مفتيا خيرا من عطاء بن أبى رباح، إنما كان فى مجلسه ذكر الله لا يفتى و هم يخوضون. فإن تكلم أو سئل عن شىء أحسن الجواب و كان يطيل الصمت، فإذا تكلم يخيل إلى الناس أنه يتأيد! و عن ابن جريج: كان عطاء إذا حدّث بشىء، قلت: علم أو رأى؟ فإن كان أثرا قال: علم، و إن كان رأيا قال: رأى و عن سلمة بن كهيل: ما رأيت أحدا يريد بهذا العلم وجه الله إلّا ثلاثة: عطاء، و مجاهد، و طاوس. قال الأوزاعى: مات عطاء يوم مات، و هو أرمى أهل الأرض عند الناس «٤».

و قد وقع فى إسناد القمى فى تفسير قوله تعالى: فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا «٥».

و للمولى المامقانى بشأنه تخطيط، قال: عدّه الشيخ من أصحاب أمير (١) وفيات الأعيان، ج ٣، ص ٢٦١، رقم ٤١٩.

(٢) الوفيات، ج ٣، ص ٢٦٢. و راجع: الطبقات، ج ٥، ص ٣٤٦. و تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٠٠.

(٣) الملقب بالديباج و أمه فاطمة بنت الحسين عليه السلام. قتله المنصور سنة ١٤٥.

(٤) الطبقات، ج ٥، ص ٣٤٥. و تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٠١.

(٥) محمد/ ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٥

المؤمنين عليه السلام، و قال: مخلّط. و نقل المولى الوحيد عن أبى نعيم أنه ممّن روى عن الإمام الباقر عليه السلام، قال: الظاهر أنه اشتباه منه أو من أبى نعيم، فإنّ الراوى عن الباقر هو عطاء بن السائب، و هو من رؤساء العامية. أما ابن أبى رباح فهو مولى عبد الله ابن عباس، و لقاءه للباقر غير معلوم. نعم لقاءه لعلى مما لا ريب فيه. و هو مخلّط و يروى عن الشيخين كثيرا، و يروى لهما أكثر «١».

قلت: كانت ولادة عطاء بن أبى رباح فى السنّة الرابعة أو الخامسة من خلافة ابن الخطاب، فكيف يروى عن الشيخين؟! ثم إنه عند وفاة

أمير المؤمنين كان لم يتجاوز الثالثة عشرة. وقد توفى بعد وفاة الإمام الباقر (٥٧-١١٤) بسنة (١١٥) ولم يذكر أحد أنه مولى لابن عباس، بل مولى بنى فهر، حسبما ذكره «٢» كما ذكروا أن الذي اختلط في أخريات حياته هو ابن السائل «٣». و سندر أنه أيضا من الخواص.

قال الدكتور شواخ: و تفسير عطاء بن أبي رباح كان من التفاسير التي رويت شفاهاً، و استخدمها الطبري بالرواية التالية: «القاسم بن الحسن الهمداني (ت ٢٧٢) الحسين المصيصي (ت ٢٢٦) حجاج بن محمد المصيصي (ت ٢٠٦) ابن جريج (ت ١٥٠) عن عطاء بن أبي رباح» و استخدمه الثعلبي أيضا في كتابه (الكشف و البيان) «٤». (١) تنقيح المقال، ج ٢، ص ٣٥٢-٣٥٣، رقم ٧٩١٩. (٢) راجع: قاموس الرجال للتستري، ج ٦، ص ٣٠٦ (ط أولى) (٣) راجع: تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٠٧. (٤) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٣، رقم ٩٩٨. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٦

٧- عطاء بن السائب

أبو محمد الثقفي الكوفي أحد الأئمة «١». روى عن سعيد بن جبير و مجاهد و عكرمة و أبي عبد الرحمن السلمى و جماعة. و روى عنه الأعمش و ابن جريج.

كان أبو إسحاق يقول: عطاء بن السائب من البقايا.

قال أحمد بن حنبل: ثقة ثقة رجل صالح. و لكن جماعة رموه بالتخليط في أخريات حياته، و من ثم وثقه في حديثه القديم. قال يحيى بن سعيد: ما سمعت أحدا من الناس يقول في حديثه القديم شيئا. أما و لما ذا هذا التحول بشأنه؟

قال أبو قطن عن شعبة: ثلاثة في القلب منهم هاجس: عطاء بن السائب، و يزيد بن أبي زياد، و رجل آخر. «٢» ما سبب هذا الهاجس؟ قال سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي - أدام الله ظلّه و ألبسه ثوب العافية - بعد أن ذكر روايته عن عليّ بن الحسين عليهما السلام بشأن مسألة القضاء: - هذه الرواية تدلّ على تشييعه، فما يذكر عنه من الوثيق في حديثه القديم ثم اختلط و تغير، فلعله كان منخرطا في العامة ثم استبصر «٣».

قلت: بل الظاهر كونه من الشيعة من أول أمره؛ لأنه كوفي و تتلمذ على أمثال ابن جبير و مجاهد و عكرمة و السلمى و أضرابهم. أما سبب اختلاطه في نظر القوم فلعله بدى منه شيء من الارتفاع لم يكن يتحمّل القوم، و كم له من نظير.

أما الرواية المشار إليها فهي ما

رواه أبو جعفر الصدوق بإسناده إلى عطاء بن السائب عن الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام، قال: «إذا كنتم في أئمة جور فاقضوا في (١) الخلاصة، ص ٢٦٦.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٠٤.

(٣) معجم رجال الحديث، ج ١١ (ط بيروت)، ص ١٤٥، رقم ٧٦٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٧

أحكامهم، و لا تشهروا أنفسكم فتقتلوا. و إن تعاملتم بأحكامنا كان خيرا لكم» «١».

و قد عدّه الصدوق في المشيخة «٢».

و قد كانت وفاة الإمام السجاد عام (٩٥) سنة الفقهاء. و قد عاش ابن السائب بعد ذلك ما يقرب (٤٠) سنة؛ حيث عام وفاته (١٣٦) و الرواية إن دلت على تشييعه - كما هو كذلك - فقد كان ذلك في أوليات حياته.

وله رواية أخرى عن زاذان أبي عمرة الفارسي الكوفي الضرير، مات سنة (٨٢) في قضية قضاها الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أيام عمر بن الخطاب، بشأن الوديعه التي استودعها رجلان عند امرأة... رواها حريز بن عبد الله السجستاني عن عطاء بن السائب من زاذان. (٣)

٨- أبان بن تغلب بن رباح

أبو سعيد البكري الكوفي. قال الشيخ: ثقة جليل القدر، عظيم المنزلة، لقي أبا محمد السجاد، و أبا جعفر الباقر، و أبا عبد الله الصادق عليهم السلام و روى عنهم. و كانت له عندهم خطوة و قدم «٤».

و كان إذا قدم المدينة تقوضت له الحلق و أخلت له سارية النبي صلى الله عليه و آله و سلم. «٥»
و كان ذلك بأمر من الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام،

قال له: «اجلس في مسجد المدينة (١) من لا يحضره الفقيه، ج ٣، ص ٣، رقم ٣. و تهذيب الأحكام للشيخ، ج ٦، ص ٢٢٤، رقم ٥٣٦/٢٨. و ص ٢٢٥، رقم ٥٤٠/٣٢.

(٢) شرح مشيخة الصدوق، ص ١٢٥، الملحق بالفقيه، ج ٤.

(٣) الكافي الشريف، ج ٧، ص ٤٢٨، رقم ١٢. و تهذيب الأحكام، ج ٦، ص ٢٩٠، رقم ٨٠٤/١١.

(٤) فهرست الشيخ، ص ٥-٦ (ط مشهد)

(٥) رجال النجاشي، ص ٨-٩ (ط حجرية)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٨

و أفت للناس، فإنني أحب أن يرى في شيعتي مثلك» «١». و هكذا

روى الكشي عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام كان يقول له: «جالس أهل المدينة، فإنني أحب أن يروا في شيعتنا مثلك». و قد استجاز الإمام أن يفتيهم حسبما يرون، قال: إنني أقعد في المسجد، فيجيئني الناس فيسألوني، فإن لم أجبه لم يقبلوا مني، و أكره أن أجيبهم بقولكم و ما جاء منكم. فأجازه الإمام أن يفتي للناس حسبما علم أنه من قولهم. قال: «انظر ما علمت أنه من قولهم فأخبرهم بذلك» «٢».

قال الشيخ: و كان أبان بن تغلب قارئاً فقيهاً لغويًا نبيلًا، و سمع العرب و حكى عنهم و صنّف كتاب «الغريب في القرآن»، و ذكر شواهد من الشعر. قال: فجاء فيما بعد عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي، فجمع من كتاب أبان، و محمد ابن السائب الكلبي، و أبي روق ابن عطية بن الحرث، فجعله كتاباً واحداً، فيما اختلفوا فيه و ما اتفقوا عليه. فتارة يجيء كتاب أبان مفرداً، و تارة يجيء مشتركاً، على ما عمله عبد الرحمن.

قال: و لأبان- رحمه الله عليه- قراءة مفردة. و رفع إسناده إلى محمد بن موسى بن أبي مريم صاحب اللؤلؤ، قال: سمعت أبان بن تغلب، و ما أحد أقرأ منه، يقرأ القرآن من أوله إلى آخره، و ذكر القراءة ...

قال: و لأبان كتاب الفضائل- ثم ذكر طريقه إليه- كما أن له أصلاً. قال: و مات أبان سنة (١٤١) في حياة الإمام الصادق عليه السلام. و لما بلغه نعيه،

قال: «أما و الله، لقد أوجع قلبي موت أبان» «٣». (١) رجال النجاشي، ص ٧.

(٢) رجال الكشي، ص ٢٨٠ (ط نجف)

(٣) الفهرست، ص ٦-٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٦٩

و أخرج النجاشي بإسناده إلى الحسين بن سعيد بن أبي الجهم، قال: حدّثني أبي عن أبان بن تغلب، في قوله تعالى: مالِكِ يَوْمَ الدِّينِ. و ذكر التفسير إلى آخره. قال: ولأبان قراءة مفردة مشهورة عند القراء. و عن محمد بن موسى بن أبي مريم، قال: سمعت أبان بن تغلب، و ما رأيت أحدا أقرأ منه قطّ، يقول: «إنما الهمز رياضة» (١) و ذكر قراءته إلى آخرها. قال: و له كتاب الفضائل، و كتاب صفين، و كتاب تفسير غريب القرآن.

قال إبراهيم النخعي: كان أبان رحمه الله مقدّما في كل فنّ من العلم، في القرآن، و الفقه، و الحديث، و الأدب، و اللغّة، و النحو. و عن أبان بن محمد بن أبان بن تغلب، قال: سمعت أبي يقول: دخلت مع أبي إلى أبي عبد الله عليه السّلام فلما بصر به أمر بوسادة فألقيت له، و صافحه و اعتنقه و سأله و رحّب به. قال: و كان أبان إذا قدم المدينة تقوّضت إليه الحلق و أخليت له سارية النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم (٢).

و عن عبد الرحمن بن الحجّاج، قال: كنّا في مجلس أبان بن تغلب، فجاءه شابّ فقال: يا أبا سعيد، أخبرني كم شهد مع عليّ بن أبي طالب عليه السّلام من أصحاب النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم؟ فقال له أبان: كأنّك تريد أن تعرف فضل عليّ بمن تبعه من أصحاب رسول الله؟ فقال الرجل: هو ذاك. فقال: و الله ما عرفنا فضلهم إلّا باتّباعهم إيّاه.

و قال أبان لأبي البلاد: تدري من الشيعة؟ الشيعة الذين إذا اختلف الناس عن (١) أي في إظهار الهمز مشقة و صعوبة و تكلف بلا ثمر، فلا بد من ترك الإظهار، الذي هو لغة قريش، كانوا لا ينيرون بالهمز، و قد نهى النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم عنه أيضا.

(٢) أي كانت الحلق و الصفوف المترابطة من الناس تتقوض و تتفرّق لتجتمع إلى حلقة أبان.

و السارية: هو الأسطوانة، التي كان النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم يجلس عندها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٠

رسول الله، أخذوا بقول عليّ. و إذا اختلف الناس عن عليّ، أخذوا بقول جعفر بن محمد.

قال النجاشي: و جمع محمد بن عبد الرحمن بين كتاب التفسير لأبان و بين كتاب أبي روق عطية بن الحرث و محمد بن السائب، و جعلها كتابا واحدا.

و عن عبد الله بن خفقه، قال: قال لي أبان بن تغلب: مررت بقوم يعيرون عليّ روايتي عن جعفر! فقلت: كيف تلوموني في روايتي عن رجل ما سألته عن شيء إلّا قال: قال رسول الله! (١) و

عن سليم بن أبي حيّة، قال: كنت عند أبي عبد الله، فلما أردت أن أفارقه ودّعته، و قلت: أحبّ أن تزودني. فقال: انت أبان بن تغلب، فإنه قد سمع منّي حديثا كثيرا، فما روى لك فاروه عنّي (٢).

و قال ابن حجر: قال أحمد، و يحيى، و أبو حاتم، و النسائي: ثقة. و قال ابن عدى: له نسخ عامتها مستقيمة، إذا روى عنه ثقة، و هو من أهل الصدق في الروايات. و إن كان مذهبه مذهب الشيعة، و هو في الرواية صالح لا بأس به. قال ابن حجر: هذا قول منصف، و قد تقدم ذكره.

و قال ابن عجلان: حدثنا أبان بن تغلب، رجل من أهل العراق، من النساك، ثقة. و مدحه ابن عيينة بالفصاحة و البيان. قال أبو نعيم: و كان غاية من الغايات.

و قال العقيلي: سمعت أبا عبد الله يذكر عنه عقلا و أدبا و صحة حديث. و قال ابن (١) و لعلّ عيهم كان لأجل كبر سنه بالنسبة إلى الإمام، و تقدّمه بحسب الزمان.

(٢) رجال النجاشي، ص ٧-١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧١

سعد: كان ثقة. و ذكره ابن حبان في الثقات (١).

وقال الحافظ شمس الدين الداودي: صَنَّف كتاب «معاني القرآن» لطيف، «القراءات». روى له مسلم و الأربعة «٢».

٩- الحسن البصري

أبو سعيد الحسن بن أبي الحسن يسار البصري. كان أبوه مولى لزيد بن ثابت الأنصاري، من سبى ميسان (بليدة بأسفل البصرة)، و أمه خيرة مولاة أم سلمة زوج النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَ تَرَبَّى فِي بَيْتِهَا. وَيُقَالُ: رُبَّمَا كَانَتْ تَغْذِيهِ بِلَبْنِهَا- بِإِذْنِ اللَّهِ- عِنْدَ مَا تَغِيْبُ أُمُّهُ. وَيُقَالُ: إِنَّهُ وَلِدٌ عَلَى الرَّقِّ، وَلِدٌ بِالْمَدِينَةِ سَنَةَ (٢٢) لِسِتِّينَ بَقِيْتَا مِنْ خِلَافَةِ عُمَرَ، وَ نَشَأَ بِوَادِي الْقُرَى (وَادٍ مِنْ أَعْمَالِ الْمَدِينَةِ عَلَى طَرِيقِ الشَّامِ، وَاقِعٌ بَيْنَ تِيْمَاءَ وَ خَيْبَرَ) وَ تُوَفِّيَ بِالْبَصْرَةِ مُسْتَهْلًا رَجَبِ سَنَةِ (١١٠) «٣».

كان الحسن جسيما و سيما «٤» نابها فصيحاً، و كان يشبهه في الفصاحة و البيان برؤية العجاج «٥». و كان عالما جامعاً، و فقيها مأمونا «٦» و عابدا ناسكاً، حسب تعبير (١) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٩٣-٩٤. و ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٥.

(٢) طبقات المفسرين، ج ١، ص ١.

(٣) تتمه المنتهى للقمي، ص ٧. و طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١ (ط ليدن)، ص ١١٥. و تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦.

(٤) عن عاصم الأحول، قلت للشعبي: لك حاجة؟ قال: نعم، إذا أتيت البصرة فقرأ الحسن مني السلام. قلت: ما أعرفه؟ قال: إذا دخلت البصرة فانظر إلى أجمل رجل تراه في عينك، و أهيبه في صدرك فقرأه مني السلام! (تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٥).

(٥) طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١٢١.

(٦) قال قتادة: ما جالست فقيها قط إلا رأيت فضل الحسن عليه. و قال أيوب: ما رأيت عيناى رجلا

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٢

ابن سعد و غيره «١».

كان أكثر ما يقوله عن علي عليه السلام من غير أن يصرح باسمه الشريف تقيته، أو يكتفى عنه بأبي زينب «٢».

و قد اعتمد الأئمة مراسيله؛ لأنه لا يرسل إلا عن ثقة. قال علي بن المديني:

مرسلات الحسن إذا روى عنه الثقات، صحاح. و قال أبو زرعة: كل شيء يقول الحسن: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وجدت له أصلا ثابتا.

قال يونس بن عبيد: سألت الحسن، قلت: يا أبا سعيد، إنك تقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ و إنك لم تدركه؟! قال:

يا ابن أخي، لقد سألتني عن شيء ما سألتني عنه أحد قبلك، و لو لا منزلتك مني ما أخبرتك. إني في زمان كما ترى!- و كان في

عمل الحجاج «٣»- كل شيء سمعتني أقول: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فهو عن علي بن أبي طالب عليه السلام غير أنني

في زمان لا أستطيع أن أذكر عليا عليه السلام «٤». قط كان أفقه من الحسن! و

قال الأعمش: ما زال الحسن يعي الحكمة حتى نطق بها. و كان إذا ذكر عند أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: «ذاك الذي يشبه كلامه

كلام الأنبياء». (تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٥) و قال بلال بن أبي بردة: ما رأيت رجلا قط لم يصحب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

شبهه بأصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من هذا الشيخ، يعني الحسن!. و قال الشعبي: أدركت سبعين من أصحاب

النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلم أر أحدا قط أشبه بهم منه! (طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١١٨)

(١) قال مطر الوراق: كان جابر بن زيد (توفي سنة ١٠٣) رجلا أهل البصرة، فلما ظهر الحسن، جاء رجلا كأنما كان في الآخرة، فهو

يخبر عما رأى و عاين. (تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٤)

(٢) أمالي الشريف المرتضى، ج ١، ص ١٦٢.

(٣) كان ذلك أيام ولاية الحجاج على البصرة.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦ بالمتن و الهامش.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٣

قال الشريف المرتضى: و كان الحسن بارع الفصاحة، بليغ المواعظ، كثير العلم. و جميع كلامه فى المواعظ و ذم الدنيا، أو جلّه مأخوذ- لفظا و معنى، أو معنى دون لفظ «١»- من كلام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السّلام، فهو القدوة و الغاية، فنقل عنه حكما و مواعظ جليّة.

ثم قال: و كان الحسن إذا أراد أن يحدث فى زمن بنى أمية عن أمير المؤمنين، قال: قال أبو زينب «٢».

و قال الشيخ فريد الدين العطار النيسابورى: «كان الحسن إنّما يوالى عليّا أمير المؤمنين، و منه أخذ العلم، و كان مرجعه فى طريقة العرفان» «٣».

و لأبان بن أبى عياش كلام بشأن الحسن، يدل على مغالاته فى ولائه للإمام أمير المؤمنين عليه السّلام. قال: لما أودعه سليم بن قيس الهلالي كتابه و أوصاه أن لا يريح غير الخواص من الشيعة- فكان أول من لقيت بعد قدومى البصرة الحسن بن أبى الحسن البصرى، و هو يومئذ متوار من الحجاج. و الحسن يومئذ من شيعة عليّ بن أبى طالب- صلوات الله عليه- و من مفرطهم، نادم متلهّف على ما فاته من نصرة عليّ و القتال معه. فخلوت به فى شرقى دار أبى خليفه الحجاج بن أبى عتاب الديلمى، فعرضته عليه، فبكى ثم قال: ما فى حديثه شىء إلّا حقّ، قد سمعته (١) قال ابن عون: كان الحسن يحدث بالحديث و بالمعنى. و قال جرير بن حازم: كان الحسن يحدثنا الحديث يختلف فيزيد فى الحديث و ينقص منه، و لكنّ المعنى واحد. (طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١١٥، ط ليدن) (٢) أمالى المرتضى، ج ١، ص ١٥٣ و ١٦٢. و له كلام يأتى فيه وصف على عليه السّلام نقله المرتضى (المصدر، ج ١، ص ١٦٢) (٣) تذكرة الأولياء، ص ٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٤

من الثقات من شيعة على- صلوات الله عليه- و غيرهم «١».

قلت: كان أخذه عن على عليه السّلام بواسطة الثقات من أصحابه، و ليس مباشرة و بغير واسطة؛ لأنه لم يدرك عليّا فى المدينة بما يمكنه الأخذ عنه؛ لحدائث سنّه حينذاك، و لم يلق عليا بعد أن خرج الإمام إلى العراق، كما سنوّح. و الذى انتقصوا به الحسن أمران: أنه كان يدلس، و كان منحرفا عن على عليه السّلام فى بدء أمره و إن كان قد تندّم بعد ذلك. و شىء ثالث: أنه كان قدريا، و يقول: «من كذب بالقدر فقد كفر». و لننظر فى كل هذه التهم و مبلغ اعتبار كل واحدة منها: أمّا التدليس، فقال ابن حجر: و كان يرسل كثيرا و يدلس. قال البرّاز: كان يروى عن جماعة لم يسمع منهم، فيتجوّز و يقول: حدّثنا و خطبنا، يعنى قومه الذين حدّثوا و خطبوا بالبصرة «٢».

و سئل أبو زرعة: هل سمع الحسن أحدا من البدرين؟ قال: رأهم رؤية، رأى عثمان و عليّا. قيل: هل سمع منهما حديثا؟ قال: لا، رأى عليّا بالمدينة، و خرج عليّ إلى الكوفة و البصرة، و لم يلقه الحسن بعد ذلك. و قال عليّ بن المدينى:

لم ير عليّا إلّا أن كان بالمدينة و هو غلام، و لم يسمع من جابر بن عبد الله، و لا من أبى سعيد الخدرى، و لم يسمع من ابن عباس، و ما رآه قطّ، كان الحسن بالمدينة أيام كان ابن عباس بالبصرة. و أما قوله: «خطبنا ابن عباس بالبصرة»، فإنما أراد:

خطب أهل البصرة. كقول ثابت: «قدم علينا فلان» أى قدم بلدنا و أهلنا. و قال ابن المدينى: و لم يسمع من أبى موسى، و قال أبو حاتم و أبو زرعة: لم يره. قال ابن (١) مقدمه كتاب سليم بن قيس، ص ٦٥-٦٦.

(٢) التقريب لابن حجر، ج ١، ص ١٦٥ رقم ٢٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٥

المدينى: روى عن الحسن أن سراقه حدّثهم! قال: و هذا إسناد ينبو عنه القلب أن يكون الحسن سمع من سراقه، إلّا أن يكون معنى

حدّثهم: حدّث الناس، قال: فهذا أشبه. وهكذا قال الترمذى: لم يثبت له سماع من على عليه السّلام «١». وقد تقدم الجواب عن ذلك، وأنه كان لا يرسل إلّا عن ثقة، ولذلك قال ابن المدينى و أبو زرعة و غيرهما: مرسلات الحسن صحاح، و أن لها أصلاً ثابتاً و جده الأعلام «٢».

و كان الرجل فى محذور عن تسمية الرجال، و لا سيّما إذا كان عن الإمام أمير المؤمنين على عليه السّلام أو أحد أصحابه المعروفين. قال الطبرى: كان الحسن فقيهاً فاضلاً، لا يشكّ فى حديثه فيما روى، و كان كثير المراسيل و كثير الرواية عن قوم مجاهيل، و عن صحف قد وقعت إليه لقوم أخذها منهم. و روى عن مساور، قال: قلت للحسن: عمّن تحدّث هذه الأحاديث؟ قال: عن كتاب عندنا سمعته من رجل.

قال المحقق التستري - تعليقا على هذا الكلام -: و لعلّه إشارة إلى كتاب سليم ابن قيس الهلالي الذى وقع بيده و سمعه من أبان بن أبى عياش، على ما أسلفنا.

و قال - أخيراً -: و الرجل - كما رأيت - مختلف فيه، إلّا أن الأحسن حسنه و تقواه و تقيته «٣».

و أما تهمة الانحراف فمستندها حكايات هى أشبه بالأوهام: (١) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦ - ٢٧٠. (٢) المصدر نفسه، ص ٢٦٦.

(٣) قاموس الرجال (ط الأولى)، ج ٣، ص ١٣٦ - ١٣٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٦

من ذلك

ما أرسله صاحب كتاب الاحتجاج: أن علياً عليه السّلام مرّ - بعد واقعة الجمل - بالحسن البصرى و هو يتوضّأ. فقال: يا حسن أسبغ الوضوء، فقال: يا أمير المؤمنين، لقد قتلت بالأمس أناساً يشهدون الشهادتين و يصلّون الخمس و يسبغون الوضوء! فقال له أمير المؤمنين: فما منعك أن تعين علينا عدوّنا؟ فقال:

لقد خرجت، و أنا لا أشكّ أن التخلّف عن أم المؤمنين عائشة هو الكفر، فلما انتهيت إلى موضع من الخريبة (موضع وقع قتال الجمل فيه) نادانى مناد: ارجع يا حسن، فإنّ القاتل و المقتول فى النار. فقال على: صدقك ذاك أخوك إبليس، إن القاتل و المقتول منهم فى النار «١». و هكذا

أرسل القطب الراوندى: أن علياً عليه السّلام قال له: أسبغ طهورك يا لفتى «٢»، فقال: لقد قتلت بالأمس رجالاً كانوا يسبغون الوضوء! قال عليه السّلام: و إنك لحزين عليهم؟ قال: نعم. فقال: فأطال الله حزنك. قالوا: فما رأينا الحسن قطّ إلّا حزينا، كأنّه يرجع عن دفن حميم، أو حرّ بنديج ضلّ حماره. فقيل له فى ذلك، فقال: عمل فى دعوة الرجل الصالح! «٣».

و ذكر ابن أبى الحديد فيمن كان يبغض علياً عليه السّلام الحسن البصرى، قال: روى عنه حماد أنه قال: لو كان عليّ يأكل الحشف «٤» بالمدينة لكان خيراً له مما دخل فيه. و روى عنه أنه كان من المخدّلين عن نصرته. و

روى عنه أن عليّاً عليه السّلام رآه و هو يتوضّأ - و كان ذا وسوسة - فصبّ على أعضائه ماء كثيراً، فقال له: أرتق ماء كثيراً (١) كتاب الاحتجاج المنسوب إلى الطبرسى (٢) (ط نجف)، ج ١، ص ٢٥٠.

(٢) على وزان «قبطى» قيل: معناه الشيطان بالنبطية.

(٣) الخرائج و الجرائح، ج ٢، ص ٥٤٧ رقم ٨، و البحار، ج ٤١، ص ٣٠٢ رقم ٣٣، و ج ٤٢، ص ١٤٣ رقم ٥.

(٤) الحشف: أردأ التمر، أو اليابس الفاسد من التمر.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٧

يا حسن؛ فقال: ما أراق أمير المؤمنين من دماء المسلمين أكثر! قال: أ و ساءك ذلك؟ قال: نعم. قال: فلا زلت مسوّأ. قالوا: فما زال

الحسن عابسا قاطبا مهموما إلى أن مات «١».

هذا كل ما قيل بشأنه دليلا على انحرافه عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، لكنها روايات لا إسناد لها، فضلا عما بينها من تهافت و تضارب، و قد أنكرها ابن أبي الحديد بشدة على ما سنذكر.

قلت: و لحسن الحظ أن واضح هذه الروايات قد ذهب عنه أن الحسن - و هو غلام يافع - لم يكن له شأن ذلك اليوم، و لم يكن حاضر البصرة يوم الجمل، و لم يخرج إلى العراق بعد، إلّا في أيام طعن في السنّ و كبر، أيام عبد الملك بن مروان و ما بعده. كما يظهر من رواية الوراق: كان جابر بن زيد رجل أهل البصرة، فلما ظهر الحسن جاء رجل كأنما كان في الآخرة «٢». و جابر بن زيد توفي سنة (٩٣ أو ١٠٣) كان الحسن عند مقتل عثمان لم يبلغ الحلم. قال ابن سعد: كان للحسن يومذاك أربع عشرة سنة. قال أبو رجاء: قلت للحسن: متى عهدك بالمدينة؟ قال:

ليالي صفيين. قلت: متى احتممت؟ قال: بعد صفيين عاما «٣». و قال ابن حبان: احتلم سنة (٣٧)، و أدرك بعد صفيين «٤». و عليه فكان يوم الجمل غلاما حوالى البلوغ ما بين (١٤-١٥) سنة، فضلا (١) شرح النهج، ج ٤، ص ٩٥-٩٦.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٤.

(٣) طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ١، ص ١١٤.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٧٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٨

عن كونه بالمدينة حينذاك و لم يخرج إلى العراق. و قد عرفت تصريح العلماء بذلك «١». و إليك من كلام ابن أبي الحديد في ذلك:

قال: فأما أصحابنا فإنهم يدفون ذلك عنه و ينكرونه، و يقولون: إنه كان من محبى عليّ بن أبي طالب عليه السلام و المعظمين له. و روى أبو عمرو ابن عبد البر في كتابه «الاستيعاب» أن إنسانا سأل الحسن عن علي عليه السلام، فقال: كان و الله سهما صائبا من مرامى الله على عدوّه، و ربانيّ هذه الأمة و ذا فضلها، و ذا سابقتها، و ذا قرابتها من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم لم يكن بالثؤمة عن أمر الله، و لا بالملومة في دين الله، و لا بالسروقة لمال الله. أعطى القرآن عزائمه ففاز منه برياض موقنة، ذلك عليّ بن أبي طالب، يا لكع! «٢» و روى الواقدي، قال: سئل الحسن عن علي عليه السلام، و كان يظنّ به الانحراف عنه، و لم يكن كما يظنّ، فقال: ما أقول

فيمن جمع الخصال الأربع: اثمناه على براءة، و ما قال له الرسول في غزاة تبوك: فلو كان غير النبوة شيء يفوته لاستنناه، و

قول النبيّ صلى الله عليه و آله و سلّم: «الثقلان كتاب الله و عترتي»

، و أنه لم يؤمر عليه أمير قط، و قد أمرت الأمراء على غيره.

و

روى أبان بن أبي عياش، قال: سألت الحسن البصرى عن علي عليه السلام، فقال:

ما أقول فيه! كانت له السابقة، و الفضل، و العلم، و الحكمة، و الفقه، و الرأى، و الصحبة، و النجدة، و البلاء، و الزهد، و القضاء، و

القربة. إن عليا كان في أمره عليا. رحم الله عليا، و صلى عليه. (١) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٢٦٦-٢٧٠.

(٢) اللّكع: الأحمق و اللّثيم.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٧٩

فقلت: يا أبا سعيد، أ تقول: «صلى عليه» لغير النبيّ! فقال: ترخم على المسلمين إذا ذكروا، و صلّى على النبيّ و آله، و عليّ خير آله.

فقلت: أ هو خير من حمزة و جعفر؟ قال: نعم. قلت: و خير من فاطمة و ابنيها؟

قال: نعم. و الله إنه خير آل محمد كلّهم. و من يشكّ أنه خير منهم، و قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم: «و أبوهما خير

منهما! و لم يجز عليه اسم شرك، و لا شرب خمر.

و قد قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ لفاطمة عليها السَّلام: «زَوَّجْتُكَ خَيْرَ أُمَّتِي!» فلو كان في أمته خير منه لاستثناه. و لقد آخى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بين أصحابه، فأخى بين عليّ و نفسه. فرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ خير الناس نفسا، و خيرهم أخوا.

فقلت: يا أبا سعيد، فما هذا الذي يقال عنك، أنك قلت في عليّ؟ فقال: يا ابن أخي، أحقن دمي من هؤلاء الجبابرة، و لو لا ذلك لشالت بي الخشب «١».

و ذكر أبو الفتح محمد بن علي الكراچكي (ت ٤٤٩) أن الحجاج بن يوسف كتب إلى الحسن البصرى و إلى واصل بن عطاء و عمرو بن عبيد و عامر الشعبي، أن يخبروه بقولهم في القضاء و القدر.

فكتب إليه الحسن: «ما أعرف فيه إلا ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام فإنه قال: يا ابن آدم أزعمت أن الذي نهاك دهاك، و إنما دهاك أسفلك و أعلاك. و ربك برىء من ذاك».

و كتب إليه واصل: «ما أعرف فيه إلا ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام فإنه قال: ما تحمد الله عليه فهو منه. و ما تستغفر الله عنه فهو منك».

و كتب إليه عمرو: «ما أعرف فيه إلا ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام فإنه قال: إن (١) شرح النهج، ج ٤، ص ٩٥-٩٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٠

كان الوزر في الأصل محتوما، لكان الموزور في القصاص مظلوما.

و كتب إليه الشعبي: «ما أعرف فيه إلا ما قاله عليّ بن أبي طالب عليه السَّلام: من وسع عليك الطريق، لم يأخذ عليك المضيق».

فلما قرأ الحجاج أجوبتهم، قال: قاتلهم الله، لقد أخذوها من عين صافية «١».

و قال الشريف المرتضى: و أحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل، الحسن بن أبي الحسن البصرى. كان يقول: من زعم أن المعاصى من الله - عزّ و جلّ - جاء يوم القيامة مسودّا وجهه، ثم قرأ: وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ «٢» - و ذكر عنه كثيرا من أقواله في ذلك - ثم قال: و روى أبو بكر الهذلي «٣» أن رجلا قال للحسن: إن الشيعة تزعم أنك تبغض عليا عليه السَّلام! فأكبّ يبكي طويلا، ثم رفع رأسه فقال: لقد فارقكم بالأمس رجل كان سهما من مرامي ربنا - عزّ و جلّ - على عدوّه، ربّانى هذه الأمة، ذو شرفها و فضلها، و ذو قرابه من النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ قريبه، لم يكن بالنومة عن أمر الله، و لا بالغافل عن حق الله، و لا بالسروقة من مال الله، أعطى القرآن عزائمه فيما له و عليه، فأشرف منها على رياض موقنة، و أعلام بينة. ذلك ابن أبي طالب، يا لكع! (١) كتر الفوائد (ط حجرية)، ص ١٧٠. و نقله الجزائرى في زهر الربيع، ج ٢، ص ٩٦-٩٧، باختلاف فى الترتيب مع نقص.

(٢) الرمز / ٦٠.

(٣) اسمه سلمى، و قيل: روح، ابن عبد الله بن سلمى البصرى. قال ابن حجر: هو ابن بنت حميد بن عبد الرحمن الحميرى. مات سنة (١٦٧) كان من علماء الناس بأيامهم. روى عن الحسن و ابن سيرين و الشعبى و عكرمة و قتادة. و روى عنه ابن جريج و وكيع و ابن عيينة و آخرون. (تهذيب التهذيب، ج ١٢، ص ٤٥)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨١

.. قال: و أتى عليّ بن الحسين عليهما السَّلام يوما الحسن البصرى، و هو يقصّ عند الحجر، فقال: أترضى يا حسن نفسك للموت؟ قال: لا، قال: فعملك للحساب؟

قال: لا، قال: فثمّ دار للعمل غير هذه الدار؟ قال: لا، قال: ففله في أرضه معاذ غير هذا البيت؟ قال: لا، قال: فلم تشغل الناس عن

التطواف؟ «١».

و رواه ابن خلكان بتبديل لفظ «يا حسن» ب «يا شيخ»، و عقبه: فما قصّ الحسن بعدها «٢».

و ذكر أبو محمد الحسن بن علي ابن شعبة الحزاني (من أعلام القرن الرابع) كتابا للحسن البصري، بعث به إلى الإمام السبط الأكبر الحسن بن علي عليه السلام يسأله عن رأيه في القدر و الاستطاعة، و في مفتتح الكتاب ما ينبئ عن ولاء صميم و عقيدة ثابتة كان يحملها لآل بيت الرسول صلى الله عليه و آله و سلم جاء فيه:

«أما بعد فإنكم - معشر بني هاشم - الفلك الجارية في اللجج الغامرة، و الأعلام التيرة الشاهرة، أو كسفينه نوح التي نزلها المؤمنون و نجا فيها المسلمون.

كتبت إليك يا ابن رسول الله عند اختلافنا في القدر، و حيرتنا في الاستطاعة.

فأخبرنا بالذي عليه رأيك و رأى آبائك عليهم السلام فإن من علم الله علمكم، و أنتم شهداء على الناس، و الله الشاهد عليكم، ذرية بعضها من بعض، و الله سميع عليم «٣». (١) أمالي المرتضى، ج ١، ص ١٥٣ و ١٦٢.

(٢) وفيات الأعيان، ج ٢، ص ٧٠.

(٣) تحف العقول (غفاري)، ص ٢٣١ و ذكر الكراجكي في كنز الفوائد، ص ١٧٠ مع اختلاف يسير.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٢

و

روى الصدوق بإسناده في أماليه عن أبي مسلم، قال: خرجت مع الحسن البصري و أنس بن مالك حتى أتينا باب أم سلمة. فقعد أنس على الباب و دخلت مع الحسن، فسمعت الحسن و هو يقول:

السلام عليك يا أمّاه و رحمة الله و بركاته! فقالت: و عليك السلام، من أنت يا بنّي؟

فقال الحسن: أنا الحسن البصري.

فقالت: فيما جئت يا حسن! فقال لها: جئت لتحديثي بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في علي بن أبي طالب عليه السلام.

فقالت أم سلمة: و الله لأحدثتك بحديث سمعته أذناي من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و رأته عيناي و إلّا فعميتا، و وعاء قلبي و إلّا فطبع الله عليه، و أخرس لساني إن لم يكن سمعت رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم يقول لعلي بن أبي طالب عليه السلام:

«يا علي، ما من عبد لقي الله يوم يلقاه جاحدا لولايتك إلا لقي الله بعبادة صنم أو وثن».

قال أبو مسلم: فسمعت الحسن البصري و هو يقول: الله أكبر، أشهد أنّ عليا مولاي و مولى المؤمنين.

فلما خرج قال له أنس بن مالك: ما لي أراك تكبر؟! قال: سألت أمنا أم سلمة أنّ تحدثني بحديث سمعته من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في علي، فقالت لي: كذا و كذا ...

فقلت: الله أكبر أشهد أنّ عليا مولاي و مولى كلّ مؤمن.

قال أبو مسلم: فسمعت عند ذاك أنس بن مالك و هو يقول: أشهد على رسول

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٣

الله صلى الله عليه و آله و سلم أنه قال هذه المقالة ثلاث مرات أو أربع مرات «١».

و أمّا القول بالقدر، - حسبما يفتره أهل العدل - «٢» فقد عرفت من السيد نسبه إليه، قال: «و أحد من تظاهر من المتقدمين بالقول بالعدل الحسن البصري؛ قال: كل شيء بقضاء الله و قدره إلّا المعاصي» «٣».

ولكن الأشاعرة- وهم جمهور أهل السنّة- لم يرقهم ذلك بشأن مثل الحسن البصرى الإمام المعترف به لدى الجميع، فجعلوا يتأولون كلامه فى ذلك أو يحملونه على رأيه القديم، وقد تاب منه ورجع إلى رأى الجماعة، كما زعموا.

قال أبو عبد الله الذهبى: و أما مسألة «القدر» فصَحَّ عنه الرجوع عنها، و أنها كانت زلقة لسان «٤». (١) بحار الأنوار، ج ٤٢، ص ١٤٢-١٤٣ رقم ٤ عن أمالى الصدوق مجلس ٤٧ (ط نجف)، ص ٣٨٩.

(٢) وهم المعتزلة و الإمامية من الشيعة. قالوا: كل شىء بقضاء الله و قدره، و حتى أفعال العباد الاختيارية، إنما تقع بإقداره تعالى، و إن كانت المعاصى إنما تقع منهيا عنها غير مرضية لديه تعالى، و إن المكلفين إنما يرتكبونها عن اختيارهم و عن إقداره تعالى، اختبارة لهم و تصحيحا للتكليف.

و هذا معنى قول الحسن: «كل شىء بقضاء الله و قدره إلّا المعاصى»، لأنّ الله لا يرضى لعباده الكفر، فكيف يجبرهم عليه؟! (و قد عرفت فيما نقلناه عن الكراجكى فى كتابه إلى الحجاج) فالمعصية إنما تقع لا عن رضى الله و كانت منهيا عنها البتة، غير أنّ الله تعالى أقدر العباد على فعلها اختبارة، و لولاه لم يصحّ التكليف و لا الذمّ و العقاب.

أما الأشاعرة فراقهم القول بأن «الخير و الشر» كليهما من الله، يقعان وفق إرادته تعالى، السابقة على إرادة العباد. و أنّ كل ذلك من فعل الله و ليس من فعل العبد فى شىء! (الملل و النحل للشهرستانى، ج ١، ص ٩١-الأشعرية-)

(٣) أمالى المرتضى، ج ١، ص ١٥٣.

(٤) ميزان الاعتدال، ج ١، ص ٤٨٣ عند ترجمة سمية البغدادى برقم ١٨٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٤

و روى ابن سعد عن حماد بن زيد عن أيوب، قال: نازلت الحسن فى القدر غير مرّة، حتى خوّفته السلطان، فقال: لا أعود فيه بعد اليوم. و عن أبى هلال، قال:

سمعت حميدا و أيوب يتكلمان، فسمعت حميدا يقول لأيوب: لوددت أنّه قسم علينا غرم، و أن الحسن لم يتكلم بالذى تكلم به، قال أيوب: يعنى فى القدر! «١».

قال عبد الكريم الشهرستانى: و رأيت رسالة نسبت إلى الحسن البصرى كتبها إلى عبد الملك بن مروان «٢» و قد سأله عن القول بالقدر و الجبر، فأجابها فيها بما يوافق مذهب القدرية. و استدلت فيها بآيات من الكتاب و دلائل من العقل. قال:

و لعلها لواصل بن عطاء، فما كان الحسن ممّن يخالف السلف فى أن القدر خير و شرّه من الله تعالى. فإن هذه الكلمات كالمجمع عليها عندهم. قال: و العجب أنه حمل هذا اللفظ (الخير و الشر كلّ من الله) الوارد فى الخبر، على البلاء و العافية، و الشدة و الرخاء، و المرض و الشفاء، و الموت و الحياة، إلى غير ذلك من أفعال الله تعالى، دون الخير و الشر، و الحسن و القبيح، الصادرين من اكتساب العباد، و كذلك أورده جماعة من المعتزلة فى المقالات عن أصحابهم «٣».

و للحسن البصرى آراء معروفة فى التفسير، و كانت روايته المشهورة عن طريق عمرو بن عبيد المعتزلى (توفى سنة ١٤٤)، و استخدمه الثعلبى فى كتابه (١) الطبقات، ج ٧، ق ١، ص ١٢٢.

(٢) ينسب له القاضى عبد الجبار رسالة فى العدل و التوحيد، أرسلها إلى عبد الملك بن مروان. (هامش الأصول الخمسة، ص ١٣٧) قال المحقق التستري: و الرسالة رأيتها فى مكتبة الطهرانى بكرىبلاء، و هى كما قال الشهرستانى رسالة حسنة مشتملة على أدلة متقنة.

(قاموس الرجال، ج ٣، ص ١٣٧)

(٣) الملل و النحل، ج ١، ص ٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٥

«الكشف و البيان». و توجد منه بقايا فى تاريخ الطبرى بهذه الرواية: «حدّثنا ابن حميد، قال: حدّثنا سلمة عن ابن إسحاق عن عمرو بن

عبید عن الحسن ...». قال شواخ: و يبدو أن الطبری كان يستخدم نقول ابن إسحاق، كما قال فؤاد سزکین. و توجد بقايا كثيرة من هذا الكتاب في كتب التفسير «١». و له أيضا «نزول القرآن» و كتاب «العدد في القرآن»، على ما ذكره الشيخ حسن خالد «٢».

١٠- علقمة بن قيس

أبو شبل أو أبو شبيل النخعي الكوفي، كناه بذلك عبد الله بن مسعود؛ إذ كان علقمة عقيما لا يولد له. ولد في حياة النبي صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم، روى عن علي عليه السَّلام و ابن مسعود- و كان خصيصا به- و حذيفة و أبي الدرداء و سلمان (رضي الله عنهم) و روى عنه ابن أخيه الأسود بن يزيد بن قيس، و ابن اخته إبراهيم بن يزيد النخعي، و إبراهيم بن سويد النخعي، و عامر الشعبي، و أبو وائل شقيق بن سلمة.

و شهد صفين مع علي عليه السَّلام، و قاتل حتى خضب سيفه دما، و عرجت رجله، و أصيب أخوه أبي بن قيس. و كان يقال له: أبي الصلاة، قيل له ذلك لكثرة صلواته.

قال نصر بن مزاحم: و قطعت رجل علقمة بن قيس الفقيه، فكان يقول: ما أحب؛ أن رجلى أصح ما كانت، لما أرجو بها من حسن الثواب من ربِّي. و لقد كنت أحب أن أبصر في نومى أخى و بعض إخوانى، فرأيت أخى فى النوم، فقلت له: يا أخى، ما ذا قدمتم عليه؟ فقال: التقينا نحن و القوم فاحتججنا عند الله عزَّ (١) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦١ رقم ٩٩٦.

(٢) معجم المفسرين، ج ١، ص ١٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٦

و جلَّ فحججناهم. فما سررت بشيء مذ عقلت، كسرورى بتلك الرؤيا «١».

قال الخطيب: و كان علقمة مقدما فى الفقه و الحديث، و ورد المدائن فى صحبة علي عليه السَّلام، و شهد معه حرب الخوارج بالنهروان. و عن الأعمش عن مسلم البطين، قال: رأى علقمة خاضبا سيفه يوم النهروان مع علي عليه السَّلام، كما شهد صفين أيضا مع علي عليه السَّلام «٢».

و غزا خراسان و أقام بخوارزم سنتين، و دخل مرو فأقام بها مدة. قال ابن سعد: كانت سنتين أيضا.

كان علقمة أعلم الناس بعبد الله بن مسعود، و كان أحد السنَّة من أصحاب عبد الله الذين يقرءون الناس و يعلمونهم السنَّة، و يصدر الناس عن رأيهم «٣».

و كان أشبه الناس بابن مسعود، هديا و سمتا و دلا. قال أبو المثني رباح: إذا رأيت علقمة فلا يضرك أن لا ترى عبد الله، أشبه الناس به سمتا و هديا. و إذا رأيت إبراهيم فلا يضرك أن لا ترى علقمة. و كان من الربانيين، على حدَّ تعبيرهم.

و كان ابن مسعود تعجبه قراءة علقمة، كان حسن الصوت. فكان يقول له:

زدنا فداك أبى و أمى، فإنى سمعت رسول الله صَلَّى اللهُ عليه و آله و سلم يقول: حسن الصوت زينة للقرآن. و كان يقول: رتل فداك أبى و أمى!

و كان عبد الله يقول: ما أقرأ شيئا و لا أعلمه إلَّا علقمة يقرؤه و يعلمه. قال الشعبي: إن كان أهل بيت خلقوا للجنة (١) وقعوا صفين لنصر بن مزاحم، ص ٢٨٧.

(٢) تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٩٧.

(٣) و هم: علقمة بن قيس، و الأسود بن يزيد، و مسروق بن الأجدع، و عبيدة بن قيس بن عمرو السلماني، و عمرو بن شرحبيل، و

الحارث بن قيس الجعفي، قتل مع عليّ (ع) (تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٩٩)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٧

فهم أهل هذا البيت علقمة و الأسود.

كان علقمة قوي الحافظة، قال: ما حفظت و أنا شاب فكأنما أقرأه في ورقة.

و كان يتحاشا فضول الأمراء و السلاطين. كان يقول: لا أصيب من دنياهم شيئا إلّا أصابوا من ديني أفضل منه.

أخرج ابن سعد بإسناده إلى إبراهيم النخعي: أن أبا بردة (ابن أبي موسى الأشعري) كتب علقمة في الوفد إلى معاوية. فكتب إليه علقمة: امحني، امحني.

و لمّا جمعت لابن زياد البصرة و الكوفة، سأل أبا وائل أن يصحبه، قال فأتيت علقمة، فقال لي: اعلم أنك لا تصيب منهم شيئا إلّا أصابوا منك أفضل منه.

كان يقول: تذاكروا العلم، فإن حياته ذكره. و كان ثقة كثير الحديث، مجمعا على وثاقته.

و من حسن معاشرته مع أهله أنه كان يقول لامرأته: اطعمينا من ذلك الهنيء المرء، إشارة إلى قوله تعالى: فَإِنْ طِبَّنْ لَكُمْ عَنْ شَيْءٍ مِنْهُ نَفْسًا فَكُلُوهُ هَنِينًا مَرِيئًا «١».

توفى بالكوفة سنة (٦٢) في ولاية عبيد الله بن زياد في خلافة يزيد «٢».

و عدّه الشيخ في رجاله من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام «٣» قال الكشي: (١) النساء / ٤.

(٢) الطبقات، ج ٦، ص ٥٧-٦٢. و تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٢٧٧-٢٧٨. و تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٩٦-٣٠٠.

(٣) رجال الطوسي، ص ٥٠ رقم ٧٢ و ص ٥٣ رقم ١١٥ و فيه: قتل بصفين و أخوه أبي بن قيس.

و هكذا نقل عنه ابن داود (ص ١٣٤ رقم ١٠٠٧) و زاد: هو و أخوه. و هكذا العلامة في الخلاصة

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٨

و كان علقمة فقيها في دينه، قارئا لكتاب الله، عالما بالفرائض. شهد صفين و أصيبت إحدى رجله فخرج منها. و كان الحارث أخوه أيضا فقيها جليلا، و كان أعور. و أما أخوه الآخر أبي بن قيس فقتل يوم صفين «١».

كان علقمة بن قيس من الثقات العشرة الذين خصّوا بالإمام أمير المؤمنين عليه السلام،

فقد روى ثقة الإسلام الكليني في كتاب الرسائل عن علي بن إبراهيم القمي بإسناده، قال: كتب أمير المؤمنين عليه السلام كتابا بعد منصرفه من النهروان، أعرب فيه عن موضعه في إمرة المؤمنين. و أشهد عليه ثقافته من أصحابه المقربين، و أمر كاتبه عبيد الله بن أبي رافع أن يقرأه على ملا من الناس.

قال: فدعا كاتبه عبيد الله بن أبي رافع- و كان أبو رافع كاتب رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم- فقال له: أدخل علي عشرة من ثقاتي، فقال: سمّم لي يا أمير المؤمنين، فقال: أدخل: أصبغ بن نباتة، و أبا الطفيل عامر بن وائلة الكناني، و زر بن حبيش الأسدي، و جويرية بن مسهر العبدى، و خندف بن زهير الأسدي، و حارثة بن مضرب الهمداني، و الحارث بن عبد الله الأعور الهمداني، (و مصباح النخعي «٢») و علقمة بن قيس، و كميل بن زياد، و عمير بن زرارة، فدخلوا عليه (ص ١٢٩ رقم ٥) قلت: و الظاهر زيادة الواو في نسخة الشيخ زيادة من نساخ الكتاب. لأن علقمة أصيب برجله في صفين و لم يقتل. و توفى سنة (٦٢ أو ٧٢) و المقتول أخوه أبي بن قيس. فالصحيح في العبارة:

«قتل بصفين أخوه أبي بن قيس» و الله العاصم.

(١) رجال الكشي، ص ٩٣ رقم ٣٦ و ٣٧ و ٣٨.

(٢) زيادة في طبعه النجف. ليست في نسخة صاحب الوسائل، و هي الصحيحة، لأنه زيادة على العشرة. و لم يعهد من أصحابه عليه السلام من يحمل هذا الاسم، لكن في عبارة المامقاني ما يدل على أنه

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٨٩

الخ «١».

و عدّه الفضل بن شاذان من التابعين الكبار و من رؤسائهم و زهادهم. روى الكشّى عنه قال: و من التابعين الكبار و رؤسائهم و زهادهم: جندب بن زهير، و عبد الله بن بديله، و حجر بن عدى، و سليمان بن صرد، و المسيّب بن نجية، و علقمة، و الأشتر، و سعيد بن قيس، و أشباههم كثير. أفناهم الحرب، ثم كثروا بعد ذلك حتى قتلوا مع الحسين عليه السلام، و بعده «٢».

١١- محمد بن كعب القرظي «٣»

أبو حمزة، و قيل: أبو عبد الله، المدني. سكن الكوفة ثم المدينة. و قال في الخلاصة: المدني ثم الكوفي أحد العلماء. قال ابن عون: ما رأيت أحدا أعلم بتأويل القرآن من القرظي «٤». و

قال ابن سعد- في ترجمه أبي بردة-: روى عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم قال: سيخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد بعده

. قال ربيعة: فكنا نقول: هو محمد بن كعب القرظي، و الكاهنان قريظة و النضير «٥». و وصف لعلقمة هكذا: و مصباح النخع علقمة بن قيس، و هو من أجمل الأوصاف و وصفه به الإمام أمير المؤمنين عليه السلام على ذلك الفرض. راجع: تنقيح المقال، ج ٢، ص ٢٥٩ رقم ٨٠٧١.

(١) كشف المحجّة للسيد رضى الدين أبي القاسم ابن طاوس، ص ١٧٣ (ط نجف) و رواه صاحب الوسائل (ج ٢٠، ص ٨٩) فى الفائدة السابعة من الخاتمة.

(٢) رجال الكشّى، ص ٦٥ رقم ١٩.

(٣) كان أبوه من سبى قريظة ممن لم يحتلم و لم ينبت فخلّوا سبيله. تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٤٢٢ نقلا عن البخارى.

(٤) خلاصة تهذيب التهذيب، ص ٣٥٧.

(٥) طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ٢، ص ١٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٠

قال ابن حجر: روى عن علي بن أبي طالب عليه السلام، و عبد الله بن مسعود، و أبي ذر، و أبي الدرداء، و زيد بن أرقم، و عبد الله بن عباس، و عبد الله بن جعفر ابن أبي طالب، و البراء بن عازب، و جابر بن عبد الله، و أنس و غيرهم. و عن ابن سعد: كان ثقة عالما كثير الحديث ورعا. و قال العجلي: مدني تابعي ثقة، رجل صالح، عالم بالقرآن. و قال ابن حبان: كان من أفاضل أهل المدينة، علما فقهها.

توفى سنة (١٠٨) و هو ابن (٧٨) قيل: مات فى حادث سقوط سقف المسجد، فمات هو و جماعة معه تحت الهدم «١».

ملحوظة: قال الترمذى: سمعت قتيبة يقول: بلغنى أنّ محمد بن كعب ولد فى حياة النبي صلى الله عليه و آله و سلم. قال ابن حجر: و هذا لا حقيقة له، إنما الذى ولد فى عهده هو أبوه. أما هو فقد ولد فى آخر خلافة على عليه السلام سنة (٤٠) «٢».

قلت: روايته عن على و ابن مسعود و أبي ذر و أمثالهم تدل على سبق ولادته سنة (٤٠) بكثير، و لا سيما مع التصريح بأنه مات سنة (١٠٨) و هو ابن (٧٨) فيبدو أنّ ولادته كانت فى خلافة عمر سنة (٢٠) و أيضا روى ابن شهر آشوب بإسناده إلى محمد بن منصور السرخسى عن محمد بن كعب القرظي، أنه رأى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فى المنام، و أعطاه (١٨) تمرة، فتأول أنه يعيش (١٨) سنة. فنسى ذلك، حتى رأى يوما ازدحام الناس على الإمام على بن موسى الرضا عليه السلام و هو فى طريقه إلى خراسان، و بين يديه طبق تمر، فناوله الإمام (١٨) تمرة. فسأله الزيادة، فقال: لو زادك جدّى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم (١) تهذيب

التهذيب، ج ٩، ص ٤٢٠-٤٢٢ رقم ٤٨٩.

(٢) المصدر نفسه، ص ٤٢١-٤٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩١

لزدناك. انتهى ملخصاً «١».

قلت: و لعل هذه القصة منسوبة إلى ابنه حمزة أو عبد الله أو أحد أحفاده؛ لأن سفره الإمام إلى خراسان كانت في سنة (٢٠٠) «٢».

نعم روى الصدوق رحمه الله هذه الرواية ناسبا لها إلى أبي حبيب النجاشي «٣».

١٢- أبو عبد الرحمن السلمى

هو عبد الله بن حبيب الكوفى. كان من أصحاب ابن مسعود، و شهد مع عليّ عليه السلام صفين. كان ثقة كثير الحديث. قال ابن عبد

البر: هو عند جميعهم ثقة، و كان قارئا و معلما للقرآن «٤». و كان عاصم قد أخذ عنه القراءة عن عليّ عليه السلام.

و أخرج ابن عساكر بإسناده إلى أبي بكر بن عياش عن عاصم بن أبي النجود عن أبي عبد الرحمن السلمى قال: «ما رأيت أحدا أقرأ

لكتاب الله من عليّ بن أبي طالب عليه السلام «٥».

و قد ذكرنا حديثه عن تعلم الصحابة لتفسير القرآن عن النبي صلى الله عليه و آله و سلم «٦». توفي سنة (٧٢)

١٣- مسروق بن الأجدع

أبو عائشة الهمداني الوداعى الكوفى، الفقيه العابد. أخذ العلم عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام و لم يتخلف عن حروبه. و هكذا

روى عن ابن مسعود، و كان خصيصا (١) مناقب آل أبي طالب، ج ٤، ص ٣٤٢. و البحار، ج ٤٩، ص ١١٨-١١٩ رقم ٥ (ط بيروت)

(٢) تتمه المنتهى، ص ٢٩٤.

(٣) البحار، ج ٤٩، ص ٣٥ رقم ١٥. و عيون أخبار الرضا، ج ٢، ص ٢١٠-٢١١ (ط نجف)

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ١٨٣ رقم ٣١٧.

(٥) جامع الأخبار و الآثار للأبطحى، ج ١، ص ٢٧٢.

(٦) راجع: الطبرى- التفسير، ج ١، ص ٢٧ و ٢٨ و ٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٢

بالتلمذة لديه. و روى عن معاذ بن جبل، و الخباب بن الأرت، و أبي بن كعب. كان أبوه الأجدع بن مالك أفرس فارس باليمن، و كان

عمرو بن معديكرب خاله.

قال الشعبى: ما رأيت أطلب للعلم منه. و كان أعلم بالفتوى من شريح، و من ثم كان شريح يستشيره إذا أعوزه الرأى.

قال عليّ بن المدينى: ما أقدم على مسروق من أصحاب عبد الله بن مسعود أحدا. و كان من أصحابه الذين يعلمون الناس السنة. كان

مقرئا و مفتيا معا. قال ابن حجر: مناقبه كثيرة، «١» مات سنة (٦٣) و كان على غزارة من العلم، حريصا على الأخذ من كبار العلماء من

صحابه الرسول صلى الله عليه و آله و سلم. و قد تقدم حديث اجتماعه مع أصحاب محمد صلى الله عليه و آله و سلم فوجدهم

كالإخاذ، يروى الواحد الرجل، و يروى الرجلين، و العشرة، و المائة. و الإخاذ لو نزل به أهل الأرض لأصدرهم «٢»، يعنى عليا عليه

السلام.

و اتهم بالانحراف عن الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و لابن أبي الحديد بشأنه و شأن الأسود بن يزيد الآتى، و كذا مرّة الهمداني و

الشعبى كلام نقله بتفصيله:

قال: ذكر شيخنا أبو جعفر الإسكافي رحمه الله و وجدته أيضا في كتاب «الغارات» لإبراهيم بن هلال الثقفي: و قد كان بالكوفة من فقهاها من يعادى عليا عليه السلام و يبغضه، مع غلبة التشيع على الكوفة.

فمنهم مرّة الهمداني. روى أبو نعيم الفضل بن دكين عن فطر بن خليفة، قال:

سمعت مرّة يقول: لأن يكون عليّ جملا يستقى عليه أهله خير له مما كان عليه! (١) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ١٠٩-١١١.

(٢) مرّ ذلك في صدر الكلام عن تفاوت الصحابة في العلم.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٣

و عن عمرو بن مرّة، قال: قيل لمرّة: كيف تخلّفت عن عليّ؟ قال: سبقنا بحسناته، و ابتلينا بسبائته.

و روى ابن دكين عن الحسن بن صالح، قال: لم يصلّ أبو صادق «١» على مرّة الهمداني. و قال- في أيام حياته:- و الله لا يظنني و إياه سقف بيت أبدا. قال: و لما مات لم يحضره عمرو بن شرحبيل «٢»، قال: لا أحضره لشيء كان في قلبه على عليّ بن أبي طالب. قال إبراهيم بن هلال: فحدّثنا المسعودي عن عبد الله بن نمير بهذا الحديث. قال: ثم كان عبد الله بن نمير «٣» يقول: و كذلك أنا، و الله لو مات رجل في نفسه شيء على عليّ عليه السلام لم أحضره، و لم أصل عليه.

قال: و منهم الأسود بن يزيد، و مسروق بن الأجدع. روى سلمة بن كهيل:

أنهما كانا يمشيان إلى بعض أزواج النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فيقعان في عليّ عليه السلام. فأما الأسود فمات على ذلك. و أما مسروق فلم يمت حتى كان لا يصلّي لله تعالى صلاة إلا صلّى بعدها على عليّ بن أبي طالب عليه السلام، لحديث سمعه من عائشة في فضله «٤». (١) ذكر الشيخ فيمن عرف بكنيته من أصحاب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام أبا صادق. و هو ابن عاصم ابن كليب الجرمي، عربي كوفي (رجال الطوسي، ص ٦٣ رقم ١٢) و قال ابن حجر: أزدي كوفي، اسمه مسلم أو عبد الله. ذكره ابن حبان في الثقات و كان ورعا مستقيما الحديث. (تهذيب التهذيب، ج ١٢، ص ١٣٠)

(٢) أبو ميسرة الهمداني الكوفي صاحب ابن مسعود، العابد الزاهد الثقة الجليل مات سنة ٦٣. (تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٤٧)

(٣) أبو هاشم الهمداني الكوفي. قال ابن سعد: كان ثقة. كثير الحديث صدوق. مات سنة ١٩٩ (تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٥٧-٥٨)

(٤)

في مسند أحمد بن حنبل بإسناده عن مسروق قال: قالت لي عائشة: إنك من ولدي و من أحبهم التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٤

عن ليث بن أبي سليم، قال: كان مسروق يقول: كان عليّ كحاطب ليل. قال:

فلم يمت مسروق حتى رجع عن رأيه هذا.

و روى سلمة بن كهيل، قال: دخلت أنا و زييد اليمامي على امرأة مسروق بعد موته، فحدّثتنا، قالت: كان مسروق و الأسود بن يزيد يفرطان في سبّ عليّ بن أبي طالب، ثم ما مات مسروق حتى سمعته يصلّي عليه. و أمّا الأسود فمضى لشأنه.

قال: فسألناها: لم ذلك؟ قالت: شيء سمعه من عائشة، ترويه عن النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم فيمن أصاب الخوارج.

و عن أبي إسحاق، قال: ثلاثة لا يؤمنون على عليّ بن أبي طالب عليه السلام:

مسروق، و مرّة، و شريح، و روى أنّ الشعبي رابعهم.

و عن الشعبي: أن مسروقا ندم على إبطائه عن عليّ بن أبي طالب عليه السلام «١».

و روى الكشي عن أبي الحسن عليّ بن محمد بن قتيبة صاحب الفضل بن إليّ، فهل عندك علم من المخدج؟ (هو ذو الخويصرة ذو الثدية رأس الخوارج) فقلت: نعم، قتله عليّ ابن أبي طالب، على نهر يقال لأعلاه: تأمرا و لأسفله النهروان، بين لخاقيق و طرفاء. قالت: ابغني على ذلك بينه، فأقمت رجلا شهدوا عندها بذلك، قال: فقلت لها: سألتك بصاحب القبر، ما الذي سمعت من رسول الله صلّى

اللّه عليه وآله و سلم فيهم؟ فقالت: نعم سمعته يقول: «إنهم شر الخلق و الخليفة، يقتلهم خير الخلق و الخليفة، و أقربهم عند الله وسيلة». (شرح النهج لابن أبي الحديد، ج ٢، ص ٢٦٧)، و

في كتاب صفين للمدائني، عن مسروق، أن عائشة قالت له - لما عرفت أن عليا عليه السلام قتل ذا النديّة -: لعن الله عمرو بن العاص، فإنه كتب إلي يخبرني أنه قتله بالإسكندرية، ألا إنه ليس يمنعني ما في نفسي أن أقول ما سمعته من رسول الله صلى الله عليه وآله و سلم يقول: «يقتله خير أمتي من بعدى». (شرح النهج، ج ٢، ص ٢٦٨) (١) شرح النهج، ج ٤، ص ٩٦ - ٩٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٥

شاذان، و تلميذه و راوية كتبه، قال: سئل أبو محمد الفضل بن شاذان عن الزهاد الثمانية، فعدهم منهم أربعة كانوا مع عليّ عليه السلام زهادا أتقياء، و هم: الربيع بن خثيم، و هرم بن حيان، و أويس القرني، و عامر بن عبد قيس. و الأربعة الباقون لم يكونوا على تلك الصفة، أحدهم مسروق بن الأجدع، قال: و كان عشّارا لمعاوية. و مات في عمله ذلك، بموضع أسفل من واسط على دجلة، يقال له: الرصافة، و قبره هناك «١».

و روى الطبري الإمامي - في المسترشد -: أن مسروقا و مرّة الهمداني رغبا عن الخروج مع عليّ عليه السلام و أخذوا أعطياتهما منه، و خرجا إلى قزوين. و كان مسروق يلي الخيل لعبيد الله بن زياد. و مات عاشرا، و أوصى أن يدفن مع مقابر اليهود. و كان يعلّل ذلك بأنه سوف يخرج من قبره و ليس من يؤمن بالله و رسوله سواه. قال: و كان من المحرضين لنصرة عثمان، و يقول لأهل الكوفة: انهضوا إلى خليفتمكم و عصمة أمركم «٢».

و روى الثعلبي - في تفسيره - أنه وقف - في صفين - بين الصّفين، و تلا قوله تعالى: «وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا» «٣». هذا كل ما ذكر بشأن الرجل و القدر فيه، و لننظر مدى صحته:

أما مسألة إبطائه عن عليّ - على ما روى عن الشعبي «٤» - أو تخلفه عن (١) رجال الكشي ذيل ترجمة عوف العقيلي، رقم ٣٤، ص ٩٠ - ٩١ (ط نجف)

(٢) قاموس الرجال، ج ٨، ص ٤٧٥ - ٤٧٦.

(٣) النساء / ٢٩. قاموس، ج ٨، ص ٤٧٦.

(٤) أخرج عنه ابن سعد في الطبقات (ج ٦، ص ٥١) قال: و لم يكن شهد معه شيئا من مشاهدته!

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٦

صفين «١» - على ما ذكره الطبري الإمامي - فتتنافى مع نص أصحاب التراجم و غيرهم، على أنه شهد مشاهدته كلّها؛ قال ابن حجر العسقلاني: قال وكيع «٢» و غيره: «لم يتخلف مسروق عن حروب عليّ عليه السلام» «٣».

و أخرج ابن سعد بإسناده عن محمد بن المنتشر عن مسروق بن الأجدع، قال: كان فسطاطي أيام الحكمين إلى جنب فسطاط أبي موسى الأشعري، فأصبح الناس ذات يوم قد لحقوا بمعاوية من الليل. فلما أصبح أبو موسى رفع رفر فسطاطه، فقال: يا مسروق، إن الإمرة ما أوتمر فيها، و أن الملك ما غلب عليه بالسيف «٤».

قال الخطيب: و كان مسروق مّمّن حضر مع عليّ عليه السلام حرب الخوارج بالنهر و ان.

أخرج بإسناده عن ابن أبي ليلى، قال: شهد مسروق النهر مع عليّ، (١) جاء في كامل ابن الأثير، ج ٣، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ (ط دار صادر بيروت): أن عليا عليه السلام لما عسكر بالنخيلة، تخلف عنه نفر من أهل الكوفة، منهم: مرّة الهمداني و مسروق، و أخذوا أعطياتهما و قصدا قزوين. فأما مسروق فإنه كان يستغفر الله من تخلفه عن عليّ بصّفين.

(٢) هو: وكيع بن الجراح بن مليح الرواسي الكوفي. كان حافظا ثقة مأمونا و عابدا ناسكا صدوقا، و كان جهبذا من العلماء الأعلام، ما رؤى أخشع منه و لا أرغب منه عن الدنيا. و قد أجمع على صدقه و أمانته و وثاقته الأئمة من أصحاب الحديث، و كان معروفا بالتشيع

لآل بيت الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قال ابن معين: رأيت عند مروان بن معاوية لوحا مكتوبا فيه أسماء الشيوخ و نعتهم، و كان فيه: «و كيع رافضى». و قال محمد بن مروان: ما وصف لى أحد إلّا رأيتَه دون الصفة إلّا وكيع، فإنى رأيتَه فوق ما وصف لى. ولد سنة (١٢٨)، و توفى سنة (١٩٦) مات يوم عاشوراء فى طريقه راجعا من حج بيت الله الحرام. (تهذيب التهذيب، ج ١١، ص ١٢٥-١٣٠)

(٣) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ١١١.

(٤) الطبقات، ج ٤، ق ١، ص ٨٤. عند ترجمة أبى موسى (ط ليدن)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٧

فلما قتلهم قام على و فى يده قدوم ف ضرب بابا، و قال: صدق الله و رسوله «١».

قلت: هذا الذى روى عن الشعبى، لعله كسائر ما روى عنه أنه لم يشهد الجمل من الصحابة سوى على و عمار و طلحة و الزبير. قالوا- إن صحت الرواية:- فهذا من أفحش كذبه «٢»، و الظاهر أنه مكذوب عليه؛ لأنه هو القائل عن تناقل أهل المدينة للخروج مع على عليه السلام فى واقعة الجمل: ما نهض فى تلك الفتنة إلّا ستة بدريون، منهم: أبو الهيثم ابن التيهان، و خزيمه بن الثابت ذو الشهادتين و غيرهما «٣».

و أما ما ذكره من أنه وقف بين الصيقتين فى صفين، و جعل يثبط الناس عن أمير المؤمنين عليه السلام و تلا قوله تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ إِلا أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ. وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا «٤»، ففيه مواضع من الخلط و الاشتباه:

أولاً:- إن هذا متناف مع قولهم: إنه تخلف عن حرب صفين، فى نفر من أهل الكوفة، و خرج إلى قزوين يرافقه مرّة الهمداني «٥». و الأرجح- إن صح الخبر- أنه مسروق العكى، كانت له رؤية، و كان مع معاوية يحرضه على عدم الطاعة لعلى عليه السلام «٦». (١) تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٣٢. القدوم: آلة للنحت و النجر.

(٢) قاموس الرجال، ج ٥، ص ١٩٠.

(٣) الكامل فى التاريخ، ج ٣، ص ٢٢١.

(٤) النساء/ ٢٩.

(٥) قاموس الرجال، ج ٨، ص ٤٧٥-٤٧٦. و كامل ابن الأثير، ج ٣، ص ٢٧٨-٢٧٩.

(٦) ذكره ابن حجر فى الإصابة، ج ٣، ص ٤٠٨، رقم ٧٩٣٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٨

و ثانيا: هذا من كلام أبى موسى الأشعري لأهل الكوفة، كان يثبطهم عن النهوض مع الإمام أمير المؤمنين عليه السلام عند ما أتاهم رسل الإمام لينهضوا بهم إلى حرب الجمل. و قد ذكره الطبرى فى حوادث سنة (٣٦) فكان فيما قال: أيها الناس، إنها فتنة صماء، النائم فيها خير من اليقظان، و القاعد فيها خير من القائم.

فأغمدوا السيوف، و انصلوا الأستة. و قد جعلنا الله إخوانا، و حرّم علينا دماءنا و أموالنا، و قال تعالى: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ ..

وَ لا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. و قال: وَ مَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ «١».

و ثالثا: إن هذا الموضوع عن لسانه، قد حصل فيه خلط غريب، بموجب أن الكذوب تخونه ذاكرته! فقد أخرج ابن سعد عن الشعبى- و كان يزعم أنه لم يخرج فى شىء من حروب على عليه السلام- قال: كان مسروق إذا قيل له: أبطأت عن على و عن مشاهدته؟

و لم يكن شهد معه شيئا من مشاهدته، فأراد أن يناصهم الحديث، قال: أذكركم بالله، أ رأيتم لو أنه حين صف بعضكم لبعض، و أخذ

بعضكم على بعض السلاح، يقتل بعضكم بعضاً، فتح باب من السماء، و أنتم تنظرون، ثم نزل منه ملاك حتى إذا كان بين الصّفيين، قال: يا أيّها الذين آمنوا لا- تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارةً عن تراضٍ منكم و لا تقتلوا أنفسكم إنّ الله كان بكم رحيماً أ كان ذلك حازماً بعضكم عن بعض؟ قالوا: نعم، قال: فو الله لقد فتح لها باباً من السماء، و لقد نزل بها ملك كريم على لسان نبيكم صلى الله عليه و آله و سلم و أنها لمحكمة في المصاحف، (١) الطبري- التاريخ- (ط دار المعارف مصر)، ج ٤، ص ٤٨٢-٤٨٣. و الآيات من سورة النساء (رقم ٢٩ و ٩٣)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٣٩٩

ما نسخها شيء.

هكذا روى ابن سعد روايتين بهذا اللفظ، أسندهما إلى الشعبي.

ثم أخرج عن عاصم رواية مرسله، قال: و ذكر أن مسروقاً بنفسه أتى صفيين فوقف بين الصّفيين ثم قال: يا أيّها الناس، أ رأيتم لو أن الخ ثم انساب بين الناس فذهب! و لعل ذاكر الخبر- و هو مجهول الهوية- اشتبه عليه لفظه «حتى إذا كان بين الصّفيين ..» في الخبر المزعوم، فزعم أن الضمير يعود إلى مسروق، في حين أنه عائد إلى الملك، حسب المزعومة! «١» و يحتمل أن مسروقاً هذا هو العكّي صاحب معاوية. كان من وجوه أهل الشام و كانت له صحبة. كان يحرض معاوية على الخروج من الطاعة و القيام بطلب دم عثمان، فكان شديداً على الإمام أمير المؤمنين عليه السلام في تلك المواقف. ذكره ابن حجر في الإصابة «٢».

و أما القول بأنه كان عشّاراً لمعاوية «٣»، و أن زيادا استعمله على السلسلة، و مات بها سنة ٦٢ (أو ٦٣) «٤»، و كان مسروق متذمراً من عمله ذلك، و كان يقول:

لم يدعني ثلاثة: زياد، و شريح، و الشيطان، اكتفوني و لم يزالوا يزينونه لي حتى أوقعوني فيه. و كان يقول: ما عملت عملاً قط أخوف عليّ من أن يدخلني النار من (١) راجع: طبقات ابن سعد، ج ٦ (ط ليدن)، ص ٥١-٥٢.

(٢) الإصابة، ج ٣، ص ٤٠٨، رقم ٧٩٣٤.

(٣) الكشي، ص ٩٠-٩١ رقم ٣٤. و قاموس الرجال، ج ٨، ص ٤٧٦.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ١١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٠

عملي هذا. و كان بها حتى مات. قال ابن سعد: و مات بالسلسلة بواسطة، و قبره هناك يزار «١». و أخرج عن أمّ قيس، قالت: مررت على مسروق بالسلسلة، و معي ستون ثورا تحمل الجبنّ و الجوز، فسألها مسروق، قال: ما أنت؟ قالت: مكاتبه. قال: خلوا سبيلها فليس في مال المكاتب زكاة «٢».

و روى الكشي عن الفضل بن شاذان: أن مسروقاً كان عشّاراً لمعاوية، و مات في عمله ذلك بموضع أسفل من واسط على دجلة يقال له: الرصافة، و قبره هناك «٣».

فهذا كله مما لا نستطيع الموافقة عليه، حيث مخالفته مع واقع التاريخ:

أولاً: إذا كانت الستتان اللتان استعمله زياد فيهما على السلسلة، هما الأخيرتان من حياة مسروق؛ إذ قد توفّي في عمله ذلك، فهذا يعني بعد عام الستين، الأمر الذي لا ينسجم مع كون هلاك زياد في سنة (٥٣) المتفق عليه عند أرباب التاريخ «٤».

فعلّ مسروقاً هذا غير ابن الأجدع المتوفّي سنة (٦٣) إما ابن وائل الحضرمي «٥»، أو العكّي «٦»، أو غيرهما. (١) الطبقات، ج ٦، ص ٥٥-٥٦ (ط ليدن)

(٢) المصدر نفسه، ج ٨، ص ٣٦٤ (ط ليدن)

(٣) رجال الكشي، ص ٩١.

(٤) الكامل في التاريخ، ج ٣، ص ٤٩٣ حوادث سنة ٥٣ (ط دار صادر)

(٥) وقد كان في أوائل الخيل لعبيد الله بن زياد في واقعة الطفّ. و سذكروه.

(٦) ذكره ابن حجر في الإصابة (ج ٣، ص ٤٠٨ رقم ٧٩٣٤) و كان من وجوه أهل الشام عند معاوية، و قد أتاه رسل الإمام أمير المؤمنين عليه السلام بالطاعة، فكان مسروق العكّي ممن هدّد معاوية لو أجاب، و جعل يحرضه على التمردّ و الطلب بدم عثمان! التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠١

ثانيا: إنّ سلسل، طسوج «١» من ثمانية طساسيج كورة شاذقباد، و تسمى كورة دجلة. قال ياقوت: كورة بشرقي بغداد، و تشتمل على ثمانية طساسيج: رستقباد، و مهروذ، و سلسل، و جلولاء، و البنديجين، و براز الروز، و الدسكرة، و الرستاقين. قال: و يضاف إلى كل واحدة من هذه لفظه «طسوج» أي ناحية كذا «٢».

و عليه فمن البعيد جدا أن يستعمل مثل مسروق بن الأجدع- العالم الكبير و الراوي القدير- لمثل تلك المنطقة الصغيرة البعيدة عن مراكز العلم و الثقافة، و لا- سيّما إذا كان العمل مثل عمل العشارين! الأمر الذي لا نكاد نصدقه بشأن مثل ابن الأجدع الإمام القدوة الذي هو أحد الأعلام. و من ثم رجحنا أن يكون العامل غير هذا.

و ثالثا: ذكر الخطيب البغدادي: أن مسروق بن الأجدع بن مالك الهمداني ثم الوادعي، و يكتنى أبا عائشة، توفي سنة (٦٣) بالكوفة، و كان له (٦٣) سنة «٣».

غير أن ابن الأثير قال: و توفي بمصر مسروق بن الأجدع سنة (٦٢ أو ٦٣) «٤».

كما ذكر ابن حجر أنه توفي بسلسل «٥». فهناك ثلاثة أقوال في موضع قبره، و الصحيح هو القول الأول، بدليل الاعتبار. أما الذي توفي بمصر فلعله العكّي صاحب معاوية. أما العامل بسلسلة العشار فيحتمل كونه ابن وائل، و الله العالم. (١) بفتح الطاء و تشديد السين المضمومة، بمعنى الناحية. قال الفيروزآبادي: بلدة بشاطئ دجلة.

(٢) معجم البلدان، ج ٣، ص ٣٠٤-٣٠٥. و قال في ص ٢٣٦: سلسل نهر في سواد العراق، يضاف إلى طسوج من محافظة شاذقباد من الجانب الشرقي.

(٣) تاريخ بغداد، ج ١٣، ص ٢٣٥.

(٤) الكامل في التاريخ، ج ٤، ص ١١٠.

(٥) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ١١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٢

و أما أنه كان على الخيل لعبيد الله بن زياد- على ما جاء في المسترشد «١»- فلعله من الوهن بمكان؛ لأنّ ذاك هو مسروق بن وائل الحضرمي من أجناد الكوفة، الذين خرجوا لقتال الحسين بن عليّ عليهما السلام في واقعة الطفّ ب كربلاء. قال أبو مخنف عن عطاء بن السائب عن عبد الجبار بن وائل الحضرمي عن أخيه مسروق بن وائل، قال: كنت في أوائل الخيل ممن سار إلى الحسين، فقلت: أكون في أوائلها لعلّي أصيب رأس الحسين، فأصيب به منزلة عند عبيد الله بن زياد ... «٢». و كان قد أدرك حياة النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم، و قدم عليه في وفد حضر موت «٣».

أمّا دفاعه عن عثمان فلعله كان لمحض الحفاظ على الوحدة دون تفرقة الكلمة، و ليس عن عقيدة بشأنه في نفسه، و من ثم ذكروا أنه روى عن أبي بكر و عمر و عليّ و ابن مسعود و أبي بن كعب، و لم يرو عن عثمان شيئا «٤».

و كذا احترامه لعائشة كان لموضع حرمتها من النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم محضاً، و قد كان من المعترضين عليها في اضطراب موقفها بشأن عثمان. أخرج ابن سعد عن الأعمش عن خيثمة عن مسروق عن عائشة، قالت حين قتل عثمان: تركتموه كالثوب النقيّ من الدنس، ثم قرّبتموه تذبحونه كما يذبح الكبش، هلّا كان هذا قبل هذا؟ فقال لها مسروق: هذا عملك، أنت كتبت إلى الناس تأمرينهم

بالخروج إليه، (١) قاموس الرجال، ج ٨، ص ٤٧٥.
 (٢) تاريخ الطبري، ج ٥، ص ٤٣١ (ط دار المعارف)
 (٣) الإصابة، ج ٣، ص ٤٠٨ رقم ٧٩٣٣. والاستيعاب بهامشه، ج ٣، ص ٥٣١-٥٣٢. و أسد الغابة ج ٤، ص ٣٥٤.
 (٤) طبقات ابن سعة، ج ٦، ص ٥١ (ط ليدن)
 التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٣
 فأنكرت!! «١» و من غريب الأمر أن المامقاني ذكر مسروق بن الأجدع تارة بعنوان أنه أحد الزهاد الثمانية، و عدّه من المذمومين. و أخرى وصفه بالهمداني الكوفي، و عدّه من الأعلام و الفقهاء، و رجّح حسن حاله «٢». و اعترض عليه التستري بأنهما واحد، و لا وجه للافتراق في الشخصية و الوصف «٣».

١٤- الأسود بن يزيد

أبو عبد الرحمن النخعي الكوفي، من كبار التابعين المخضرمين، من أصحاب عبد الله بن مسعود. و روى عن حذيفة و بلال و عليّ عليه السلام، كان على جانب عظيم من الفهم لكتاب الله، ثقة صالح، و رع ناسك. ذكره ابن حبان في الثقات، و قال: كان فقيها زاهدا. روى عنه ابنه عبد الرحمن، و أخوه عبد الرحمن، و ابن اخته إبراهيم بن يزيد النخعي و غيرهم. و ذكره جماعة ممن صنّف في الصحابة، لإدراكه. توفّي سنة (٧٥) قال ابن سعد: روى عن عمر و عليّ و ابن مسعود و سلمان، و لم يرو عن عثمان شيئا «٤». و لم يسلم الأسود ممّا رمى به زميله ابن الأجدع، و الكلام فيه قدحا و مدحا (١) الطبقات، ج ٣، ق ١، ص ٥٧، س ٢٠-٢٥.
 (٢) تنقيح المقال، ج ٣، ص ٢١١ برقم ١١٧٠٢ و ١١٧٠٣.
 (٣) قاموس الرجال، ج ٨، ص ٤٧٥-٤٧٦.
 (٤) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٤٢-٣٤٣ و الطبقات، ج ٦، ص ٤٦-٥٠.
 التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٤
 ما مرّ في مسروق. و سنذكر أن عامة الكوفيين، و لا سيّما أصحاب عبد الله بن مسعود، كان الغالب عليهم الميل مع عليّ عليه السلام، حسب تربية شيخهم و كبيرهم الصحابي الجليل «١».

١٥- مرّة الهمداني

أبو إسماعيل ابن شراحيل الهمداني السكسكي الكوفي، المعروف بمرّة الطيب و مرّة الخير، لقب بذلك لعبادته. روى عن أبي ذرّ و حذيفة و ابن مسعود و عليّ عليه السلام. و عنه إسماعيل السديّ و الشعبي و عطاء بن السائب و عمرو بن مرّة و طائفة. قال العجلي: تابعي ثقة، كان عابدا ناسكا كثير السجود و الركوع. قيل: أدرك النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و لم يره. مات سنة (٧٦) «٢».
 و قد استوفينا الكلام في مسروق ما يتضح به حال مرّة أيضا، كشأن سائر الكوفيين من أصحاب ابن مسعود، كانوا مع عليّ عليه السلام، و من ثمّ أصبحوا عرضة السهام.

١٦- عامر الشعبي

أبو عمرو عامر بن شراحيل الحميري الكوفي، من شعب همدان. روى عن مسروق بن الأجدع و ابن عباس و عليّ عليه السلام، و كثير من الصحابة و التابعين. كان فقيها بارعا، قويّ الحافظة. قال: ما كتبت سوداء على بيضاء، و لا حدّثني رجل (١) راجع: الطبقات لابن

سعد، ج ٦، ص ٥، س ٤: كان أصدق الناس عند الناس على علي عليه السلام أصحاب عبد الله بن مسعود رضى الله عنه و عنهم.
(٢) الطبقات، ج ١٠، ص ٨٨-٨٩ والخلاصة، ص ٣٧٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٥

بحدِيثِ إِيْمَا حِفْظَتِهِ، وَ لَا- حَدَّثَنِي رَجُلٌ بِحَدِيثٍ فَأَحْبَبْتُ أَنْ يَعِيدَهُ عَلِيًّا. قَالَ الْعَجَلِيُّ: سَمِعْتُ مِنْ (٤٨) صَحَابِيَا، وَ لَا- يَكَادُ يَرْسَلُ إِلَّا صَحِيحًا.

قال ابن أبي حاتم عن أبيه: و سئل عن الفرائض التي رواها الشعبي عن علي عليه السلام، فقال: هذا عندي ما قاسه علي قول علي، و ما أرى عليًا كان يتفرغ لهذا.

قال ابن حبان في ثقات التابعين: كان فقيها شاعرا، مولده سنة (٢٠) و مات سنة (١٠٩)، و كان فيه دعاية. و قال أبو جعفر الطبري: كان ذا أدب و فقه و علم. و قال أبو اسحاق: كان واحد زمانه في فنون العلم «١».

هذا، و لم يكن حظ الشعبي من التهم بأحسن من سابقه، كسائر الكوفيين كانوا معرض التهم.

١٧- عمرو بن شرحبيل

أبو ميسرة الهمداني الوداعي الكوفي. روى عن علي عليه السلام و عبد الله بن مسعود، و كان من أصحابه، و من نفر السنة الذين كانوا يقرءون الناس و يعلمونهم السنة، و يصدر الناس عن رأيهم «٢». و هكذا روى عن حذيفة و سلمان و قيس بن سعد بن عبادة و أشباههم من خلص أصحاب. قال عاصم بن بهدلة عن أبي وائل: ما اشتملت همدانية على مثل أبي ميسرة. كان صواما قواما، ناسكا زاهدا، من أفاضل أصحاب ابن مسعود. و كان إمام مسجد بني وادعة بالكوفة.

كان موضع ثقة ابن مسعود، سأله يوما قال: ما تقول يا أبا ميسرة في بالخسن، (١) تهذيب التهذيب، ج ٥، ص ٦٥-٦٩.

(٢) تاريخ بغداد، ج ١٢، ص ٢٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٦

بِالْخُسْنِ، الْجَوَارِ الْكُنْسِ «١»؟ قَالَ عَمْرُو: قُلْتُ: لَا- أَعْلَمُهَا إِلَّا بِقَرِ الْوَحْشِ. قَالَ: وَ أَنَا لَا أَعْلَمُ فِيهَا إِلَّا مَا قُلْتُ. تَوَفِّيَ سَنَةَ (٦٣) فِي وَايَةِ عبيد الله بن زياد «٢».

قال الشهيد الثاني- في درايته- تابعي فاضل من أصحاب ابن مسعود «٣».

و كانت له صحبة أو رؤية، كان ممن روى حديث الغدير، حسبما ذكره الخوارزمي «٤».

و

ذكر ابن حجر في الإصابة عن الطبراني أنه أخرج من رواية عبد العزيز بن عبد الله القرشي عن سعيد بن أبي عروبة عن القاسم بن عبد الغفار عن عمرو بن شرحبيل، قال: سمعت النبي صلى الله عليه و آله و سلم يقول: «اللهم أنصر من نصر عليا، اللهم أكرم من أكرم عليا، اللهم أخذل من خذل عليا...» «٥».

و في نسخة الإصابة: شراحيل، بدل شرحبيل. و هو خطأ في النسخة؛ إذ لم يرد لشراحيل والد عمرو، ذكر في كتب التراجم إطلاقا. مع أنه ذكره ابن عبد البر «٦»، و كذا ابن الأثير، «٧» بهذا العنوان: عمرو بن شرحبيل. فيبدو أن نسخة الإصابة قد أصابها تصحيف.

نعم ذكر ابن عبد البر أنه غير عمرو بن شرحبيل الهمداني، أبي ميسرة صاحب ابن مسعود، و ذكر أنه لم يقف على نسبه، لكن رجح ابن الأثير كونهما واحدا. (١) التكوير/ ١٥.

(٢) الطبقات لابن سعد، ج ٦، ص ٧١-٧٤ و تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٤٧.

(٣) قاموس الرجال، ج ٧، ص ٢١١.

(٤) الغدير للعلامة الأميني، ج ١، ص ٥٧ رقم ٩٣.

(٥) الإصابة في معرفة الصحابة، ج ٢، ص ٥٤٣ رقم ٥٨٦٩.

(٦) الاستيعاب بهامش الإصابة، ج ٢، ص ٥٢٦.

(٧) أسد الغابة، ج ٤، ص ١١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٧

قلت: و هو الصحيح؛ لأن ولادته كانت في أوائل الهجرة أو قبلها، فهو و إن كان تابعياً، لكنه أدرك النبي صلى الله عليه و آله و سلم و إن لم تكن له صحبة لصغر سنّه، غير أنه يجوز سماعه منه و هو صبي مراهق.

١٨- زيد بن وهب

أبو سليمان الجهني الكوفي. رحل إلى النبي صلى الله عليه و آله و سلم و هاجر إليه فلم يدركه، قبض صلى الله عليه و آله و سلم و هو في الطريق. و هو معدود في كبار التابعين، روى عن عليّ عليه السلام و ابن مسعود و حذيفة و أبي الدرداء و أبي ذرّ، و روى عنه خلق كثير، منهم الأعمش، قال: إذا حدّثك زيد بن وهب عن أحد، فكأنك سمعته من الذي حدّثك عنه. و قد وثقه أصحاب التراجم. أخرج ابن حجر عن ابن خراش قال: كوفي ثقة و روايته عن أبي ذرّ صحيحة «١».

سكن الكوفة، و كان في الجيش الذي مع عليّ عليه السلام في حربه الخوارج. و هو أول من جمع خطب عليّ عليه السلام في الجمع و الأعياد و غيرها. توفّي سنة (٩٦) و قد عمّر طويلاً.

١٩- أبو الشعثاء الكوفي

هو سليم بن أسود المحاربي الكوفي. روى عن أبي ذرّ و حذيفة و سلمان و ابن عباس و ابن مسعود، و كان خصيصاً به. قال أبو حاتم: لا يسأل عن مثله.

و ذكره ابن حبان في الثقات. (١) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٤٢٧. أسد الغابة، ج ٢، ص ٢٤٢. الإصابة، ج ١، ص ٥٨٣ رقم ٣٠٠١.

الشافعي ٢/٢٨٨، الهامش ٣. قاموس الرجال، ج ٤، ص ٢٨١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٨

قال الواقدي: شهد مع عليّ عليه السلام مشاهده. توفّي سنة (٨٢) «١».

٢٠- أبو الشعثاء الأزدي

هو جابر بن زيد الأزدي اليمامدي الجوفي «٢» البصري. روى عن ابن عباس و عكرمة و غيرهما. قال ابن عباس: لو أن أهل البصرة نزلوا عند قول جابر بن زيد لأوسعهم علماً من كتاب الله. قال العجلي: تابعي ثقة. قال ابن سعد: مات سنة (١٠٣) قال قتادة- لما مات جابر بن زيد-: اليوم مات أعلم أهل العراق. و كان يخلف الحسن في الفتوى «٣».

٢١- الأصبغ بن نباتة

التميمي ثم الحنظلي، أبو القاسم الكوفي. من أصحاب عليّ و الحسن بن عليّ عليهما السلام. قال العجلي: كوفي تابعي ثقة. قال ابن سعد: كان شيعياً، و كان على شرطه عليّ عليه السلام.

قال ابن حبان: فتن بحبّ عليّ، فأتى بالطامات «٤» فاستحق الترك. قال ابن عدّي: و إذا حدّث عنه ثقة فهو عندي لا بأس بروايته، و إنما

أتى الإنكار من جهة من روى عنه «٥».

قال سيدنا الخوئي - دام ظله -: هو من المتقدمين من سلفنا الصالحين، ذكره (١) تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ١٦٥.

(٢) نسبة إلى درب الجوف، محلة بالبصرة.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٣٨ رقم ٦١. وراجع: الحلية لأبي نعيم، ج ٣، ص ٨٥.

(٤) قال العقيلي: كان يقول بالرجعة!

(٥) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٣٦٢ رقم ٦٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٠٩

النجاشي. و قال الأصبغ بن نباتة المجاشعي: كان من خاصّة أمير المؤمنين عليه السّلام و عمّر بعده، روى عنه عهد الأشتر، و وصيته إلى محمد ابنه.

و هو من العشرة الذين دعاهم الإمام أمير المؤمنين للحضور لديه. فقد روى ابن طاوس من كتاب الرسائل للكلينى أنه عليه السّلام دعا كاتبه عبد الله بن أبى رافع، فقال: أدخل علىّ عشرة من ثقاتي. فقال: سمّهم لى يا أمير المؤمنين. فقال: أدخل:

أصبغ بن نباتة، و أبى الطفيل عامر بن واثلة الكنانى، و زرّ بن حبّيش، و جويريّة بن مسهر ... حسبما أوردناه فى ترجمه علقمة بن قيس «١».

٢٢- زرّ بن حبّيش

الأسدى أبو مريم الكوفى مخضرم أدرك الجاهليّة. كان من أصحاب ابن مسعود، و من ثقات الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام على ما ذكرنا من حديث العشرة فى ترجمه علقمة. قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث. قال عاصم: كان زرّ من أعرب الناس. و كان ابن مسعود يسأله عن العريّة. قال: كان أبو وائل «٢» عثمانيا و كان زرّ علويًا، و كان مصلاهما فى مسجد واحد، و كان أبو وائل معظما لزرّ. قال ابن عبد البرّ فى الاستيعاب: كان قارئًا فاضلا. قال أبو جعفر البغدادي: قلت لأحمد: فرزّ و علقمة و الأسود؟ قال: هؤلاء أصحاب ابن مسعود، و هم الثبت فيه. مات سنة (٨٣)، و كان ابن (١٢٧) «٣». (١) معجم رجال الحديث، ج ٣، ص ٢١٩ رقم ١٥٠٩.

(٢) هو شقيق بن سلمه الأسدى الكوفى. أدرك النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و لم يره. قال عاصم: قيل لأبى وائل: أيهما أحب إليك، علىّ أو عثمان؟ قال: كان علىّ أحبّ إلىّ ثم صار عثمان! مات بعد الجماجم سنة (٨٢) (تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٣٦١ رقم ٦٠٩)

(٣) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٣٢١-٣٢٢، رقم ٥٩٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٠

٢٣- ابن أبى ليلى

هو محمد بن عبد الرحمن بن أبى ليلى الأنصارى، أبو عبد الرحمن الكوفى الفقيه، قاضى الكوفة. قال أبو حاتم، عن أحمد بن يونس، ذكره زائدة، فقال: كان أفقه أهل الدنيا. و قال العجلي كان فقيها صاحب سنّة، صدوقا جائز الحديث، و كان عالما بالقرآن، و كان من أحسب الناس، و كان جميلا نبيلًا. و أوّل من استفضاه على الكوفة يوسف بن عمر الثقفى. قيل: كان سيّئ الحفظ و لا سيما عند ما اشتغل بالقضاء فساء حفظه. قالوا: لا يتهم بشيء من الكذب، و إنما ينكر عليه كثرة الخطأ. قال الساجى: كان سيّئ الحفظ لا يتعمد الكذب، فكان يمدح فى قضائه، فأما فى الحديث فلم يكن حجة. قال: و كان الثورى يقول: فقهاؤنا ابن أبى ليلى و ابن شبرمة. و قال ابن خزيمة ليس بالحافظ، و إن كان فقيها عالما. توفّى سنة (١٤٨) «١».

٢٤- عبيدة بن قيس بن عمرو السلماني

كان من أصحاب عليّ عليه السّلام و ابن مسعود. أسلم قبل وفاة النبيّ صلّى الله عليه وآله و سلم بسنتين، و لم يلقه. كان ابن سيرين من أروى الناس عنه: و كان يقول: أدركت الكوفة و بها أربعة مّمن يعدّ في الفقه، و عدّه ابن المديني في الفقهاء من أصحاب ابن مسعود.

قال ابن نمير: و كان شريح إذا أشكل عليه الأمر كتب إلى عبيدة. توفّي سنة (٧٢) «٢». (١) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ٣٠١-٣٠٣ رقم ٥٠١.

(٢) المصدر، ج ٧، ص ٨٤ رقم ١٨٥.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١١

٢٥- الربيع بن أنس البكري

و يقال: الحنفي البصري ثم الخراساني. روى عن أنس بن مالك و أبي العالبيّة و الحسن البصري، و أرسل عن أمّ سلمة. و عنه أبو جعفر الرازي و الأعمش و مقاتل بن حيان و غيرهم. قال العجلي و أبو حاتم: صدوق. و قال ابن معين: كان يتشيع فيفرط. و ذكره ابن حبان في الثقات. توفّي سنة (١٣٩) أو (١٤٠) «١».

٢٦- الحارث بن قيس الجعفي الكوفي

من أصحاب ابن مسعود، و كانوا معجبين به قال. عليّ بن المديني: قتل مع عليّ عليه السّلام، و عدّه ابن حبان في الثقات «٢».

٢٧- قتادة بن دعامة

قتادة بن دعامة، أبو الخطاب السدوسي البصري، ولد أكمه «٣». كان تابعيًّا و عالما كبيرا، كان فقيه أهل البصرة عالما بالأنساب و أشعار العرب. قال أبو عبيدة:

كان أجمع الناس، و كان ينيخ على باب داره كل يوم من يأتيه فيسأله عن خبر أو نسب أو شعر «٤». و كان أحفظ الناس، لا ينسى ما حفظه أو قرئ عليه و لو مرة واحدة. قال عليّ بن المديني: انتهى علم البصرة إلى يحيى بن أبي كثير، و قتادة.

كما انتهى علم الكوفة إلى أبي إسحاق، و الأعمش. و انتهى علم الحجاز إلى ابن شهاب، و عمرو بن دينار «٥». (١) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٢٣٨ رقم ٤٦١.

(٢) المصدر نفسه، ج ٢، ص ١٥٤ رقم ٢٦٦.

(٣) الأكمه: الذي ولد أعمى.

(٤) وفيات الأعيان لابن خلكان، ج ٤، ص ٨٥ رقم ٥٤١.

(٥) المصدر نفسه، ج ٦، ص ١٤٠ رقم ٧٩١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٢

قال مطر بن الوراق: ما زال قتادة متعلّما حتى مات «١». قال قتادة: ما قلت لمحدّث قطّ: أعد عليّ. و ما سمعت أذناي شيئا قطّ، إلّا وعاه قلبي. و قال: ما في القرآن آية إلّا قد سمعت فيها بشيء.

قال أبو حاتم: سمعت أحمد بن حنبل و ذكر قتادة، فأطنب في ذكره، فجعل ينشر من علمه و فقهه و معرفته بالاختلاف و التفسير، و

وصفه بالحفظ و الفقه.

و قال: قلما تجد من يتقدمه، أما المثل فلعل. و قال الأثرم: سمعت أحمد يقول: كان قتادة أحفظ أهل البصرة، لم يسمع شيئا إلا حفظه. و قرئ عليه صحيفة جابر مرة واحدة فحفظها، و كان يقول: الحفظ في الصغر كالنقش في الحجر. و قال له سعيد بن المسيب - لما رأى منه العجيب من حفظه -: ما كنت أظن أن الله خلق مثلك.

و قال ابن حبان - في الثقات: كان من علماء الناس بالقرآن و الفقه و من حفاظ أهل زمانه «٢».

كانت ولادته سنة (٦١) قال أبو إسحاق إبراهيم بن علي الذهلي: ولد عمر بن عبد العزيز، و هشام بن عروة، و الزهري، و قتادة، و الأعمش، ليالى قتل الحسين ابن علي بن أبي طالب عليهما السلام، و كانت شهادته عليه السلام يوم عاشوراء سنة (٦١) للهجرة «٣». و توفي بواسط في الطاعون سنة (١١٨) و غمز فيه بأنه كان يقول بالقدر. قال ابن سعد: كان ثقة، مأمونا، حجة في (١) تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٣٥٣ رقم ٦٣٥. و الجرح و التعديل، ج ٧ (ج ٣، ق ٢)، ص ١٣٣ - ١٣٥. رقم ٧٥٦.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٣٥٤ - ٣٥٥. و طبقات ابن سعد، ج ٧، ق ٢، ص ١.

(٣) الوفيات، ج ٦، ص ٨٠ رقم ٧٨١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٣

الحديث، و كان يقول بشيء من القدر. و أخرج ابن خلكان عن أبي عمرو بن العلاء، قال: حسبك قتادة، فلولا كلامه في القدر «١». و لكن مع ذلك فقد اعتمده القوم و اعتبروه حجة في الحديث، كما قال ابن سعد. قال علي بن المديني: قلت ليحيى بن سعيد: إن عبد الرحمن يقول: أترك كل من كان رأسا في بدعة، يدعو إليها. قال: كيف تصنع بقتادة، و ابن أبي رواد، و عمر ابن ذر؟! و ذكر قوما، ثم قال يحيى: إن تركت هذا الضرب، تركت ناسا كثيرا «٢».

قلت: رميه بالقدر، أو شيء من القدر، إنما جاء من قبل قوله بالعدل، حسبما كان يقوله شيخه الحسن البصري، على ما تقدم في ترجمته. و كانت العامة ممن تأثروا بمذهب أبي موسى الأشعري و حفيده أبي الحسن الأشعري، كانوا يرون خلاف ذلك، و أن الأفعال كلها مخلوقة لله و عن إرادته، و ليس للعبد اختيار في عمله... عقيدة جاهلية أولى، كانت تمكنت من نفوس العرب، و لم تكف تنخلع بعد، ما دامت العامة و على رأسهم الأشعريان، منحرفين عن تعاليم آل بيت الرسول - صلوات الله عليهم أجمعين -.

هذا، و قد عرف قتادة السدوسي بالولاء لأهل البيت و على رأسهم الإمام أمير المؤمنين عليه السلام، و في التاريخ منه مواقف مشرفة سجلها أهل السير و الحديث:

أخرج ثقة الإسلام محمد بن يعقوب الكليني بإسناده عن أبان بن عثمان البجلي، قال: حدثني الفضيل البرجمي، قال: كنت بمكة، و خالد بن عبد الله (١) الطبقات، ج ٧، ق ٢، ص ١. و الوفيات، ج ٤، ص ٨٥.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٣٥٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٤

القسري «١» أمير، و كان في المسجد عند زمزم، فقال: ادعوا لي قتادة، فجاء شيخ أحمر الرأس و اللحية، فدنوت لأسمع. فقال خالد: يا قتادة، أخبرني بأكرم وقعة كانت في العرب، و أعزّ وقعة كانت في العرب، و أذلّ وقعة كانت في العرب! فقال قتادة: أصلح الله الأمير، أخبرك بأكرم وقعة، و أعزّ وقعة، كانت في العرب واحدة! فقال خالد: ويحك، واحدة؟! قال: نعم، أصلح الله الأمير. قال: أخبرني؟

قال قتادة: بدر! قال: و كيف ذا؟ قال: إن بدرا أكرم الله بها الإسلام و أهله، و بها أعزّ الله الإسلام و أهله. فلما قتلت قريش يومئذ، ذلت العرب؛ فكانت أذلّ وقعة في العرب.

فقال له خالد: كذبت لعمر الله، إن كان، في العرب يومئذ من هو أعزّ منهم «٢».

ثم قال خالد: ويلك يا قتادة، أخبرني ببعض أشعارهم؟

قال: خرج أبو جهل يومئذ، وقد أعلم ليرى مكانه، وعليه عمامة حمراء، وبيده ترس مذهب، وهو يقول:

ما تنقم الحرب الشموس منى بازل عامين حديث السن

لمثل هذا ولدتنى أمى (١) كان عاملا لهشام بن عبد الملك على العراقيين. و كان ملحدا زنديقا مخنثا عدوا للإمام أمير المؤمنين عليه السلام. كان يقول: لو أمرنى هشام بتخريب الكعبة لهدمتها و نقلت حجارتها إلى الشام.

كان أبوه من أصل يهود تيماء. و كان أبوه عبد الله بن يزيد مع معاوية في صفين. و كانت أمه رومية نصرانية، كان بنى لها قبة في مسجد الكوفة، و كان إذا أذن المؤذن ضرب لها الناقوس، و إذا خطب الخطيب رفع النصارى أصواتهم حولها. (سفينة البحار، ج ١، ص ٤٠٦- خ ل د)

(٢) غلبته حمية جاهلية، فلم يرضه الاعتراف بمذلة العرب يومذاك.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٥

فقال خالد: كذب عدو الله، إن كان، ابن أخى لأفرس منه، يعنى خالد بن الوليد، و كانت أمه من بنى قسر. ويلك يا قتادة، من الذى كان يقول: أوفى بميعادى و أحمى عن حسب؟

فقال: أصلح الله الأمير، ليس هذا يومئذ، هذا يوم أحد، خرج طلحة بن أبى طلحة، فخرج إليه على بن أبى طالب عليه السلام و هو يقول:

أنا ابن ذى الحوضين عبد المطلب و هاشم المطعم فى العام السغب

أوفى بميعادى و أحمى عن حسب و هنا لم يتحمل خالد سماع منقبة لأمر المؤمنين عليه السلام فقال- مغضبا-: كذب لعمرى أبو تراب، ما كان كذلك.

فعند ذلك قام قتادة، و قال: أيها الأمير، ائذن لى فى الانصراف، فجعل يفرج بيده و يخرج و هو يقول: زنديق و رب الكعبة، زنديق و رب الكعبة «١».

قال المحدث القمى: هذا ينبؤك عن ولاء قتادة للإمام أمير المؤمنين عليه السلام «٢».

و له أيضا مع الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام مواقف نذكر منها:

أخرج الكليني أيضا بإسناده إلى أبى حمزة الثمالي، قال: كنت جالسا فى مسجد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم إذ أقبل رجل، فقال لى: أتعرف أبأ جعفر؟ قلت: نعم، فما حاجتك؟ قال: هيأت له أربعين مسألة أسأله عنها، فما كان من حق أخذته، و ما كان من باطل تركته. فما انقطع كلامه حتى أقبل أبو جعفر و حوله أهل خراسان و غيرهم يسألونه عن مناسك الحج. فمضى حتى جلس مجلسه، و جلس الرجل (١) روضة الكافي (ج ٨، ص ١١١-١١٣) الحديث رقم ٩١. و البحار، ج ١٩، ص ٢٩٨-٣٠٠.

(٢) سفينة البحار، ج ٢، ص ٤٠٥ (ق ت د)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٦

قريبا منه. فلما انصرف الناس، التفت أبو جعفر إليه، فقال له: من أنت؟ قال: أنا قتادة بن دعامة البصرى.

فقال له أبو جعفر: أنت فقيه أهل البصرة؟ قال: نعم، فقال: ويحك يا قتادة، إن الله تعالى خلق خلقا من خلقه، فجعلهم حججا على خلقه، و هم أوتاد فى أرضه، قوام بأمره، نجباء فى علمه، اصطفاهم قبل خلقه أظلة عن يمين عرشه.

فسكت قتادة طويلا، ثم قال: أصلحك الله، و الله لقد جلست بين يدى الفقهاء، و قدام ابن عباس، فما اضطرب قلبى قدام واحد منهم، ما اضطرب قدامك! فقال أبو جعفر: أ تدرى أين أنت؟ بين يدى بيوت أذن الله أن ترفع و يذكر فيها اسمه، يسبح له فيها بالغدو و الآصال، رجال لا تلهيهم تجارة و لا بيع عن ذكر الله و إقام الصلاة و إيتاء الزكاة، فأنت ثم و نحن أولئك! فقال قتادة: صدقت و الله،

جعلني الله فداك، و الله ما هي بيوت حجارة و لا طين «١».

و

أخرج - أيضا - عن زيد الشحام، قال: دخل قتادة على أبي جعفر عليه السلام و جرى بينهما كلام حتى انتهى إلى تأويل قوله تعالى: وَ قَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سَيَّرُوا فِيهَا لِيَالِي وَ أَيَّامًا آمِنِينَ «٢»، فقال له الإمام: ذلك من خرج من بيته بزاز و راحله و كراء حلال، يروم هذا البيت، عارفا بحقنا، يهوانا قلبه، كما قال عز و جل: (١) الكافي الشريف، ج ٦، ص ٢٥٦ من كتاب الأئمة. و البحار، ج ١٠، ص ١٥٤، رقم ٤ و ج ٢٣ ص ٣٢٩ رقم ١٠.

(٢) سبأ/ ١٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٧

فَاجْعَلْ أَفْتِدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ «١». و لم يعن البيت فيقول إليه: فنحن و الله دعوة إبراهيم عليه السلام من هوانا قلبه قبلت حجته. يا قتادة، فإذا كان كذلك كان آمنا من عذاب جهنم يوم القيامة.

قال قتادة: لا جرم، و الله لا فسرتها إلّا هكذا. فقال له أبو جعفر: يا قتادة، إنما يعرف القرآن من خوطب به «٢».

قلت: هذا النمط من الكلام يعد من أسرار الولاية، لا يوحون به إلّا لأصحاب السر... و لا سيما مع إذعان قتادة لهذا الخطاب و تحمله هذا العتاب و استسلامه للأمر. و لعل انقداحة حصلت في نفسه بعد هذا التقرير، و هكذا تفعل الموعظة بأهلها إن صادقت نفوسا مستعدة.

له كتاب في التفسير. و يرى فؤاد سزكين أنه ربما كان تفسيراً كبيراً ضخماً.

فقد استخدمه الخطيب البغدادي، كما في مشيخته. قال شواخ: و استخدمه الطبري أكثر من (٣٠٠٠) ثلاثة آلاف مرة. و ربما نقل كل مادته نقلاً، بالرواية التالية: «حدثنا بشر بن معاذ، قال: حدثنا يزيد بن زريع عن سعيد عن قتادة». و قد عرف الثعلبي عدا ذلك روايتين أخريين لهذا الكتاب، كما يظهر من كتابه «الكشف و البيان» «٣».

٢٨- زيد بن أسلم

أبو أسامة العدوي المدني، الفقيه المفسر، أحد الأعلام. كان مولى عمر بن (١) إبراهيم/ ٣٧.

(٢) روضة الكافي (ج ٨ ص ٣١١-٣١٢) حديث رقم ٤٨٥- و البحار، ج ٢٤، ص ٢٣٧ رقم ٦، و ج ٤٦، ص ٣٤٩ رقم ٢.

(٣) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٣ رقم ٩٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٨

الخطاب، و برع حتى أصبح من كبار التابعين المرموقين، كانت له حلقة في مسجد المدينة، يحضرها جلّ الفقهاء، و ربما بلغوا أربعين فقيها. قال الذهبي: و لزيد تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمن، و كان من العلماء الأبرار. قال ابن عجلان: ما هبت أحدا هبتي زيد بن أسلم «١».

قال ابن حجر: أخذ العلم من جماعة، منهم علي بن الحسين عليهما السلام، قال: و قال يعقوب بن شيبه: ثقة من أهل الفقه و العلم و كان عالماً بتفسير القرآن «٢». و قد عدّه الشيخ أبو جعفر الطوسي من أصحاب الإمام السجاد عليه السلام، و قال: كان يجالسه كثيرا «٣»، و له رواية عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام.

فقد روى ابنه عبد الرحمن عنه عن عطاء بن يسار عن أبي جعفر الباقر عليه السلام، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «كل مسكر حرام، و كل مسكر خمر» «٤».

و

روى عبد الرحمن (و في نسخة عبد الله) عن أبيه زيد بن أسلم عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «طلب العلم فريضة على كل مسلم، ألا إن الله يحب بغاة العلم» (٥).

و من ثم عدّه الشيخ في رجال الصادق أيضا «٦».

و استغرب سيدنا الأستاذ الإمام الخوئي - دام ظلّه - أن يكون زيد مولى عمر، (١) طبقات المفسرين للداودي، ج ١، ص ١٧٦ - ١٧٧ رقم ١٧٥. و تقريب ابن حجر، ج ١، ص ٢٧٢.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٣٩٥ و ٣٩٦ رقم ٧٢٨.

(٣) رجال الطوسي، ص ٩٠ رقم ٥.

(٤) الكافي الشريف، ج ٦، ص ٤٠٨، رقم ٣.

(٥) المصدر نفسه، ج ١، ص ٣٠ أول حديث في فرض العلم و فضله.

(٦) رجال الطوسي، ص ١٩٧ رقم ٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤١٩

و يدرك الصادق عليه السلام «١».

لكن زيدا توفي سنة (١٣٦) «٢». و كانت إمامة مولانا الصادق عليه السلام بعد وفاة أبيه الباقر عليه السلام من سنة (١١٤) حتى نهاية عام (١٤٨) هذا، و قد أخذ على زيد أنه كان يكثر من التفسير برأيه. قال الذهبي: تناكد «٣» ابن عدّي بذكره في الكامل، فإنه ثقة حجة، فروى عن حماد بن زيد، قال: قدمت المدينة و هم يتكلمون في زيد بن أسلم، فقال لي عبيد الله بن عمر: ما نعلم به بأسا إلا أنه يفسر القرآن برأيه «٤».

و قال مالك: كان زيد يحدث من تلقاء نفسه، فإذا قام فلا يجترئ عليه أحدا! وثقه أحمد «٥».

قلت: و هذا نظير ما كان يؤخذ على الحسن البصري كثرة إرساله، و المحذور نفس المحذور، فتتبه.

٢٩- أبو العالية

رفيع بن مهران الرياحي البصري، أدرك الجاهلية، و أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله و سلم بستين. قال العجلي: تابعي ثقة من كبار التابعين المشهورين بالتفسير. روى عن علي عليه السلام و عبد الله بن مسعود، و أبي بن كعب، و عبد الله بن عباس، و حذيفة، و أبي ذر، و أبي أيوب، و غيرهم من أكابر الأصحاب، و هو (١) معجم رجال الحديث، ج ٧، ص ٣٣٥ رقم ٤٨٣٣.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٣٩٦.

(٣) التناكد: التضايق و التعاسر.

(٤) ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٩٨ رقم ٢٩٨٩.

(٥) خلاصة تذهيب التهذيب، ص ١٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٠

مجمع على وثاقته.

قال ابن أبي داود: ليس أحد بعد الصحابة أعلم بالقراءة من أبي العالية، و بعده سعيد بن جبير، و بعده السدي، و بعده الثوري. مات سنة (٩٣)، و هو أول من أذن بما وراء النهر «١».

و قال الحافظ شمس الدين الداودي: قرأ القرآن على أبي بن كعب و غيره، و سمع من ابن مسعود و علي و طائفة. و عنه قتادة و خالد الحداء و الربيع بن أنس و أبو عمرو بن العلاء و طائفة.

و عن أبي خلدَةَ عنه قال: كان ابن عباس يرفعني على سريره، و قريش أسفل منه، و يقول: هكذا العلم، يزيد الشريف شرفاً، و يجلس المملوك على الأسرة.

قال: ثقة كثير الإرسال، و له تفسير رواه عنه الربيع بن أنس البكري، خرّج حديثه الجماعة «٢».

و قال السيوطي: و تروى عن أبي بن كعب نسخة كبيرة في التفسير، يرويها أبو جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن أبي العالیه، عن أبي. قال: و هذا إسناد صحيح، و قد أخرج ابن جرير و ابن أبي حاتم منها كثيراً. و كذا الحاكم في مستدرکه، و أحمد في مسنده «٣».

قال الدكتور شواخ- عند الكلام عن تفسير الربيع بن أنس البكري البصري الخراساني المتوفى سنة (١٣٩): و قد أخذ منه الثعلبي في كتابه «الكشف و البيان» (١) تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٢٨٤-٢٨٦.

(٢) طبقات المفسرين، ج ١، ص ١٧٢-١٧٣ رقم ١٧٠.

(٣) الإتقان، ج ٤، ص ٢٠٩-٢١٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢١

على أنه تفسير أبي العالیه «١».

٣٠- جابر الجعفي

هو جابر بن يزيد بن الحارث بن عبد يغوث الجعفي أبو عبد الله، و يقال أبو يزيد الكوفي عربي صميم، روى عن عكرمة و عطاء و طاوس و خيثمة و المغيرة ابن شبيب و جماعة. و عنه شعبة و الثوري و مسعر و غيرهم. توفي سنة (١٢٨) ذكر ابن حجر عن أبي نعيم عن الثوري: إذا قال جابر حدّثنا و أخبرنا فذاك.

و قال ابن مهدي عن سفيان: ما رأيت أروع في الحديث منه. و قال ابن عثية عن شعبة: جابر صدوق في الحديث. و قال يحيى بن أبي بكير عن شعبة: كان جابر إذا قال: حدّثنا و سمعت، فهو من أوثق الناس. و عن زهير بن معاوية: كان إذا قال:

سمعت أو سألت، فهو من أصدق الناس. و قال وكيع: مهما شككتم في شيء فلا تشكّوا في جابر ثقة «٢».

قال عادل نويهض: تابعي، فقيه إمامي، من أهل الكوفة. كان واسع الرواية غزير العلم بالدين. أثنى عليه بعض رجال الحديث، و اتّهمه آخرون بالقول بالرجعة. مات بالكوفة، له «تفسير القرآن» «٣». و هكذا قال الزركلي في الأعلام «٤».

و عدّه الطوسي في رجال الإمامين محمد بن عليّ الباقر، و جعفر بن محمد الصادق عليهما السّلام «٥». (١) معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٦ رقم ١٠٠٤.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٤٧.

(٣) معجم المفسرين، ج ١، ص ١٢٣.

(٤) الأعلام للزركلي، ج ٢، ص ٩٢.

(٥) رجال الطوسي، ص ١١١ و ١٦٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٢

و قال السيد الصدر بشأنه: جابر بن يزيد الجعفي إمام في الحديث و التفسير، أخذهما عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السّلام «١».

و قال النجاشي: جابر بن يزيد، أبو عبد الله، و قيل: أبو محمد الجعفي، عربي قديم، لقي أبا جعفر و أبا عبد الله. و مات في أيامه سنة (١٢٨)، له كتب منها:

التفسير، ثم ذكر سنده إليه.

و عدّه المفيد في رسالته «العدديّة» ممن لا مطعن فيهم و لا طريق للذمّ واحد منهم. و عدّه ابن شهر آشوب من خواصّ أصحاب الصادق

عليه السلام. و

روى العلامة بإسناده إلى الحسين بن أبي العلاء: أن الصادق عليه السلام ترخّم عليه، و قال: إنه كان يصدق علينا.

و

روى الكشي بإسناده إلى المفضل بن عمر الجعفي، قال: سألت الإمام الصادق عليه السلام عن تفسير جابر. فقال: لا تحدّث به السفلة فيذيعونه. «٢» وهذا يدل على أن تفسيره كان فيه شيء من الارتفاع. و هناك روايات تدل على أنه كان يحمل أسراراً من آل بيت الرسول صلّى الله عليه وآله و سلّم، و من ثم رفضه القوم بالغلوّ و الرفض، و لكن مع صدق الحديث و الورع في الإيمان. و كفى به مدحاً و إخلاصاً في الدين.

قال النجاشي: و كان في نفسه مختلطاً. و هذا يعني الاعتلاء في عقيدته بشأن أئمة أهل البيت عليهم السلام فحسبوه غلوّاً. روى أبو عمرو و محمد بن عمر بن عبد العزيز الكشي بإسناده إلى ابن أبي عمير عن عبد الحميد بن أبي العلاء، قال: دخلت المسجد حين قتل الوليد، فإذا الناس مجتمعون، فأتيهم فإذا جابر الجعفي عليه (١) تأسيس الشيعة لعلوم الإسلام، ص ٣٢٦.

(٢) راجع: معجم رجال الحديث لسيدنا الخوئي، ج ٤، ص ١٧-٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٣

عمامة خزّ حمراء، و إذا هو يقول: حدّثني وصي الأوصياء و وارث علم الأنبياء محمد بن عليّ عليه السلام ... قال: فقال الناس: جنّ جابر، جنّ جابر «١».

و من ثم، قال جرير: لا استحلّ أن أروى عن جابر، كان يؤمن بالرجعة. و قال أبو الأحوص: كنت إذا مررت بجابر الجعفي سألت ربّي العافية. إلى أمثال ذلك ممّا لم يتحمّله عقول العامة «٢».

و من ثمّ كان أبو جعفر الباقر عليه السلام يوصيه بأن لا يذيع من أسرارهم شيئاً و لا يحدث الناس بما لا تطيقه عقولهم.

قال له: يا جابر، حديثنا صعب مستصعب، لا يتحمّله إلّا مؤمن ممتحن «٣».

و إلّا فلا غمز في الرجل، كما قال شعبة: جابر صدوق في الحديث «٤».

و لسيدنا الأستاذ الخوئي - دام ظلّه - كلام يشيد به من شأن جابر، لشهادة الأجلّاء بجلاله قدره و علوّ مرتبته، «٥» و كفى.

قيمة تفسير التابعي

لقد اهتم أرباب التفسير بالمأثور من تفاسير الأوائل، و لا سيّما الصحابة و التابعين لهم بإحسان. و لم يكن ذلك منهم إلّا عناية بالغة بشأنهم و بمواضعهم الرفيعة من التفسير.

إنّ ذلك الحجم المتضخّم من التفسير المنقول عن السلف الصالح، و أكثرها (١) اختيار معرفة الرجال (ط المصطفوي)، ص ١٩٢ رقم ٣٣٧.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٤٩.

(٣) اختيار معرفة الرجال، ص ١٩٣ برقم ٣٤١.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٢، ص ٤٧.

(٥) معجم رجال الحديث، ج ٤، ص ٢٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٤

الساحق من التابعين. بعد أن كان المأثور عن ابن عباس منقولاً عن طريق متخرّجى مدرسته التابعين أيضاً. إنّ ذلك إن دلّ فإنما يدلّ

على مبلغ الاهتمام بتفاسيرهم، و الإجلال بمقامهم الرفيع. و ليس إلّا لأنهم أقرب عهدا بنزول الوحي، و أطول باعا في الإحاطة بأسباب النزول، و أسهل تناولا. لفهم معانى القرآن الكريم. فإن كان القرآن قد نزل بلغة العرب و على أساليب كلامهم، فإنّ الأوائل أصفى ذهنا و أقرب تناوشا لتصاريف اللغة و مجارى ألفاظها و تعابيرها. إنهم أعرف بمواضع اللغة فى عهد خلوصها، و أطول يدا فى البلوغ إلى مجانيها من ثمرات و أعواد.

كما أنّهم أمسّ جانبنا بأحاديث الرسول صلّى الله عليه و آله و سلم، و العلماء من صحابته الأخيار. فهم أقرب فهما لأبعاد الشريعة فى أصولها و الفروع، و الإحاطة بجوانب الكتاب و السنّة و السيرة الكريمة. فكان الاهتمام بشأنهم، و الرجوع إلى آرائهم و نظراتهم، و معرفة أقوالهم فى التفسير، إنما هو لمكان تقدمهم و سبقهم فى الحياة على قصب السبق فى هذا المضممار، شأن كل متأخر فى التفسير يرجع إلى آراء سلفه. لا ليتقلدها أو يتعبّد بها، بل ليستعين بها و يستفيد فى سبيل الوصول إلى أقصاها، و الصعود على أعلاها. فكان تمحيصا و تحقيقا فى الاختيار، لا تقليدا، أو تعبدا برأى. و لا شكّ أنّ الإحاطة بآراء العلماء سلفا و خلفا، لهى من أكبر وسائل التوسعة فى الفكر و الإجلال فى النظر، و بالتالى أكثر توسعا فى العلوم و المعارف و الصعود على مدارج الفضيلة و الكمال. هكذا تقدّم العلم و ازدهرت معارف الإنسان. فلآراء السلف قيمتها و وزنها فى سبيل الرقى على مدارج الكمال. و لولاه لتوقف العلم على نقطته الأولى، و لم يخط خطواته تلك الواسعة، فى مسيرته هذه الحثيثة، نحو التكامل و الازدهار.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٥

قال الإمام بدر الدين الزركشى: و فى الرجوع إلى قول التابعى روايتان عن أحمد. و اختار ابن عقيل «١» المنع. و حكوه عن شعبة «٢». لكن عمل المفسرين على خلافه، و قد حكوا فى كتبهم أقوالهم، كالضحّاك ابن مزاحم (١٠٥) و سعيد بن جبير (٩٥) و مجاهد بن جبر (١٠٣) و قتادة بن دعامة (١١٧) و أبى العالية الرياحى (٩٠) و الحسن البصرى (١١٠) و الربيع بن أنس (١٣٩) و مقاتل بن سليمان (١٥٠) و عطاء بن أبى سلمة الخراسانى (١٣٥) و مزّة بن شراحيل الهمدانى (٧٦) و على بن أبى طلحة الوالى (١٤٣) و محمد بن كعب القرظى (١١٩) و أبى بكر الأصمّ عبد الرحمن بن كيسان، و إسماعيل بن عبد الرحمن السدى الكبير (١٢٧) و عكرمة مولى ابن عباس (١٠٥) و عطية بن سعد بن جنادة العوفى (١١١) و عطاء بن أبى رباح (١١٤) و عبد الله بن زيد بن أسلم (١٦٤) و من المبرزين فى التابعين، الحسن، و مجاهد، و سعيد بن جبير. ثم يتلوهم عكرمة و الضحّاك.

قال: و هذه تفاسير القدماء المشهورين، و غالب أقوالهم تلقوها من الصحابة. و لعل اختلاف الرواية عن أحمد إنّما هو فيما كان من أقوالهم و آرائهم «٣». قلت: إن أريد التعبّد بأقوالهم، فلا. و لعل المانعين يريدون ذلك، و لكننا ذكرنا أنّ اعتبار آرائهم و نظراتهم إنّما كان لأجل تقدّمهم، و كونهم أقرب عهدا إلى نزول (١) هو عبد الله بن محمد بن عقيل الهاشمى: ذكره ابن سعد فى الطبقة الرابعة من أهل المدينة. كان كثير العلم توفى سنة (١٤٥)

(٢) هو شعبة بن الحجاج أبو بسطام الواسطى ثم البصرى أجمع الناس حديثا و أوثقهم رواية. توفى سنة (١٦٠)

(٣) البرهان للزركشى، ج ٢، ص ١٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٢٢٦

الوحي، و أصفى ذهنا لفهم معانيه. و كان الرجوع إليهم لأجل التمحيص و النقد، لا التعبّد المحض. و من ثمّ اهتم القدماء بضبط تفاسيرهم و جمعها و تهذيبها، و سار على منهاجهم المتأخرون و لا يزال. قال الحافظ أبو أحمد ابن عدى: للكلبى «١» أحاديث صالحه، و خاصه عن أبى صالح «٢»، و هو معروف بالتفسير، و ليس لأحد تفسير أطول منه و لا أشيع فيه.

و بعده مقاتل بن سليمان (١٥٠) إلا أن الكلبى يفضل عليه.

ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة و التابعين، كتفسير سفيان بن عيينة (١٩٨) و وكيع بن الجراح (١٩٦) و شعبة بن الحجاج (١٦٠) و يزيد بن هارون (٢٠٦) و المفضل بن صالح (١٨١) و عبد الرزاق بن همام الصنعاني (٢١١) و إسحاق بن إبراهيم المعروف بابن راهويه (٢٣٨) و روح بن عبادة (٢٠٥) و يحيى بن قريش، و مالك بن سليمان الهروي، و عبد بن حميد بن نصر الكشي (٢٤٩) و عبد الله بن الجراح (٢٣٧) و هشيم بن بشير (٢٨٣) و صالح ابن محمد اليزيدي، و على بن حجر بن أياس السعدي (٢٤٤) و يحيى بن محمد ابن عبد الله الهروي، و على بن أبي طلحة (١٤٣) و ابن مردويه أحمد بن موسى الأصبهاني (٤٠١) و سنيد بن داود (٢٢٠) و النسائي، و غيرهم. و وقع في مسند (١) هو أبو المنذر هشام بن أبي النضر محمد بن السائب الكلبى الكوفى. كان أعلم الناس بعلم الأنساب. كان من أصحاب الإمامين الباقر و الصادق عليهما السلام. و كان إلى جنب علمه بالأنساب عالما بالتفسير كبيرا. توفي سنة (١٤٦)

(٢) هو باذام مولى أم هانئ بنت أبي طالب. و هو صاحب التفسير الذى رواه عن ابن عباس.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٧

أحمد بن حنبل و البزار و معجم الطبراني و غيرهم، كثير من ذلك. ثم إن محمد بن جرير الطبرى «١» جمع على الناس أشات التفاسير، و قرب البعيد، و كذلك عبد الرحمن بن أبى حاتم الرازى، و أضرابهم «٢».

قال جلال الدين السيوطى: و كتاب ابن جرير الطبرى أجّل التفاسير و أعظمها، ثم ابن أبى حاتم، و ابن ماجه، و الحاكم، و ابن مردويه، و أبو الشيخ بن حيان، و ابن المنذر، فى آخرين. و كلها مسنده إلى الصحابة و التابعين و أتباعهم، و ليس فيها غير ذلك. إلا ابن جرير، فإنه يتعرض لتوجيه الأقوال و ترجيح بعضها على بعض، و الإعراب و الاستنباط، فهو يفوقها بذلك.

ثم قال: فإن قلت: فأى التفاسير ترشد إليه، و تأمر الناظر أن يعول عليه؟

قلت: تفسير الإمام أبى جعفر ابن جرير الطبرى، الذى أجمع العلماء المعتبرون على أنه لم يؤلف فى التفسير مثله. قال النورى- فى تهذيبه:- كتاب ابن جرير فى التفسير لم يصنف أحد مثله.

قال: و قد شرعت فى تفسير جامع لجميع ما يحتاج إليه، من التفاسير المنقولة، و الأقوال المقولة، و الاستنباطات، و الإشارات، و الأعراب، و اللغات، و نكت البلاغة، و محاسن البدائع و غيره، ذلك بحيث لا يحتاج معه إلى غيره أصلا، و سمّيته بمجمع البحرين و مطلع البدرين. و هو الذى جعلت هذا الكتاب (الإتقان) مقدمة له. و الله أسأل أن يعين على إكماله، بمحمد و آله «٣». (١) أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد الطبرى قال الذهبى: الإمام الجليل المفسر، ثقة صادق، فيه تشيع يسير، و موالاة لا تضّر. (ميزان الاعتدال، ج ٣، ص ٤٩٨-٤٩٩، رقم ٧٣٠٦)

(٢) البرهان للزركشى، ج ٢، ص ١٥٨-١٥٩.

(٣) الإتقان، ج ٤، ص ٢١٢-٢١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٨

و هكذا ذكر فى مقدمة الإتقان: أنه جعله مقدمة للتفسير الكبير الذى شرع فيه، و سمّاه بمجمع البحرين و مطلع البدرين، الجامع لتحرير الرواية و تقرير الدراية «١».

لكنه لم يذكر أنه أتمه و أخرجه للنشر أم لا. «٢» و الظاهر أنه لم يتمه؛ إذ لا أثر له إطلاقا. نعم أخرج كتابه «الدر المنثور فى التفسير بالمأثور» حافلا بأقوال الصحابة و التابعين و أتباعهم، مستوعبا و مستقصيا كل ما ورد بذلك من نقول و روايات؛ و بذلك كان أجمع كتاب فى هذا الباب (التفسير النقلى) و ليس فيه شىء من تقرير الدراية أصلا، و قد أصبح بذلك مخزنا كبيرا يجمع فى طيه من كل رطب و يابس، و الاعتبار فيها إنما هو بذكر السند، و هو المعيار لتمييز الصحيح عن السقيم عند العلماء.

وقال أحمد بن عبد الحلیم: إذا لم تجد التفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصحابة، فقد رجح كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين:

كمجاهد بن جبر، فإنه كان آية في التفسير، كما قال محمد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح عن مجاهد قال: عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث عرضات من فاتحته إلى خاتمته، أوقفه عند كل آية منه وأسأله عنها. وقال: ما في القرآن آية إلا وقد سمعت فيها شيئاً. وعن ابن أبي مليكة قال: رأيت مجاهداً يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعها ألواح، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله؛ ولهذا كان سفيان الثوري يقول: إذا جاءك التفسير عن مجاهد (١) الإتقان، ج ١، ص ١٤.

(٢) كشف الظنون لحاجي خليفة، ج ٢، ص ١٥٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٢٩

فحسبك به.

وكسعيد بن جبیر، وعكرمة، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس (١٣٩) البصري الخراساني، و قتادة، والضحاك بن مزاحم، وغيرهم، من التابعين و تابعيهم، و من بعدهم «١». وقال: أعلم الناس بالتفسير أهل مكة؛ لأنهم أصحاب ابن عباس، كمجاهد، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، وغيرهم من أصحاب ابن عباس كطاوس، وأبي الشعثاء، وسعيد بن جبیر و أمثالهم. وكذلك أهل الكوفة من أصحاب ابن مسعود؛ ومن ذلك ما تميّزوا به على غيرهم. و علماء أهل المدينة في التفسير، مثل زيد بن أسلم (١٣٦) الذي أخذ عنه التفسير مالك، وكذا ابنه عبد الرحمن «٢». وعدّ السيوطي من مبرزى التابعين مجاهداً، قال خصيف: كان أعلمهم بالتفسير، ولهذا على تفسيره الشافعي والبخاري وغيرهما من أهل العلم - كما قال ابن تيمية - و كان غالب ما أورده الفريابي في تفسيره عنه.

ومنهم سعيد بن جبیر. قال الثوري: خذوا التفسير من أربعة: عن سعيد بن جبیر، ومجاهد، وعكرمة، والضحاك. وقال قتادة: كان أعلم التابعين أربعة: كان عطاء بن أبي رباح أعلمهم بالمناسك، وكان عكرمة أعلمهم بالسير، وكان الحسن أعلمهم بالحلال والحرام، وكان أعلمهم بالتفسير سعيد بن جبیر.

ومنهم عكرمة مولى ابن عباس. قال الشعبي: ما بقي أحد أعلم بكتاب الله من (١) مقدمته في أصول التفسير، ص ٤٩ - ٥٠.

(٢) مقدمته في أصول التفسير، ص ٢٣ - ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٠

عكرمة. و كان ابن عباس يجعل في رجليه الكبل، يعلمه القرآن و السنن.

ومنهم الحسن البصري، وعطاء بن أبي رباح، وعطاء بن أبي سلمة الخراساني، ومحمد بن كعب القرظي، وأبو العالية، والضحاك، وعطيّة، و قتادة، وزيد بن أسلم، ومرة الهمداني، وأبو مالك.

و يليهم الربيع بن أنس، وعبد الرحمن بن زيد بن أسلم، «١» في آخرين.

فهؤلاء قدماء المفسرين، و غالب أقوالهم تلقوها عن الصحابة.

ثم بعد هذه الطبقة ألفت تفاسير تجمع أقوال الصحابة و التابعين، كتفسير سفيان بن عيينة، و وكيع بن الجراح، و شعبة بن الحجاج، و يزيد بن هارون، و عبد الرزاق، و آدم بن أبي أياس، و إسحاق بن راهويه، و روح بن عبادة، و عبد بن حميد، و سنيد، و أبي بكر ابن أبي شيبة و آخرين «٢».

هذا، و قد تعلل بعضهم في اعتبار ما ورد من تفاسير التابعين؛ إذ ليس لهم سماع من رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فهي من آرائهم، و يجوز عليهم الخطاء، كما لم ينص على عدالتهم كما نص على عدالة الصحابة. فقد نقل عن أبي حنيفة أنه قال: ما جاء عن رسول الله فعلى الرأس و العين، و ما جاء عن الصحابة تخيرنا، و ما جاء عن التابعين فهم رجال و نحن رجال.

وقال شعبه بن الحجاج: أقوال التابعين ليست حجة، فكيف تكون حجة في التفسير؟! (١) توفي سنة (١٨٢) قال ابن خزيمة كان من أهل العبادة والتشّف، ولم يكن من أجلس الحديث.

(تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ١٧٧-١٧٩)

(٢) الإتقان، ج ٤، ص ٢١٠-٢١٢.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣١

وقد عرفت عن أحمد روايتين، احدهما بالقبول، والأخرى بالرفض.

قال الأستاذ الذهبي: والذى تميل إليه النفس، هو أنّ قول التابعى فى التفسير لا يجب الأخذ به، إلّا إذا كان ممّا لا مجال للرأى فيه، فإنه يؤخذ به حينئذ عند عدم الريبة. فإن ارتبنا فيه، بأن كان يأخذ من أهل الكتاب، فلنا أن نترك قوله ولا نعلمد عليه. أمّا إذا أجمع التابعون على رأى فإنه يجب علينا أن نأخذ به ولا نتعداه إلى غيره «١».

قلت: إن كان أريد التعبد بأقوال التابعين و التسليم لآرائهم، فهذا لا وجه له، ولا مبرر لذلك، فإنهم - كما قال أبو حنيفة - رجال و نحن رجال.

لكن مقصود البحث غير ذلك، و إنما هو الاعتبار العقلانى، بالنظر إلى أسبقيتهم و أقربيتهم إلى منابع الوحي و مهبط التنزيل، و أمس بجوانب الشريعة، و أقرب تناولا إلى أعتاب أعلام الصحابة و الأئمة الهداء، كما تبهنا، فضلا عن أنهم أعرف بمواضع اللغة و أساليب العرب الفصحى، ممّن نزل القرآن بلغتهم و على أساليب كلامهم المعروف.

فكانت آراؤهم و نظراتهم المستنبطة من أصول متينة، المستقاة من مناهل صافية و ضافية، من خير الوسائل السليمة لفهم معانى القرآن الكريم؛ فهى بالاستعانة بها و الاستفادة منها أقرب منها إلى التعبد و التقليد.

وقد عرفت أن جلّ التابعين من متخرّجى مدارس الصحابة الأولين كعبد الله ابن مسعود، و ابن عباس، الذى كان هذا بدوره متخرّجا من مدرسة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فجملة علومهم و أصول معارفهم مستندة إلى منابع أصيلة منتهية (١) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٢٨-١٢٩.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٢

إلى مصدر الوحي الأمين، الأمر الذى يجعل الفرق واضحا بين من كان شأنهم هذا، و بين من كان مستقى علمه بعيد المنال، ينتهى إليه بوسائط كثيرة، و فى جهد بليغ.

كما هى حالتنا الحاضرة بالنسبة إلى حالة التابعين، و هم على مشارف منابع الأولى يستقون منها بالمباشرة، و عن تناول قريب. و على أى حال، فإن اجتهاد من كانت منابع فى متناوله القريب، أصوب و أسدّ و أبين طريقا، ممن كان على مراحل من منابع الاجتهاد. و لا أقل من كون اجتهاد السابقين دلائل تنير الدرب لاجتهاد اللاحقين، الأمر الذى لا ينبغى إنكاره.

مميزات تفسير التابعى

يمتاز التفسير فى عهد التابعين بمميزات، تفصلها عن تفاسير الصحابة من وجوه:

أولا: التوسع فيه. فقد تعرّض التابعون لمختلف أبعاد التفسير، و خاضوا معانى القرآن، من مختلف الجهات و المناحى. بينما كان تفسير الصحابة مقتصرًا على جوانب محدودة من اللغة، و شأن النزول، و بعض المفاهيم الشرعية؛ لرفع ما أبهم على الناس من هذه الجهات فحسب. فقد خطا تفسير التابعى خطوات أوسع، و فى جوانب أكثر.

و من ثم فإن التفسير فى هذا العهد يشمل جوانب الأدب و اللغة فى أبعاد مترامية، و هكذا التاريخ لأمم سالفه، و أمم معاصرة مجاورة

لجزيرة العرب، تاريخ حياتهم و بلادهم، على ما وصلت إليهم من أخبارهم، و حتى بعض لغاتهم و ثقافتهم، مما يمس جانب القرآن. و هكذا دخل في التفسير بحوث كلامية نشأت ذلك العهد، و ارتبطت مع كثير من آي القرآن بعض الربط، كآيات الصفات و المبدأ و المعاد، و ما شابه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٣

و قد أخذ هذا التوسع بازدياد مطرد، و في أبعاد مستجدة كلما توسّعت العلوم و المعارف، و ازداد التعرف إلى آداب و ثقافات كان يملكها أمم يدخلون في دين الله أفواجا، و معهم علومهم و معارفهم، يحملونها و يجعلونها في خدمة الإسلام و المسلمين، و كانت لم تزل تتسع مع اتساع رقعة الإسلام.

و لا يزال حجم التفسير يتضخم؛ حيث و فرة العلوم و المعارف المساعدة لحلّ قسط وافر من مشاكل غامضة، مما تحتضنه كثير من آيات كونية أو لافته إلى خبايا أسرار الوجود. و للعلم و الفلسفة في جميع مناحيهما حظهما الأوفر في هذا المجال. ثانيا: تشكّله و ثبته، ثم تدوينه.

كان التفسير على عهد الصحابة كحاله في عهد الرسالة، منتثرا على أفواه الرجال، و مبثوثا بين أظهرهم، محفوظا في الصدور، لقصر خطاه و قرب مداها.

و مقتصر على بضع كلمات لبضع آيات، كانت خافية المفاد، أو مبهمه المراد حينذاك.

أما و كونه منتظما رتبا، و مثبتا ذا تشكيل و تدوين، فهذا قد حصل أو أخذ في الحصول على عهد التابعين و تابعي التابعين. كان أحدهم يعرض القرآن من بدئه إلى الختم، على شيخه يقرؤه عليه، يقف لدى كل آية آية يسأله عنها و يستفهمه معانيها، أو يستعلم منه مقاصدها و مراميها، و لا يجوزها حتى يدونها في سجل، أو يثبتها في دفتر أو لوح، كان يحمله معه. و هكذا أخذ التفسير يتشكل و يتدوّن ذلك العهد.

قال مجاهد: عرضت القرآن على ابن عباس ثلاث مرّات، أقف عند كل آية، أسأله فيم أنزلت، و كيف نزلت. قال ابن أبي مليكة: رأيت مجاهدا يسأل ابن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٤

عباس عن تفسير القرآن، و معه ألواحه، فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التفسير كله. و من ثم قيل: أعلمهم بالتفسير مجاهد (١).

و كان ابن عباس يجتهد في تربية عكرمة مولاه، فرباه فأحسن تربيته، و علّمه فأحسن تعليمه، حتى أصبح فقيها، و أعلم الناس بالتفسير و معاني القرآن (٢).

و لقتادة كتاب في التفسير، و ربما كان كبير الحجم ضخما. فقد استخدمه الخطيب البغدادي، كما استخدمه الطبري في أكثر من ثلاثة آلاف موضع من تفسيره (٣).

و هكذا لجابر بن يزيد الجعفي (٤)، و الحسن البصري (٥)، و أبان بن تغلب (٦)، و زيد بن أسلم (٧)، و غيرهم كتب معروفة في التفسير و علوم القرآن.

قال عادل نويهض: أبان بن تغلب مقرئ جليل، مفسّر، نحوي، لغوي، محدّث، من أهل الكوفة. وثقه أحمد و ابن معين و أبو حاتم. خرّج له مسلم و الأربعة. من آثاره «معاني القرآن» و «غريب القرآن». و لعله أول من صنّف في هذا الموضوع. توفي سنة (١٤١) (٨).

و سندكر في فصل قادم بدء التدوين في التفسير، الأمر الذي تحقق منذ عهد (١) و قد سبق ذلك في ترجمته.

(٢) راجع: ترجمته هنا.

(٣) الشواخ في معجم مصنفات القرآن الكريم، ج ٢، ص ١٦٣، رقم ٩٩٩.

(٤) فهرست مصنفى الشيعة، ص ٩٣.

(٥) الشواخ، ج ٢، ص ١٦١.

(٦) طبقات المفسرين، ج ١، ص ١.

(٧) الطبقات للداودي، ج ١، ص ١٧٦.

(٨) معجم المفسرين، ج ١، ص ٧-٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٥

التابعين.

و ثالثا: النظر و الاجتهاد. كانت هي ميزة كبرى حظى بها عهد التابعين، أن قام عديد من كبار العلماء ذاك العهد، فاعملوا النظر فى كثير من مسائل الدين، و منها مسائل قرآنية كانت تعود إلى: معانى الصفات، و أسرار الخليفة، و أحوال الأنبياء و الرسل، و ما شاكل. فكانوا يعرضونها على شريعة العقل، و يحاكونها وفق حكمه الرشيد، و ربما يؤولونها إلى ما يتوافق مع الفطرة السليمة.

و أول مدرسة أخذت فى الاجتهاد و أعمال النظر لاستنباط معانى القرآن، مدرسة مكة، التى أشادها الصحابى الجليل تلميذ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام الموقف، عبد الله بن عباس. و كان متخرجو هذه المدرسة هم الذين أسسوا ببيان الاجتهاد فى التفسير، و على يدهم شاعت و ذاعت طريقة الاجتهاد فى مناحى الشريعة المقدسة، على الإطلاق.

ثم مدرسة الكوفة، تأسست على يد عبد الله بن مسعود، و تخرّجت منها علماء أفذاذ، أصحاب نظر و اجتهاد. و أصبحت مدرسة الكوفة بعدئذ معهد الدراسات الإسلامية، يقصدها روّاد العلم من جميع أطراف البلاد؛ حيث محطّ جلّ الصحابة، و لا سيّما بعد مهجر الإمام أمير المؤمنين عليه السلام. فقد ارتحل إليها العلم برمته، و أخذت مجامع الكوفة تحتضن الكبار من علماء الإسلام يومذاك، و عليهم دارت رحى العلم و فاضت ينابيع المعارف إلى أرجاء البلاد.

و لم تدم مدرسة مكة طويلا، و أخذت بالأفول بعد وفاة صاحبها و مؤسسها عام (٦٨)، و تفرّق متخرجيها و انتشارهم فى أكناف الأرض. فقد ارتحلوا إلى خراسان و مصر و الشام و سائر الديار.

غير أن مدرسة الكوفة أخذت تزدهر و تزداد صيتا و نشاطا مع تقادم الأيام. و هاتان المدرستان هما الأساس لنشر العلم و بثّ المعارف بين العباد، و إن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٦

كانت إحداهما أخذت فى الاندثار، بينما الأخرى استمرت فى الازدهار و التوسّع و الانتشار.

و أكثر العلماء التابعين بل الغالبية الساحقة، هم المتخرجون من هاتين المدرستين.

فكان لهما الفضل الكبير على الأمة، فى تثقيفهم و التنشيط فى السعى وراء العلم و المعرفة. و يعود الفضل فى ذلك إلى الصحابين الجليلين: ابن عباس و ابن مسعود، و على رأسهما الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

هذا مجاهد بن جبر، متخرّج مدرسة ابن عباس، و قد أجمعت الأمة على إمامته و الاحتجاج بكلامه «١».

رمى بحرية الرأى فى التفسير، و إن شئت فقل: حظى بقوة الفهم و حدّة النظر و وفور العقل و الذكاء.

نعم، حيث كانت عقلية الجمود هي الساطية على غوغاء الناس حينذاك، كان توجيهه هكذا تهيم إلى أمثال هؤلاء الأفذاذ، يبدو طبيعيا فى ظاهر الحال.

قيل له: أنت الذى تفسّر القرآن برأيك؟! فبكى، و قال: إننى إذن لجرىء. لقد حملت التفسير (أى أصول مبانيه و طرائق استنباط معانيه) عن بضعة عشر رجلا من أصحاب النبى صلى الله عليه و آله و سلم.

نعم كان مجاهد يحمل ذهنية متحرّرة عن قيود الأوهام، و عقلية واعية تمكّنه من إدراك الحقائق و لمسها فى واقع أمرها، دون

الاقتصار على الظاهر و الاقتناع (١) هكذا ذكر الذهبي. و عن سفيان: إذا جاءك التفسير عن مجاهد فحسبك به. و عن الأعمش: إذا نطق خرج من فيه اللؤلؤ. راجع: ترجمته فيما قدّمنا.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٧
بالقشور.

إنه كان يعرض الآي القرآنية- لغرض فهم معانيها- على المتفاهم العام من الألفاظ و الكلمات، ثم على مباني الشريعة و شواهد التاريخ و نحوها، ممّا كان متعارفا لفهم المعاني لدى العرف العام. لكن من غير أن يقتنع بذلك، حتى يعرضها على فهم العقل و توافق الفطرة، من غير أن يختفى عنه شيء من الشواهد و دقائق الكلام.

قال- في تفسير قوله تعالى: فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ-: «١» لم يمسيخوا قردة، و إنما هو مثل ضربه الله، كما قال: كَمَثَلِ الْجِمَارِ يَجْمَلُ أَشْفَاراً «٢»، قال:

إنه مسخت قلوبهم، فجعلت قلوب القردة، لا تقبل و عطا و لا تتقى زجرا «٣».

و قد تكلمنا عن تفسيره هذا لهذه الآية، في ترجمته السالفة، و ذكر أوجه ترجيحه، و كلام السلف و علماء المفسرين بشأنه.

و قال- في تفسير قوله تعالى: رَبَّنَا أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوْلَادِنَا وَ آخِرِنَا وَ آيَةً مِنكَ- «٤» قال: مثل ضرب لم ينزل عليهم شيء، قال أبو جعفر الطبري: قال قوم: لم ينزل على بني إسرائيل مائدة، فقال بعضهم: إنما هذا مثل ضربه الله تعالى لخلقه، نهاهم به عن مسألة نبي الله الآيات. ثم أسند ذلك إلى مجاهد «٥». (١) البقرة / ٦٥.
(٢) الجمعة / ٥.

(٣) راجع: مجمع البيان- الطبرسي-، ج ١، ص ١٢٩. و الطبري، ج ١، ص ٢٦٣. و تفسير مجاهد، ص ٧٥-٧٦.

(٤) المائدة / ١١٤.

(٥) جامع البيان للطبري، ج ٧، ص ٨٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٨

و عند تفسير قوله تعالى: وَجُودَةٌ يَوْمَئِذٍ نَاصِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ «١»، قال:

تنتظر الثواب من ربها. قيل له: إن أناسا يقولون: إنه تعالى يرى، فيرون ربهم: فقال:

لا يراه من خلقه شيء «٢».

قال الأستاذ الذهبي: إن مثل هذا التفسير عن مجاهد، أصبح مكننا قويا للمعتزلة فيما بعد، فيما ذهبوا إليه من مذاهب عقليّة.

قلت: ليس مجاهد وحده ممن فتح باب الاجتهاد و النظر في مفاهيم القرآن، بل كان يرافقه- ذلك العهد- كثير من أرباب العقول الراجحة، ممن سمّاهم الله تعالى أُولَى الْأَلْبَابِ، و هم وفره في أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ و التابعين لهم بإحسان. و في هذا التأليف تنويه بجلّة من أعلامهم.

كما أن المعتزلة ليسوا هم وحدهم- ممن تبعوا طريقة العقل الرشيد، و نبذوا الجمود في الرأى وراء الظهور. ففيما عدا السلفيين الحفاه الجفاه و أذناهم الأشاعرة العراء، خلق كثير و زرافات من الأمية المرحومة، و اكبوا أهل الاعتزال أو سبقوهم في هذا المضمار، و لا يزال.

و من الموصوفين بحريّة الرأى و الاجتهاد في التفسير، عكرمه مولى ابن عباس، الذي رباه فأحسن تربيته و علمه فأحسن تعليمه، حتى أصبح من الفقهاء و أعلم الناس بالتفسير و معاني القرآن «٣».

كان يرى مسح الأرجل في الوضوء مستفادا من الكتاب، كما فهمه شيخه ابن (١) القيامة / ٢٣.

(٢) تفسير الطبري، ج ٢٩، ص ١٢٠. و قد أسبقنا الحديث عن ذلك أيضا في ترجمته.

(٣) ابن خلكان، ج ٣، ص ٢٦٥ رقم ٤٢١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٣٩

عباس، و يرفض ما استظهره سائر الفقهاء، و يخطئهم في استظهار الخلاف «١».

و هكذا في المسح على الخفين كان ينكره أشد الإنكار. كان يقول: «سبق الكتاب المسح على الخفين» «٢»، يعني: أن الكتاب جاء بالمسح على الأرجل. أما المسح على الخفين فأمر حادث، لا يجوز ترك القرآن بذلك.

أمّا القوم فكانوا يرون المسح على الخفين ناسخا للمسح على الأرجل. ذكر الجصاص أن أبا يوسف كان يرى أن سنّة المسح على الخفين نسخت آية المسح على الأرجل «٣».

و زيد بن أسلم مولى عمر، الفقيه المفسر، برع حتى أصبح من كبار التابعين المرموقين. كانت له حلقة في مسجد المدينة يحضرها جلّ الفقهاء و ربّما بلغوا أربعين فقيها. له تفسير يرويه عنه ولده عبد الرحمن. قال ابن حجر: أخذ العلم من جماعة، منهم على بن الحسين زين العابدين عليه السّلام، و عدّه أبو جعفر الطوسي من أصحاب الإمام السجاد. قال: كان يجالسه كثيرا. له رواية عن الإمامين الباقر و الصادق عليهما السّلام.

و قد أخذ عليه حرّيته في الرأى و الاجتهاد، على خلاف مذهب الاحتياط و الوقوف لدى المأثور. قال حمّاد: قدمت المدينة و هم يتكلمون في زيد بن أسلم. فقال لى عبيد الله بن عمر: ما نعلم به بأسا إلّا أنه يفسّر القرآن برأيه. (١) راجع: الطبري، ج ٦، ص ٨٢-٨٣ و الطبرسي، ج ٣، ص ١٦٥.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٧، ص ٢٦٨.

(٣) أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ٣٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٠

و المعروف عن أهل المدينة أنّهم أصحاب وقف و احتياط «١».

هذا، و قد راج التفسير العقلي فيما بعد، و لا سيّما عند المعتزلة و من حذا حذوهم في تقديم العقل على ظاهر النقل.

هذا أبو مسلم محمد بن بحر الأصفهاني (٢٥٥-٣٤٤) قد وضع تفسيره على أساس من التفكير الصحيح، وفق ما يرتضيه الدين الإسلامي الحنيف، من نبذ التقليد و التمسك بعري التحقيق أ فلا يتبدّبزّون القرآن أم على قلوب أقفالها، و أنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم و لعلّهم يتفكّرون .. «٢».

هو عند ما يفسّر قوله تعالى: قال ربّ اجعل لي آية. قال آيتك أأأ تكلم الناس ثلاثة أيام إلّا رمزا. و اذكر ربك كثيرا و سبح بالعشيّ و الأبيكار «٣» بأن زكريا لما طلب من الله تعالى آية تدلّه على حصول العلق (انعقاد النطفة في رحم زوجته) قال: آيتك أن لا تكلم، أى تصوير مأمورا بأن لا تتكلم ثلاثة أيام لباليها مع الخلق (أى إذا جاءك الأمر بذلك، فاعلم أن الحمل يحيى قد تحقق عند ذلك) أى تكون مشتغلا بالذكر و التسبيح و التهليل، معرضا عن الخلق و الدنيا، شاكرًا لله تعالى على إعطاء مثل هذه الموهبة. فإن كانت لك حاجة، دلّ عليها بالرمز. فإذا أمرت بهذه الطاعة فاعلم أنه قد حصل المطلوب. (١) طبقات المفسرين للداودي، ج ١، ص ١٧٦. و ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٢، ص ٩٨، و راجع:

ترجمته هنا.

(٢) محمد/٢٤، النحل/٤٤.

(٣) آل عمران/٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤١

يقول الإمام الرازي بشأنه- و هو أشعري يخالفه في المذهب:- «و هذا القول عندى حسن معقول. و أبو مسلم حسن الكلام في التفسير،

كثير الغوص على الدقائق و اللطائف» (١).

هذه شهادة راقية من أكبر علم من أعلام التحقيق في الفلسفة و الكلام، بشأن ألمع شخصية بارزة، مارس عقله و شاور لُبّه عند تفهّم القرآن، ممّن نبذ التقليد و أخذ في التدقيق.

و أنت إذا قارنت هذا التفسير لهذا الموضوع بالذات، مع سائر التفاسير التي عرضها القوم، تجد الفرق بائنا و البون شاسعا. ذكر أبو جعفر الطبري: أنّ عدم التكلم هنا كان عن عجز، سلبه الله القدرة على الكلام، فيما سوى التسبيح و التحميد؛ و ذلك تمحيصا له من هفوته و خطأ قبله في سؤاله الآية. قيل: إنه لما سمع نداء الملائكة يبشرونه بيحيى، جاءه الشيطان من فوره، و قال له: يا زكريا، إنّ الصوت الذي سمعت ليس من عند الله، إنما هو الشيطان يسخر بك. قالوا: فشكّ زكريا في مكانه، و قال: أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ «٢». و من ثم طلب من الله أن يجعل له آية، يرتفع بها شكّه، فعاتبه الله على مسأله تلك و أنه لا ينبغي لنبي أن يشكّ. قال الطبري - فيما رواه -: إنما عوقب بذلك، لأن الملائكة شافهته مشافهة بذلك، فبشّرته بيحيى، فلما سأل الآية بعد كلام الملائكة مشافهة، أخذ الله عليه (١) التفسير الكبير، ج ٨، ص ٤٠ - ٤١.

(٢) آل عمران / ٤٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٢

بلسانه، فكان لا يقدر على الكلام إلّا إيماء «١».

و قال القرطبي: لما بشّر بالولد. و لم يبعد عنده هذا في قدرة الله، طلب آية يعرف بها صحه هذا الأمر، و كونه من عند الله، فعاقبه الله بأن أصابه السكوت عن كلام الناس؛ لسؤاله الآية بعد مشافهة الملائكة إيّاه. «٢» و هكذا أكثر المفسرين من أصحاب النقل في التفسير كابن كثير و أضرابه «٣».

غير أن أرباب التحقيق رفضوا تلك النقول المنافية لأصول العقيدة الإسلامية، و لا سيّما فيما يمسّ جانب عصمة الأنبياء و صيانتهم عن إمكان غلبه الشيطان على مشاعرهم.

قال الشيخ محمد عبده: و من سخافات بعض المفسرين، و التي لا تليق بمقام الأنبياء عليهم السلام زعمهم أن زكريا عليه السلام اشتبه عليه وحي الملائكة و نداؤهم، بوحى الشياطين؛ و لذلك سأل سؤال التعجب، ثم طلب آية للتثبت. روى ابن جرير فيما روى: أنّ الشيطان هو الذي شكّكه في نداء الملائكة، و قال له: إنه من الشيطان.

قال: و لو لا الجنون «٤» بالروايات مهما هزلت و سمجت، لما كان لمؤمن أن يكتب مثل هذا الهزل و السخف الذي ينبذه العقل، و ليس في الكتاب ما يشير إليه.

و لو لم يكن لمن يروى مثل هذا إلّا هذا، لكفى في جرحه، و أن يضرب بروايته على وجهه. فعفا الله عن ابن جرير، إذ جعل هذه الرواية ممّا ينشر.

ثم فسر الآية وفق ما فسرّها أبو مسلم: قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً، أي علامه (١) جامع البيان للطبري، ج ٣، ص ١٧٦ - ١٧٧.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، ج ٤، ص ٨٠.

(٣) راجع: تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٣٦٢.

(٤) أي الشغف بجمع الأخبار مهما كان نمطها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٣

تتقدم هذه العناية و تؤذن بها قال آيتك أَلَّا تُكَلِّمَ النَّاسَ ...، أي ترك ذلك مختارا لتفرغ لعبادة الله «١».

و هكذا في قصة إبراهيم الخليل و الطيور الأربعة: قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصِرْهُنَّ إِيَّاكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَا تَيْنِكَ سَعِيًّا «٢».

قال الرازي: أجمع أهل التفسير على أن المراد: قطعهم، غير أبي مسلم فإنه أنكر ذلك، وقال: إن إبراهيم عليه السلام لما طلب إحياء الميت من الله تعالى أراه الله مثالا قَرَبَ إليه الأمر، والمراد ب «فَصِيْرُهُنَّ إِلَيْكَ»: الإمامة و التمرين على الإجابة، أى فعود الطيور الأربعة أن تصير بحيث إذا دعوتها إجابتك و أتتك، فإذا صارت كذلك فاجعل على كل جبل واحدا حال حياته ثم ادعهنَّ يأتينك سعيا. و الغرض منه ذكر مثال محسوس فى عود الأرواح إلى الأجساد على سبيل السهولة. و أنكرو القول بأن المراد منه: فقطعهن. قال: و احتج على مذهبه بوجوه:

الأول: أن المشهور فى اللغة فى قوله «فَصِيْرُهُنَّ»: أملهنَّ. أما التقطيع و الذبح فليس فى الآية ما يدل عليه. فكان إدراجه فى الآية إلحاقا لزيادة بالآية لم يدل الدليل عليها، و أنه لا يجوز.

الثانى: أنه لو كان المراد ب «صرهنَّ»: قطعهن، لم يقل: «إليك»، فإن ذلك لا (١) تفسير المنار، ج ٣، ص ٢٩٨-٢٩٩. و لسيدنا العلامة الطباطبائى هنا كلام غريب رجح رأى سائر المفسرين و جَوَّزَ اشتباه الأمر على الأنبياء لو لا عنايته تعالى برفعه منهم هو عجيب منه. راجع: الميزان ج ٣، ص ١٩٤. (٢) البقرة/ ٢٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٤

يتعدى يالى، و إنما يتعدى بهذا الحرف إذا كان بمعنى الإمامة. فإن قيل: لم لا يجوز أن يقال فى الكلام تقديم و تأخير، و التقدير: فخذ إليك أربعة من الطير فصرهنَّ؟

قلنا: التزام التقديم و التأخير من غير دليل ملجئ إلى التزامه خلاف الظاهر.

و أيضا الضمير فى «يأتينك» عائد إليها لا إلى أجزائها، و على قولكم: إذا سعى بعض الأجزاء إلى بعض كان الضمير فى «يأتينك» عائدا إلى أجزائها لا إلى الطيور أنفسها «١».

ثم إن الإمام الرازي يذكر حجج المشهور رادا على أبي مسلم. و قد نقلها صاحب تفسير المنار و ضعفها، و أيد مذهب أبي مسلم فى تفسير الآية فى شرح و تفصيل، ثم قال:

و جملة القول: أن تفسير أبي مسلم لهذه الآية هو المتبادر الذى يدل عليه النظم، و هو الذى يجلى الحقيقة فى المسألة، و أخذ فى تقريب ذلك. و أخيرا قال:

و لله درّ أبى مسلم، ما أدقّ فهمه و أشدّ استقلاله فيه «٢».

و هذه أيضا شهادة بشأن أبى مسلم، من أكبر علماء التفسير فى العصر الأخير.

هذا، و لأمثال أبى مسلم مواقف مشرفة تجاه سائر المفسرين الظاهريين، كانت نوافذ قلوب أمثاله متفتحة، يسرون فى ضوء العقل، و على مناهج التفكير المتين «٣».

و هذا إن دلّ فإنما يدلّ على مدى قوّة الاجتهاد و دوره المجيد فى تفسير (١) التفسير الكبير، ج ٧، ص ٤١-٤٢.

(٢) راجع: تفسير المنار، ج ٣، ص ٥٦-٥٨.

(٣) و سنعرض نماذج من تفاسيرهم التى جاء نسجها على نفس المنوال، فى فصول قادمة إن شاء الله.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٥

القرآن الكريم، و الذى فتح بابه بمصرعين، نبهاء السلف الصالح أيام الصحابة و التابعين، و استمرت طريقتهم الحميدة سنّه حسنه متبّعة حتى اليوم.

قال الرازي فى تفسير قوله تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا. فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيًّا فَمَرَّتْ بِهِ، فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنُكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ. فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا، فَتَعَالَى

اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ «١».

قال- بعد إيراد إشكال و اعتراضات على ظاهر الآية-: إذا عرفت هذا فنقول:

في تأويل الآية وجوه صحيحة سليمة خالية عن هذه المفاسد:

الأول: فما ذكره القفال «٢»؛ أنه تعالى ذكر هذه القصّة على تمثيل ضرب المثل، و بيان أنّ هذه الحالة هي صورة حالة هؤلاء المشركين في جهلهم و قولهم بالشرك.

قال: و تقرير هذا الكلام، كأنه تعالى يقول: هو الذى خلق كل واحد منكم من نفس واحدة، و جعل من جنسها زوجها إنسانا يساويه فى الإنسانية. فلما تغشّى الزوج زوجته و ظهر الحمل، دعا الزوج و الزوجة ربهما لئن آتيتنا ولدا صالحا سويا لنبكوننّ من الشاكرين. فلما آتاهما الله ولدا صالحا سويا، جعل الزوج و الزوجة لله شركاء فيما آتاهما؛ لأنهما تارة ينسبون ذلك الولد إلى الطبايع كما هو قول الطبايعيين، و تارة إلى الكواكب كما هو دأب المنجمين، و تارة إلى الأصنام و الأوثان كما هو قول عبدة الأصنام. (١) الأعراف / ١٨٩-١٩٠.

(٢) توفى سنة (٣٦٥ ق)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٦

ثم قال الرازى: و هذا جواب فى غاية الصّحة و السّداد، ثم ذكر بقية الوجوه، فراجع «١».

و قد حمل العلامة جار الله الزمخشري آية عرض الأمانة على السماوات و الأرض (الأحزاب: ٧٢) على ضرب من التمثيل، ثم قال: و نحو هذا من الكلام كثير فى لسان العرب، و ما جاء القرآن إلّا على طرقهم و أساليبهم؛ من ذلك قولهم:

لو قيل للشحم: أين تذهب؟ لقال: أسوى العوج. و كم و كم لهم من أمثال على ألسنة البهائم و الجمادات «٢».

و يروى ابن كثير- فى تفسير قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ ... «٣» بإسناده إلى ابن جريج عن عطاء- قال: هذا مثل، يعنى أنها ضرب مثل لا قصّة وقعت «٤».

رابعا: رواج الإسرائيليات فى هذا العهد.

ففى هذا الدور دخل كثير من الإسرائيليات فى التفسير؛ و ذلك لكثرة من دخل من أهل الكتاب، فى الإسلام فى هذا العهد بالذات، و كان لا يزال عالقا بأذهانهم من الأفاصيص و أساطير أسلافهم، ما يعود إلى بدء الخليقة و أسرار (١) التفسير الكبير، ج ١٥، ص ٨٦-٨٧.

(٢) الكشّاف، ج ٣، ص ٥٦٥.

(٣) البقرة / ٢٤٣.

(٤) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٢٩٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٧

الوجود و بدء الكائنات و أخبار الأمم الخالية و أحاديث الأنبياء، و كثير من القصص الأسطورية التى جاءت فى التوراة، و سائر الكتب السالفة.

و كانت النفوس ميّالة لسماع تفاصيل ما جاء إجمالها فى القرآن الكريم، و لا سيّما فيما يعود إلى أحداث يهودية أو نصرانية، ممّا جاء فى العهدين. فكان المسلمون يستمعون إلى أقاصيص هؤلاء، و يصغون مسامعهم إلى تلكم الأساطير.

و قد تساهل التابعون- رغم مناهى النبىّ صلّى الله عليه و آله و سلّم و أصحابه الكرام- فرجوا فى التفسير بكثير من هذه الإسرائيليات، بدون تحزّ و تمحيص. و أكثر من روى عنه ذلك من مسلمى أهل الكتاب: عبد الله بن سلام، و كعب الأبحار، و وهب بن متبه، و عبد الملك بن جريج، و أضرابهم.

الأمر الذى يؤخذ على التابعين مساهلتهم هذه، كما هو مأخوذ على من جاء بعدهم، و سار على نفس المنوال من غير روية و تحقيق «١».

و سوف نستعرض هذه الناحية عرضا موسعا، عند الكلام عن أسباب الوهن فى التفسير بالمأثور، و أن الروايات التفسيرية غير نقيه، هى بحاجة إلى تنقيح.

منابع التفسير فى عهد التابعين

كان التلقى فى التفسير هو العنصر الأولى، و الأداة المفضلة لفهم كتاب الله تعالى، ذلك العهد؛ إذ كان التابعون يسيرون فى أثر الصحابة و كانوا تربيتهم بالذات، فانتهجوا منهجهم بطبيعة الحال. غير أنهم أخذوا بالتوسع و التفتح إلى آفاق واسعة الأرجاء، حسب توسع رقعة الإسلام و دخول الأقسام فى دين الله (١) راجع: أحمد أمين فجر الإسلام، ص ٢٠٥ و التفسير و المفسرون، ج ١، ص ١٣٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٨

أفواجا، و معهم علومهم و آدابهم و ثقافتهم، كما تبيننا. فازداد التبصر و التفتح إلى آفاق أوسع، و التطلع إلى أرجاء أبعد. و لا شك أنه كلما ازداد علم الرجل و تنوعت ثقافته و ترامت معارفه، فإنه يزداد تبصيره و يتوسع تفكيره و تفهمه للأمور، مهما كان نمطها، و أيا كان نسجها.

و بعد، فيمكننا تنوع المصادر التى كان التابعون يعتمدونها لفهم معانى كلام الله تعالى، و تبيين مقاصده و مرامينه، إلى الأمور التالية: أولا: مراجعة الكتاب نفسه؛ حيث القرائن و الدلائل فى كلام أى متكلم، خير شهود على كشف مراده و الوقوف على مرامه. و هكذا القرآن ينطق بعبءه ببعض و يشهد بعبءه على بعض، كما قال الإمام أمير المؤمنين عليه السلام.

ثانيا: ملاحظة ما تلقوه من أقوال الصحابة و أحاديث رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بشأن تبيين معانى الكتاب.

حيث الأسئلة حول لفيق من معانى القرآن كانت كثيرة على عهدده صلى الله عليه و آله و سلم، و كان عليه البيان، كما كان عليه البلاغ. و من تلك الأسئلة و أجوبتها كانت وفرة و فيرة مدخرة على أيدي الصحابة، يؤدونها إلى الذين اتبعوهم بإحسان. و قد تقدم حديث مسروق بن الأجدع، و وصفه لعلوم الأصحاب المتلقاه من النبى الكريم.

ثالثا: مراعاة أسباب النزول و المناسبات المستدعية لنزول آية أو آيات أو سورة و نحوها؛ حيث كانت فى متناولهم القريب، و هم الذين نقلوها إلينا فيما نقلوه من الآثار و الأخبار.

و حيث كانت الآيات النازلة بشأنها ناظرة إلى جوانب و خصوصيات تحتضنها تلك الحوادث و المناسبات، فإنها بدورها تصبح خير دلائل على رفع كثير من الإبهام الوارد فى ألفاظ تلك الآيات بالذات. و كان أصحاب ذلك العهد

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٤٩

(عهد التابعين) إما حضروا تلك المشاهد بأنفسهم، أو بإمكانهم الملاقاة مع شهود القضايا، و الأخذ منهم مشافهة.

و هذا من أكبر المصادر لرفع الإبهام عن وجه كثير من الآيات، و كان فى متناولهم القريب.

رابعا: مراجعة اللغة فى صميمها، و لا سيما أشعار العرب، و هى ديوانها و دائرة معارفها، للوقوف على مزايا اللغة و أساليب كلام العرب. و القرآن نزل على نمطها و على نفس نسجها فى التعبير و البيان، و إن كان فى أسلوب أرقى و على نسج أقوى.

و كان ابن عباس يوصى أصحابه بل يحضهم على مراجعة أشعار العرب للتعرف على غريب القرآن. و لقد عدّ زعيم هذه الناحية من التفسير بالخصوص، حتى لقد قيل بشأنه: إنه هو الذى أبدع الطريقة اللغوية لتفسير القرآن «١».

كان يقول: الشعر ديوان العرب، فإذا خفى علينا حرف من القرآن الذى أنزله الله بلغة العرب، رجعنا إلى ديوانها، فالتمسنا ذلك منه.

و أيضا قوله: إذا سألتموني عن غريب القرآن فالتمسوه في الشعر، فإن الشعر ديوان العرب «٢».

خامسا: أنحاء العلوم و المعارف التي تعرّف إليها المسلمون، بفضل التوسع في رقعة الإسلام. و ازدحام وفود الآداب و الثقافات المستوردة عليهم، يحملها أمم ذوا حضارات عريقة، كانوا يدخلون في دين الله أفواجا.

و قد أسلفنا أن التوسع في الاطلاع على العلوم و المعارف، مهما كان نمطها، (١) المذاهب الإسلامية لتفسير القرآن، ص ٦٩. التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٧٥.

(٢) الإتقان، ج ١، ص ١١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٠

فإنه يزيد في قوة الفهم و إمكان لمس حقائق الأمور، و يرتفع مستوى قدرة الاستنباط بدرجات، لا يبلغها من أعوزه النيل منها بنسبة إعوازه.

و هكذا استفاد التابعون- و من بعدهم- بالعلوم و المعارف المستجدة، و المستزادة مع تقادم الأيام، استفادوا بها في فهم معاني كلام الله تعالى، و قد أنزله الذي يعلم السر في السماوات و الأرض «١».

سادسا: اعتمادهم على ما فتح الله عليهم من طريق الاجتهاد و النظر في كتاب الله تعالى، و قد روت لنا كتب التفسير كثيرا من أقوال هؤلاء التابعين في التفسير، قالوها بطريق الرأي و النظر و الاجتهاد، مما لم يصل إلى علمهم شيء فيها عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم أو عن أحد الصحابة. فكانوا يعملون النظر فيها، يامعان النظر في دلائل و قرائن كانت تساعدهم على فهم الآيه، مما مزّت الإشارة إلى بعضها، و غير ذلك من أدوات الفهم، و وسائل البحث و التنقيب.

الأمر الذي ساعد على فتح باب الاجتهاد بشأن التفسير، و في سائر شؤون الشريعة، و استمرت الطريقة المرضية عبر التاريخ، و قد نوهنا عنها.

سابعا: استفادهم إلى نصوص من كتب العهدين، مما جاء إجماله في القرآن، و تعرّضت لتفاصيلها كتب السالفين، مما لم يحتمل فيه التحريف. كجوانب من تاريخ أنبياء بنى إسرائيل و سيرة ملوكهم، و ما شابه من قصصهم و أخبارهم.

و ذلك ككثير من قصص إبراهيم الخليل و لوط و يوسف. ففي التوراة ما في القرآن من تفاصيل أخبارهم، سوى أن القرآن جاء بالصحيح المعقول منها، مختزلا، بينما في التوراة صور محرّفة و مرفوضة لدى العقل السليم، سوى بعض لقطات و خطافات جاءت سليمة، يمكن الاستفادة منها أحيانا. الأمر الذي كان (١) الفرقان / ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥١

نبهاء الصحابة و التابعين يعنونونه بالذات «١»، دون الاستناد المطلق من غير تحرّ أو تحقيق فبشر عباد. الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ. أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَئِكَ هُمْ أُولُوا الْأَلْبَابِ «٢».

أما الأخذ من أهل الكتاب، و الانصياع لهم في كل ما يسطرون، فهذا كان مما يتحاشاه الصحابة و التابعون، نعم سوى شراذم من غوغاء العوام، أو أهل الدغل من الساسة الحاكمة على البلاد، على ما نسرد قصّتهم في فصله القادم إن شاء الله.

فالذي ذكر الذهبي، من اعتماد التابعين، في فهم معاني كتاب الله تعالى، على ما أخذوه من أهل الكتاب مما جاء في كتبهم، «٣» فإنه- على إطلاقه- مرفوض. و قد فتدنا مزاعم الرجوع إلى أهل الكتاب، فيما حسبه بشأن الصحابي الجليل عبد الله بن عباس. (١) و هذا نظير ما وقف عليه المولى أبو الكلام آزاد، بشأن «ذو القرنين» من الدلائل في التوراة، أنه كورش، الملك الفارسي الذي قام بإعادة بناء البيت و تحريره و إيراد أبناء إسرائيل، الذين كان قد اضطهدهم الطاغية بخت نصر ملك بابل يومذاك.

(٢) الزمر / ١٧.

(٣) التفسير و المفسرون، ج ١، ص ٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٣

المرحلة الرابعة دور أهل البيت في التفسير

إشارة

* العترة إلى جنب القرآن * دورهم في التفسير دور تربية و تعليم * خلط التفسير بالتأويل عن بعض * الوضع عن لسان الأئمة * نماذج من تفاسير أهل البيت

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٥

دور أهل البيت في التفسير

العترة إلى جنب القرآن

(هم ورثة الكتاب و حملته و خزنة علومه و معارفه) ثُمَّ أَوْزَنَّا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا «١» أَوْصَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ بِشَأْنِ الْعِتْرَةِ الظاهرة، إلى جنب كتاب الله العزيز الحميد، و جعلهما خلفه الباقي في أمته. و عتبر عنهما بالثقلين - محرّك: كل شىء نفيس مصون «٢» و لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض. كناية عن تواصل مسيرهما حتى انقضاء العالم. يتداومان علمين للأئمة ما أن تمسكوا بهما لن يضلوا أبدا.

حديث مستفيض، بلفظ «كتاب الله و عترتى»

أو

«كتاب الله و أهل بيتى»

أو (١) فاطر / ٣٢.

(٢) قال السيد محمد مرتضى الزبيدى: الثقل - محرّك - متاع المسافر و حشمه. و كل شىء خطير نفيس مصون، له قدر و وزن، ثقل عند العرب. قال الفيروز آبادى: و منه حديث «إنى تارك فيكم الثقلين كتاب الله و عترتى». قال الزبيدى: جعلهما ثقلين إعظاما لقدرهما و تفخيما لهما. قال ثعلب:

سماهما ثقلين؛ لأنّ الأخذ بهما و العمل بهما ثقل. (تاج العروس بشرح القاموس، ج ٧، ص ٢٤٥)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٦

بالجمع بين التعبيرين

«عترتى أهل بيتى»

ليكون أحدهما تبيينا للآخر و توضيحا له. و على التعابير، فهو متفق على صحته و إحكام طرقه و أسانيده.

قال العلامة الأمينى: هذا الحديث مما اتفقت الأئمة و الحفاظ على صحته «١».

و قال الحافظ ابن حجر الهيتمى: و لهذا الحديث طرق كثيرة عن بضع و عشرين صحابيا «٢». (١) الغدير، ج ٦، ص ٣٣٠ (ط بيروت) بالهامش رقم ٤.

(٢) الصواعق المحرقة باب وصية النبي بشأن أهل البيت، ص ١٣٦.

و إليك الأهم من مصادر هذا الحديث فى الصحاح المعروفة:

أ-

روى مسلم في صحيحه (ج ٧، ص ١٢٣) في باب فضائل علي من كتاب فضائل الصحابة، بعده أسانيد عن زيد بن أرقم، قال: خطب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بغدير خم، فحمد الله وأثنى عليه وعظ وذكر، ثم قال: «أما بعد ألا أيها الناس فإنما أنا بشر يوشك أن يأتي رسول ربي فأجيب. وأنا تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله، فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به ... ثم قال: وأهل بيتي.

أذركم الله في أهل بيتي، قالها ثلاثاً.

فسئل زيد عمّن يكون أهل بيته؟ قال: من حرمت عليه الصدقة، هم آل علي وآل عقیل وآل جعفر وآل عباس، ونفى أن تكون نساؤه منهم. رواه مسلم هنا بأربعة طرق كلها صحاح. ب- و

روى الترمذی في سننه (ج ٧، ص ٦٦٥) باب مناقب أهل النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإسناده عن جابر بن عبد الله، قال: رأيت رسول الله -ص- في حجته يوم عرفه وهو على ناقته القصواء يخطب، يقول: «يا أيها الناس إنني قد تركت فيكم ما إن أخذتم به لن تضلوا: كتاب الله وعترتي أهل بيتي». و

بإسناده أيضاً عن زيد بن أرقم عنه -ص-: «إنني تارك فيكم ما أن تمسكتم به لن تضلوا بعدي، أحدهما أعظم من الآخر: كتاب الله، حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، ولن النفسير والمفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٧ يتفرقا حتى يردا عليّ الحوض. فانظروا كيف تخلفوني فيهما. الحديث رقم ٣٧٨٦ و ٣٧٨٨. ج- و رواه الدارمي في سننه (ج ٢، ص ٤٣٣) بإسناده إلى زيد بن أرقم، كما في صحيح مسلم.

د- و

روى أحمد في مسنده (ج ٣، ص ١٤) بإسناده إلى أبي سعيد الخدري، قال: قال رسول الله -ص-: «إنني تارك فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض. وعترتي أهل بيتي، وأنها لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض ... وفي ص ١٧: فانظروني بم تخلفوني فيهما. و راجع: ص ٢٦ و ص ٥٩. وفي ج ٤، ص ٣٦٧ عن زيد بن أرقم على ما رواه مسلم، وكذا في، ص ٣٧١ إشارة.

و

في ج ٥، ص ١٨٢ عن زيد بن ثابت: إنني تارك فيكم خليفتين، و ص ١٨٩.

هو

أخرج الحاكم في المستدرک (ج ٣، ص ١٠٩) عن زيد بن أرقم: «إنني قد تركت فيكم الثقلين أحدهما أكبر من الآخر، كتاب الله تعالى وعترتي. فانظروا كيف تخلفوني فيهما ... و ص ١١٠، و ص ١٤٨.

قال الحاكم بشأن الحديث بأسانيده في المواضع الثلاثة: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

و- والمتقى الهندي في كنز العمال (مؤسسة الرسالة)، ج ١، ص ٣٨١ رقم ١٦٥٧. و ص ٣٨٤ رقم ١٦٦٧.

ز- و أبو نعيم الأصبهاني في حلية الأولياء، ج ٩، ص ٦٤.

ح- و مرتضى الحسيني الفيروزآبادي في فضائل الخمسة، ج ٢، ص ٤٣-٥٣.

ط- و ابن حجر الهيتمي في الصواعق المحرقة، ص ١٣٦ و ص ٧٥.

فيه أيضاً بدل «عترتي» «سنتي»، لكنّه لم يسنده إلى أصل وثيق.

ي- قال ابن كثير- في تفسيره (ج ٤، ص ١١٣) ذيل آية المودة في القربى من سورة الشورى.

و

قد ثبت في الصحيح أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال- في خطبته بغدير خم-: «إنني تارك فيكم الثقلين، كتاب الله و

عترتي. و أنهما لن يفترقا حتى يردا عليّ الحوض» ، و جعل يسرد أحاديث

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٨

و المستفاد من حديث الثقلين أمور:

أولاً: لزوم مودّتهم. قال ابن حجر الهيتمي: و في هذه الأحاديث، لا سيما

قوله- ص:- انظروا كيف تخلفوني فيهما، و أوصيكم بعترتي خيرا، و أذكركم الله في أهل بيتي»

الحث الأكيد على مودّتهم و مزيد الإحسان إليهم و احترامهم و إكرامهم و تأديّة حقوقهم الواجبة و المندوبة، كيف و هم أشرف بيت وجد على وجه الأرض فخرا و حسبا و نسبا.

قال: و في قوله- ص:- «لا تقدموهما فتهلكوا، و لا تقصروا عنهما فتهلكوا، و لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»

دليل على أنّ من تأهل منهم للمراتب العليّة و الوظائف الدينية كان مقدّما على غيره. و يدل عليه التصريح بذلك بشأن قريش، فأهل البيت النبوي الذين هم غزّة فضلهم و محتد فخرهم و السبب في تميّزهم على غيرهم، بذلك أخرى و أحق و أولى ... و أخيرا قال: و صحّ عن أبي بكر أنه قال: ارقبوا محمدا في أهل بيته، أى احفظوا عهده و ودّه في أهل بيته «١».

و عند ذكره لتأويل الآية: وَقَفُوهُمْ إِنِّي نَسُؤُلُونَ «٢»

أسند إلى أبي سعيد الخدرى، أنّ النبيّ صلّى الله عليه و آله و سلّم قال: «وقفوهم أنهم مسئولون عن ولايئه عليّ».

قال:

و كأن هذا هو مراد الواحدى بقوله:

روى- فى الآية- أنهم مسئولون عن ولايئه عليّ وردت بنفس التعبير، قالها رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم فى مواطن كثيرة؛

حيث كان يجد مجتمع أصحابه، و لا سيّما فى أخريات سنى حياته الكريمة.

(١) الصواعق المحرقة، ص ١٣٦-١٣٧. و الرواية عن أبى بكر هذه أخرجها البخارى فى الصحيح، قال: «ارقبوا محمدا صلّى الله عليه و

آله و سلّم فى أهل بيته» (جامع البخارى، ج ٥، ص ٢٦) باب مناقب قرابة النبيّ- ص- و أخرجه بأسناد آخر فى باب مناقب الحسين

(ج ٥، ص ٣٣)

(٢) الصفات/ ٢٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٥٩

و أهل البيت؛

لأنّ الله أمر نبيّه أن يعزّف الخلق أنه لا- يسألهم على تبليغ الرسالة أجزا إلّا المودة فى القربى. و المعنى: أنهم يسألون هل والوهم حقّ

الموالاة كما أوصاهم النبيّ- ص- أم أضاعوها و أهملوها، فتكون عليهم المطالبة و التبعة «١».

قال الهيتمي: و أشار الواحدى بقوله: «كما أوصاهم» إلى الأحاديث الواردة فى ذلك، و هى كثيرة، ثم ذكر طرفا منها، و من جملتها

حديث الثقلين. و ذكر متنوع متونه، و

فى رواية «كتاب الله و سنى»

. و قال: و هى المراد من الأحاديث المقتصرة على الكتاب؛ لأنّ السنّة مبيّنة له فأغنى ذكره عن ذكرها. قال: و الحاصل أنّ الحث وقع

على التمسك بالكتاب و بالسنّة، و بالعلماء بهما من أهل البيت.

و أخيرا قال: و يستفاد من مجموع ذلك بقاء الأمور الثلاثة إلى قيام الساعة.

ملحوظة: قال الهيتمي: إن للحديث طرقا كثيرة وردت عن ثيف و عشرين صحابيا. و فى بعض تلك الطرق أنه- ص- قال ذلك بحجّة

الوداع بعرفة، و في أخرى أنه قاله بالمدينة في مرضه و قد امتلأت الهجرة بأصحابه، و في ثالثة أنه قال ذلك غدیر خم، و في رابعة أنه قال لما قام خطيباً بعد انصرافه من الطائف.

قال: و لا- تنافى؛ إذ لا- مانع من أنه- ص- كرّر عليهم ذلك في تلك المواطن و غيرها، اهتماماً بشأن الكتاب العزيز و العترة الطاهرة «٢».

ثانياً: تداوم إمامتهم ما تداومت أيام هذه الأمة عبر الأزمان، و كونهم مراجع الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم في فهم الشريعة و معاني القرآن، مرجعية عاصمة، (١) أخرجه الحافظ الكبير الحاكم الحسكاني بعدة طرق. راجع: شواهد التنزيل، ج ٢، ص ١٠٦-١٠٨.

(٢) الصواعق المحرقة، ص ٨٩-٩٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٠

نظير عصمة القرآن، و مرجعيتها عبر الخلود.

قال السيد الأمين العاملي- بعد ذكر أحاديث الثقلين التي رواها أئمة علماء السنة و أكابر محدثيهم، في صحاحهم بأسانيدهم المتعددة، و اتفق على روايتها الفريقان:

«دلت هذه الأحاديث على عصمة أهل البيت من الذنوب و الخطأ، لمساواتهم فيها بالقرآن الثابت عصمته، في أنهم أحد الثقلين المخلفين في الناس، و في الأمر بالتمسك بهم كالتمسك بالقرآن. و لو كان الخطأ يقع منهم لما صحح الأمر بالتمسك بهم الذي هو عبارة عن: جعل أقوالهم و أفعالهم حجة. و في أن التمسك بهم لا يضل كما لا يضل التمسك بالقرآن. و لو وقع منهم الذنب أو الخطأ لكان التمسك بهم يضل. و أن في اتباعهم الهدى و النور كما في القرآن، و لو لم يكونوا معصومين لكان في اتباعهم الضلال. و في أنهم جبل ممدود من السماء إلى الأرض كالقرآن، و هو كناية عن أنهم واسطة بين الله تعالى و بين خلقه، و أن أقوالهم عن الله تعالى، و لو لم يكونوا معصومين لم يكونوا كذلك.

و في أنهم لن يفارقوا القرآن و لا يفارقهم مدة عمر الدنيا. و لو أنهم أخطئوا أو أذنبوا لفارقوا القرآن و فارقهم.

و في عدم جواز مفارقتهم بتقدم عليهم بجعل نفسه إماماً لهم، أو تقصير عنهم و ائتمام بغيرهم، كما لا يجوز التقدم على القرآن بالإفتاء بغير ما فيه، أو التقصير عنه باتباع أقوال مخالفه.

و في عدم جواز تعليمهم و ردّ أقوالهم، و لو كانوا يجهلون شيئاً لوجب تعليمهم، و لم ينع عن ردّ قولهم.

قال: و دلت هذه الأحاديث أيضاً على أن منهم من هذه صفته في كل عصر و زمان بدليل

قوله- ص:- إنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض، و أن اللطيف

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦١

الخبير أخبره بذلك.

و ورود الحوض كناية عن انقضاء عمر الدنيا، فلو خلا زمان من أحدهما لم يصدق أنهما لن يفترقا حتى يردا عليه الحوض «١».

ثالثاً: أنهم الراسخون في العلم و المصداق الأوفى لوصف أهل الذكر، الذين يعلمون تفسير القرآن و تأويله، فهم وحدهم مراجع الأمة، في فهم معاني الكتاب و درس آياته عبر العصور، إنهم أبواب الهدى و مصابيح الدجى و سفن النجاة.

قال الهيثمي- في مقارنته لطيفة بين «الكتاب» و «العترة»:- سمي رسول الله- ص- القرآن و عترته ثقلين؛ لأن الثقل كل نفيس خطير مصون. و هذان كذلك؛ إذ كل منهما معدن للعلوم اللدنية و الأسرار و الحكم العلية و الأحكام الشرعية؛ و لذا حث رسول الله- ص-

على الاقتداء و التمسك بهم و التعلم منهم، و

قال: «الحمد لله الذي جعل فينا الحكمة أهل البيت».

وقيل: سَمِيَا ثَقَلَيْنِ؛ لثَقَلِ وَجُوبِ رِعَايَةِ حَقُوقِهِمَا.

ثم الذين وقع الحثّ عليهم منهم إنما هم العارفون بكتاب الله و سنّهُ رسوله؛ إذ هم الذين لا يفارقون الكتاب إلى الحوض، و يؤيده الخبر السابق

«و لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم»

. و تميّزوا بذلك عن بقية العلماء؛ لأن الله أذهب عنهم الرجس و طهّرهم تطهيرا، و شرّفهم بالكرامات الباهرة و المزايا المتكاثرة. و في أحاديث الحثّ على التمسك بأهل البيت إشارة إلى عدم انقطاع متأهل منهم للتمسك به إلى يوم القيامة، كما أن الكتاب العزيز كذلك؛ و لهذا كانوا أمانا لأهل الأرض - حسبما يأتي-.

و يشهد لذلك

قوله- ص:- «في كل خلف من أمّتي عدول من أهل بيتي (١) أعيان الشيعة، ج ١، ص ٣٧٠ في السابع من دلائل فضل عليّ عليه السلام على سائر الصحابة، و نقله الغدير، ج ٣، ص ٢٩٧-٢٩٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٢

ينفون عن هذا الدين تحريف الضالين و انتحال المبطلين و تأويل الجاهلين، ألا- إن أئمتكم وفدكم إلى الله عزّ و جلّ فانظروا من توفدون».

ثم أحق من يتمسك به منهم إمامهم و عالمهم علي بن أبي طالب- كرم الله وجهه- لمزيد علمه و دقائق مستنبطاته، و من ثم قال أبو بكر: عليّ عتره رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم «١».

و قال في قوله تعالى: «و ما كان الله ليعدّ بهم و أنت فيهم» «٢»: أشار صلّى الله عليه و آله و سلّم إلى وجود هذا المعنى في أهل بيته و أنهم أمان لأهل الأرض كما كان هو أمانا لهم.

و في ذلك أحاديث كثيرة، منها ما

رواه الحاكم و صحّحه على شرط الشيخين: «النجوم أمان لأهل الأرض من الغرق و أهل بيتي أمان لأمتي من الاختلاف، فإذا خالفتها قبيلة من العرب اختلفوا فصاروا حزب إبليس».

و

قال: و جاء من طرق عديدة يقوى بعضها بعضها: «إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا»

و.

في رواية مسلم: «و من تخلف عنها غرق»

و.

في رواية: «هلك»، «و إنما مثل أهل بيتي فيكم مثل باب حطة في بني إسرائيل، من دخله غفر له» «٣».

روى ثقة الإسلام الكليني بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «إنّ الله تبارك و تعالى طهّرنا و عصمنا و جعلنا شهداء على خلقه و حجّته في أرضه.

و جعلنا مع القرآن، و جعل القرآن معنا، لا نفارقه و لا يفارقنا».

و

روى- أيضا- عن الإمام أبي عبد الله الصادق عليه السلام قال- في قل الله عزّ (١) الصواعق المحرقة، ص ٩٠ و ٩١.

(٢) الأنفال / ٣٣.

(٣) الصواعق المحرقة، ص ٩٠ و ٩١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٣

و جَلَّ: فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَ جِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا «١»:-

نزلت في أمة محمد صلى الله عليه وآله و سلم خاصة. في كل قرن منهم إمام منا شاهد عليهم، و محمد صلى الله عليه وآله و سلم شاهد علينا «٢».

و

في كلامه عليه السلام إشارة إلى قوله صلى الله عليه وآله و سلم:- «يحمل هذا الدين في كل قرن عدول، ينفون عنه تأويل المبطلين و تحريف الغالين و انتحال الجاهلين، كما ينفي الكير خبث الحديد» «٣».

و

سأل عبيدة السلماني و علقمة بن قيس و الأسود بن يزيد النخعي، الإمام أمير المؤمنين عليه السلام من ذا يسألونه عما إذا أشكل عليهم فهم معاني القرآن؟

فأجابهم الإمام عليه السلام: «سلوا عن ذلك آل محمد» «٤».

و

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام لعمر بن عمرو بن عبيد «٥»: «فإنما على الناس أن يقرءوا القرآن كما أنزل، فإذا احتاجوا إلى تفسيره، فالاهتداء بنا و إلينا يا عمرو» «٦».

و

قال عليه السلام: «إن العلم الذي نزل مع آدم - كناية عن العلم الذي كان يحمله (١) النساء / ٤١.

(٢) الكافي الشريف، ج ١، ص ١٩٠ و ١٩١ رقم ١ و ٥.

(٣) اختيار معرفة الرجال لأبي عمرو الكشي، ص ٤ رقم ٥. و الكير: زق أو جلد غليظ ذو حافات ينفخ فيه الحداد لإلانة الحديد.

(٤) بصائر الدرجات للصفار، ص ١٩٦ رقم ٩.

(٥) عمرو بن عبيد هذا كان من زعماء المعتزلة و من العلماء الزهاد، و كان منقطعاً إلى آل أبواب البيت مواليا لهم، و له معهم مواقف مشرفة. قال حفص بن غياث: ما وصف لي أحد إلا وجدته دون الصفة، إلا عمرو بن عبيد فوجدته فوق ما وصف لي. قال: و ما لقيت أحداً أزهد منه. توفي سنة ١٤٢. (تهذيب التهذيب، ج ٨، ص ٧٠)

(٦) تفسير فرات الكوفي، ص ٢٥٨ رقم ٣٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٤

الأنبياء منذ البداية - لم يرفع، و العلم يتوارث، و كان على عليه السلام عالم هذه الأمة. قال:

و إنه لم يمت منا عالم قط إلا خلفه من أهله من علم مثل علمه، أو ما شاء الله ... «١».

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إنا أهل بيت لم يزل الله يبعث منا من يعلم كتابه من أوله إلى آخره» «٢».

نعم كان ذلك هو مقتضى تلازم الكتاب و العترة، فلا يمكن الاهتداء بأحدهما بعيداً عن الآخر؛ إذ كما أن للكتاب موضع التشريع و التأسيس، كان للعترة موضع التفصيل و التبيين، كما كان ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله و سلم.

هكذا عرفت الصحابة و الذين اتبعوهم بإحسان، هذا الموضع الرفيع لآل البيت، و لا سيما رأسهم و رئيسهم الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام. فكانوا يراجعونهم فيما أشكل عليهم من مسائل الشريعة و مفاهيم القرآن، مدعنين لهم هذا المقام السامي.

هذا الصحابي الجليل عبد الله بن مسعود، و من أكابر الصحابة قدراً و أجلاً شأننا، تراه يدعن برفعة مقام شاخص هذا البيت الإمام أمير المؤمنين.

و أنه قد تتلمذ على يده حتى في حياة صادق الرسالة الأمين - صلوات الله عليه -.

أخرج أبو جعفر الطوسي - في أماليه - بإسناده إلى ابن مسعود، قال: قرأت على النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبعين سورة من القرآن أخذتها من فيه، و قرأت سائر القرآن على خير هذه الأمة و أفضاهم بعد نبيهم، علي بن أبي طالب صلوات الله عليه «٣». (١) الكافي الشريف، ج ١، ص ٢٢٢ رقم ٢.

(٢) بصائر الدرجات، ص ١٩٤ رقم ٦.

(٣) الأمالي - للطوسي، ج ٢، ص ٢١٩. و إذ كنا نعرف أن السور المكية (٨٦) سورة. نعرف أن ابن

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٥

أخرج ابن عساكر في ترجمة الإمام بإسناده إلى عبيدة السلماني قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقول: لو أعلم أحدا أعرف بكتاب الله مني تبلغه المطايا ...

فقال له رجل: فأين أنت من علي؟ قال: به بدأت، إنني قرأت عليه «١».

و أخرج عن زاذان عنه، قال: قرأت على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم تسعين سورة، و ختمت القرآن على خير الناس بعده. قيل له: من هو؟ قال: علي بن أبي طالب «٢».

و هو القائل: القرآن أنزل على سبعة أحرف، ما منها حرف إلّا له ظهر و بطن.

و أن علي بن أبي طالب عنده منه علم الظاهر و الباطن «٣».

و

أخرج الحاكم الحسكاني بإسناده عن علقمة، قال: كنت عند رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسئل عن علي، فقال: «قسّمت الحكمة عشرة أجزاء، فأعطى علي تسعة أجزاء، و أعطى الناس جزء واحد» «٤».

و لابن عباس الصحابي العظيم أيضا شهادات راقية بشأن الإمام. و كذا غيره من أجلاء الأصحاب، قد مرّت الإشارة إليها في ترجمة الإمام، و هكذا تصريحات من أعلام التابعين لا نعيد ذكرها.

الأمر الذي دعا بنبيه الأمة في جميع الأدوار، أن يجعلوا من أئمة أهل البيت، قدوتهم في كل أبعاد الشريعة، و لا سيما طريقة فهم القرآن و استنباط معانيه و الوقوف على دقائق تعابيره و ظرائف نكاته. و كان قولهم هو فصل الخطاب و القول الفصل في جميع الأبواب. مسعود قد تعلم القرآن من علي عليه السلام في وقت مبكر، أيام كونهم في مكة قبل الهجرة إلى المدينة.

(١) تاريخ دمشق - ترجمة الإمام -، ج ٣، ص ٢٥ - ٢٦ رقم ١٠٤٩.

(٢) المصدر رقم ١٠٥١ و راجع: سعد السعود لابن طاوس، ص ٢٨٥ و البحار، ج ٨٩، ص ١٠٥.

(٣) ابن عساكر رقم ١٠٤٨.

(٤) شواهد التنزيل، ج ١، ص ١٠٥ رقم ١٤٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٦

هذا أبو الفتح محمد بن عبد الكريم الشهرستاني صاحب الملل و النحل (٤٦٧-٥٤٨) يحاول - عند دراسته لتفسير القرآن - أن يجعل رائده علما من أعلام هذا البيت الرفيع، معتقدا أن الصحيح من القول، لا يوجد إلّا عندهم لا عند غيرهم. و إليك بعض كلامه بهذا الشأن:

«و خصّ الكتاب بحملة من عترته الطاهرة و نقله من أصحابه الزاكية الزاهرة، يتلونه حق تلاوته، و يدرسونه حق دراسته، فالقرآن تركته، و هم ورثته، و هم أحد الثقلين، و بهم مجمع البحرين، و لهم قاب قوسين، و عندهم علم الكونين، و العالمون.

«و كما كانت الملائكة عليهم السلام معقبات له من بين يديه و من خلفه تنزيلا، كذلك كانت الأئمة الهادية، و العلماء الصادقة

معقبات له من بين يديه و من خلفه تنزيلا، كذلك كانت الأئمة الهادية، و العلماء الصادقة معقبات له من بين يديه و من خلفه تفسيرا و تأويلا- إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذُّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ «١». فتتزيل الذكر بالملائكة المعقبات، و حفظ الذكر بالعلماء الذين يعرفون تنزيله و تأويله، و محكمه و متشابهه، و ناسخه و منسوخه، و عامه و خاصه، و مجمله و مفصّله، و مطلقه و مقيدته، و نصّه و ظاهره، و ظاهره و باطنه. و يحكمون فيه بحكم الله، من مفروغه و مستأنفه، و تقديره و تكليفه، و أوامره و زواجره، و واجباته و محظوراته، و حلاله و حرامه، و حدوده و أحكامه، بالحق و اليقين، لا بالظنّ و التخمين، أولئك الذين هداهم الله و أولئك هم أولو الألباب.

«و لقد كانت الصحابة- رضى الله عنهم- متفقين على أن علم القرآن مخصوص بأهل البيت عليهم السلام؛ إذ كانوا يسألون على بن أبى طالب رضى الله عنه هل خصصتم أهل البيت دوننا بشيء سوى القرآن؟ و كان يقول: لا و الذى فلق الحبة و (١) الحجر / ٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٧

برأ النسمة إلّا بما فى قراب سيفى هذا. فاستثناء القرآن بالتخصيص دليل على إجماعهم بأنّ القرآن و علمه تنزيله و تأويله مخصوص بهم.

«و لقد كان حبر الأئمة عبد الله بن عباس رضى الله عنه مصدر تفسير جميع المفسرين، و قد دعا له رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بأن قال: «اللهم فقهه فى الدين و علمه التأويل . تتلمذ لعلّى رضى الله عنه حتى فقهه فى الدين و علمه التأويل .

قال: «و لقد كنت على حدائثه سنّى أسمع تفسير القرآن من مشايخى سماعا مجردا، حتى وفقت فعلقته على أستاذى ناصر السنّة أبى القاسم سلمان بن ناصر الأنصارى رضى الله عنه تلقفا. ثمّ أطلعنى مطالعات كلمات شريفة عن أهل البيت و أوليائهم- رضى الله عنهم- على أسرار دفينه و أصول متينه فى علم القرآن، و نادانى من هو فى شاطئ الوادى الأيمن فى البقعة المباركة من الشجرة الطيبة: يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَ كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ «١» فطلبت الصادقين طلب العاشقين، فوجدت عبدا من عباد الله الصالحين، كما طلب موسى عليه السلام مع فتاه، فوجدنا عبداً من عبادنا آتيناها رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا وَ عَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا «٢».

فتعلّمت منه مناهج الخلق و الأمر، و مدارج التضادّ و الترتيب، و وجهى العموم و الخصوص، و حكمى المفروغ و المستأنف. فشبعنا من هذا المعاء الواحد دون الأمعاء التى هى مآكل الضلال و مداخل الجهال، و ارتويت من شرب التسليم بكأس كان مزاجه من تسنيم، فاهتديت إلى لسان القرآن: نظمه و ترتيبه و بلاغته و جزالته و فصاحته و براعته «٣». (١) التوبة / ١١٩.

(٢) الكهف / ٦٥.

(٣) عن مقدمته تفسيره الذى أسماه «مفاتيح الأسرار و مصابيح الأبرار» مخطوط.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٨

و من طريف ما يذكر هنا، ما شهد به مثل الحجاج بن يوسف الثقفى بشأن هذا البيت الرفيع، حسبما رواه على بن إبراهيم القمى فى تفسيره: أن أباه حدّثه عن سليمان بن داود المنقرى عن أبى حمزة الثمالى عن شهر بن حوشب، قال: قال لى الحجاج بن يوسف: بأنّ آية فى كتاب الله قد أعيتنى! فقلت: أيها الأمير، آية آية هى؟ فقال: قوله: وَإِنْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ إِلَّا لِيُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ «١»، و الله لأمر باليهودى و النصرانى فيضرب عنقه، ثم أرمقه بعينى، فما أراه يحرك شفّيته حتى يحمد! فقلت: أصلح الله الأمير، ليس على ما تأوّلت! قال: كيف هو؟ قلت: إن عيسى بن مريم ينزل قبل يوم القيامة إلى الدنيا، فلا يبقى أهل ملّة يهودى و لا نصرانى إلّا آمن به قبل موته، و يصلّى خلف المهدي. قال: ويحك، أنى لك هذا، و من أين جئت به؟! فقلت: حدّثنى به محمد بن على بن الحسين بن على بن أبى طالب عليهم السلام، فقال: جئت بها، و الله من عين صافية «٢».

كان الحجاج قد حسب أن الضمير فى قوله تعالى «قَبْلَ مَوْتِهِ» يعود إلى «مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ» فجاء تفسير الإمام بإرجاع الضمير إلى المسيح؛ و بذلك زالت علته.

و أورد الإمام الرازي الحديث بلفظ آخر، ناسبا له إلى محمد ابن الحنفية، قال:
فأخذ ينكت في الأرض بقضيب، ثم قال: لقد أخذتها من عين صافية «(٣)».

دور أهل البيت في التفسير

كان الدور الذي قام به أئمة أهل البيت عليهم السلام في تفسير القرآن الكريم، هو دور تربية و تعليم، و إرشاد إلى معالم التفسير، و أنه كيف ينبغي أن يفهم معاني كلامه (١) النساء / ١٥٩.
(٢) تفسير القمي، ج ١، ص ١٥٨. و نقله الطبرسي في المجمع، ج ٣، ص ١٣٧.
(٣) التفسير الكبير، ج ١١، ص ١٠٤.
التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٦٩
تعالى، و كيف الوقوف على دقائق و رموز هذا الوحي الإلهي الخالد. فقد كانت تفاسيرهم للقرآن، المأثورة عنهم عليهم السلام تفاسير نموذجية، كانوا قد عرضوها على الأمة و على العلماء، لكي يتعرفوا إلى أساليب التفسير، تلك الأساليب المعتمدة على أصول متينة و قواعد رصينة. و أن في الجم الغفير من التفسير الوارد عنهم عليهم السلام ما ينبؤك عن حرصهم الشديد على تعليم هذه الأمة كيف يفسرون القرآن الكريم، و ايقافهم على نكت و ظرف من هذا الكلام البارع. نعم كانوا عليهم السلام ورثة القرآن العظيم، و حملته إلى الناس، في أمانه صادقة و أداء و إيفاء كريم.
و سوف نذكر نماذج من تفاسير مأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام، هي شواهد على كونها مناهج تعليمية لكيفية التفسير، و طريقة استنباط معانيه الحكيمه.

الخلط في التفاسير المأثورة

هناك في التفسير المأثور عن أئمة أهل البيت عليهم السلام بعض الخلط بين تفسير الظاهر و تفسير الباطن، كما حصل خلط بين بعض التطبيقات و التفسير؛ حيث كان المنصوص عليه مصداقا أو من أبرز مصاديق الآية، فحسبها البعض تفاسير.
فكان من الضروري التمييز بين الأمرين، و فصل أحدهما عن الآخر، ليعرف وجه الصواب.
من ذلك ما ورد في تفسير قوله تعالى: فَسَيَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِأَنَّهُمْ آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَ آلِهِ وَ سَلَّمَ. فقد وردت هذه الآية في سورة النحل: مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَيَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ «(١)». (١).
٤٣ / ١٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٠
و في سورة الأنبياء وَ مَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَيَلُّوْا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ «(١)».
و ظاهر الآيتين يقضى بكون الخطاب موجها إلى المشركين، الذين استغربوا نزول الوحي على بشر أو على رجل منهم؛ حيث قالوا: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ «(٢)»، و قال تعالى: أ كَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَا إِلَى رَجُلٍ مِنْهُمْ «(٣)».
فرغوا لاستغرابهم أفسح لهم المجال كي يتساءلوا بذلك أهل الكتاب ممن يلونهم و كانوا يعتمدونهم. و من ثم جاءت في الآية الأولى: إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ، أي لا تعلمون الكتاب و لا تاريخ الأنبياء و الأمم السالفة، فعليكم بمراجعة من يعلم ذلك من أهل الكتاب.

كما جاء تعقيب الآية الثانية بقوله: وَ مَا جَعَلْنَاهُمْ جَسَداً لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَ مَا كَانُوا خَالِدِينَ حيث استغرابهم أن يكون النبي إنسانا

يأكل الطعام و يمشى فى الأسواق.

هذا هو ظاهر معنى الآيتين: تفسير «أهل الذكر» ب «أهل الكتاب».

لكن ورد فى تأويلهما ما يقضى بالعموم، بأن تشمل الآية كل ذوى العلم من أهل الثقافة و المعرفة، و على رأسهم أئمة أهل البيت عليهم السلام.

و ذلك بإلقاء الخصوصيات المكتنفة بالكلام، و الأخذ بعموم اللفظ و عموم الملاك (أى عموم مناط الحكم) و هو ما يقتضيه العقل من رجوع الجاهل إلى العالم إطلاقاً، و فى جميع مجالات العلم و المعرفة، بما يعم جميع الثقافات. (١). ٧/٢١.

(٢) الأنعام/ ٩١.

(٣) يونس/ ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧١

فهذا من التأويل الذى هو مفاد باطن الآية، و ليس من التفسير الذى هو مفاد ظاهرها.

هذا المولى محسن الفيض الكاشانى، حسب من هذه الروايات الواردة بتفسير الآية بأهل البيت، تفسيراً حقيقياً حسب ظاهر اللفظ. قال:

فى الكافى و القمى و العياشى عنهم عليهم السلام فى أخبار كثيرة: رسول الله «الذكر» و أهل بيته المسئولون و هم «أهل الذكر» و أضاف: أن المستفاد من هذه الأخبار أن المخاطبين بالسؤال هم المؤمنون دون المشركين، و أن المسئول عنه هو كل ما أشكل عليهم دون كون الرسل رجلاً. قال: و هذا إنما يستقيم إذا لم يكن «و ما أُرْسِلْنَا» ردّاً للمشركين، أو كان «فَسْتَلُوا...» كلاماً مستأنفاً، أو كانت الآية ممّا غير نظمه، و لا سيما إذا علّق قوله «بِالْبَيِّنَاتِ وَ الزُّبُرِ» بقوله «أُرْسِلْنَا»، فإن هذا الكلام، بينهما. و أما أمر المشركين بسؤال أهل البيت عن كون الرسل رجلاً لا ملائكة، مع عدم إيمانهم بالله و رسوله، فممّا لا وجه له «١».

انظر إلى هذا التكلف الذى وقع فيه لتوجيه ما حسبه تفسيراً للآية، فلو أنه أخذه تأويلاً لها مستخلصاً عموم المراد من ظاهر اللفظ؛ و ذلك لعموم مناط الحكم فى المراجعة و السؤال؛ لكان قد استراح بنفسه.

نعم، وردت الآية بشأن المشركين، و هم جهال، ليسألوا أهل الكتاب؛ لأنهم علماء. و هذا الدستور العقلانى عام فى ملاكته و مناطه، فليكن عاماً فى خطابه و شموله. هكذا يستفاد العموم من اللفظ و يستخلص الشمول من الملاك، و يسمّى ذلك تأويلاً، أى مآل الكلام فى نهاية المراد.

و هكذا قوله تعالى: (١) راجع: تفسير الصافى، ج ١، ص ٩٢٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٢

قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ (١) فقد فسّرها قوم حسبما ورد من روايات فى تأويلها، فحسبوا مفسرات. قال على بن إبراهيم - بصدد تفسير الآية -: أ رأيتم أن أصبح إمامكم غائباً فمن يأتيكم بإمام مثله، و اكتفى بذلك. و استشهد بحديث الرضا عليه السلام سئل عن هذه الآية، فقال: ماؤكم: أبوابكم، أى الأئمة عليهم السلام. و الأئمة أبواب الله بينه و بين خلقه، فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ، يعنى بعلم الإمام «٢».

و كناية «الماء المعين» عن العلم الصافى عن أكنادار الشبهات، أمر معروف، قال تعالى: وَ أَنْ لَوْ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً غَدَقًا «٣». و هكذا جاء فى تفسير الصافى للمولى محسن الفيض «٤».

غير أن ذلك تأويل للآية و ليس تفسيراً لها؛ حيث أخذ «الماء» فى مفهومه الأعم من الحقيقى و الكنائى، أى فيما يورث الحياة و يوجب تداومها و بقاءها، إن مادياً أو معنوياً، ليشمل الماء الزلال و العلم الصافى جميعاً، و بهذا المعنى العام يشمل كلا الأمرين. فاستخلاص مثل هذا العموم من لفظ الآية، يعتبر تأويلاً لها.

في رواية الصدوق- في الإكمال- تصريح بذلك؛ حيث سئل الإمام أبو جعفر محمد بن علي الباقر عليه السّلام عن تأويل هذه الآية بالذات، فقال: إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فما ذا تصنعون؟! ليمتاز التأويل عن التفسير.

وقوله تعالى: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (١) الملك / ٣٠.

(٢) تفسير القمي، ج ٢، ص ٣٧٩.

(٣) الجن / ١٦.

(٤) تفسير الصافي، ج ٢، ص ٧٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٣

وَ نُمْكِنُ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَ نُرِي فِرْعَوْنَ وَ هَامَانَ وَ جُنُودَهُمَا مِنْهُمْ مَا كَانُوا يَحْذَرُونَ «١».

فالآية- حسب ظاهرها- وردت بشأن قوم موسى و استضعاف فرعون لهم، فأراد الله أن يرفع بهم و يستذل فرعون و قومه.

لكن الآية في مفادها العام وعد بنصر المستضعفين في الأرض و رفعهم على المستكبرين، في أي عصر و في أي دور، سنّ الله التي جرت في الخلق. لكن على شرائط يجب توفرها كما توفرت حينذاك على عهد موسى و فرعون، فإن عادت الشرائط و تهيات الظروف، فإن السنّة تجرى كما جرت أول الأمر.

و بذلك جاء تأويل الآية بشأن مهديّ هذه الأئمة، و استخلاص المستضعفين في الأرض على يده من نير المستكبرين.

قال الإمام أمير المؤمنين عليه السّلام: «لتعطفنّ الدنيا علينا بعد شماسها عطف الضروس على ولدها، ثم تلا هذه الآية» «٢».

و

في كتاب الغيبة قال أمير المؤمنين عليه السّلام: «هم آل محمد- صلوات الله عليه- يبعث الله مهديهم بعد جهدهم، فيعزهم و يذل أعدائهم»

. و الروايات بهذا المعنى كثيرة جدا «٣».

فقد جاء ذكر موسى و قومه و فرعون و قومه، و المقصود- في باطن الآية- كل مستضعف في الأرض و مستكبر فيها.

قال الإمام السجاد: و الذي بعث محمدا بالحق بشيرا و نذيرا، إن الأبرار منا (١) القصص / ٥.

(٢) يقال: شمس الفرس شموسا و شماسا، إذا استعصى على راكبه. و الضروس: الناقة السيئة الخلق تعضّ حالها.

(٣) راجع: تفسير الصافي، ج ٢، ص ٢٥٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٤

أهل البيت، و شيعتهم بمنزلة موسى و شيعته، و إن عدونا و أشياعهم بمنزلة فرعون و أشياعه «١».

و عبثا حاول بعضهم جعل ذلك تفسيراً مباشراً للآية، و أخذ فرعون و هامان لفظاً كنايياً بحتاً عن مطلق العتاة في الأرض «٢».

و نظير هذه الآية في شمولها العام، و تأويلها بشأن المهديّ المنتظر- عجل الله تعالى فرجه الشريف- قوله تعالى: وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَ عَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَ لَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَ لَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا «٣».

فإن مصداقها الحقيقي المنطبق على بسيط الأرض كلّها، إنما يتحقق بظهور المهديّ و إضلال الإسلام على كافّة وجه الأرض، عند ذلك تكون العبادة لله في الأرض خالصة من الشرك، لا يشرك به أحد من خلقه.

قال الإمام الصادق عليه السّلام: نزلت في القائم و أصحابه «٤»، أي بشأنهم في تأويل الآية.

و هكذا قوله تعالى: وَ لَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ «٥».

قال الإمام الباقر عليه السّلام: هم أصحاب المهديّ في آخر الزمان. (١) تفسير الصافي، ج ٢، ص ٢٥٤.

(٢) راجع في ذلك: محاولة القمى في تفسيره، ج ٢، ص ١٣٣.

(٣) النور / ٥٥.

(٤) الغيبة للنعماني، ص ٢٣٠ رقم ٣٥.

(٥) الأنبياء / ١٠٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٥

و قد فضل الكلام في ذلك الطبرسى في مجمع البيان، فراجع «١».

وقوله تعالى: فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ أَنَا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا. ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا. فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا- إلى قوله- مَتَاعًا لَكُمْ «٢».

قال الإمام أبو جعفر الباقر عليه السلام: إلى علمه الذى يأخذه عمّن يأخذه «٣».

لا شك أن العلم غذاء الروح كما أن الطعام غذاء الجسد. فكما يجب على الإنسان أن يعرف أن الطعام الصالح و الغذاء النافع الكافل لسلامة الجسد و صحّة البدن، هو الذى يأتيه من جانب الله، و أنه تعالى هو الذى هتأه له ترفيها لمعيشته، كذلك يجب عليه أن يعلم أن العلم النافع و الغذاء الصالح لتنمية روحه و تزكية نفسه هو الذى يأتيه من جانب الله، و على يد أوليائه المخلصين الذين هم أئمة الهدى و مصابيح الدجى، فلا يستطرق أبواب البعداء الأجانب عن مهابط و حى الله، و مجارى فيضه المستدام.

قال الحكيم الربانى الفيض الكاشانى: لأن الطعام يشمل طعام البدن و طعام الروح جميعا كما أن الإنسان يشمل البدن و الروح. فكما أنه مأمور بأن ينظر إلى غذائه الجسمانى ليعلم أنه نزل من عند الله، فكذلك غذاؤه الروحانى الذى هو العلم، ليعلم أنه نزل من عنده تعالى بأن صبّ أمطار الوحي إلى أرض النبوة و شجرة الرسالة، و ينبوع الحكمة، فأخرج منها حبوب الحقائق و فواكه المعارف، ليغذى بها أرواح القابلين للتربية.

فقوله عليه السلام: «علمه الذى يأخذه عمّن يأخذه»

أى ينبغى له أن يأخذ علمه من مهابط الوحي و منابع الحكمة، أهل بيت رسول (١) مجمع البيان، ج ٧، ص ٦٦-٦٧.

(٢) عبس / ٢٤-٣٢.

(٣) رجال الكشّى، ص ١٠-١١ (ط نجف)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٦

الله صلى الله عليه و آله و سلم الذين أخذوا علومهم من مصدر الوحي الأمين، خالصة صافية ضافية.

قال: و هذا تأويل الآية، الذى هو باطن الآية، مرادا إلى جنب ظاهرها حسبما عرفت «١».

الوضع عن لسان الأئمة

من المؤسف جدا أن نجد كثرة الوضع فى التفاسير المنسوبة إلى السلف الصالح، و لا سيما أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ حيث وجد الكذابون- من رفيع جاه آل الرسول صلى الله عليه و آله و سلم بين الأئمة، و مواضع قبولهم من الخاصة و العامة- أرضا خصبة استثمروها لترويج أباطيلهم و تنفيق بضائعهم المزجاة. فصاروا يضعون الحديث و يختلقون لها أسانيد، يرتفعون بها إلى السلف و الأئمة المرضيين؛ كى تحظى بالقبول و التسليم.

و فى أكثر هذه المفتريات ما يتنافى و قدسيّة الإسلام و تتعارض مع مبانيه الحكيمه، فضلا عن منافرتها لدى الطبع السليم و العقل الرشيد.

و لحسن الحظ، أن غالبية أسانيد هذه الروايات المفتعلة، أصبحت مقطوعة أو موهونة برجال ضعاف أو مشهورين بالوضع و الاختلاق. و من ثم فإن الجوامع الحديثية التى حوت على أمثال هكذا تفاسير ماثورة نقلا عن الأئمة عليهم السلام لم تكد تصح منها إلّا القليل

النادر، على ما نتبه عليه.

ففى مثل تفسير أبى النضر محمد بن مسعود العياشى (توفى سنة ٣٢٠) الذى كان من أجمع التفاسير المأثورة، قد أصبح مقطوع الإسناد، حذف أسانيده بعض (١) تفسير الصافى، ج ٢، ص ٧٨٩ بتصرف و تلخيص.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٧

الناسخين لعذر غير وجهه، و بذلك أسقط مثل هذا التفسير الثمين عن الحجية و الاعتبار. و الذى وصل إلينا من هذا التفسير هو قسم من أوله، مع حذف الإسناد، و يا للأسف.

و هكذا تفسير فرات بن إبراهيم الكوفى (توفى حدود ٣٠٠) و قد أسقطت أسانيده أيضا. و مثلها تفسير محمد بن العباس ماهيار المعروف بابن الحجاج (توفى حدود ٣٣٠) لم يوجد منه سوى روايات مقطوعة الإسناد.

هذه تفاسير كانت بروايات مسنده إلى أئمة أهل البيت، و قد أصبحت مقطوعة الإسناد فاقده الاعتبار، لا يجوز الاستناد إليها فى معرفة آراء الأئمة عليهم السلام فى التفسير.

و أما مثل تفسير أبى الجارود، زياد بن المنذر الهمداني الخارفى الملقب بسرحوب «١» (توفى سنة ١٥٠) الذى يرويه عن الإمام أبى جعفر محمد بن على الباقر عليه السلام فضعيف كما لا اعتبار به؛ لأنه من زعماء الزيدية - المنحرفين عن طريقة الأئمة، و إليه تنسب الفرقة الجارودية أو السرحوية.

فقد ورد لعنه عن لسان الصادق عليه السلام، قال: لعنه الله، إنه أعمى القلب أعمى البصر

. و قال فيه محمد ابن سنان: أبو الجارود لم يمت حتى شرب المسكر و تولى الكافرين «٢».

و

عن أبى بصير قال: ذكر أبو عبد الله الإمام الصادق عليه السلام ثلاثة نفر: كثير النوا، و سالم بن أبى حفصة، و أبى الجارود. فقال: كذابون مكذبون كفار، عليهم لعنة (١) سرحوب: اسم ابن آوى. و يقال: إنه شيطان أعمى يسكن البحر.

(٢) فهرست ابن النديم، ص ٢٤٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٨

الله «١».

و التفسير المنسوب إلى الإمام العسكري عليه السلام فيه تفسير فاتحة الكتاب و آيات متقطعة من سورة البقرة حتى الآية رقم (٢٨٢) إلى قوله تعالى: «وَلَا يَأْبُ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا». و هذا آخر الموجود من هذا التفسير. زعموا أنه من إملاء الإمام أبى محمد الحسن بن على العسكري، أملاه على أبى يعقوب يوسف بن محمد بن زياد، و أبى الحسن على بن محمد بن سيار، كانا من أهل استرآباد، و حضرا سامراء فى طلب العلم لدى الإمام عليه السلام. و الراوى عنهما أبو الحسن محمد ابن القاسم الخطيب، المعروف بالمفسر الاسترآبادى.

غير أن النفرين الأولين مجهولان، و الراوى عنهما أيضا مجهول، فهنا ثلاثة مجاهيل حقا بهذا التفسير المبتور «٢».

و هناك لأحمد بن محمد السيارى (توفى سنة ٢٤٨) تفسير متقطع مختصر اعتمد المأثور عن الأئمة، غير أنه ضعيف الحديث، فاسد المذهب، مجفوق الرواية، كثير المراسيل، حسبما وصفه أرباب التراجم. و كان القميون - المحتاطون فى نقل الحديث - يحذفون من

كتب الحديث ما كان برواية السيارى «٣». (١) معجم رجال الحديث للإمام الخوئى، ج ٧، ص ٣٢٣.

(٢) راجع: الذريعة للطهرانى، ج ٤، ص ٢٨٥، و معجم رجال الحديث، ج ١٢، ص ١٤٧ و ج ١٧، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) راجع: الذريعة، ج ١٧، ص ٥٢. و المعجم، ج ٢، ص ٢٨٢ - ٢٨٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٧٩

و تفسير النعماني المنسوب إلى أبي عبد الله محمد بن إبراهيم النعماني من أعلام القرن الرابع (توفي سنة ٣٦٠) تفسير مجهول، لم يعرف واضعه، وإنما نسب إلى النعماني عفواً ولم يثبت. فقد عزي هذا التفسير المشتغل على توجيه الآيات المتعارضة - فيما زعمه واضعه - إلى ثلاثة من شخصيات لامعة في تاريخ الإسلام، هم: السيد المرتضى علم الهدى، وسعد بن عبد الله الأشعري القمي، والنعماني هذا. وجميع مكذوب عليهم، يتحاشاه قلم علم من أعلام الدين القويم «١».

و أما التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي (توفي سنة ٣٢٩) فهو من صنع أحد تلاميذه المجهولين، هو: أبو الفضل العباس بن محمد العلوي، أخذ شيئاً من التفسير بإملاء شيخه علي بن إبراهيم، ومزجه بتفسير أبي الجارود، الآنف، وأضافه إليه شيئاً مما رواه هو عن غير طريق شيخه بسائر الطرق، فهو تفسير مزيج ثلاثي الأسانيد. ولم يعرف لحد الآن من هذا العباس العلوي، واضع هذا التفسير. كما أن الراوي عن أبي الفضل هذا أيضاً مجهول، فلم يصح الطريق إلى هذا التفسير. كما لم يعتمد أرباب الجوامع الحديثية، فلم يرووا عن الكتاب، وإنما كانت رواياتهم عن علي بن إبراهيم بإسنادهم إليه لا إلى كتابه، فهو تفسير مجهول الانتساب «٢». (١) راجع ما كتبناه بشأن هذه الرسالة المجهولة الانتساب في كتابنا «صيانة القرآن من التحريف». ص ٢٢٢-٢٢٥.

(٢) راجع: الذريعة، ج ٤، ص ٣٠٢-٣٠٣. و الصيانة، ص ٢٢٩-٢٣١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٠

و في القرن الحادي عشر قام مؤلفان كبيران، هما: السيد هاشم بن سليمان البحراني المتوفى سنة (١١٠٧ أو ١١٠٩) و عبد علي بن جمعة الحويزي المتوفى (١٠٩١)، فجمعا المأثور من أحاديث أهل البيت الواردة في التفسير، من الكتب الآنفه، و ما جاء عرضاً في سائر الكتب الحديثية، أمثال الكافي و كتب الصدوق و كتب الشيخ، و نحوها. فجاء ما جمعه السيد البحراني باسم «البرهان»، و الشيخ الحويزي باسم «نور الثقلين». و قد اشتملا على تفسير كثير من الآيات القرآنية، بصورة متقطعة، و لكن حسب ترتيب السور، من كل سورة آيات، و من غير وفاء بتفسير كامل الآيه، سوى الموضع الذي تعرض له الحديث المأثور.

غير أن غالبية هذه الروايات مما لا يوزن بالاعتبار؛ حيث ضعف إسنادها، أو إرسالها، أو مخالفة مضامينها مع أصول العقيدة أو مباني الشريعة، فضلاً عن مخالفة العلم أو العقل الرشيد، الأمر الذي يوهن صدور مثلها عن أئمة أهل البيت عليهم السلام؛ إذ يجب تنزيه ساحتهم عن صدور مثل هذه الأخبار الضعاف.

و لنأخذ لذلك مثلاً التفسير المنسوب إلى علي بن إبراهيم القمي، فإنه من أحسن التفاسير المعتمدة على النقل المأثور، سوى اشتماله على بعض المعايير - و من حسن الحظ إنها قليلة إلى جنب محاسنها الكثيرة - و من ثم فإنها معدودة في جنب محاسنها غير المعدودة «كفى المرء نبلاً أن تعدّ معاييه» و لنشر إلى بعضها كمنادج:

فقد جاء فيه، تفسيراً لقوله تعالى: الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَ خَلَقَ مِنْهَا

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨١

زَوْجَهَا وَ بَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَ نِسَاءً «١»: أَنَّ حَوَاءَ بَرَأَهَا اللَّهُ مِنْ أَسْفَلِ أَضْلاعِ آدَمَ ... تجد ذلك في مواضع من هذا التفسير «٢». في حين أن المراد هنا: الجنس، أي من جنسه، كما في قوله تعالى: وَ اللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا، وَ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَيْنِينَ وَ حَفَدَةً «٣».

و قوله تعالى: وَ مِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَ جَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَ رَحْمَةً «٤».

وقصة خلقه حواء من ضلع آدم، ذات منشأ إسرائيلي تسرب في التفسير.

و هكذا قصة الملكين بابل هاروت و ماروت، كفرا - و العياذ بالله - و زنيا و عبدا للصنم، و مسخت المرأة نجمة في السماء «٥»، و غير

ذلك مما ينافي عصمة الملائكة المنصوص عليها في القرآن الكريم «٦».

وقصة الجنّ والنسّاس، خلقوا قبل الإنسان، فكانوا موضع عبرة الملائكة «٧».

وكذا تسمية آدم وحواء وليدهما بعبد الحارث، فجعل الله شريكا «٨».

وقصة: أنّ الأرض على الحوت، و الحوت على الماء، و الماء على الصخرة، (١) النساء / ١.

(٢) تفسير القمّي (ط نجف)، ج ١، ص ٤٥ و ص ١٣٠ و ج ٢، ص ١١٥.

(٣) النحل / ٧٢.

(٤) الروم / ٢١.

(٥) تفسير القمّي، ج ١، ص ٥٦.

(٦) المصدر نفسه، ج ٢، ص ٥١.

(٧) المصدر، ج ١، ص ٣٦.

(٨) المصدر، ص ٢٥١.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٢

و الصخرة على قرن ثور أمّلس، و الثور على الثرى ... ثم لا يعلم بعدها شيء «١».

كلها أساطير بائدة، جاءت في هذا التفسير عفوا، و من غير ما سبب معقول.

و جاء فيه ما ينافي عصمة الأنبياء كما ينافي مقام قداستهم بين الناس.

فتلك قصة داود و أوريا- على ما جاءت في الأساطير الإسرائيلية- جاءت في هذا التفسير مع الأسف «٢».

وهكذا قصة زينب بنت جحش على ما ذكرته القصص العامية «٣».

وقصة شكّ زكريا و عقوبته بصوم ثلاثة أيام و غلق لسانه «٤».

وقصة حجر موسى «٥» و ابتلاء أيوب و نتن جسده «٦»، و فوات سليمان صلاة العصر «٧»، و هم يوسف بارتكاب الفاحشة «٨»، و أنه

الذي نسي ذكر ربّه «٩»، و أن موسى دفن بلا غسل و لا كفن «١٠»، و قوله للربّ: إن لم تغضب لي فلست لك (١) تفسير القمّي، ج ٢،

ص ٥٨-٥٩.

(٢) المصدر، ص ٢٣٠-٢٣٢.

(٣) المصدر، ص ١٧٢-١٧٣.

(٤) تفسير القمّي، ج ١، ص ١٠١-١٠٢.

(٥) المصدر، ج ٢، ص ١٩٧.

(٦) المصدر، ص ٢٣٩-٢٤٠.

(٧) المصدر، ج ٢، ص ٢٣٤.

(٨) المصدر، ج ١، ص ٣٤٢.

(٩) المصدر، ص ٣٤٤-٣٤٥.

(١٠) المصدر، ج ٢، ص ١٤٦.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٣

بنبي «١».

و ما إلى ذلك من أساطير ألصقت بأنبياء الله العظام، و حاش الأئمة عليهم السلام أن يتكلموا بمثلها.

و جاء فيه ما ينافي العلم، فقد ورد بشأن الخسوف و الكسوف غرائب و عجائب:

جاء فى تفسير قوله تعالى: وَ جَعَلْنَا اللَّيْلَ وَ النَّهَارَ آيَاتٍ لِّمَنْ يَذَّكَّرُ وَ جَعَلْنَا آيَةَ النَّهَارِ مُبْصِرَةً ﴿٢﴾.

أن من الأوقات التى قدرها الله، البحر الذى بين السماء و الأرض، و أن الله قدر فيها مجارى الشمس و القمر و النجوم و الكواكب. ثم قدر ذلك كله على الفلك، ثم و كل بالفلك ملكا معه سبعون ألف ملك، يدرون الفلك، فإذا دارت الشمس و القمر و النجوم و الكواكب معه، نزلت فى منازلها.

و إذا كثرت ذنوب العباد و أراد الله أن يستعذبهم بآيته، أمر الملك الموكل بالفلك أن يزيل الفلك الذى عليه مجرى الشمس و القمر و النجوم و الكواكب.

فيأمر الملك أولئك السبعين ألف ملك أن يزيلوا الفلك عن مجاريه. فيزيلونه فتصير الشمس فى البحر فيطمس حرّها و يغيّر لونها، و كذلك يفعل بالقمر. فإذا أراد الله أن يخرجهما و يردهما أمر الملك أن يردّ الفلك إلى مجاريه، فتخرج الشمس من الماء و هى كدره، و القمر مثل ذلك.

و جاء فى مساحة الأرض و الشمس و القمر: أن الأرض مسيرة خمسمائة عام، (١) تفسير القمى، ج ٢، ص ١٤٥.
(٢) الإسراء / ١٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٤

مسيرة أربعمائة عام خراب، و مسيرة مائة عام عمران. و الشمس ستون فرسخا فى ستين، و القمر أربعون فرسخا فى أربعين. و علل أحرّية الشمس من القمر بما يلى:

أن الله خلق الشمس من نور النار و صفو الماء، طبقا من هذا و طبقا من هذا، حتى إذا صارت سبعة أطباق، ألبسها الله لباسا من نار، فمن هنالك صارت الشمس أحرّ من القمر.

قلت: فالقمر؟ قال: إن الله خلق القمر من ضوء النار و صفو الماء طبقا من هذا و طبقا من هذا، حتى إذا صارت سبعة إطباق، ألبسها الله لباسا من ماء، فمن هناك صار القمر أبرد من الشمس (١).

و جاء فيه من قصص أساطيرية ما ينافي العقل و العادة.

كقصة الرجل الذى عقلت رجله بالهند أو من وراء الهند، و قد عاش ما عاشت الدنيا (٢).

و قصة ملك الروم و حضور الإمام الحسن و يزيد لديه، و محاكمته لهما فى أسئلة غريبة، طرحها عليهما (٣).

و قصة عناق كانت لها عشرون إصبعا فى كل إصبع ظفران كالمنجلين (٤).

و قصة إسرائيل كان يخطو كل سماء خطوة، و أنه حاجب الرب تعالى (٥). (١) راجع: تفسير القمى، ج ٢، ص ١٤ - ١٧.

(٢) المصدر نفسه، ج ١، ص ١٦٦ - ١٦٧.

(٣) المصدر، ج ٢، ص ٢٦٩ - ٢٧٢.

(٤) المصدر، ص ١٣٤.

(٥) المصدر، ص ٢٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٥

و كان الوزغ ينفخ فى نار إبراهيم و الضفدع يطفئها (١).

و أن يأجوج و مأجوج يأكلون الناس (٢).

كما فسرت كلمات بأشياء أو بأشخاص لا مناسبة بينهما.

فقد فسّرت البعوضة بأمر المؤمنين عليه السلام (٣). و كذا دابة الأرض به (٤)، و هكذا الساعة فى قوله تعالى: بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ أَى

بعلى عليه السلام «٥». و الورقة بالسقط، و الحبة بالولد «٦». و المشرقين برسول الله و على عليهما السلام. و المغربيين بالحسن و الحسين عليهما السلام، و كذا البحرين بعلى و فاطمة عليهما السلام. و البرزخ برسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «٧»، و كذا الثقلان فى قوله تعالى: سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيَّةَ الثَّقَلَانِ بِالْعَتَرَةِ و الكتاب «٨». و فسر الفاحشة بالخروج بالسيف «٩». (١) تفسير القمى، ج ٢، ص ٧٣.

(٢) المصدر، ص ٧٦.

(٣) المصدر، ج ١، ص ٣٥.

(٤) المصدر، ج ٢، ص ١٣٠ - ١٣١.

(٥) المصدر، ص ١١٢، الفرقان / ١١.

(٦) المصدر، ج ١، ص ٢٠٣.

(٧) المصدر، ج ٢، ص ٣٤٤.

(٨) المصدر، ج ٢، ص ٣٤٥، الرحمن / ٣١.

(٩) المصدر، ج ٢، ص ١٩٣.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٦

نماذج مختارة من صحاح التفاسير المأثورة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام

إشارة

و بعد، فإليكم نماذج من تفاسير مأثورة عن أهل البيت عليهم السلام، هى مناهج تعليمية لكيفية دراسة القرآن الكريم و طريقة استنباط معانيه الحكيمه. أخذنا الأهم منها مأخوذة من كتب ذوات اعتبار، و فى أسانيد صحيحة لا غبار عليها. فمنها: ما ورد فى تفسير آية الوضوء، و آية التقصير فى الصلاة، و آية خمس الغنائم، و قطع يد السارق، و تحريم الخمر، و جزاء قتل المؤمن، و الطلاق الثلاث، و متعة النساء و الحج، و الرجعة قبل الحشر الأكبر، و مسأله البداء فى التكوين. و إليك:-

الأول - آية الوضوء

إشارة

قوله تعالى: وَ امْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلِكُمْ إِلَى الْكَعْبَتَيْنِ «١».

أ- مسح الرأس:

روى ثقة الإسلام أبو جعفر الكليني بإسناده عن طريق على بن إبراهيم إلى زرارة، سأل أبا جعفر الباقر عليه السلام قال: ألا تخبرنى من أين علمت و قلت: إن المسح ببعض الرأس؟ فضحك الإمام عليه السلام ثم قال: يا زرارة، قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و نزل به الكتاب. ثم فضّل الكلام فيه و قال: لأن الله عزّ و جلّ يقول: فَأَغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ فَعَرَفْنَا أَنَّ الْوَجْهَ كُلَّهُ يَنْبَغِي أَنْ يَغْسَلَ، ثم قال: وَ أَيْدِيَكُمْ إِلَى

المُرافق. ثم فصل بين الكلامين فقال: وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ فَعَرَفْنَا حِينَ قَالَ: «بِرُؤُسِكُمْ» أَنَّ الْمَسْحَ (١) الْمَائِدَةُ/ ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٧

يبعض الرأس، لمكان الباء ... «١».

يعنى أنه غير الأسلوب و زاد حرف الربط «الباء» بين الفعل و متعلقه، مع عدم حاجة إليه في ظاهر الكلام؛ حيث كلا الفعلين (الغسل و المسح) متعديان بأنفسهما، يقال: مسحه مسحاً، كما يقال: غسله غسلًا «٢». فلا بدّ هناك من نكتة معنوية في هذه الزيادة غير اللازمة حسب الظاهر؛ إذ زيادة المباني تدل على زيادة المعاني.

و قد أشار عليه السّلام إلى هذا السرّ الخفيّ بإفادة معنى التبويض في المحلّ الممسوح، استنباطاً من موضع الباء هنا. ذلك أنه لو قال: و امسحوا رؤوسكم، لاقتضى الاستيعاب، كما في غسل الوجه.

فقوله: وَامْسَحُوا بِرُؤُسِكُمْ يستدعى التكليف بالمسح مرتباً بالرأس، أى أن التكليف هو حصول ربط المسح بالرأس، الذى يتحقق بأول إمرار اليد المبتلة بأول جزء من أجزاء الرأس؛ إذ حين وضع اليد على مقدّم الرأس - مثلاً - و إمرارها، يحصل ربط المسح بالرأس، و عنده يسقط التكليف؛ لأنّ المكلف به قد حصل بذلك. و لا تعدّد في الامتثال، كما قرر في الأصول.

فكانت زيادة «الباء» هى التى دلّتنا على هذه الدقيقة في شريعة المسح، بعد ورود القول به من رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم. فإيا له من استنباط رائع مستند إلى دقائق الكلام.

هذا، و غير خفى أن هذه الاستفادة الكلامية لا تعنى استعمال الباء في معنى (١) الكافي الشريف، ج ٣، ص ٣٠ رقم ٤. و الآية من سورة المائدة.

(٢) قال ابن مالك:

علامة الفعل المعدى أن تصلها غير مصدر به نحو عمل.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٨

التبويض - كما و همه البعض - بل إن بنية الكلام و تركيبه الخاص (بزيادة ما لا لزوم فيه ظاهراً) هو الذى أفاد هذا المعنى، أى كفاية مسح بعض الرأس. فالتبويض في الممسوح مستفاد من جملة الكلام لا من خصوص الباء؛ إذ ليس التبويض من معانى الباء البتة، فلا موضع لما نازع بعضهم في كون الباء تفيد التبويض.

قال الشيخ محمد عبده: و نازع بعضهم في كون الباء تفيد التبويض، قيل:

مطلقاً، و قيل: استقلالاً. و إنما تفيده مع معنى الإلصاق، و لا يظهر معنى كونها زائدة ..

قال: و التحقيق أنّ معنى الباء: الإلصاق لا التبويض أو الآلة، و إنّما العبرة بما يفهمه العربى من: مسح بكذا أو مسح كذا، فهو يفهم من: مسح رأس اليتيم أو على رأسه، و مسح بعنق الفرس أو ساقه أو بالركن أو الحجر، أنه أمرّ يده عليه. لا يتقيد ذلك بمجموع الكف الماسح، و لا- بكل أجزاء الرأس أو العنق أو الساق أو الركن أو الحجر الممسوح. فهذا ما يفهمه كل من له حظ من هذه اللّغة، ممّا ذكر، و من قوله تعالى: فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَ الْأَعْنَاقِ «١»- على القول الراجح المختار أنّ المسح باليد لا بالسيف- و من مثل قول الشاعر:

و لما قضينا من منى كل حاجة و مسح بالأركان من هو ماسح

و أخيراً ينتهى إلى القول بأنّ ظاهر الآية الكريمة أن مسح بعض الرأس يكفى في الامتثال، و هو ما يسمّى مسحاً في اللّغة، و لا يتحقق إلّا بحركة العضو الماسح ملصقاً بالممسوح، فلفظ الآية ليس من المجمل «٢».

و هكذا استدلل الإمام عليه السّلام لعدم وجوب استيعاب الوجه و اليدين في (١) سورة ص / ٣٣.

(٢) تفسير المنار، ج ٦، ص ٢٢٦-٢٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٨٩

مسحات التيمم بدخول «الباء»، في قوله تعالى: فَأَمْسَيْحُوا بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ مِنْهُ «١»، إذ لم يقل: امسحوا وجوهكم و أيديكم، لثلا يفيد الاستيعاب فيهما.

و لم يحتمل محمد بن إدريس الشافعي في آية الوضوء «و امسحوا برءوسكم» غير هذا المعنى، أي المسح لبعض الرأس. قال: «و كان معقولا في الآية أن من مسح من رأسه شيئا فقد مسح برأسه، و لم تحتمل الآية إلا هذا، و هو أظهر معانيها، أو مسح الرأس كله. قال: و دلت السنة على أن ليس على المرء مسح رأسه كله. و إذا دلت السنة على ذلك، فمعنى الآية: أن من مسح شيئا من رأسه أجزاءه» (٢). و زاد- في الأم- «إذا مسح الرجل بأى رأسه شاء إن كان لا شعر عليه، و بأى شعر رأسه، ياصبع واحدة أو بعض إصبع أو بطن كفه، أو أمر من يمسح به أجزاء ذلك. فكذلك إن مسح نزعته أو إحداها أو بعضهما أجزاءه؛ لأنه من رأسه» (٣).

و قد بين وجه المعقولية في الآية بقوله: «لأنه معلوم أن هذه الأدوات موضوعة لإفادة المعاني، فمتى أمكننا استعمالها على فوائد منضمة بها وجب استعمالها على ذلك، و إن كان قد يجوز وقوعها صلة للكلام و تكون ملغاة. لكن متى أمكننا استعمالها على وجه الفائدة، لم يجوز لنا إلغاؤها، و من أجل ذلك قلنا: إن الباء في «الآية» للتبعيض. و يدل على ذلك أنك إذا قلت: مسحت يدي بالحائط كان معقولا مسحها ببعضه دون جميعه، و لو قلت: مسحت الحائط كان المعقول مسحه جميعه دون بعضه. فقد وضح الفرق بين إدخال الباء و بين إسقاطها، في (١) المائدة/ ٦.

(٢) أحكام القرآن للشافعي، ... جمع و ترتيب أبى بكر البيهقي صاحب السنن، ج ١، ص ٤٤.

(٣) الأم للشافعي، ج ١، ص ٤١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٠

العرف و اللغة. ثم أيد ذلك بما رواه عن إبراهيم «١»، قال: إذا مسح ببعض الرأس أجزاءه، قال: و لو كانت «امسحوا رءوسكم» كان مسح الرأس كله. قال: فأخبر إبراهيم أن «الباء» للتبعيض، و قد كان عند أهل اللغة مقبول القول فيها «٢». قال الرازى: حجة الشافعي أنه لو قال: مسحت المنديل، فهذا لا يصدق إلا عند مسحه بالكتية، أما لو قال: مسحت يدي بالمنديل، فهذا يكفى في صدقه مسح اليدين بجزء من أجزاء ذلك المنديل «٣».

و هذا الذى ذكره الشافعي، و إن كان يتوافق- في ظاهره- مع نظرة الإمام الصادق عليه السلام، و لعله ناظر إليه، لكنه يتخالف معه في مواضع:

أحدها: زعمه أن «الباء» استعملت- هنا- بمعنى التبعيض نظير «من» التبعيضية، في حين أنه لم تأت «الباء» فى اللغة للتبعيض، و لا شاهد عليه البتة.

و استناده إلى كلام إبراهيم النخعي غير وجيه؛ لأنه لم يصرح بذلك، بل إن كلامه ككلام الإمام الصادق يهدف إلى أن موضع «الباء» هنا أفاد أجزاء مسح بعض الرأس- بالبيان الذى تقدم- و هذا يعنى أن «الباء»- فى موضعها الخاص هنا- تفيد التبعيض فى مسح الرأس و هذا غير كونها مستعملة فى معنى التبعيض، كما عرفت.

الثانى: أن التمثيل بالمنديل غير صحيح؛ لأن المنديل ممّا يمسح به و ليس ممسوحاً؛ إذ لا يقال- فى العرف و اللغة-: مسحت المنديل، فقولنا: مسحت يدي (١) هو إبراهيم بن يزيد النخعي الكوفى الفقيه، كان مفتى أهل الكوفة، قال ابن حجر: كان رجلا صالحا فقيها متوقيا قليل التكلف، مات سنة (٩٦) و هو مختف من الحجاج (تهذيب التهذيب، ج ١، ص ١٧٧)

(٢) أحكام القرآن لأبى بكر الجصاص، ج ٢، ص ٣٤١.

(٣) التفسير الكبير، ج ١١، ص ١٦٠.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩١

بالمندبل، يفيد كون اليد هي الممسوحة لا المندبل.

الثالث: أن الشافعي لم يشترط أن يكون المسح باليد، قال: فإذا رشّ الماء على جزء من رأسه أجزاءه «١». ولا ندرى كيف يكون الرشّ مسحا؟! ولعله أخذ بالملاك قياسا «٢»، خروجاً عن مدلول لفظ الشرع.

والحنفية قالوا بكفاية مسح ربع الرأس من أى الأطراف، ويشترط أن يكون بثلاث أصابع. أما المالكية والحنابلة فقد أوجبوا مسح الرأس كله، وأغفلوا موضع «الباء» «٣».

كما أن المذاهب الأربعة جميعاً أغفلوا جانب «الباء» فى آية التيمم، فأوجبوا مسح الوجه كله، وكذا مسح اليدين مع المرفقين «٤». يقول القرطبي - وهو مالكي المذهب -: وأما الرأس فهو عبارة عن الجملة التى منها الوجه، فلما عتبت الله الوجه للغسل بقى باقى للمسح، ولو لم يذكر الغسل للزم مسح جميعه، ما عليه شعر من الرأس وما فيه العينان والأنف والفم. قال: وقد أشار مالك فى وجوب مسح الرأس إلى ما ذكرناه، فإنه سئل عن الذى يترك بعض رأسه فى الوضوء، فقال: أ رأيت أن ترك غسل بعض وجهه أ كان يجزئه؟

قال: ووضح بهذا الذى ذكرناه أن الأذنين من الرأس، وأن حكمهما حكم الرأس. (١) راجع: الفقه على المذاهب الأربعة للجزيري، ج ١، ص ٦٠ - ٦١.

(٢) زعمنا بأن المطلوب هو بلّ بعض الرأس بالماء بأى سبب كان، حتى وإن لم يصدق عليه المسح! وهو من القياس المستنبط، وهو غير حجة عندنا بعد إن كان خروجاً عن لفظ النصّ الوارد فى الشريعة.

(٣) راجع: الفقه على المذاهب، ج ١، ص ٥٦ و ٥٨ و ٦١.

(٤) المصدر، ص ١٦١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٢

و أما «الباء» فجعلها مؤكدة زائدة ليست لإفادته معنى فى الكلام. قال: والمعنى: و امسحوا رءوسكم «١».

ب- مسح الرجلين

من المسائل المستعصية التى أشغلت فراغا كبيرا فى التفسير و الأدب الرفيع، هى مسألة مسح الأرجل فى الوضوء مستفادا من كتاب الله تعالى.

فقد زعم بعضهم أن القراءة بالخفض تتوافق مع مذهب الشيعة الإمامية فى وجوب المسح، و القراءة بالنصب تتوافق مع سائر المذاهب. و لكل من الفريقين دلائل و شواهد من السنة أو الأدب و لغة العرب، يجدها الطالب فى مظانها.

غير أن الوارد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام فى تفسير الآية الكريمة، هو التصريح بأن القرآن نزل بالمسح على الأرجل، و هكذا نزل به جبرائيل، و عمل به رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و أمير المؤمنين و أولاده الأطهار، و هكذا خيار الصحابة و جلّ التابعين لهم بإحسان.

فقد روى الشيخ بإسناده الصحيح إلى سالم و غالب ابنى هذيل، عن أبى جعفر عليه السلام سألاه عن المسح على الرجلين؟ فقال: هو الذى نزل به جبرئيل عليه السلام «٢».

يعنى: أن الذى يبدو من ظاهر الكتاب هو وجوب مسح الرجلين، عطفا على الرؤوس. و لا يجوز كونه عطفا على الوجوه و الأيدي، لاستنزاه الفصل بالأجنبي، و هو لا يجوز فى مثل القرآن. و هذا سواء قرئ بخفض الأرجل أم بنصبها.

أما على قراءة الخفض فظاهر، و قد قرأ بها ابن كثير و أبو عمرو و حمزة من السبعة، و شعبة أحد راوى عاصم. لكن مقتضاها المسح

لبعض الأرجل، كما في (١) تفسير القرطبي، ج ٦، ص ٨٧.

(٢) الاستبصار، ج ١، ص ٦٤ رقم ١/١٨٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٣.

الرأس.

أم قرئ بالنصب عطفًا على المحل؛ لأن محل «برءوسكم» نصب مفعولًا به لامسحوا، و هو فعل متعد يقتضى النصب. و قد أقحمت «الباء» إقحاما لحكمة إفادة التبويض، حسبما عرفت.

و

قد قرأ النصب أيضا ثلاثة من السبعة: نافع و ابن عامر و الكسائي. و حفص الراوى الآخر لعاصم، و هى القراءة المسندة إلى أبى عبد الرحمن السلمى عن أمير المؤمنين عليه السلام . و قد مضى شرحها فى فصل القراءات من التمهيد «١».

غير أن القراءة بالنصب تستدعى الاستيعاب، «٢» لتعلق الفعل «امسحوا» بالمسوح بلا واسطة، و حيث حدّدت الأرجل بالكعبين كالأيدى بالمرفقين، كان ظاهره إرادة استيعاب ما بين الحدّين (من رءوس الأصابع إلى الكعبين)، الأمر الذى يؤكد صحّة قراءة النصب، و هى القراءة التى جرى عليها المسلمون، و هى المختارة حسب الضوابط التى قدّمتها. و على أىّ تقدير، سواء أقرئ بالخفض أم بالنصب، فهو عطف على الرءوس، و ليس عطفًا على الأيدى، فلا موجب لإرادة الغسل فى الأرجل.

و من ثمّ فظاهر الكتاب هو «المسح» كما نصّ عليه أئمّة أهل البيت. و

عن (١) التمهيد، ج ٢، ص ١٥٩ و ٢٣٢.

(٢) أى الاستيعاب طولًا من رءوس الأصابع إلى الكعبين.

فقد روى الكلينى بإسناده الصحيح إلى أحمد بن محمد بن أبى نصر البزنطى عن الإمام أبى الحسن الرضا عليه السلام قال: سألته عن المسح على القدمين كيف هو؟ فوضع كفّه على الأصابع فمسحها إلى الكعبين إلى ظاهر القدم، فقلت: لو أن رجلا قال بإصبعين من أصابعه هكذا؟ قال: لا إلّا بكفّه. (الكافى الشريف، ج ٣، ص ٣٠ رقم ٦) أما ما ورد من الاجتزاء بثلاثة أصابع (أنّ المسح على بعضها- المصدر رقم ٤) فهو ناظر إلى جانب العرض.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٤

مولانا أمير المؤمنين عليه السلام: ما نزل القرآن إلّا بالمسح «١». و عن ابن عباس: أنّ فى كتاب الله المسح، و يأبى الناس إلّا الغسل «٢».

و هذا استنكار على العامّة فى مخالفتهم لظاهر القرآن، المتوافق مع قواعد الفنّ فى الأدب و الأصول.

قال الشيخ محمد عبده: و الظاهر أنه عطف على الرأس، أى و امسحوا بأرجلكم إلى الكعبين.

قال: اختلف المسلمون فى غسل الرجلين و مسحهما، فالجماهير على أن الواجب هو الغسل، و الشيعة الإمامية أنه المسح. و ذكر الرازى عن القفال أن هذا قول ابن عباس و أنس بن مالك و عكرمة و الشعبى و أبى جعفر محمد بن على الباقر، قال: و عمدة الجمهور فى هذا الباب عمل الصدر الأول، و ما يؤيده من الأحاديث القولية. و قد أسهب المقال و نقل عن الطبرى اختياره الجمع بين الأمرين، ثم أردفه بكلام آلوسى و تحامله على الشيعة بما يوجد مثله فى كتب أهل السنّة، فى كلام يطول، و إن شئت فراجع «٣».

من الآيات التي وقعت موضع بحث و جدل من حيث دلالتها على المراد، هل المقصود بيان صلاة الخوف فقط أم يعم صلاة المسافر أيضا، فما وجه دلالتها؟

ذهب المفسرون إلى تعميم دلالتها استنادا إلى فعل النبي عليه السلام و الأئمة و سائر المسلمين، منذ العهد الأول كانوا يقصرون من الصلاة استنادا إلى هذه الآية (١) راجع: الوسائل للحر العاملي، ج ١، ص ٢٩٥ رقم ٨ / ١٠٩٥.
(٢) المصدر، رقم ٧.

(٣) تفسير المنار، ج ٦، ص ٢٢٧ - ٢٣٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٥

الكريمة، الواردة - بظاها - في صلاة الخوف فقط.

قال تعالى: وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ، إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا. إِنَّ الْكَافِرِينَ كَانُوا لَكُمْ عَدُوًّا مُّبِينًا. وَ إِذَا كُنْتُمْ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا آسْلِحَتَهُمْ، فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ، وَ لَتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَ لْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَ آسْلِحَتَهُمْ. وَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَ آمْنَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً ... (١).

ظاهر العبارة، أن جملة الشرط «إِنْ خِفْتُمْ» قيد في الموضوع، يعنى القصر في الصلاة - عند الضرب في الأرض - مشروط بوجود الخوف، و من ثم جاء شرح صلاة الخوف في الآية التالية لها.

و الفتنة - هنا -: الشدة و المحنة و البلاء، أى خوف أن يفجعوكم بالقتل و النهب و الأسر، كما فى قوله تعالى: عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَ مَلَائِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ، و قوله: وَ أَحْذَرُهُمْ أَنْ يَفْتِنُوكَ، وَ إِنْ كَادُوا لَيَفْتِنُوكَ «٢» أى يفجعوك ببليء و شدة و مصيبة.

قال الطبرسى: ظاهر الآية يقتضى أن القصر لا يجوز إلا عند الخوف. لكننا قد علمنا جواز القصر عند الأمن ببيان النبي صلى الله عليه و آله و سلم، و يحتمل أن يكون ذكر الخوف فى الآية قد خرج مخرج الأعم الأغلب عليهم فى أسفارهم، فإنهم كانوا يخافون الأعداء فى عامتها، و مثلها فى القرآن كثير «٣». (١) النساء / ١٠١ - ١٠٢.

(٢) يونس / ٨٣، المائدة / ٤٩، الإسراء / ٧٣.

(٣) مجمع البيان، ج ٣، ص ١٠١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٦

قال المحقق الفيض: قيل: كأنهم ألفوا الإنتماء و كان مظنة لأن يخطر ببالهم أن عليهم نقصانا فى التقصير، فرفع عنهم الجناح؛ لتطيب نفوسهم بالقصر و يطمنوا إليه «١».

و

روى أبو جعفر الصدوق بإسناده الصحيح عن زرارة و محمد بن مسلم، إنهما قالوا: قلنا للإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام: ما تقول فى الصلاة فى السفر، كيف هى، و كم هى؟

فقال: إن الله عز و جل يقول: وَ إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي الْأَرْضِ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَقْصُرُوا مِنَ الصَّلَاةِ «٢» فصار التقصير فى السفر واجبا كوجوب التمام فى الحضر.

قالا: قلنا: إنما قال الله - عز و جل - : فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ وَ لَمْ يَقُلْ: افعلوا، فكيف أوجب ذلك كما أوجب التمام فى الحضر؟ فقال عليه السلام: أو ليس قد قال الله - عز و جل - : إِنَّ الصَّافَا وَ الْمَرَوَةَ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوْ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَنْ يَطَّوَّفَ بِهِمَا «٣»، ألا ترون أن الطواف بهما واجب مفروض؛ لأن الله - عز و جل - ذكره فى كتابه و صنعه نييه عليه السلام، و كذلك التقصير فى السفر شىء صنعه رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، و ذكره الله تعالى ذكره فى كتابه.

قالا: قلنا له: فمن صَلَّى في السفر أربعا أ يعيد أم لا؟

قال: إن كان قد قرئت عليه آية التقصير و فسرت له، فصلَّى أربعا أعاد و إن لم (١) تفسير الصافي، ج ١، ص ٣٨٨ - ٣٨٩.

(٢) النساء/ ١٠١.

(٣) البقرة/ ١٥٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٧

يكن قرئت عليه و لم يعلمها فلا إعادة عليه. و الصلاة كلها في السفر، الفريضة ركعتان، كل صلاة، إلَّا صلاة المغرب، فإنها ثلاث ليس فيها تقصير، تركها رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم في السفر و الحضر ثلاث ركعات. و قد سافر رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم إلى ذي خشب «١» - و هي مسيرة يوم من المدينة، يكون إليها بريدان: أربعة و عشرون ميلا- فقَصَّر و أفطر؛ فصارت سنة، و قد سمى رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم قوما صاموا حين أفطر العصاء.

قال: فهم العصاء إلى يوم القيامة، و إنا لنعرف أبناءهم و أبناء أبنائهم إلى يومنا هذا «٢».

و هذا الحديث - على طوله - مشتمل على فوائد جمّة:

أولاً: عدم منافاة بين وجوب التقصير في السفر، و بين قوله تعالى في الآية الكريمة: «فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ»، نظير نفى الجناح الوارد في السعي بين الصفا و المروة، فإنه واجب بلا شك.

و إنما جاء هذا التعبير لدفع توهم الحظر؛ حيث شعر المسلمون بأن التكليف هو التمام، كما في سائر العبادات، لا تختلف سفرا و حضرا، سوى الصوم و الصلاة؛ فدفعوا لهذا الوهم نزلت الآية الكريمة.

ثانيا: إن الآية دلّت على مشروعيتها القصر في السفر، و قد فعله رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و فعله المسلمون، و كذلك الأئمة بعده، و لم يتم أحد منهم الصلاة في (١) قال ياقوت الحموي: بضم أوله و ثانيه، واد على مسيرة ليلة من المدينة. معجم البلدان، ج ٢، ص ٣٧٢.

(٢) من لا يحضره الفقيه، ج ١، ص ٢٧٨ - ٢٧٩ رقم ١٢٦٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٨

السفر. فمقتضى قواعد علم الأصول، عدم جواز الإتمام؛ لأن الصلاة عبادة، و هي توقيفية، و لم يعلم مشروعيتها التمام في السفر، لا من الآية و لا من فعل الرسول و صحابته الأخيار، فمقتضى القاعدة عدم الجواز.

لأن الشكّ دائر بين التعيين و التخير، و الشكّ في التكليف في مقام الامتثال، يقتضى الأخذ بالاحتياط، الذي هو القصر في الصلاة؛ إذ يشكّ في مشروعيتها ما زاد على الركعتين، و لا تصح عبادة مع الشكّ في مشروعيتها.

ثالثا: إن الإمام عليه السلام لم يتعرض للخوف الذي جاء شرطا في الآية، فكأنه عليه السلام فهم أنه موضوع آخر مستقل موضوع السفر، و ليس قيدا فيه. فالخوف بذاته سبب مجوّز للتقصير، كما أن السفر أيضا سبب، و لا ربط لأحدهما بالآخر.

فالأية و إن كانت ظاهرة في القيد، و أن أحدهما قيد للآخر، لكن فعل الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم و أصحابه و سائر الأئمة، دلّنا على هذا التفصيل، و أن كلا منهما موضوع مستقل لجواز القصر. و هكذا فهم الإمام عليه السلام، و فهمه حجّة علينا بالإضافة إلى عمل الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم.

الثالث - آية الخمس

قال تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى «١».

نزلت هذه الآية بعد واقعة بدر؛ حيث لم يخمس رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم غنائم بدر. قال عبادة بن الصامت: فاستقبل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم بالمسلمين الخمس فيما كان من كل غنيمه بعد بدر «٢»، و هي عامه تشمل كل الغنائم الحربية. عن ابن (١) الأنفال / ٤١.

(٢) الدر المنثور، ج ٣، ص ١٨٧. و الطبري، ج ١٠، ص ٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٤٩٩

عباس، قال: كان رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم إذا بعث سرية فغنموا، خمس الغنيمه «١».

و لكن جاء في تفسير أهل البيت: شمول الآية لكل ما يغنمه الإنسان في حياته من تجارة أو صناعة أو زراعة. فكل ما ربحه الإنسان في مكاسبه، مما هو فاضل مئونه - مئونه نفسه و عياله - طول السنة، فيه الخمس «٢».

هكذا ورد عن أئمة أهل البيت عليهم السلام حيث أخذوا من لفظ «الغنيمه» عمومها اللغوي الشامل لكل ربح و فائده؛ لأن «الغنم» مطلق الفوز بالشيء، كما قاله الخليل في العين، فقلوه: «ما غنمتم» كان الموصول عاما يشمل كل ما فاز به الإنسان من غنيمه أو ربح أو فائده.

قال الإمام أبو جعفر محمد بن علي الجواد عليه السلام: «فأما الغنائم و الفوائد، فهي واجبه عليهم في كل عام. قال الله تعالى: وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَإِنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِي الْقُرْبَىٰ و الغنائم و الفوائد - يرحمك الله - فهي الغنيمه يغنمها المرء، و الفائده يفيدها، و الجائزه من الإنسان للإنسان التي لها خطر، و الميراث الذي لا يحتسب ...» «٣».

و

عن الإمام أبي الحسن موسى عليه السلام سأله سماعه عن الخمس، فقال: في كل ما أفاد الناس من قليل أو كثير «٤».

قال الطبرسي: قال أصحابنا: إن الخمس واجب في كل فائده تحصل للإنسان من المكاسب و أرباح التجارات، و في الكنوز و المعادن و الغوص و غير ذلك. (١) الدر المنثور، ج ٣، ص ١٨٥.

(٢) راجع: الوسائل، ج ٦، ص ٣٤٩.

(٣) الوسائل، ج ٦، ص ٣٤٩ رقم ١٢٥٨٦ / ٥.

(٤) المصدر نفسه، ص ٣٥٠ رقم ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٠

قال: و يمكن أن يستدل على ذلك بهذه الآية، فإن في عرف اللغة يطلق على جميع ذلك اسم «الغنم» و «الغنيمه» «١».

و أما مستحق هذا الخمس، فهم آل الرسول و ذريته الأطيبون، إن شاءوا أخذوه، و إن شاءوا تركوه للمعوزين من فقراء المسلمين، أو في وجوه البر و في سبيل الله.

و قد سأل نجدة الحروري عبد الله بن عباس عن ذوى القربى الذين يستحقون الخمس، فقال: إنا كنا نرى أنا هم، فأبى ذلك علينا قومنا، فقال: لمن تراه؟ فقال ابن عباس، هو القربى رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم قسيمه لهم رسول الله صَلَّى الله عليه وآله وسلم و سلم و قد كان عمر عرض علينا من ذلك عرضا رأيناه دون حقا فرددناه عليه و أبيتنا أن نقبله. و كان عرض عليهم أن يعيننا نكحهم، و أن يقضى عن غارمهم، و أن يعطى فقيرهم، و أبى أن يزيدهم على ذلك.

و

أخرج ابن المنذر عن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال: سألت عليا عليه السلام عن الخمس، فقلت: يا أمير المؤمنين، أخبرني كيف كان صنع أبي بكر و عمر في الخمس نصيبكم؟ فقال: أما أبو بكر فلم تكن في ولايته أخماس. و أما عمر، فلم يزل يدفعه إلي في كل خمس. حتى كان خمس السوس و جنديسابور، فقال - و أنا عنده - هذا نصيبكم أهل البيت من الخمس، و قد أحل بعض المسلمين

و اشتدّت حاجتهم. فقلت: نعم. فوثب العباس بن عبد المطلب، فقال: لا تعرض في الذي لنا ... ثم قال: فوالله ما قبضناه ولا قدرت عليه في ولاية عثمان.

و عن زيد بن أرقم، قال: آل محمد صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم الذين أعطوا الخمس، آل علي و آل (١) مجمع البيان، ج ٤، ص ٥٤٤. التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠١ عباس و آل جعفر و آل عقيل «١».

و في الصحيح عن الإمام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام، قال: ذو القربى هم قرابة الرسول. و الخمس لله و للرسول و لنا .

في حديث الرضا عليه السلام: فما كان لله فلرسوله، و ما كان لرسول الله فهو للإمام «٢». و الصحيح عندنا: أنّ الخمس كلّ للإمام - الذي هو وليّ أمر المسلمين - يضعه حيث يشاء، نعم عليه أن يعول منه فقراء بني هاشم من نصف الخمس، فإن احتاجوا زادهم من عند نفسه. و المسألة محرّرة في الفقه، على اختلاف في الأقوال.

الرابع - آية القطع

روى أبو النضر محمد بن مسعود العياشي، بإسناده إلى زرقان صاحب ابن أبي داود قاضي القضاة، قال: أتى بسارق إلى محضر المعتصم، و قد أقرّ على نفسه بالسرقة، و سأل الخليفة تطهيره بإقامة الحدّ عليه. فجمع الخليفة لذلك الفقهاء، و قد أحضر محمد بن علي الجواد عليه السلام، فسألهم عن موضع القطع.

فقال ابن أبي داود: من الكرسوع (طرف الزند) و استدللّ بآية التيمّم، و وافقه قوم. و قال آخرون: من المرفق، نظرا إلى آية الوضوء. فالتفت الخليفة إلى الإمام الجواد مستفهما رأيه في ذلك، فاستعفاه الإمام. لكنه أصرّ على معرفة رأيه، و أقسم عليه بالله أن يخبره برأيه.

فقال الإمام: أما إذا أقسمت عليّ بالله، إني أقول: إنهم أخطئوا فيه السنّة، فإنّ القطع يجب أن يكون من مفصل الأصابع، فيترك الكف. (١) الدر المنثور، ج ٣، ص ١٨٦.

(٢) الوسائل، ج ٦، ص ٣٥٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٢

قال الخليفة: و ما الحجّة في ذلك؟

قال الإمام: قول رسول الله صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم: «السجود على سبعة أعضاء، الوجه و اليدين و الركبتين و الرجلين» فإذا قطعت يده من الكرسوع أو المرفق، لم يبق له يد يسجد عليها، و قد قال الله تعالى: وَ أَنَّ الْمَسْجِدَ لِلَّهِ، يعني به هذه الأعضاء السبعة التي يسجد عليها فَلَا تَدْعُوا مَعَ اللَّهِ أَحَدًا «١»، و ما كان لله لم يقطع.

فأعجب المعتصم ذلك، و أمر بقطع يد السارق من مفصل الأصابع دون الكف «٢».

انظر إلى هذه الالتفاتة الرقيقة التي تتبها لها الإمام و لم يلتفت إليها سائر الفقهاء، ذلك أن اليد في آية القطع وقعت مجملّة قد أبهم المراد منها، فلا بدّ من تبينها إما من السنّة أو الكتاب ذاته. و قد التفت الإمام عليه السلام لوجه التبيين إلى السنّة مدعّمه بنصّ الكتاب، فبيّن أنّ راحة الكف هي إحدى المواضع السبعة التي يجب على المصلّي أن يسجد عليها، و ذلك بنصّ الحديث الوارد عن الرسول صَلَّى اللهُ عليه وآله و سلم، و هذا كيان الصغرى. ثم أردفه ببيان الكبرى المستفادة من الآية الكريمة الشاملة بعمومها لكل مسجد،

سواء الموضع الذى يسجد فيه، أو العضو الذى يسجد عليه، كل ذلك لله. و ما كان لله لا تشمله عقوبه الحد، لأن العقوبة إنما ترجع إلى ما للحد المذنب، و لا تعود على ما كان لله تعالى، و هو استنباط ظريف جدًا.

و مما يستغرب فى المقام ما ذكره الجزيرى تعليلا بوجوب القطع من مفصل (١) الجن / ١٨.

(٢) تفسير العياشى، ج ١، ص ٣١٩ - ٣٢٠ و راجع: الوسائل، ج ١٨ باب ٤ حد القطع، ص ٤٨٩ - ٤٩١. و الآية من سورة المائدة / ٣٨ التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٣.

الكف، أى الزند، قال: لأن السرقة تقع بالكف مباشرة، و الساعد و العضد يحملان الكف، و العقاب إنما يقع على العضو المباشر للجريمة، و لذلك تقطع اليمنى أولاً؛ لان التناول يكون بها فى غالب الأحيان «١».

قلت: هذا التعليل يقتضى وجوب القطع من مفصل الأصابع، كما عليه فقهاء الإمامية و به رواياتهم؛ لأن الأصابع هى التى تناوش المتاع المسروق، و الكف تحمل الأصابع.

و

قد ذكر ابن حزم الأندلسى أن علينا عليه السلام كان يقطع الأصابع من اليد و نصف القدم من الرجل. و كان عمر يقطع كل ذلك من المفصل. و أما الخوارج فأروا القطع من المرفق أو المنكب «٢».

الخامس - تحريم الخمر

لم ترد آية فى المنع عن شرب الخمر، بلفظ التحريم صريحا، و إنما هو أمر بالاجتناب عنه أو مما ينبغى الانتهاز منه، مما هو ظاهر فى الإرشاد إلى حكم العقل محضا، الأمر الذى قد يوهم أنها غير محرمة فى شريعة الإسلام! و من ثم سأل المهديّ العباسيّ الإمام موسى بن جعفر عليه السلام عن ذلك، قال: هل هى محرمة فى كتاب الله عزّ و جلّ؟ فإن الناس إنما يعرفون النهى عنها و لا يعرفون التحريم لها؟

فقال له الإمام: بل هى محرمة فى كتاب الله، يا أمير المؤمنين.

قال: فى أى موضع هى محرمة فى كتاب الله، يا أبا الحسن؟

فقال: فى قول الله عزّ و جلّ: (١) الفقه على المذاهب، ج ٥، ص ١٥٩.

(٢) المحلى، ج ١١، ص ٣٥٧ رقم ٢٢٨٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٤

قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَ مَا بَطَّنَ وَ الْإِثْمَ وَ الْبَغْيَ بِغَيْرِ الْحَقِّ .. «١».

قال عليه السلام: أمّا «ما ظهر» فهو الزنى العلن، و نصب الرايات التى كانت ترفعها الفواجر للفواحش فى الجاهلية، و أمّا «ما بطن» فيعنى ما نكح من الآباء، كان الناس قبل البعثة إذا كان للرجل زوجة و مات عنها، تزوّجها ابنه من بعده إذا لم تكن أمه.

قال: و أمّا «الإثم» فإنّها الخمره بعينها. و قد قال تعالى فى موضع آخر:

يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَ مَنَافِعٌ لِلنَّاسِ، وَ إِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا ... «٢».

فالتفت المهديّ إلى على بن يقطين - و كان حاضر المجلس و من وزرائه - و قال: يا على، هذه و الله فتوى هاشميّة! فقال ابن يقطين: صدقت و الله يا أمير المؤمنين، الحمد لله الذى لم يخرج هذا العلم منكم أهل البيت، فما صبر المهديّ أن قال: صدقت يا رافضى، و كان يعرف منه الولاء لآل البيت «٣».

و بهذه المقارنة الدقيقة بين آيتين قرآنتين يعرف التحريم صريحا فى كتاب الله، الأمر الذى أعجب المهديّ العباسي، و استعظم هذا

التبته الرقيق و الذكاء المرهف الذى حظى به البيت الهاشمى الرفيع.

و هكذا روى عن الحسن تفسير «الإثم» فى الآية «بالخمر» (٤).

قال العلامة المجلسى: المراد بالإثم ما يوجب، و حاصل الاستدلال أنه تعالى حكم فى تلك الآية بكون ما يوجب الإثم محرماً، و حكم فى الآية الأخرى بكون (١) الأعراف / ٣٣.

(٢) البقرة / ٢١٩.

(٣) الكافى الشريف، ج ٦، ص ٤٠٦.

(٤) مجمع البيان للطبرسى، ج ٤، ص ٤١٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٥

الخمر و الميسر مما يوجب الإثم، فثبت بمقتضاهما تحريمهما (١).

و الكناية بالإثم عن الخمر؛ لأنها أمّ الخبائث و رأس كل إثم (٢)، كان قد شاع ذلك الوقت و قبله، و تعارف استعماله. أنشد الأخفش: شربت الإثم حتى ضلّ عقلى كذاك الإثم تذهب بالعقول و قال آخر:

نهانا رسول الله أن نقرب الخنا و أن نشرب الإثم الذى يوجب الوزر (٣)

و أيضا قال قائلهم فى مجلس أبى العباس:

نشرب الإثم بالصواع جهارا و ترى المسك بيننا مستعارا (٤)

و قد صرح الجوهري بوروده فى اللغة، قال: و قد تسمى الخمر إثمًا، ثم أنشد البيت الأول. كذلك عدّها الفيروز آبادى أحد معانيه.

و أما إنكار جماعة أن يكون الإثم اسما للخمر، فهو إنما يعنى الإطلاق الحقيقى دون المجاز و الاستعارة، فكل معصية إثم، غير أن الخمر لشدة تأثيرها (١) مرآة العقول بشرح الكافى، ج ٢٢، ص ٢٦٤.

(٢)

أخرج الكلينى بإسناده إلى أبى عبد الله، قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «أن الخمر رأس كل إثم» (الكافى الشريف، ج ٦، ص ٤٠٣) (٣) مجمع البيان، ج ٤، ص ٤١٤.

و الخنا: الفحش من الكلام، و استعير لكل أمر قبيح. و قد كتى بالإثم عن الخمر فإنها؛ إذ لو كان بمعنى الوزر لم يكن يوجب الوزر، و لم يصح تعلق الشرب به.

(٤) ذكره ابن سيده. (ابن منظور- لسان العرب) و الصواع: إناء يشرب فيه. و مستعار: متداول، أى تتعاوره بأيدينا نشتمه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٦

سميت إثمًا؛ لأنها رأس المآثم و أصلها و أساسها، كما تبينها. و إلى هذا يرجع كلام ابن سيده، قال: و عندى أنه إنما سمّاها إثمًا؛ لأن شربها إثم، فهو من الإطلاق الشائع الدائر على الألسن، و ضعا ثانويا عرفيا بكثرة الاستعمال. نعم ليس من الوضع اللغوى الأصل.

و إلى هذا المعنى أيضا يرجع إنكار ابن الأنبارى أبى بكر النحوى أن يكون الإثم من أسماء الخمر (١)، لا إنكار استعماله فيها مجازا شائعا. قال الزبيدى: و قد أنكر ابن الأنبارى تسمية الخمر إثمًا، و جعله من المجاز، و أطلال فى ردّ كونه حقيقة (٢). قلت: و هو كذلك بالنظر إلى أصل اللغة.

و أنكره ابن العربى رأسا قال: «لا حجة فيما أنشده الأخفش؛ لأنه لو قال:

شربت الذنب أو شربت الوزر لكان كذلك، و لم يوجب أن يكون الذنب أو الوزر اسما من أسماء الخمر، كذلك الإثم. قال: و الذى أوجب التكلم بمثل هذا الجهل باللغة، و بطريق الأدلة فى المعانى».

لكن الفارق أن العرب استعملت «الإثم» في الخمر و تعارف استعماله في عرفهم، حتى خصّ به على أثر الشيعاء. أما «الذنب» و «الوزر» فلم يتعارف استعمالهما في ذلك، و لو تعارف لكان كذلك.

قال القرطبي - في ردّه -: أنه مروى عن الحسن، و ذكره الجوهري مستشهدا بما أنشده الأخصش، و هكذا أنشده الهروي في غريبه، على أن الخمر: الإثم .. قال:

فلا يبعد أن يكون «الإثم» يقع على جميع المعاصي و على الخمر أيضا لغة، فلا (١) لسان العرب لابن منظور، ج ١٢، ص ٧.
(٢) تاج العروس بشرح القاموس، ج ٨، ص ١٧٩.
التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٧
تناقض «١».

السادس - قتل المؤمن متعمدا

قال تعالى: وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَ لَعَنَهُ وَ أَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا «٢».
هذه الآية دلّت على أن قاتل المؤمن مخلمد في النار، و لا يخلمد في النار إلّا الكافر الذي يموت على كفره؛ لأن الإيمان مهما كان فإنه يستوجب المثوبة، و لا بدّ أن تكون في نهاية المطاف، على ما أسلفنا «٣».

كما أنها صرّحت بأن الله قد غضب عليه و لعنه، و لا يلعب الله المؤمن إطلاقا، كما في الحديث عن الإمام أبي جعفر عليه السلام «٤».
و من ثم وقعت أسئلة كثيرة من أصحاب الأئمة بشأن الآية الكريمة:
روى الكليني بإسناده إلى سماعه بن مهران، سأل أبا عبد الله عليه السلام عن الآية، فقال: «من قتل مؤمنا على دينه فذلك المتعمد الذي قال الله عزّ و جلّ: و أعدّ له عذابا عظيما». قال: فالرجل يقع بينه و بين الرجل شيء فيضربه بسيفه فيقتله؟ قال:
«ليس ذلك المتعمد الذي قال الله عزّ و جلّ...».

و هكذا أسئلة أخرى من عبد الله بن بكير و عبد الله بن سنان، و غيرهما بهذا (١) تفسير القرطبي، ج ٧، ص ٢٠١.
(٢) النساء/ ٩٣.

(٣) في الجزء الثالث من التمهيد، ص ٤٠٨ - ٤٠٩ و الجزء الثاني، بحث المنسوخات رقم ٥٢ / ٢١، ص ٣٣٩.

(٤) في حديث طويل رواه الكليني في الكافي الشريف، ج ٢، ص ٣١. و الوسائل، ج ١٩، ص ١٠ رقم ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٨

الشأن «١».

فقد بين الإمام عليه السلام أن من يقتل مؤمنا لإيمانه، إنما عمد إلى محاربة الله و رسوله و ابتغاء الفساد في الأرض، و ليس عمله لغرض شخصي يرتبط بذاته، إنما هو إرادة محق الإيمان من على وجه الأرض. و لا شكّ أنه كافر محارب لله و رسوله، و مخلمد في النار - إن مات على عقيدة الكفر - و غضب الله عليه، و لعنه و أعدّ له عذابا عظيما.

و هكذا سار مفسرو الشيعة على هدى الأئمة في تفسير الآية «٢».

أمّا سائر المفسرين ففسّروه بقتل العمد الموجب للدية «٣»، و لم يبينوا وجه الخلود في النار، و الغضب و اللعنة من الله.

السابع - الطلاق الثالث

مما وقع الخلاف بين الفقهاء قديما و لا يزال هي مسألة الطلاق الثلاث بلفظ واحد، فقد ذهب فقهاء الإمامية إلى أنها طلاق واحد لعدم فصل الرجوع بينهما. أما باقي الفقهاء فأقروها ثلاثا و كانت بائنة.

و قد عدّ أئمة أهل البيت عليهم السّلام ذلك مخالفا للكتاب و السنّة، قال تعالى: (١) الكافي الشريف، ج ٧، ص ٢٧٥-٢٧٦. و راجع: تفسير العياشي، ج ١، ص ٢٦٧ رقم ٢٣٦.

(٢) راجع: التبيان للطوسي، ج ٣، ص ٢٩٥. و مجمع البيان للطبرسي، ج ٣، ص ٩٣. و الصافي للكاشاني، ج ١، ص ٣٨٢. و الميزان للطباطبائي، ج ٥، ص ٤٢. و كنز الدقائق للمشهدي، ج ٢، ص ٥٧٦. و العياشي ج ١، ص ٢٦٧.

(٣) راجع: الرازي، ج ١٠، ص ٢٣٧. و القرطبي، ج ٥، ص ٣٢٩. و ابن كثير، ج ١، ص ٥٣٦. و المنار، ج ٥، ص ٣٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٠٩

فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ «١»، و قال: الطَّلَاقُ مَرَّتَانِ فَإِمْسَاكُ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَشْرِيحُ بِإِحْسَانٍ - إلى قوله - فَإِنْ طَلَّقَهَا فَلَا تَحِلُّ لَهُ مِنْ بَعْدِ حَتَّى تَنْكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ «٢».

فقد روى عبد الله بن جعفر بإسناده إلى صفوان الجمال عن أبي عبد الله الصادق عليه السلام أن رجلا قال له: إنني طَلَّقت امرأتى ثلاثا في مجلس؟ قال: ليس بشيء، ثم قال: أما تقرأ كتاب الله: يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ كَلِّمًا خَالَفَ كِتَابَ اللَّهِ وَ السُّنَّةَ فَهُوَ يَرُدُّ إِلَى كِتَابِ اللَّهِ وَ السُّنَّةِ «٣».

و

بإسناده إلى إسماعيل بن عبد الخالق، قال: سمعت الصادق عليه السلام يقول: طَلَّقَ عبد الله بن عمر امرأته ثلاثا، فجعلها رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلّم واحدة، و رده إلى الكتاب و السنّة «٤».

قال الشيخ: معنى قوله تعالى: فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ أَنْ يَطَّلِقَهَا وَ هِيَ طَاهِرَةٌ مِنْ غَيْرِ جَمَاعٍ، وَ يَسْتَوْفَى بَاقِيَ الشَّرْطِ «٥»، أى يكون الطلاق في حاله تمكّنها أن تعتدّ عدتها ..

فمعنى «لِعَدَّتِهِنَّ»: لقبيل عدتهن، و هكذا قرئ أيضا. قال الشيخ: و لا خلاف أنه أراد ذلك - أى تفسيرا و توضيحا للآية - و إن لم تصح القراءة به «٦».

و

في سنن البيهقي عن ابن عمر: قرأ النبي - ص - «في قبل عدتهن»

و ،

في (١) الطلاق / ١.

(٢) البقرة / ٢٢٩ - ٢٣٠.

(٣) قرب الإسناد للحميري، ص ٣٠. الوسائل، ج ١٥، ص ٣١٧ رقم ٢٥.

(٤) قرب الإسناد، ص ٦٠. و الوسائل رقم ٢٦.

(٥) تفسير التبيان، ج ١٠، ص ٢٩ - ٣٠.

(٦) كتاب الخلاف، ج ٢، ص ٢٢٤ كتاب الطلاق.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٠

رواية: «لقبل عدتهن» «١».

و

في شواذ ابن خالويه: فطلقوهن في قبل عدتهن عن النبي

و ابن عباس و مجاهد «٢».

قال الطبرسى: إنه تفسير للقراءة المشهورة: «فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ» أى عند عدتهن، و مثله قوله: «لَا يُجَلِّبُهَا لَوْ قَتَلَهَا» أى عند وقتها «٣».

فقال الزمخشري: فطلقوهن مستقبلات لعدتهن، كقولك: أتيت ليلة بقيت من الشهر، أى مستقبلا لها. و

فى قراءة رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «فى قبل عدتهن» «٤».

قال الرازى: اللام- هنا- بمنزلة «فى»، نظير قوله تعالى: هُوَ الَّذِي أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ دِيَارِهِمْ لِأَوَّلِ الْحَشْرِ «٥». و

الآية بهذا المعنى؛ لأن المعنى فطلقوهن فى عدتهن، أى فى الزمان الذى يصلح لعدتهن «٦».

قال الزمخشري: اللام فى «لأَوَّلِ الْحَشْرِ» هى اللام فى قوله تعالى: يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي «٧»، و قولك: جئته لوقت كذا. و المعنى:

أخرج الذين كفروا عند أول الحشر. و معنى «أول الحشر»: أن هذا أول حشرهم إلى الشام، و كانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط، و هم

أول من أخرج من أهل الكتاب من جزيرة العرب (١) السنن الكبرى، ج ٧، ص ٣٢٧.

(٢) الشواذ لابن خالويه، ص ١٥٨.

(٣) مجمع البيان، ج ١٠، ص ٣٠٢-٣٠٣.

(٤) الكشاف، ج ٤، ص ٥٥٢.

(٥) الحشر / ٢.

(٦) التفسير الكبير، ج ٣٠، ص ٣٠.

(٧) الفجر / ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١١

إلى الشام، أو هذا أول حشرهم «١».

قال ابن المنير- فى الهامش-: كأنه يريد أنها اللام التى تصحب التاريخ، كقولك: كتبت لعام كذا و شهر كذا.

إذن فمعنى الآية الكريمة: فطلقوهن لمبدأ عدتهن، أى فى زمان يمكن بدء العدة منه.

و الطلاق ينقسم- فى الشريعة- إلى طلاق سنّة و طلاق بدعة. و الأول ما كان مجتمعا للشرائط، ففى المدخول بها: أن تكون فى طهر

غير مواقع فيه، فتطلق تطليقة ثم تترك حتى تنقضى عدتها، ثم يعقد عليها و تطلق ثانية على نفس الشرائط، و هكذا فى الثالثة. و هذا

من أحسن طلاق السنّة.

و يجوز أن يراجعها زوجها فى عدتها و يطأها ثم يطلقها، أو يطلقها بعد الرجوع من غير وطء. و هذا من الطلاق العدى، كل هذا من

الطلاق السنّى الجائز بالاتفاق. و يقابله الطلاق البدعى، و هو الطلاق غير المستجمع للشرائط.

قال الشيخ: الطلاق المحرّم (البدعى) هو أن يطلق مدخولا بها، غير غائب عنها غيبة مخصوصة، فى حال الحيض، أو فى طهر جامعها

فيه، فإنه لا يقع عندنا (الإمامية) و العقد ثابت بحاله. و قال جميع الفقهاء: إنه يقع و إن كان محظورا، ذهب إليه أبو حنيفة و أصحابه، و

مالك، و الأوزاعى، و الثورى، و الشافعى.

و قال- أيضا-: إذا طلقها ثلاثا بلفظ واحد كان مبدعا، وقعت واحدة عند تكامل الشروط عند أكثر أصحابنا، و فيهم من قال: لا يقع

شئ أصلا. و قال الشافعى: المستحب أن يطلقها طلقه، فإن طلقها ثنتين أو ثلاثا فى طهر لم يجامعها (١) الكشاف، ج ٤، ص ٤٩٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٢

فيه، دفعة أو متفرقة، كان ذلك مباحا غير محظور، و وقع، و به قال أحمد و إسحاق و أبو ثور.

و قال قوم: إذا طلقها فى طهر واحد ثنتين أو ثلاثا، دفعة واحدة أو متفرقة، فعل محرّما و عصى و أثم. و فى الفقهاء من قال بالحرمة إلّا

أنه يقع، و هم أبو حنيفة و أصحابه و مالك «١».

و الخلاصة أن الشافعي و أحمد لا يريان ذلك طلاق بدعة، فيجيزان الطلاق الثلاث بلفظ واحد و إن كان الثاني و الثالث لغير عدّة، فإنّه جائز و نافذ أيضاً.

أما أبو حنيفة و مالك فيريانه بدعة و إثما، لكنه يقع نافذا «٢».

و على أيّ تقدير، فالمذاهب الأربعة متّفقة على وقوع الطلاق الثلاث بلفظ واحد. قال الجزيري: فإذا طلق الرجل زوجته ثلاثا دفعة واحدة، بأن قال لها: أنت طالق ثلاثا، لزمه ما نطق به من العدد، في المذاهب الأربعة، و هو رأى الجمهور «٣».

و هذا من جملة الموارد التي خالف الفقهاء صريح الكتاب، لزعم أنه وردت السنّة به، إمّا تأويلا لنص الآية أو نسخا لها فيما زعموا. حاشا لفقهاء الإمامية، لم يخالفوا الكتاب في شيء، كما هو عملوا بالسنّة الصحيحة الواردة عن طرق أهل (١) راجع: الخلاف، ج ٢، ص ٢٢٤ م ٢. و ص ٢٢٦ م ٣.

(٢) راجع: صحيح النسائي، ج ٦، ص ١١٦ الهامش.

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة، ج ٤، ص ٣٤١.

لكن في كتاب مسائل الإمام أحمد بن حنبل الذي جمعه أبو داود السجستاني صاحب السنن (ص ١٦٩): أن أبا داود قال: سمعت أحمد، سئل عن الرجل يطلق امرأته ثلاثا بكلمة واحدة، فلم ير ذلك، لكنه في موضع آخر (ص ١٧٣) في البكر تطلق ثلاثا، قال: هي ثلاث لا تحل له حتى تنكح زوجا غيره.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٣

البيت عليهم السلام.

و قد أصرّ أئمة أهل البيت على أن مثل هذا الطلاق (ثلاثا بلفظ واحد) مخالف لصريح الكتاب، و ما كان مخالفا للكتاب فهو باطل يجب ضربه عرض الجدار.

إذ قوله تعالى: فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ يشمل الطلاق الثاني و الطلاق الثالث، لم يقعا للعدّة؛ حيث كانت العدّة عدة للطلقة الأولى فحسب.

قال الإمام الصادق عليه السلام لابن أشيم: «إذا طلق الرجل امرأته على غير طهر و لغير عدة كما قال الله عزّ و جلّ، ثلاثا أو واحدة، فليس طلاقه بطلاق. و إذا طلق الرجل امرأته ثلاثا و هي على طهر من غير جماع بشاهدين عدلين فقد وقعت واحدة و بطلت الثنتان. و إذا طلق الرجل امرأته ثلاثا على العدّة كما أمر الله عزّ و جلّ فقد بانت منه و لا تحلّ له حتى تنكح زوجا غيره» «١».

إذن فالطلقة الثانية و كذا الثالثة، لم تقع للعدّة حسبما ذكره الله تعالى في كتابه، و من ثمّ وقع الطلاق الثلاث بلفظ واحد، موضع إنكار رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم في الجرأة، على مخالفة صريح الكتاب:

أخرج النسائي من طريق مخرمة عن أبيه بكير بن الأشج، قال: سمعت محمود بن لبيد قال: أخبر رسول الله صلّى الله عليه و آله و سلّم عن رجل طلق امرأته ثلاث تطليقات جميعا، فقام غضبان، ثم قال: أيلعب بكتاب الله و أنا بين أظهركم! حتى قام رجل و قال: يا رسول الله، ألا- أقتله؟ «٢» و ذكر الشارح المراد به قوله تعالى: الطَّلَاقُ مَرَّتَانٍ- إلى قوله- (١) وسائل الشيعة للحر العاملي، ج ١٥، ص ٣١٩ رقم ٢٨.

(٢) سنن النسائي، ج ٦، ص ١١٦ و راجع: ابن جزم، المحلى، ج ١٠، ص ١٦٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٤

و لا تَتَّخِذُوا آيَاتِ اللَّهِ هُزُوعًا «١»، فإن معناه: التطبيق الشرعي تطليقه بعد تطليقه على التفريق دون الجمع، و الإرسال مرة واحدة. و لم يرد بالمرتين التثنية، و مثله قوله تعالى:

ثُمَّ ارْجِعِ الْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ «٢» أي كره بعد كره، لا كرتين اثنتين. و معنى قوله:

فَإِمْسَاكِ بِمَعْرِوفٍ «٣» تخيير لهم- بعد أن علمهم كيف يطلقون- بين أن يمسكوا النساء بحسن العشرة- و هو الرجوع إليها- و بين أن

يسرّحوهنّ السراح الجميل الذي علمهم. و الحكمة في التفريق ما يشير إليه قوله تعالى: لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا أَيْ قد يقبل الله تعالى قلب الزوج بعد الطلاق، من بغضها إلى محبتها «٤».

و هكذا

روى أصحاب السنن: أن ركانة طلق امرأته ثلاثا في مجلس واحد، فحزن عليها و ندم، فأتى رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و ذكر ندمه و حزنه الشديد على ذلك، فسأله رسول الله: كيف طلقته ثلاثا؟ قال: في مجلس واحد! فقال رسول الله: إنما تلك واحدة فارجعها إن شئت، فارجعها.

و

في حديث ابن عباس: أن عبد يزيد طلق زوجته و تزوج بأخرى، فأتت النبي صلى الله عليه و آله و سلم فشكت إليه. فقال النبي لعبد يزيد: راجعها، فقال: إني طلقته ثلاثا يا رسول الله. قال: قد علمت، راجعها، و تلا: يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلَّقُوهُنَّ لِعَدَّتِهِنَّ «٥». قال أبو داود: أن ركانة طلق امرأته البتة (أي الثلاث البائن) فجعلها (١) البقرة / ٢٢٩ - ٢٣١.

(٢) الملك / ٤.

(٣) البقرة / ٢٢٩.

(٤) هامش النسائي، ج ٦، ص ١١٦، الطلاق / ١.

(٥) سنن البيهقي، ج ٧، ص ٣٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٥

النبي صلى الله عليه و آله و سلم واحدة.

و معنى ذلك: أن الثلاث بلفظ واحد - من غير مراجعة بينهن - تكون الواحدة منهن للعدّة، دون مجموع الثلاث.

فتلاوة النبي صلى الله عليه و آله و سلم للآية تلميح إلى عدم وقوع الثلاث جميعا للعدّة سوى واحدة، و من ثم كانت رجعية و ليست بائنة.

و من غريب الأمر أن جمهور الفقهاء، مع علمهم بأن الثلاث بلفظ واحد مخالف للكتاب و السنّة. أمّا الكتاب فلما عرفت، و أمّا السنّة فلما رواه مسلم في الصحيح بإسناده إلى ابن عباس، قال: كان الطلاق على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أبي بكر و سنتين من خلافة عمر طلاق الثلاث واحدة، فقال عمر بن الخطاب:

إِنَّ النَّاسَ قَدْ اسْتَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ قَدْ كَانَتْ لَهُمْ فِيهِ أُنَاءٌ، فَلَوْ أَمْضَيْنَاهُ عَلَيْهِمْ: فَأَمْضَاهُ عَلَيْهِمْ «١».

نرى الفقهاء مع علمهم بذلك، فإنهم تبعوا سنّة عمر، و تركوا صريح الكتاب و سنّة الرسول و الصحابة المرضيين.

يقول الجزيري: إن الأئمة سلموا جميعا بأن الحال في عهد النبي صلى الله عليه و آله و سلم كان كذلك، و لم يطعن أحد منهم في حديث مسلم. و كل ما احتجوا به: أن عمل عمر و موافقه الأكثرين له مبني على أن الحكم كان مؤقتا، فنسخه عمر بحديث لم يذكره لنا، و الدليل على ذلك الإجماع. قال: و لكن الواقع أنه لم يوجد إجماع، فقد خالفهم كثير من المسلمين. و ممّا لا شكّ فيه أن ابن عباس من المجتهدين المعول عليهم في الدين، فتقليده جائز، و لا يجب تقليد عمر فيما رآه ... قال: و لعلّه كان (١) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٨٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٦

تحذيرا للناس من إيقاع الطلاق على وجه مغاير للسنّة، فإن السنّة أن تطلق المرأة في أوقات مختلفة، فإذا تجرأ أحد على تطبيقها دفعة واحدة فقد خالف السنّة، و جزاؤه أن يعامل بقوله زجرا له «١».

و ناقش ابن حزم الأندلسي فيما أخرجه النسائي عن طريق مخرمه، عن أبيه بكير بن عبد الله بن الأشج، أنه سمع محمود بن لبيد ... الخ

بأن خبر محمود مرسل لا حجة فيه، و أن مخرمة لم يسمع من أبيه شيئا.
و كذا ناقش فيما أخرجه مسلم، عن طريق محمد بن رافع، بإسناده إلى ابن عباس، بجهالة ابن رافع هذا «٢».
أما محمود بن لبيد فزعموا أنه لم تصح له رؤية و لا سماع من النبي؛ لأنه كان طفلا لم يبلغ الحلم يومذاك.
لكن ذكر الواقدي و غيره: أنه مات سنة ست و تسعين، و هو ابن تسع و تسعين سنة، قال ابن حجر: على هذا يكون له يوم مات النبي ثلاث عشرة سنة، و هذا يقوى قول من أثبت الصحبة، و هو قول البخارى. و من ثم قال ابن عبد البر:

قول البخارى أولى، يعنى فى إثبات الصحبة، و هو الذى

روى أن النبي صلى الله عليه و آله و سلم أسرع يوم مات سعد بن معاذ حتى تقطعت نعالتا.
. قال الترمذى: رأى النبي و هو غلام صغير «٣».

قلت: لا يقل هذا عن ابن عباس الذى كان يوم مات النبي ابن ثلاث عشرة سنة (١) الفقه على المذاهب، ج ٤، ص ٣٤١-٣٤٢.
(٢) المحلى، ج ١٠، ص ١٦٨.

(٣) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٦٥-٦٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٧

أيضا.

أما عدم سماع مخرمة من أبيه فليس يضره، بعد أن كان يروى من كتاب أبيه.

قال أبو طالب: سألت أحمد عنه، قال: ثقة و لم يسمع من أبيه إنما يروى من كتاب أبيه. و قال مالك: حدثني مخرمة بن بكير و كان رجلا صالحا. قال أبو حاتم: سألت إسماعيل بن أبي أويس، قلت: هذا الذى يقول مالك بن أنس: حدثني الثقة، من هو؟ قال: مخرمة بن بكير بن الأشج. و قال الميمونى عن أحمد: أخذ مالك كتاب مخرمة فنظر فيه، فكل شيء يقول فيه: بلغنى عن سليمان بن يسار، فهو من كتاب مخرمة، يعنى عن أبيه عن سليمان «١».

و أما المناقشة فى إسناده مسلم بجهالة ابن رافع، و لا حجة فى مجهول! فيدفعها أن مسلما رواه من طريق إسحاق بن إبراهيم و محمد بن رافع، جميعا عن عبد الرزاق.

أمّا محمد بن رافع فقد وثقه الأئمة كلمة واحدة. قال البخارى: حدثنا محمد بن رافع بن سابور، و كان من خيار عباد الله. و قال النسائى: حدثنا محمد بن رافع الثقة المأمون. و قال أبو زرعة: شيخ صدوق. و قال الحاكم: هو شيخ عصره بخراسان فى الصدق و الرحلة «٢».

و هكذا إسحاق بن إبراهيم بن مخلد المعروف بابن راهويه المروزي، هو أحد الأئمة المرموقين بخراسان ممن قل نظيره. قال أبو زرعة: ما رؤى أحفظ من إسحاق. و قال أحمد: لم يعبر الجسر إلى خراسان مثله. قال: لا أعرف له بالعراق (١) تهذيب التهذيب، ج ١٠، ص ٧٠.

(٢) تهذيب التهذيب، ج ٩، ص ١٦١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٨

نظيرا «١».

فقد صح قول الجزيرى: لم يطعن أحد فى حديث مسلم؛ حيث كان طعن ابن حزم موهونا إلى حد بعيد.

و بعد، فمما يبعث على الاعتزاز ذلك موقف فقهاء الإمامية جنبا إلى جنب، من صراحة الكتاب و الصحيح من سنة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم حتى و إن خالفهم الجمهور. و هذا من بركات تعاليم أئمة أهل البيت عليهم السلام الثابتين على صلب الشريعة و الحافظين لناموس الدين، ذلك فضل الله يؤتاه من يشاء و الله ذو الفضل العظيم.

الثامن - حديث المتعة

إشارة

قال تعالى: **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً** (٢).

أ- متعة النساء

وقع الخلاف في هذه الآية الكريمة، هل هي منسوخة الحكم، و ما ناسخها، هل هو الكتاب أم السنة الشريفة؟ ذهب أئمة أهل البيت عليهم السلام إلى أنها محكمة لا يزال حكمها ثابتا في الشريعة، ليس لها ناسخ لا في الكتاب ولا في السنة، و إليه ذهب جملة الأصحاب و التابعين. و خالفهم فقهاء سائر المذاهب، نظرا لمنع عمر ذلك، و كان يشدد عليه، كما (١) تهذيب التهذيب، ج ١، ص ٢١٧ و ٢١٨. (٢) النساء/ ٢٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥١٩

افترضوا له دلائل من الكتاب و السنة، لم تثبت عند أئمة النقد و التمحيص ..

قال ابن كثير: و قد استدلل بعموم هذه الآية على نكاح المتعة. و لا شك أنه كان مشروعاً في ابتداء الإسلام، ثم نسخ بعد ذلك ... و قد روى عن ابن عباس و طائفة من الصحابة القول بإباحتها للضرورة، و هو رواية عن أحمد. و كان ابن عباس، و أبي بن كعب، و سعيد بن جبیر، و السدي يقرءون **فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ** - إلى أجل مسمى - **فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً** - قراءة على سبيل التفسير - و قال مجاهد: نزلت في نكاح المتعة. قال: و لكن الجمهور على خلاف ذلك (١).

و قال ابن قيم الجوزي: الناس في هذا (حديث المتعة) طائفتان: طائفة تقول:

إن عمر هو الذي حرّمها و نهى عنها، و قد أمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم باتّباع ما سنّه الخلفاء الراشدون و لم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة عام الفتح، فإنه من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة الجهني، عن أبيه عن جده، و قد تكلم فيه ابن معين. و لم ير البخاري إخراج حديثه في صحيحه مع شدّة الحاجة إليه، و كونه أصلاً من أصول الإسلام، و لو صحّ عنده لم يصبر عن إخراجها و الاحتجاج به. قالوا: و لو صحّ حديث سبرة لم يخف على ابن مسعود، حتى يروى عنه: أنهم فعلوها، و يحتج بالآية. و أيضا لو صحّ لم يقل عمر: إنها كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أنا أنهى عنها و أعاقب عليها، بل كان يقول:

إنه صلى الله عليه و آله و سلم حرّمها و نهى عنها. قالوا: و لو صحّ لم تفعل على عهد الصديق و هو (١) تفسير ابن كثير، ج ١، ص ٤٧٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٠

عهد خلافة النبوة حقاً. قال: و الطائفة الثانية رأت صحة حديث سبرة، و لو لم يصحّ فقد صحّ حديث على عليه السلام أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حرّم متعة النساء، فوجب حمل حديث جابر على أن الذي أخبر عنها بفعلها لم يبلغه التحريم، و لو لم يكن قد اشتهر حتى كان زمن عمر، فلما وقع فيها النزاع ظهر تحريمها و اشتهر. قال: و بهذا تأتلف الأحاديث الواردة فيها (١).

و ذهب القرطبي - من المفسرين - إلى أن الآية ليست بشأن المتعة، وإنما هي بشأن النكاح التام. قال: ولا يجوز أن تحمل الآية على جواز المتعة؛ لأن النبي - ص - نهى عن نكاح المتعة و حرّمه؛ ولأن الله تعالى قال: «فَأَنْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ» و معلوم أن النكاح ياذن الأهلين هو النكاح الشرعي بوليّ و شاهدين، و نكاح المتعة ليس كذلك.

قال: و قال الجمهور: المراد نكاح المتعة الذي كان في صدر الإسلام، و نسختها آية ميراث الأزواج؛ إذ كانت المتعة لا ميراث فيها. و قالت عائشة و القاسم بن محمد: تحريمها و نسخها في القرآن، و ذلك قوله تعالى: «وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ» (٢)، و ليست المتعة نكاحاً و لا ملك يمين.

و نسب إلى ابن مسعود أنه قال: المتعة منسوخة نسختها الطلاق و العدة و الميراث.

و قال بعضهم: إنها أبيحت في صدر الإسلام ثم حرّمت عدة مرات. قال ابن (١) زاد المعاد لابن قيم، ج ٢، ص ١٨٤ - ١٨٥. (٢) المؤمنون / ٥ - ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢١

العربي: و أما متعة النساء فهي من غرائب الشريعة؛ لأنها أبيحت في صدر الإسلام، ثم حرّمت يوم خيبر، ثم أبيحت في غزوة أوطاس، ثم حرّمت بعد ذلك، و استقر الأمر على التحريم. و ليس لها أخت في الشريعة إلا مسألة القبلة؛ لأن النسخ طرأ عليها مرتين، ثم استقرت بعد ذلك.

و قال غيره - ممن زعم أنه جمع طرق الأحاديث في ذلك -: إنها تقتضى التحليل و التحريم سبع مرات.

و قال جماعة: لا - ناسخ لها سوى أن عمر نهى عنها ... و روى عطاء عن ابن عباس، قال: ما كانت المتعة إلا رحمة من الله رحم بها عباده، و لو لا نهى عمر عنها ما زنى إلا شقيّ (١).

و هكذا

روى ابن جرير الطبري بإسناده إلى الإمام أمير المؤمنين عليه السلام قال: «لو لا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلا شقيّ» (٢). و يروى «إلا شقيّ»

بالفاء المفتوحة، أي قليل من الناس (٣).

قال ابن حزم الأندلسي: كان نكاح المتعة - و هو النكاح إلى أجل - حلالاً على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم ثم نسخها الله تعالى على لسان رسوله، نسخاً باتاً إلى يوم القيامة.

و قد ثبت على تحليلها بعد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلّم جماعة من السلف، منهم من (١) تفسير القرطبي، ج ٥، ص ١٣٠ - ١٣٢.

(٢) تفسير الطبري، ج ٥، ص ٩.

(٣) قال ابن الأثير: من قولهم: غابت الشمس إلا شقي، أي قليلاً من ضوئها عند غروبها. و

قال الأزهرى: «إلا شقي» أي إلا أن يشقى، يعنى يشرف على الزنى و لا يواقعه. فأقام الاسم و هو الشقى مقام المصدر الحقيقي، و هو الإشفاء على الشيء.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٢

الصحابة: أسماء بنت أبي بكر (١)، و جابر بن عبد الله الأنصاري (٢)، و ابن مسعود (٣)، و ابن عباس (٤)، و عمرو بن حريث (٥)، و أبو سعيد الخدري (٦)، و سلمة و معبد ابنا أمية بن خلف (٧). (١) أخرج أبو داود الطيالسي في مسنده، ص ٢٢٧ عن مسلم القرني قال: دخلنا على أسماء بنت أبي بكر فسألناها عن متعة النساء، فقالت: فعلناها على عهد النبي. (الغدير، ج ٦، ص ٢٠٩) و في محاوره جرت بين ابن عباس و عروة بن الزبير في المتعة، فقال له ابن عباس: سل أمك يا عريّة. (زاد المعاد لابن قيم الجوزي، ج ١، ص ٢١٣) و كذا

بينه و بين عبد الله، فقال له ابن عباس:

أول مجمر سطع في المتعة مجمر آل الزبير (العقد الفريد، ج ٤، ص ١٤) و في محاضرات الراغب (ج ٢، ص ٩٤): عير عبد الله بن الزبير عبد الله بن عباس بتحليله المتعة، فقال له: سل أمك كيف سطعت المجامر بينها و بين أبيك: فسألها، فقالت: ما ولدتك إلا في المتعة.

راجع تفصيل القصة في مروج الذهب للمسعودي (ج ٣، ص ٩٠-٩١) و راجع أيضا صحيح مسلم (ج ٤، ص ٥٥-٥٦) (٢) يأتي الحديث عنه، و هو الذي أعلن صريحا أنها كانت مباحة منذ عهد الرسول فإلى النصف من خلافة عمر، حتى نهى عنها عمر لأسباب يأتي ذكرها. و يفند من زعم أنه كان بمنع رسول الله أيام حياته.

(٣) فقد ذكر النووي عنه أنه قرأ فما استمتعتم به منهن إلى أجل. (شرح مسلم، ج ٩، ص ١٧٩)

(٤) و هو المشتهر بفتواه الإباحة في ربوع مكة، و سارت عنه الركبان في سائر البلدان (فتح الباري، ج ٩ ص ١٤٨)

(٥) و هو الذي استمتع بموالاة فأحبها في أيام عمر. (فتح الباري، ج ٩، ص ١٤٩)

(٦) و هو الذي واكب جابرا في الإعلان بإباحة المتعة منذ عهد الرسول. (عمدة القارئ للعيني، ج ٨ ص ٣١٠) و (فتح الباري، ج ٩، ص ١٥١)

(٧) نسب ذلك إلى كل منهما؛ أخرج عبد الرزاق بسند صحيح: أنه لم يرع عمر إلا أم أراكة قد خرجت

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٣

قال: و رواه جابر عن جميع الصحابة، مدد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و مدد أبي بكر و عمر إلى قرب آخر خلافته.

قال: و من التابعين: طاوس و عطاء و سعيد بن جبير و سائر فقهاء مكة «١».

و بعد، فالذي يشهد به التاريخ و متواتر الحديث، أن المتعة (النكاح المؤقت) كانت مما أحله الكتاب و جرت به السنة و عمل بها الأصحاب، منذ عهد الرسالة و تمام عهد أبي بكر و نصفا من خلافة عمر، حتى نهى عنها و شدد عليه لأسباب و علل، كان يرى أنها تخوله صلاحية المنع.

أخرج مسلم من طريق عبد الرزاق قال: أخبرنا ابن جريج عن عطاء، قال: قدم جابر بن عبد الله معتمرا فجنناه في منزله، فسأله القوم عن أشياء ثم ذكروا المتعة، فقال: نعم، استمتعنا على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أبي بكر و عمر ...

و أيضا عن ابن جريج قال: أخبرني أبو الزبير قال: سمعت جابر بن عبد الله يقول: كنا نستمتع بالقبضة من التمر و الدقيق، الأيام على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أبي بكر، حتى نهى عنه عمر في شأن عمرو بن حريث «٢».

و في حديث قيس عنه قال: رخص لنا أن ننكح المرأة بالثوب إلى أجل ... ثم قرأ عبد الله: يا أيها الذين آمنوا لا تحرموا طيبات ما أحل الله لكم و لا تغتدوا إن الله لا يحب المعتدين «٣». حبلي فسألها عمر، فقالت: استمتع بي سلمة، و في أخرى: معبد. (فتح الباري،

ج ٩، ص ١٥١) و (الإصابة، ج ٢، ص ٦٣)

(١) المحلى لابن حزم، ج ٩، ص ٥١٩-٥٢٠ رقم ١٨٥٤.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣١.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٣٠. و الآية من سورة المائدة/ ٨٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٤

و كان استشهاده بهذه الآية تدليلا على أن الله يحب أن يؤخذ برخصه، و لا سيما الطيبات، ما لم ينه عنه الشارع الحكيم ذاته. إشارة إلى أن نهى مثل عمر لا تأثير له في حكم شرعي مستدام بذاته.

أما قضية عمرو بن حريث فهو ما أخرجه الحافظ عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج، قال: أخبرني أبو الزبير عن جابر قال: قدم عمرو

بن حريث الكوفه فاستمتع بمولاه، فأتى بها عمر و هي حبلى، فسأله فاعترف، قال: فذلك حين نهى عنها عمر «١».

و قريب منها قصه سلمه و معبد ابني أميه بن خلف:

أخرج عبد الرزاق بسند صحيح عن عمرو بن دينار عن طوس عن ابن عباس، قال: لم يرع عمر إلا أم أراكه قد خرجت حبلى، فسألها عمر، فقالت:

استمتع بي سلمه بن أميه «٢».

و ذكر ابن حجر- في الإصابة- أن سلمه استمتع من سلمى مولاه حكيم بن أميه الأسلمي فولدت له فجحد ولدها.

و زاد الكلبي: فبلغ ذلك عمر فنهى عن المتعه، و روى أيضا أن سلمه استمتع بامرأة فبلغ عمر فتوعدده «٣».

قال ابن حجر: القصة بشأن سلمه و معبد ابني أميه واحده، أختلف فيها هل وقعت لهذا أو لهذا «٤». (١) فتح الباري بشرح البخاري لابن

حجر (ج ٩، ص ١٤٩) و أخرجه عبد الرزاق في مصنفه عن ابن جريج (الغدیر، ج ٦، ص ٢٠٦-٢٠٧)

(٢) فتح الباري، ج ٩، ص ١٥١.

(٣) الإصابة في تمييز الصحابه، ج ٢، ص ٦٣ رقم ٣٣٦٣.

(٤) فتح الباري، ج ٩، ص ١٥١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٥

و أخرج مالك و عبد الرزاق عن عروة بن الزبير: أن خوله بنت حكيم دخلت على عمر بن الخطاب، فقالت: إن ربيعه بن أميه استمتع بمرأة مولده فحملت منه.

فخرج عمر بن الخطاب- يجز رداءه فزعا، فقال: هذه المتعه! و لو كنت تقدمت فيها لرجمت «١»، أى لو أعلنت بالمنع قبل ذلك.

و أخرج أبو جعفر الطبري في تاريخه بالإسناد إلى عمران بن سواده، قال:

صليت الصبح مع عمر، ثم انصرف و قمت معه، فقال: أ حاجه؟ قلت: حاجه. قال:

فالحق، فلحقت. فلما دخل أذن لي، فإذا هو على سرير ليس فوقه شيء. فقلت:

نصيحه؟ فقال: مرحبا بالناصح غدوا و عشيا. قلت: عابت أمتك عليك أربعا! فوضع رأس درته في ذقنه و وضع أسفلها على فخذه، ثم قال: هات:

فذكر أولا: أنه حرم العمره في أشهر الحج «٢». و لم يفعل ذلك رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و لا أبو بكر، و هي حلال،

فاعتذر عمر: أنهم لو اعتمروا في أشهر الحج لرأوها مجزيه عن حجهم.

و الثاني: أنه حرم متعه النساء، و قد كانت رخصه من الله. نستمتع بقبضه و نفارق عن ثلاث، فاعتذر عمر: أن رسول الله أحلها في

زمان ضروره، و الآن قد (١) الدر المنثور، ج ٢، ص ١٤١.

(٢) كانت العرب في الجاهليه يرون العمره في أشهر الحج من أفجر الفجور (البخاري، ج ٢، ص ١٧٥) و (مسلم، ج ٤، ص ٥٦) و قد

كافح النبي صلى الله عليه و آله و سلم هذه العاده الجاهليه و أصر على معارضتها و نقضها قولا و عملا، و من ثم فإن ما قام به عمر

كانت محاوله لإعادة رسم غابر خالف شريعه الإسلام.

راجع: الغدير (ج ٦، ص ٢١٧) تجد الدعوة إلى الاعتمار في غير أشهر الحج عودا إلى الرأي الجاهلي عن قصد أو غير قصد.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٦

رجع الناس إلى السعه.

و الثالث: أنه حكم بعناق الأمة إن وضعت ذا بطنها بغير عتاقه سيدها «١». فقال عمر: ألحقت حرمة بحرمة و ما أردت إلا الخير، و

استغفر الله.

و الرابع: أنه يأخذ الرعية بالشدة و العنف، فأجاب عمر بما حاصله: أن ذلك مما لا بد منه في انتظام الرعية «٢».

قصة المنع من المتعتين

و الذى يبت من الأمر بتأ أن عمر هو الذى حال دون تداول شريعة المتعة، و أنها كانت محللة حتى أصدر الخليفة المنع منها لا عن سابقة نسخ أو تحريم.

تلك قولته المعروفة: «متعتان كانتا على عهد رسول الله، و أنا محرّمهما و معاقب عليهما: متعة النساء و متعة الحج».

و هذا الكلام و إن كان ظاهره منكرا- كما قال ابن أبى الحديد المعتزلى «٣»- فله مخرج و تأويل اختلف الفقهاء فيه.

و فى ذلك يقول الإمام الرازى: ظاهر قول عمر: و أنا أنهى عنهما، أنهما مشروعتان غير منسوختين، و أنه هو الذى نسخهما. و ما لم ينسخه الرسول فلا ناسخ له أبدا.

ثم أخذ فى تأويل كلامه بأن المراد: أنا أنهى عنهما لما ثبت عندى أن النبى نسخها. قال: لأنه لو كان مراده أن المتعة كانت مباحة فى شرع محمد صلى الله عليه و آله و سلم و أنا (١) الأمة ذات الولد لا تباع و لا تنقل لتحرّر بعد موت سيدها، و تكون من نصيب ولدها فى الإرث.

(٢) لخصناه عن الطبرى، ج ٤، ص ٢٢٥، حوادث سنة ٢٣ (ط المعارف) و نقله ابن أبى الحديد فى شرح النهج (ج ١٢، ص ١٢١) عن الطبرى و شرح الغريب من ألفاظه رواية عن ابن قتيبة.

(٣) شرح النهج، ج ١، ص ١٨٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٧

أنهى عنها، لزم تكفيره و تكفير كل من لم يحاربه، و يفضى ذلك إلى تكفير أمير المؤمنين؛ حيث لم يحاربه و لم يرد عليه ذلك القول «١».

و أغرب القسطلانى فى شرحه على البخارى، حيث قوله: إن نهى عمر كان مستندا إلى نهى النبى صلى الله عليه و آله و سلم، و كان خافيا على سائر الصحابة، فبينه عمر لهم؛ و لذلك سكتوا أو وافقوا!! «٢».

اللهم إن هذا إلّا تحرّص بالغيب، و تفسير كلام بما لا يرضى صاحبه.

و أشدّ غرابة ما ذكره القوشجى- فى شرحه على تجريد الاعتقاد للخواجه نصير الدين الطوسى- قال: إن عمر قال على المنبر: أيها الناس ثلاث كنّ على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أنا أنهى عنهنّ و أحرمهنّ و أعاقب عليهنّ: متعة النساء، و متعة الحج، و حى على خير العمل، ثم اعتذر بأن ذلك ليس ممّا يوجب قدحا فيه، فإن مخالفة المجتهد لغيره فى المسائل الاجتهادية ليس ببدع!! «٣» انظر إلى هذا الرجل العالم المتجاهل، كيف يجعل من صاحب الرسالة الذى لا ينطق إلّا عن وحي يوحى إليه، كيف يجعله عدلا لفرد من آحاد أمته، و لا سيما مثل ابن الخطاب الذى أعلن صريحا و مرارا: كلّ الناس أفضه منه «٤».

و بعد، فلنعطف الكلام عن حديث المتعتين الذى أعلن به عمر على رءوس (١) التفسير الكبير ج ١٠، ص ٥٣-٥٤.

(٢) إرشاد السارى بشرح البخارى للقسطلانى، ج ١١، ص ٧٧.

(٣) شرح التجريد آخر مباحث الإمامة.

(٤) و قد عقد ابن أبى الحديد (شرح النهج، ج ١، ص ١٨١) بابا ذكر فيه موارد أفتى فيها عمر ثم نقضها، و راجع أيضا نواذر الأثر فى علم عمر للعلامة الأمينى (الغدِير، ج ٦، ص ٨٣-٣٢٥) و كان مستقانا فى هذا العرض.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٨

الأشهاد:

١- أخرج البيهقي في سننه بالإسناد إلى أبي نضرة قال: قلت لجابر بن عبد الله الأنصاري: إن ابن الزبير ينهى عن المتعة وإن ابن عباس يأمر بها! قال: على يدي جرى الحديث، تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مع أبي بكر، فلما ولي عمر خطب الناس فقال:

«إن رسول الله هذا الرسول، وإن هذا القرآن هذا القرآن. وإنهما كانتا متعتان على عهد رسول الله، وأنا أنهي عنهما وأعاقب عليهما، إحداهما: متعة النساء، ولا أقدر على رجل تزوج امرأة إلى أجل إلا غيبتة بالحجارة، والأخرى: متعة الحج» (١).

٢- وأخرج مسلم في صحيحه أيضا عن أبي نضرة، قال: كان ابن عباس يأمر بالمتعة، وكان ابن الزبير ينهى عنها، فذكرت ذلك لجابر، فقال: على يدي دار الحديث. تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قام عمر قال: «إن الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، وإن القرآن قد نزل منازل، فأتموا الحج والعمرة لله كما أمر الله، وأبوا نكاح هذه النساء، فلن أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته بالحجارة» (٢).

٣- وأخرج أبو بكر الجصاص بإسناده إلى شعبة عن قتادة، قال: سمعت أبا نضرة يقول: كان ابن عباس يأمر بالمتعة وكان ابن الزبير ينهى عنها، قال: فذكرت ذلك لجابر فقال: على يدي دار الحديث، تمتعنا مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فلما قام عمر قال: «إن الله كان يحلّ لرسوله ما شاء بما شاء، فأتموا الحج والعمرة كما أمر (١) السنن الكبرى للبيهقي، ج ٧، ص ٢٠٦.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٣٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٢٩

الله، و انتهوا عن نكاح هذه النساء، لا أوتي برجل نكح امرأة إلى أجل إلا رجمته.

قال الجصاص: فذكر عمر الرجم في المتعة، و جائز أن يكون على جهة الوعيد و التهديد لينزجر الناس عنها (١).

٤- و ذكر بشأن متعة الحج، و هي إحدى المتعتين اللتين قال عمر بن الخطاب: «متعتان كانتا على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأنا أنهي عنهما و أضرب عليهما: متعة الحج و متعة النساء» (٢).

و هكذا رواه الحافظ أبو عبد الله بن القيم الجوزي، قال: ثبت عن عمر أنه قال (٣).

و قال شمس الدين السرخسي: و قد صح أن عمر نهى الناس عن المتعة، فقال:

متعتان كانتا ... (٤).

و ذكره القرطبي بنفس اللفظ (٥)، و الفخر الرازي بلفظ: «متعتان كانتا مشروعيتين ...» (٦).

إلى غير ذلك من تصريحات أعلام الفقه (٧) و التفسير، تنبؤك عن تواتر حديث (١) أحكام القرآن للجصاص، ج ٢، ص ١٤٧ و استند السرخسي في المبسوط (ج ٥، ص ١٥٣) إلى ما روى عن عمر أنه قال: «لا أوتي برجل تزوج امرأة إلى أجل إلا رجمته و لو أدركته ميتا لرجمت قبره»!

(٢) أحكام القرآن للجصاص، ج ١، ص ٢٩٠-٢٩١.

(٣) زاد المعاد، ج ٢، ص ١٨٤.

(٤) المبسوط للسرخسي، ج ٤، ص ٢٧.

(٥) تفسير القرطبي، ج ٢، ص ٣٩٢.

(٦) التفسير الكبير، ج ١٠، ص ٥٢-٥٣.

(٧) راجع: المحلّي لابن حزم، ج ٧، ص ١٠٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٠

منع المتعتين منعا مستندا إلى عمر بالذات، وليس مستندا إلى شريعة السماء.

الأمر الذي دعا بكثير من النبهاء أن يأخذوا من قوله عمر هذه دليلا على الجواز، استنادا إلى روايته تاركين رأيه إلى نفسه، أو لا حجة لرأى في مقابلة الشريعة، كما لا اجتهاد في مقابلة النص.

يذكر ابن خلكان - في ترجمه يحيى بن أكنم - أن المأمون العباسي أمر فنودي بتحليل المتعة. فدخل عليه ابن أكنم فوجده يستاك، و يقول - وهو مغتاظ -:

متعتان كانتا على عهد رسول الله و على عهد أبي بكر و أنا أنهى عنهما! و من أنت يا جعل؟! «١» و في لفظ الخطيب: و من أنت يا أحول حتى تنهى عما فعله النبي و أبو بكر؟! «٢» و ذكر الراغب أن يحيى بن أكنم - و كان قاضيا في البصرة نصبه المأمون - قال لشيخ بالبصرة: بمن اقتديت في جواز المتعة؟ قال: بعمر بن الخطاب! قال: كيف، و عمر كان أشد الناس فيها؟ قال: لأن الخبر الصحيح أنه صعد المنبر، فقال: إن الله و رسوله قد أحلّا لكم متعتين و إنّي محرّمهما عليكم و معاقب عليهما. فقبلنا شهادته و لم نقبل تحريمه! «٣» و هناك من الصحابة و التابعين من ثبتوا على القول بالتحليل الأول منذ عهد (١) تاريخ ابن خلكان (وفيات الأعيان)، ج ٦، ص ١٤٩-١٥٠، و جعل معناه: لجوج.

(٢) تاريخ بغداد، ج ١٤، ص ١٩٩.

(٣) محاضرات الراغب الأصبهاني، ج ٢، ص ٩٤ (الغدِير، ج ٦، ص ٢١٢)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣١

الرسول صَلَّى الله عليه و آله و سلم و لم يستسلموا لنهي عمر، و جاهروا في مخالفته إما في حياته أو بعد مماته.

هذا جابر بن عبد الله الأنصاري هو أول من جاهر بالتحليل، و أعلن بالمخالفة لنهي عمر.

و هذا أبو سعيد الخدري قد عرفت مواكبته مع جابر في إعلام المخالفة.

و عبد الله بن مسعود قرأ: إلى أجلٍ مُّسَمًّى ... بملاء من الناس.

و أبي بن كعب كان يقرأ قراءة ابن مسعود.

و سعيد بن جبير، و طاوس، و عطاء، و مجاهد، و سائر فقهاء مكة، و أضرابهم حسبما تقدم الكلام عنهم.

و

يقول الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: لو لا أن عمر نهى عن المتعة ما زنى إلّا شفى - أو - إلّا شقى، «١» على ما سبق بيانه.

و كذلك ابن عباس في قوله: يرحم الله عمر، ما كانت المتعة إلّا رحمة من الله رحم بها أمّة محمد صَلَّى الله عليه و آله و سلم، و لو لا

نهي ما احتاج إلى الزنى إلّا شقى - أو - إلّا شفى «٢».

و قد عرّض ابن الزبير بابن عباس في قوله: إن ناسا أعمى الله قلوبهم كما أعمى أبصارهم يفتون بالمتعة، فناده ابن عباس: إنك لجلف

جاف فلعمري لقد كانت المتعة تفعل على عهد إمام المتقين - يريد رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم - فقال له ابن الزبير: فجرب

بنفسك فو الله لئن فعلتها لأرجمك بأحجارك «٣». (١) فتح الباري، ج ٥، ص ٩.

(٢) الدر المنثور، ج ٢، ص ١٤١.

(٣) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣٣. و النووي، ج ٩، ص ١٨٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٢

و هذا ابنه عبد الله تراه لا يكثرث بنهي نهاه أبوه تفاديا دون سنّة سنّها رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم و نطق بها الكتاب. فقد

أخرج أحمد في مسنده عن أبي الوليد، قال: سألت رجل ابن عمر عن المتعة و أنا عنده (متعة النساء)، فقال: و الله ما كنّا على عهد

رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلم زانين و لا مسافحين «١».

و هكذا نجد كبار الصحابة و التابعين و من ورائهم الفقهاء، لم يابهاوا بنهى عمر عن متعة الحج، مع تصريحه بالمنع و إردافه لها مع متعة النساء. و ما ذلك إلا من جهة عدم اعتبار أى اجتهاد فى مقابلة نصّ الشريعة.

هذا ابن عمر نراه كما لم يكثر بنهى أبيه عن متعة النساء، كذلك لم يكثر بنهيه عن متعة الحج:

روى الترمذى بإسناده إلى ابن شهاب أن سالما حدثه أنه سمع رجلا من أهل الشام، و هو يسأل عبد الله بن عمر عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال عبد الله:

هى حلال. فقال الشامى: إن أباك قد نهى عنها! فقال عبد الله: أ رأيت إن كان أبى نهى عنها، و صنعها رسول الله، أ أمر أبى نتبع، أم أمر رسول الله؟ فقال الرجل: بل أمر رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: لقد صنعها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم «٢».

و كذلك

روى ابن إسحاق عن الزهرى عن سالم، قال: إنى لجالس مع ابن عمر فى المسجد؛ إذ جاءه رجل من أهل الشام فسأله عن التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال ابن عمر: حسن جميل. قال: فإن أباك كان ينهى عنها! فقال: ويلك، فإن كان أبى نهى عنها و قد فعله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم و أمر به، أ فبقول أبى آخذ أم بأمر رسول (١) مسند الإمام أحمد، ج ٢، ص ٩٥.

(٢) جامع الترمذى، ج ٣، ص ١٨٥-١٨٦ رقم ٨٢٤ كتاب الحج.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٣

الله؟ قم عنى. قال القرطبى: أخرجه الدار قطنى «١». و هكذا نرى سعد بن أبى وقاص لم يأبه بمنع عمر تجاه سنّة سنّها رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم،

رواه الترمذى أيضا بإسناده إلى شهاب، عن محمد بن عبد الله بن الحارث: أنه سمع سعد بن أبى وقاص و الضحّاك بن قيس، و هما يذكران التمتع بالعمرة إلى الحج، فقال الضحّاك: لا يصنع ذلك إلا من جهل أمر الله. فقال سعد: بئس ما قلت، يا ابن أخى! فقال الضحّاك: فإن عمر قد نهى عن ذلك، فقال سعد: قد صنعها رسول الله، و صنعناها معه. «٢» و هذا

عمران بن الحصين يحذو حذوهما فى جرأة و صراحة، يقول: «إنّ الله أنزل فى المتعة آية و ما نسخها بآية أخرى. و أمرنا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم بالمتعة و ما نهانا عنها

، قال رجل فيها برأيه ما شاء»، يريد عمر بن الخطاب، على ما صرح به الرازى «٣» و ابن حجر «٤». أخرجه ابن أبى شيبة و البخارى و مسلم «٥».

و

أخرجه أيضا أحمد فى مسنده عنه قال: «نزلت آية المتعة فى كتاب الله تبارك و تعالى، و عملنا بها مع رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم فلم تنزل آية تنسخها، و لم ينه (١) تفسير القرطبى، ج ٢، ص ٣٨٨.

(٢) جامع الترمذى، ج ٣، ص ١٨٥ رقم ٨٢٣.

(٣) أورده الإمام الرازى بشأن متعة النساء (التفسير الكبير، ج ١٠، ص ٥٣)

(٤) قال ابن حجر: لأنه أول من نهى عنها و كأن من بعده (عثمان و معاوية) كان تابعا له فى ذلك. (فتح البارى، ج ٣، ص ٣٤٥)

(٥) الدر المنثور، ج ١، ص ٢١٦. و راجع: صحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٨-٤٩ أورده بألفاظ مختلفة و متقاربة تماما. و أورده البخارى فى

تفسير سورة البقرة باب فمن تمتع (ج ٦، ص ٣٣) و فى كتاب الحج باب التمتع على عهد رسول الله (ج ٢، ص ١٧٦)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٤

عنها النبى حتى مات «١».

و عمران هذا من فضلاء الصحابة و فقهاءهم، و قد بعثه عمر ليفقه أهل البصرة، ثقة بمكان فقهه و أمانته. قال ابن سيرين: كان أفضل من نزل البصرة من الصحابة «٢».

قال الشيخ أبو عبد الله المفيد- في جواب من سأله عن

قول مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام «ليس منا من لم يقل بمتعتنا»

-: إن المتعة التي ذكرها الإمام الصادق عليه السلام هي النكاح المؤجل الذي كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم أباحها لأُمَّته في حياته و نزل بها القرآن أيضا، فتؤكد ذلك بإجماع الكتاب و السنة فيه؛ حيث يقول الله:

وَ أَجَلَ لَكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ، فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً «٣»، فلم يزل على الإباحة بين المسلمين لا- يتنازعون فيها، حتى رأى عمر بن الخطاب النهي عنها، فحظرها و شدد في حظرها و توعد على فعلها، فتبعه الجمهور على ذلك. و خالفهم جماعة من الصحابة و التابعين فأقاموا على تحليلها إلى أن مضوا لسبيلهم، و اختص بإباحتها جماعة من الصحابة و التابعين و أئمة الهدى من آل محمد عليهم السلام، فلذلك أضافها الصادق عليه السلام بقوله: متعتنا «٤». (١) مسند الإمام أحمد، ج ٤، ص ٤٣٦.

(٢) الإصابة لابن حجر، ج ٣، ص ٢٦-٢٧.

(٣) النساء / ٢٤.

(٤) المسائل السروية (المسألة الأولى) المطبوعة ضمن رسائل المفيد، ص ٢٠٧-٢٠٨.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٥

لا نسخ و لا تحريم

و بعد، إذ عرفت أن القوم لم يكذبوا أن يصدقوا منع عمر ذاته لشريعة سنّها الكتاب و السنة، التمسوا لتبرير موقفه ذاك معاذير و تعاليل، لا تكاد تشفى العليل و لا تروى الغليل.

قال الشيخ محمد عبده: و العمدة عند أهل السنة في تحريمها وجوه:

أولها: ما علمت من منافاتها لظاهر القرآن في أحكام النكاح و الطلاق و العدة، إن لم نقل لنصوصه.

ثانيها: الأحاديث المصرحة بتحريمها تحريما مؤبدا إلى يوم القيامة، و قد جمع متونها و طرقها مسلم في صحيحه.

ثالثها: نهى عمر عنها في خلافته، و إشادته بتحريمها على المنبر، و إقرار الصحابة له على ذلك.

قال: و كان إسناد التحريم إلى نفسه (أنا محرّمهما) فمجاز، و معناه: أنه مبيّن لتحريمهما.

و قد شاع مثل هذا الإسناد، كما يقال: حرّم الشافعي النيذ و أحله أو أباحه أبو حنيفة. لم يعنوا إنهما شرعا ذلك من عند أنفسهما، و

إنما يعنون أنهم بينوه بما ظهر لهم من الدليل. قال: و قد كُنّا قلنا: إن عمر منع المتعة اجتهادا منه، ثم تبين لنا أن ذلك خطأ، فنستغفر الله

منه «١».

و لننظر في هذه البنود باختصار:

أما التنافي مع ظاهر الكتاب أو نصّه، فلم يتبين وجهه بوضوح؛ إذ المتمتع بها زوجة عند القائل بها، و لها أحكام تغاير أحكام الدائمة،

فطلاقها انقضاء أجلها، (١) تفسير المنار، ج ٥، ص ١٥-١٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٦

و عدتها كعدة الأمة «١»: نصف عدة الحرة الدائمة.

قال المحقق: و لا- يقع بها طلاق، و تبين بانقضاء المدّة، و عدتها: حيضتان أو خمسة و أربعون يوماً، و لا يثبت بينهما ميراث، إلّا إذا شرط على الأشهر. و لو أخلّ بالمهر مع ذكر الأجل بطل العقد، و لو أخلّ بالأجل بطل متعه، و انعقد دائماً «٢».

و ذكر الشيخ محمد عبده وجهاً آخر للتناهي مع القرآن؛ حيث قوله عزّ و جلّ في صفة المؤمنين: وَ الَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إلّا على أزواجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنْ ابْتِغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ «٣»، قال:

و المرأة المتمتع بها ليست زوجةً ليكون لها مثل الذي عليها بالمعروف، و الشيعة أنفسهم لا يعطونها أحكام الزوجة و لوازمها، فلا يعدونها من الأربع، و لا- يكون بها إحصان، و ذلك قطع منهم بأنه لا يصدق على المستمتعين «محصنين غير مسافحين»، و ليس لها ميراث و لا نفقة و لا طلاق و لا عدة «٤».

لكن أسبقنا أنها زوجة و إن كانت تخالف أحكامها أحكام الدائمة. و استدل الشهيد الثاني «٥» على أنها زوجة بنفس الآية؛ حيث عدّ ابتغاء ما وراء الزوجة و ملك ليمين سفاحاً. و السورة مكّية، نزلت قبل الهجرة بفترة طويلة؛ حيث نزلت (١) راجع: شرائع الإسلام للمحقّق الحلّي، ج ٣، ص ٤١. و بداية المجتهد لابن رشد، ج ٢، ص ١٠١.

(٢) شرائع الإسلام، ج ٢، ص ٣٠٦-٣٠٧.

(٣) المؤمنون / ٥ و ٦.

(٤) تفسير المنار، ج ٥، ص ١٣-١٤.

(٥) راجع: الروضة بشرح للمعنى لزين الدين الشهيد الثاني، ج ٥، ص ٢٩٩ و ج ٥، ص ٣٣٦ (ط نجف)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٧

بعدها- و هي برقم ٧٤- اثنتا عشرة سورة إلى تمام العدد (٨٦) السورة المكية، و لا- شكّ إنها كانت محلّلة ذلك العهد، و آخر تحریمها- على الفرض- بعد سنة الفتح (عام أو طاس سنة ٨ للهجرة)، و لازمه أن المسلمين كانوا مسافحين في تلك الفترة، إذا لم يكن المتمتع بها زوجة؛ إذ لم تكن ملك يمين أيضاً.

كما أن تحليل الأمة عند القاتل بإباحته داخل في ملك يمين، بنفس دليل الحصر في الآية «١».

نعم ذكرنا أن طلاقها انقضاء أمدّها، و أن لها عدة نصف عدة الدائمة، و نفقتها أجزتها. و الميراث حكم تعبدي خاص، يمكن أن لا يجعله الشارع في موارد، منها: القاتل، و خارج الملة، و المتقرب بالأب مع وجود المتقرب بالأبوين أو الأم، و غير ذلك ممّا هو تخصيص في عموم الكتاب.

على أن فقهاء أهل السنّة يجيزون نكاح الكتابيّة و لا يقولون بالتوارث بينهما، «٢» و ذلك تخصيص في عموم الكتاب، كما هنا حرفاً بحرف. كما أنهم لا يرون الإحصان بملك يمين «٣»، فكذلك المتعة عندنا، و هو حكم خاص ثابت في الشريعة بالتعبّد.

أما مسألة العدة فقد عرفت أن الشيخ اشتبه عليه الأمر، فتدبّر.

و أما الأحاديث التي هي عمدة استدلالهم على التحريم، فقد ادّعى ابن رشد (١) الروضة بشرح للمعنى لزين الدين الشهيد الثاني، ج ٥، ص ٢٩٩ و ج ٥، ص ٣٣٦ (ط نجف)

(٢) ابن رشد في بداية المجتهد ج ٢، ص ٣٨١ و ٤٧٠.

(٣) المصدر نفسه.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٨

الأندلسي تواترها «١». لكنه كلام ملقى على عواهنه؛ إذ لا تعدو رواية التحريم إسنادها إلى ثلاثة من أصحاب النبي صلى الله عليه و

آله و سلم:

١- علي بن أبي طالب عليه السلام.

٢- سلمة بن الأكوع.

٣- سبرة بن معبد الجهني.

أما الرواية عن أمير المؤمنين عليه السلام فمفتعلة عليه بلا شك؛ لأنه عليه السلام كان من أشد الناقلين على عمر في تحريمه المتعة، و لو لا- نهيه ما زنى إلما شفى، فكيف يؤنب علي عمر أمرا سبقه تحريم رسول الله، لا- سيما و روايته هو بذلك؟! علي أن الراوى فى ذلك- حسب إسناد البخارى «٢»- هو سفیان بن عيينة المعروف بالكذب و التدليس عن لسان الثقات «٣».

و كذا الرواية عن سلمة أيضا لا أصل لها، و إنما هى فريضة ألصقوها بصحابى كبير. و من ثم لم يورد البخارى رواية التحريم عنه، بل العكس أورد عنه رواية الإباحة، رغم عقد الباب للتحريم «٤».

فقد أسند عنه و جابر، قال: كنا فى جيش فأتانا رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم، فقال: إنه قد أذن لكم أن تستمتعوا فاستمتعوا. و أيضا عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: أيما (١) ابن رشد فى بداية المجتهد ج ٢، ص ٦٣.

(٢) راجع: صحيح البخارى، ج ٧، ص ١٦ (ط مشكول) اقتصر عليه باعتباره أحسن الأسانيد.

(٣) قال ابن حجر: و كان ربما دلّس لكن عن الثقات (تقريب التهذيب، ج ١، ص ٣١٢ رقم ٣١٨) و هكذا قال عنه الذهبى فى ميزان الاعتدال (ج ٢، ص ١٧٠)

(٤) قال ابن حجر: و ليس فى أحاديث الباب التى أوردتها التصريح بذلك، لكن قال فى آخر الباب: إن عليا بين أنه منسوخ (فتح البارى، ج ٩، ص ١٤٣)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٣٩

رجل و امرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال، فإن أحبا أن يتزايدا أو يتتاركا تتاركا.

و هنا يأتى البخارى ليجهتد فى الموضوع قائلا: قال أبو عبد الله: و بينه على عن النبى أنه منسوخ!! و كذلك روى مسلم عن سلمة و جابر- إلى قوله- «أذن لكم أن تستمتعوا» فقال مسلم: يعنى متعة النساء «١».

نعم تفرد مسلم عن البخارى فى إسناد حديث النهى إلى سلمة، عن طريق فيه ضعف، تركه البخارى لذلك.

روى مسلم عن أبى بكر بن أبى شيبه عن يونس بن محمد عن عبد الواحد ابن زياد عن أبى عميس عن إياس بن سلمة عن أبيه قال: «رخص رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم عام أو طاس فى المتعة ثلاثا ثم نهى عنها» «٢».

و أبو بكر بن أبى شيبه هذا، هو عبد الرحمن بن عبد الملك الحزامى. ضعفه أبو بكر بن أبى داود، و قال أبو أحمد الحاكم: ليس بالمتين عندهم. و ابن حبان مع عدّه فى الثقات وصفه بأنه ربما أخطأ «٣». و فى لفظ ابن حجر: ربما خالف. قال: و لم يخرج عنه البخارى سوى حديثين «٤».

و كذا عبد الواحد بن زياد، كان مدلسا، يدلس فى حديثه عن الأعمش. قال أبو داود الطيالسى: عمد إلى أحاديث كان يرسلها الأعمش فوصلها كلّها، و قد بينه (١) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣٠.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣١.

(٣) ميزان الاعتدال للذهبي، ج ٢، ص ٥٧٨ رقم ٤٩١٤. و المغنى فى الضعفاء أيضا له، ج ٢، ص ٣٨٣ رقم ٣٥٩٨.

(٤) تهذيب التهذيب، ج ٦، ص ٢٢٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٠

القطانى. و قال ابن معين: ليس بشيء، و كانت له مناكير نقتت عليه. و وصفه الذهبى بأنه صدوق، يغرّب! «١».

و هكذا حديث سبرة الجهني، لم يروه عنه سوى ابنه الربيع، و من ثم لم يخرج البخاري، «٢» و إنما أخرجه مسلم بإسناده إلى عبد الملك بن الربيع بن سبرة، عن أبيه عن جدّه قال: أمرنا رسول الله صَلَّى الله عليه و آله و سلمّ بالمتعة عام الفتح حين دخلنا مكة، ثم لم نخرج منها حتى نهانا عنها «٣».

كما لم يخرج مسلم للربيع عن أبيه حديثا غير حديث المتعة، و لم يأت ذكره في غير هذا الباب «٤». الأمر الذي يثير الريب بشأن الربيع، و حديثه ذلك عن أبيه حديثا لم يروه عنه غيره إطلاقا؟! قال ابن قسيم الجوزي - بعد تقسيمه للناس إلى طائفتين بشأن حديث المتعة، طائفة تقول: إن عمر هو الذي حرّمها و نهى عنها - قال: و لم تر هذه الطائفة تصحيح حديث سبرة بن معبد في تحريم المتعة، فإنه من رواية عبد الملك بن الربيع بن سبرة عن أبيه عن جدّه. و قد تكلم فيه ابن معين، و لم ير البخاري إخراج (١) المغني في الضعفاء، ج ٢، ص ٤١٠ رقم ٣٨٦٧. و ميزان الاعتدال، ج ٢، ص ٦٧٢ رقم ٥٢٨٧.

(٢) إذ لم يخرج عن الربيع في صحيحه شيئا، و لا عن أبيه سبرة، سوى ما علّقه في أحاديث الأنبياء فقال: و يروي عن سبرة بن معبد و أبي الشموس أن النبي صَلَّى الله عليه و آله و سلمّ أمر بإلقاء الطعام، يعني من أجل مياه ثمود. و وصله الطبراني من طريق الحميدى عن حرمله بن عبد العزيز بن الربيع بن سبرة (تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٤٥٣ و ج ٦، ص ٣٣٦) (٣) صحيح مسلم، ج ٤، ص ١٣٢-١٣٣.

(٤) راجع: الجمع بين رجال الصحيحين، ج ١، ص ١٣٥.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤١

حديثه في صحيحه، مع شدة الحاجة إليه، و كونه أصلا من أصول الإسلام، و لو صحّ عنده لم يصبر عن إخراجه و الاحتجاج به «١». قال ابن حبان - في ترجمته عبد الملك هذا - منكر الحديث جدا، يروي عن أبيه ما لم يتابع عليه. قال: و سئل يحيى بن معين عن أحاديث عبد الملك عن أبيه عن جدّه، فقال: ضعاف «٢».

هذه حالة الأحاديث المزريّة، و التي استندها القوم دليلا على التحريم، فتدبر، و اقض ما أنت قاض.

محاورة مفيدة

إشارة

و يتناسب هنا أن ننقل محاورة وقعت بين الشيخ أبي عبد الله المفيد، و شيخ من الإسماعيلية كان على مذهب الجماعة يعرف بابن لؤلؤ. قال المفيد: حضرت دار بعض قواد الدولة، و كان بالحضرة شيخ من الإسماعيلية، فسألني: ما الدليل على إباحة المتعة؟ فقلت له: الدليل على ذلك قول الله عزّ و جلّ: وَ أَجَلٌ لَّكُمْ مَا وَرَاءَ ذَلِكَ أَنْ تَبْتَغُوا بِأَمْوَالِكُمْ مُحَصَّاتٍ لِّغَيْرِ مُسَافِحِينَ. فَمَا اسْتَمْتَعْتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ فَرِيضَةً. وَ لَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا تَرَاضَيْتُمْ بِهِ مِنْ بَعْدِ الْفَرِيضَةِ. إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا «٣». فأحلّ جلّ اسمه نكاح المتعة بصريح لفظها، و بذكر أوصافها من الأجر عليها، (١) أوردنا تمام كلامه فيما تقدّم، راجع: زاد المعاد لابن قيم، ج ٢، ص ١٨٤.

(٢) كتاب المجروحين و الضعفاء لأبي حاتم محمد بن حبان، ج ٢، ص ١٣٢-١٣٣. و تهذيب التهذيب، ج ٣، ص ٢٤٥.

(٣) النساء / ٢٤.

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٢

و التراضي بعد الفرض له، من الإزدیاد في الأجل، و زيادة الأجر فيها.

فقال: ما أنكرت أن تكون هذه الآية منسوخة بقوله: وَالَّذِينَ هُمْ لِأَرْوَاجِهِمْ حَافِظُونَ إِلَّا عَلَىٰ أَرْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ

مَلُومِينَ. فَمَنْ ابْتَغَى وَرَاءَ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ «١». فحظر الله تعالى النكاح إلا لزوجة أو ملك يمين.

و إذا لم تكن المتعة زوجة و لا ملك يمين، فقد سقط من أحلها.

فقلت له: قد أخطأت في هذه المعارضة من وجهين:

أحدهما: إنك ادّعت أن المستمتع بها ليست بزوجة، و مخالفك يدفعك عن ذلك، و يثبتها زوجة في الحقيقة.

و الثاني: إن سورة المؤمنون مكّية، و سورة النساء مدنية، و المكي متقدم على المدني، فكيف يكون ناسخا له و هو متأخر عنه، و هذه غفلة شديدة! فقال: لو كانت المتعة زوجة لكانت تراث، و يقع بها الطلاق.

فقلت له: و هذا أيضا غلط منك في الديانة؛ و ذلك أن الزوجة لم يجب لها الميراث، و يقع بها الطلاق من حيث كانت زوجة فقط، و إنما حصل لها ذلك بصفة تزيد على الزوجية «٢».

و الدليل على ذلك أن الأمة إذا كانت زوجة لم تراث و لم تورث «٣». و القاتلة لا تراث، و الذميمة لا تراث و الأمة المبيعة تبين بغير طلاق «٤»، و الملاعنة أيضا تبين (١) المؤمنون / ٥-٦.

(٢) يعنى أن مسألة الطلاق ليست من لوازم الطبيعة للزوجية، بل لكونها دائمة أو نحو ذلك مما هو خارج الطبيعة ...

(٣) بناء على أن المملوك لا يملك.

(٤) يعنى إذا بيعت الأمة المزوجة و لم يأذن مالکها الجديد بالزواج، فإن الزوجية تنفسخ حالا بغير طلاق.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٣

بغير طلاق «١»، و كذلك المختلعة «٢»، و المرتد عنها زوجها «٣»، و المرضعة قبل الفطام بما يوجب التحريم من لبن الأم، و الزوجة تبين بغير طلاق «٤».

و كل ما عدّدناه زوجات في الحقيقة، فبطل ما توهمت. فلم يأت بشيء.

فقال صاحب الدار- و هو رجل أعجمي، لا معرفة له بالفقه و إنما يعرف الظواهر:- أنا أسألك في هذا الباب عن مسألة: هل تزوج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم متعة، أو تزوج أمير المؤمنين؟ فلو كان في المتعة ما تركاها! فقلت له: ليس كل ما لم يفعله رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم كان محرما، و ذلك أن رسول الله و الأئمة عليهم السلام لم يتزوجوا الإماء و لا- نكحوا الكتابيات و لا خالعوا، و لم يفعلوا كثيرا من أشياء كانت مباحة. و بعد ان تبادلنا مسائل من هذا القبيل، قال الشيخ المفيد:

فقلت له: إن أمرنا مع هؤلاء المتفقهة عجيب، و ذلك أنهم مطبقون على تبديعنا في نكاح المتعة مع إجماعهم على أن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم قد كان أذن فيها، و أنها عملت على عهده، و مع ظاهر الكتاب و إجماع آل محمد عليهم السلام على إباحتها، و الاتفاق على أن عمر حرّمها في أيامه، مع إقراره بأنها كانت حلالا على عهد رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم. فلو كنا على ضلالة فيها لكنا في ذلك على شبهة، تمنع ما يعتقده المخالف (١) بناء على أن اللعان يوجب الفرقة من غير حاجة إلى طلاق.

(٢) بناء على عدم الحاجة إلى الطلاق و كفاية صيغة الخلع.

(٣) إذا ارتد الزوج تبين منه زوجته بغير طلاق.

(٤) إذا أرضعت أمّ الزوجة وليدتها، أى وليدة زوجة الرجل، حرمت عليه؛ إذ لا ينكح أبو المرتضع فى أولاد صاحب اللبن. و كذا لو أرضعت الزوجة الكبيرة المدخول بها الزوجة الصغيرة حرمتا؛ لأن الأولى أصبحت أمّ الزوجة، و الثانية بنت المدخول بها.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٤

فينا من الضلال و البراءة منا. و فيمن خالفنا من يقول فى النكاح و غيره بصد القرآن و خلاف الإجماع و المنكر فى الطباع- ثم جعل يعدّد موارد منها «١»- ثم قال: و هم يتولى بعضهم بعضا، و ليس ذلك إلا لاختصاص قولنا بآل محمد عليهم السلام «٢».

ب- متعة الحج

تنقسم فريضة الحج إلى تمتع وقران وفراد. و الأول فرض من نأى عن مكة، و لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام، فيهل بالعمرة إلى الحج. فإذا طاف و سعى قصر و خرج عن إحرامه، حتى إذا كان يوم التروية أهل بالحج، و ذهب إلى عرفات. و كان له بين تحلله و إحرامه هذا أن يتمتع بما كان قد حرم عليه لأجل إحرامه؛ و من ذلك جاءت هذه التسمية.

و لا زال يعمل بها المسلمون على مختلف مذاهبهم، جريا مع نص الكتاب و سنة الرسول و عمل الأصحاب. غير أن عمر حاول المنع منه، لما استهجنه من توجه الناس إلى عرفات و رءوسهم تقطر ماء، اجتهدا مجردا في مقابلة النص الصريح. و قد عرفت تشديده بشأن المتعتين، لكن تعليله لذلك يبدو أغرب.

أخرج مسلم بإسناده عن أبي موسى أنه كان يفتى بالتمتع، فقال له رجل:

رويدك ببعض فتياك، فإنك لا تدري ما أحدث أمير المؤمنين في النسك بعد، حتى (١) راجع تلك الموارد في الفصول المختارة من العيون و المحاسن للشيخ المفيد، ص ١٢٢-١٢٣، فإنه ممتع!

(٢) الفصول المختارة، ص ١١٩-١٢٣ (ط نجف)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٥

لقيه بعد فسأله، فقال عمر: كرهت أن يظلوا معرسين بهن في الأراك «١»، ثم يروحون في الحج تقطر رءوسهم «٢».

و لعلها بقية من عقائد قديمة «٣»، وقع مثلها في حياة الرسول صلى الله عليه و آله و سلم مما أثار غضبه.

فقد أخرج مسلم بإسناده عن عطاء: أن جماعة من صحابة النبي صلى الله عليه و آله و سلم أهلوا بالحج مفردا، فقدم النبي صباح رابعة مضت من ذى الحجة، فأمرهم أن يحلوا و يصيبوا النساء، قال عطاء: لم يعزم عليهم و لكن أحلهم لهم. فقال بعضهم لبعض: ليس بيننا و بين عرفة إلا خمس، فكيف يأمرنا أن نفضى إلى نسائنا فنأتى عرفة، تقطر مذاكيرنا.

فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه و آله و سلم فقام فيهم، و قال- مستغربا هذا الفضول من الكلام:-

قد علمتم أنى أتقاكم لله و أصدقكم و أبركم أبركم، و لو لا هديي لحلت كما تحلون. و لو استقبلت من أمرى ما استدبرت لم أسق الهدى، فحلوا. قال جابر:

فحللنا، و سمعنا و أطعنا.

و فى رواية: فكبر ذلك علينا و ضاقت به صدورنا ... و

فى أخرى: كيف نجعلها متعة و قد سمينا الحج، فقال صلى الله عليه و آله و سلم: افعلوا ما أمركم به، ففعلوا «٤». (١) يقال: أعرس الرجل بامرأته إذا بنى بها. و الأراك: موضع قرب نمره.

(٢) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٤٥-٤٦ باب نسخ التحلل.

(٣) قال ابن قسيم الجوزى: كانت العرب فى الجاهلية تكره العمرة فى أشهر الحج، و كانوا يقولون: إذا أدبر الدبر و عفا الأثر و انسلخ

صفر فقد حلت العمرة لمن اعتمر، (زاد المعاد، ج ١، ص ٢١٤) و (البخارى، ج ٢، ص ١٧٥) و (مسلم، ج ٤، ص ٥٦)

(٤) راجع: صحيح مسلم فى عدة روايات، ج ٤، ص ٣٦-٣٨. و صحيح البخارى، ج ٢، ص ١٧٥-١٧٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٦

و

فى حديث طويل أخرجه مسلم بإسناده إلى الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام، عن أبيه عن جابر، يشرح حج رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم حتى ينتهى إلى قوله صلى الله عليه و آله و سلم: «فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل و ليجعلها عمرة» قال:

فقام سراقه بن مالك بن جعشم، فقال: يا رسول الله، ألعامنا هذا أم لأبد؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم: بل لأبد أبد «١».

قال العلامة الأميني: ولم يكن نهى عمر عن المتعتين إلّا رأيا محضاً واجتهاداً مجرداً تجاه النص، أما متعة الحج فقد نهى عنها لما استهجنه من توجه الناس إلى الحج و رءوسهم تقطر ماء. لكن الله سبحانه أبصر منه بالحال، و نبه صلى الله عليه وآله وسلم كان يعلم ذلك حين شرع إباحتها متعة الحج حكماً باتاً أبدياً «٢».

قال ابن قيم: و منهم من يعدّ النهى رأياً رآه عمر من عنده، لكراهته أن يظلّ الحاجّ معرسين بنسائهم في ظلّ الأراك. قال أبو حنيفة عن حماد عن إبراهيم النخعي عن الأسود بن يزيد، قال: بينما أنا واقف مع عمر بن الخطاب بعرفة عشية عرفة، فإذا هو برجل مرجل شعره يفوح منه ريح الطيب، فقال له عمر: أ محرم أنت؟ قال: نعم. فقال عمر: ما هيئتك بهيئة محرم، إنما المحرم الأشعث الأغبير الأذفر «٣». قال: إني قدمت متمتعا و كان معي أهلي، إنما أحرمت اليوم. فقال عمر- عند ذلك: لا تتمتعوا في هذه الأيام، فإنّي لو رخصت في المتعة لهم لعرسوا بهنّ في الأراك ثم راحوا بهنّ حجاجا. قال ابن قيم: و هذا يبيّن أنّ هذا من عمر رأى (١) صحيح مسلم، ج ٤، ص ٣٩-٤٣. و في المحلى لابن حزم (ج ٧، ص ١٠٨): بل لأبد الأبد.

(٢) الغدير، ج ٦، ص ٢١٣.

(٣) الذفر- بالتحريك- يقع على الطيب و الكريه، و يفرق بينهما بما يضاف إليه و يوصف به. و المراد هنا الريح الكريهة.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٧

رآه «١».

مذاهب الفقهاء في حج التمتع

ذهب الفقهاء من الإمامية إلى أفضلية حج التمتع على الأفراد و القران، و أنه فرض من نأى عن مكة «٢».

و قالت الشافعية: بأفضلية الأفراد ثم التمتع ثم القران، إن كان قد اعتمر في عامه؛ لأن تأخير العمرة عن عام الحج عندهم مكروه «٣».

و قالت المالكية: بأفضلية الأفراد ثم القران ثم التمتع «٤».

و الحنابلة: أفضلها التمتع ثم الأفراد ثم القران «٥».

و الحنفية: أفضلها القران ثم التمتع ثم الأفراد «٦».

و المذاهب الأربعة جميعاً قائلون بالتخيير.

التاسع - حديث الرجعة

(١) زاد المعاد لابن قيم، ج ١، ص ٢١٤. و هكذا ذهب ابن حزم أن هذا رأى رأى عمر (المحلى، ج ٧، ص ١٠٢)

(٢) شرائع الإسلام، ج ١، ص ٢٣٦-٢٤٠.

(٣) الفقه على المذاهب الأربعة، ج ١، ص ٦٨٨.

(٤) المصدر نفسه، ص ٦٩٠.

(٥) المصدر نفسه، ص ٦٩٢.

(٦) المصدر نفسه، ص ٦٩٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٨

قال تعالى: وَ يَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ «١».

هذه الآية الكريمة أظهر آية دللتنا على ثبوت الرجعة، و هي الحشرة الصغرى قبل الحشرة الكبرى يوم القيامة؛ حيث التعبير وقع في هذه الآية بحشر فوج من كل أمة، أى جماعة منهم و ليس كلهم. أما الحشر الأكبر فهو الذى قال فيه تعالى:

وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا «٢». و قد تكرر قوله تعالى: وَ يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا «٣».

قال الإمام الصادق عليه السلام: هذا فى الرجعة، فقل له: إن القوم يزعمون أنه يوم القيامة! فقال: فيحشر الله يوم القيامة من كل أمة فوجا و يدع الباقيين؟! لا، و لكنة فى الرجعة، أما يوم القيامة فهى: وَ حَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا «٤».

و مسألة الرجعة، حسبما تعتقده الشيعة الإمامية، و هى رجعة أموات إلى الحياة قبل قيام الساعة، ثم يموتون موتهم الثانى. ليست بدعا من القول إلى جنب قدرة الله تعالى فى الخلق، كما قص فى كتابه من قصّة عزيز، و أصحاب الكهف، و الذين خرجوا من ديارهم و هم ألوفاً، و السبعين رجلا من قوم موسى، و غير ذلك، ممّا وقع فى أمم خلت، فلا بدع أن يقع فى هذه الأمة مثلها.

و لعلمائنا الأعلام بهذا الشأن دلائل و مسائل استقصوا فيها الكلام نذكر منها:

و للصدوق رحمه الله فى رسالة الاعتقاد بيان واف بشأن إثبات الرجعة، استشهاد (١) النمل / ٨٣.

(٢) الكهف / ٤٧.

(٣) الأنعام / ٢٢ و ١٢٨. يونس / ٢٨. سبأ / ٤٠.

(٤) تفسير الصافى، ج ٢، ص ٢٤٧-٢٤٨.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٤٩

بآيات جاء فيها ذكر الإحياء لأموات فى هذه الحياة، فبعثهم الله أحياء بعد ما أماتهم، فعاشوا زمانا ثم ماتوا موتهم الثانى. نظير ما نقوله فى الرجعة، يعود أقوام إلى الحياة و يعيشون فترة ثم يموتون قبل قيام الساعة. كل ذلك دليل على إمكان الرجعة، و أنها ليست بدعا من القول، أو يستنكر إلى جنب قدرة الله تعالى فى الخلق.

و الآيات التى استشهاد بها هى:

١- قوله تعالى: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ «١». هؤلاء قوم حزقيل- و يقال له ابن العجوز «٢»- فزوا من القتال أو الطاعون، فأماتهم الله، فخرج حزقيل فى طلبهم فوجدهم موتى، فدعا الله أن يعيد إليهم الحياة، فأحياهم الله، فرجعوا إلى الدنيا و سكنوا الدور، و أكلوا الطعام و نكحوا النساء، و مكثوا ما شاء الله ثم ماتوا بأجالهم «٣».

٢-

قوله: أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَ هِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ- إلى قوله- وَ لِنَجْعَلَكَ آيَةً لِلنَّاسِ «٤». هو عزيز، و قيل: أرميا. و كلاهما مروى، الأول عن الإمام أبى عبد الله، و الثانى عن الإمام أبى جعفر عليهما السلام.

و

روى عن عليّ عليه السلام أنّ عزيز خرج من أهله و امرأته حامل، و له خمسون سنة، ثم لما رجع و هو على سنه الأولى وجد ابنه أكبر منه، ابن مائة سنة، و هذا من (١) البقرة / ٢٤٣.

(٢) و ذلك أن أمة كانت عجوزا فسألت الله الولد و قد كبرت فوهبه الله لها. (مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٤٦)

(٣) روى ذلك حمزان بن أعين عن الإمام أبى جعفر الباقر عليه السلام (مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٤٧)

(٤) البقرة / ٢٥٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٠

آيات الله «١».

٣- وقوله تعالى: وَإِذِ قُلْتُمْ يَا مُوسَى لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى نَرَى اللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ الصَّاعِقَةُ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ ثُمَّ بَعَثْنَاكُمْ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ «٢».

قال الطبرسي: أى ثم أحييناكم لاستكمال آجالكم.

قال: و استدلل قوم من أصحابنا بهذه الآية على جواز الرجعة. و قول القائل:

لا- تجوز إلما فى حياة النبى لتكون دليلا على نبوته، باطل؛ لأنه عندنا بل عند أكثر الأمة يجوز إظهار المعجزات على أيدي الأئمة و الأولياء. و قال أبو القاسم البلخي: لا تجوز الرجعة مع الإعلام بها، لاستلزامه الإغراء بالمعاصي اتكالا على التوبة عند الكثرة. و جوابه: أن الرجعة التى نقول بها ليست لجميع الناس فلا إغراء؛ إذ لا قطع برجوع أى أحد «٣».

٤- وقوله تعالى - خطابا مع عيسى عليه السلام:- وَإِذِ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي «٤».

قال الصدوق: و جميع الموتى الذين أحياهم عيسى المسيح بإذن الله، عاشوا فترة ثم ماتوا بآجالهم.

٥- و أصحاب الكهف لبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين و أزدادوا تسعا ثم بعثهم الله، قال تعالى: فَضَرَبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ فِي الْكُهْفِ سِنِينَ عَدَدًا، ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لِمَا لَبِثُوا أَمَّيْدًا- إلى قوله- وَ كَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ. قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ «٥». (١) مجمع البيان، ج ٢، ص ٣٧٠.

(٢) البقرة/ ٥٥-٥٦.

(٣) مجمع البيان، ج ١، ص ١١٥.

(٤) المائدة/ ١١٠.

(٥) الكهف/ ١١-٢٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥١

قال الصدوق: و حيث كانت الرجعة فى الأمم السالفة، فلا غرو أن يقع مثلها فى هذه الأمة، كما

فى الحديث: يكون فى هذه الأمة ما وقع فى الأمم السالفة «١».

٦- و زاد أبو عبد الله المفيد الاستدلال بقوله تعالى: قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ «٢»، فهذا الاعتراف و الاستدعاء كان يوم القيامة، و المراد بالحياتين و المماتين: الحياة قبل الرجعة و الحياة بعدها، و كذا الموتان قبل و بعد الرجعة؛ و ذلك لأنهم ندموا على ما فرط منهم فى تينك الحياتين، و معلوم أن لا عمل نافعا و لا تكليف إلما فى الحياة الدنيا.

و قد استوفى الكلام حول الآية بمناسبة المقام، حسبما يأتى عند نقل كلامه.

٧- و هكذا قوله تعالى: إِنَّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنَا وَ الَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا «٣».

حيث سئل عن هذا النصر، فأجاب من وجوه: و قال: و قد قالت الإمامية: إن الله تعالى ينجز الوعد بالنصر للأولياء قبل الآخرة عند قيام القائم، و الكثرة التى وعد بها المؤمنين فى العاقبة «٤».

٨- و استدلل الصدوق أيضا بقوله تعالى: وَ أَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَنْ يَمُوتُ، بَلَى وَ عَدَا عَلَيْهِ حَقًّا وَ لَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ «٥».

قال: يعنى فى الرجعة، و ذلك أنه يقول: لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلِفُونَ فِيهِ «٦»، (١) عقائد الصدوق، ص ٦٢. و البحار، ج ٥٣، ص ١٢٨-١٢٩.

(٢) غافر/ ١١.

(٣) غافر / ٥١.

(٤) فى أجوبة المسائل العكبرية. (البحار، ج ٥٣، ص ١٣٠)

(٥) النحل / ٣٨.

(٦) النحل / ٣٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٢

و التبيين يكون فى الدنيا «١».

٩- و

ذكر جار الله الزمخشري فى حديث ذى القرنين عن على أمير المؤمنين عليه السلام، سأله ابن الكواء: ما ذو القرنين، أملك أم نبى، فقال: ليس بملك و لا نبى، و لكن كان عبدا صالحا. ضرب على قرنه الأيمن فى طاعة الله فمات، ثم بعثه الله. فضرب على قرنه الأيسر فمات، فبعثه الله؛ فسُمى ذا القرنين. و فيكم مثله «٢»، يعنى نفسه عليه السلام.

قال السيد رضى الدين بن طاوس:

قول مولانا على عليه السلام: «و فيكم مثله»

إشارة إلى ضرب ابن ملجم له، و أنه يعود إلى الدنيا بعد وفاته كما رجح ذو القرنين. و هذا أبلغ من روايات الشيعة فى الرجعة «٣».

١٠- و

روى الشيخ حسن بن سليمان فى كتابه المحتضر حديث الأئمة الاثنى عشر، رواه سلمان الفارسى عن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم ثم قال سلمان: فبكيت و قلت يا رسول الله، فأنتى لسلمان لإدراكهم؟ قال: يا سلمان إنك مدر كهم و أمثالك و من تولاهم حقيقة المعرفة. قال سلمان: فشكرت الله كثيرا، ثم قلت: يا رسول الله، إننى مؤجل إلى عهدهم؟ قال: يا سلمان، اقرأ: ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمْ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَ أَمَدَدْنَاكُمْ بِأَمْوَالٍ وَ بَيْنَ وَ جَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا «٤».

قال سلمان: قلت بعهد منك يا رسول الله؟ قال: إى ... و كل من هو منا و مظلوم فىنا، ثم ليحضرون إبليس و جنوده و كل من محض الإيمان محضا (١) رساله الاعتقاد و البحار، ج ٥٣، ص ١٣٠.

(٢) تفسير الكشاف، ج ٢، ص ٧٤٣ سورة الكهف / ٨٣-٨٨.

(٣) سعد السعود، ص ٦٥.

(٤) الإسراء / ٦.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٣

و محض الكفر محضا. حتى تؤخذ الأوتار و الثارات، و لا- يظلم ربك أحدا. و نحن تأويل هذه الآية: وَ نُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا فِي الْأَرْضِ وَ نَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَ نَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ وَ نَمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ ... «١».

قال العلامة المجلسى: و رواه ابن عياش فى المقتضب بإسناده إلى سلمان أيضا «٢».

قلت: و هذا عن تأويل الآيتين، و تفسير معانى القرآن الباطنة.

قال أبو على الطبرسى: و استدلل بهذه الآية- سورة النمل / ٨٣- على صحة الرجعة من ذهب إلى ذلك من الإمامية. بأن قال: إن دخول «من» فى الكلام يوجب التبعض، فدل ذلك على أن اليوم المشار إليه فى الآية يحشر فيه قوم دون قوم، و ليس ذلك صفة يوم القيامة الذى يقول فيه سبحانه: وَ حَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا.

قال: و قد تظاهرت الأخبار عن أئمة الهدى من آل محمد صلى الله عليه و آله و سلم فى أن الله تعالى سيعيد عند قيام المهدي قوما ممن تقدم موتهم من أوليائه و شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته و يتهجوا بظهور دولته، و يعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم و ينالوا

بعض ما يستحقونه من الخزي والهوان.

قال: ولا يشك عاقل أن هذا مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه. وقد فعل الله ذلك في الأمم الخالية، ونطق به القرآن في عدة مواضع، مثل قصة عزيز وغيره على ما فسرناه في موضعه. (١) القصص / ٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٣، ص ١٤٢-١٤٤.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٤

قال: إلا أن جماعة من الإمامية تأولوا ما ورد من الأخبار في الرجعة، إلى رجوع دولة الحق، دون رجوع الأشخاص بإحياء الأموات. و أولوا الأخبار الواردة في ذلك، ما ظنوا أن الرجعة تنافي التكليف.

قال: وليس كذلك؛ لأنه ليس فيها ما يلجئ إلى فعل الواجب و الامتناع من القبيح، و التكليف يصح معها كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة و الآيات القاهرة.

قال: و لادن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار ليتطرق إليها التأويل، و إنما المعول في ذلك إجماع الشيعة الإمامية، و إن كانت الأخبار تعضده «١».

و للعلامة المجلسي كلام مسهب حول مسألة الرجعة، أورد أكثر من مائتي حديث عن مصادر معتبرة، ثم يقول: و كيف يشك مؤمن بحقية الأئمة الأطهار، فيما تواتر عنهم في قريب من مائتي حديث صريح رواها تيف و أربعون من الثقات العظام و العلماء الأعلام، في أزيد من خمسين من مؤلفاتهم ... ثم يأخذ في تعداد من ألف في ذلك بالخصوص، أو أورد أحاديثه في كتابه من قدماء أصحابنا و متأخريهم. و يأخذ بالاستشهاد بآيات، و كذا روايات عن غير طرق أهل البيت، مما يمس مسألة الرجعة أو تكون نظيرة لها، فراجع «٢».

و كان بين السيد إسماعيل بن محمد الحميري و القاضي سوار «٣» مناوشة (١) مجمع البيان، ج ٧، ص ٢٣٤-٢٣٥.

(٢) بحار الأنوار، ج ٥٣ (باب ٢٩ الرجعة)، ص ٣٩-١٤٤.

(٣) هو سوار بن عبد الله بن قدامة بن عنزة، و ينتهي نسبه إلى كعب بن العنبر بن عمرو بن تميم. و لاه

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٥

و عداء على عهد المنصور العباسي. فمما جرى بينهما- فيما رواه الشيخ أبو عبد الله المفيد بإسناده إلى الحرث بن عبد الله الربيعي- قال: كنت جالسا في مجلس المنصور، و هو بالجسر الأكبر، و سوار عنده، و السيد ينشده:

إن الإله الذي لا شيء يشبهه آتاكم الملك للدين و للدين

آتاكم الله ملكا لا زوال له حتى يقاد إليكم صاحب الصين

و صاحب الهند مأخوذ برمته و صاحب الترك محبوس على هون

حتى أتى على القصيدة و المنصور مسرور.

فقال سوار: هذا و الله يا أمير المؤمنين يعطيك بلسانه ما ليس في قلبه، و الله إن القوم الذين يدين بحبهم لغيركم، و إنه لينطوى على عداوتكم.

فقال السيد: و الله إنه لكاذب، و إنني في مديحك لصادق، و لكنه حملة الحسد؛ إذ رآك على هذه الحال. و أن انقطاعي و موذتي لكم أهل البيت لمعرق «١» لي فيها عن أبوي، و أن هذا و قومه لأعداؤكم في الجاهلية و الإسلام، و قد أنزل الله عز و جل في أهل بيت هذا إن الذين ينادونك من وراء الحُجرات أكثرهم لا يعقلون «٢». المنصور قضاء البصرة سنة ١٣٨، و مات بها سنة ١٥٦. (تهذيب التهذيب، ج ٤، ص ٢٦٩)

(١) يقال: أعرق الرجل، أي صار عريقا، أي أصيلا في الشرف. أي موذتي ذات عرق و أصالة قديمة.

(٢) الحجرات / ٤. نزلت في بني العنبر. كان النبي صلى الله عليه و آله و سلم سبي قوما منهم فجاءوا في فدائهم، فأعتق نصفهم و فادى

النصف، و كانوا مذ أتوا النبي جعلوا ينادونه من وراء الحجرات ليخرج إليهم، و كان ذلك منهم سوء أدب؛ إذ لم يعرفوا مقام النبي. يقول تعالى: **وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمُ الْحَجَرَاتُ** / ٤-٥ (مجمع البيان، ج ٩، ص ١٣١) و كان سوار من بني العنبر، و كان عثمانيا خرج مع أصحاب الجمل أيضا. و في ذلك يقول السيد الحميرى يهجو به محضر المنصور:

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٦

فقال المنصور: صدقت.

فقال سوار: يا أمير المؤمنين، إنه يقول بالرجعة، و يتناول الشيخين.

فقال السيد: أما قوله: **بَأَنِّي أَقُولُ بِالرَّجْعَةِ**، فإن قولى فى ذلك على ما قال الله تعالى: **وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ** «١»، و قد قال فى آخر: **وَ حَشَرْنَاَهُمْ فَلَمْ نُعَادِرْ مِنْهُمُ أَحَدًا** «٢». فعلمت أن هاهنا حشرين: أحدهما عام و الآخر خاص. و قال سبحانه: **رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَخَيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ** «٣»، و قال الله تعالى: **أَلَمْ تَر إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَ هُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ** «٤»، و قال الله تعالى: **فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ** «٥».

فهذا كتاب الله عز و جل. و

قد قال رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم: «يحشر المتكبرون فى صورة الذر يوم القيامة»

، و

قال صلى الله عليه و آله و سلم: «لم يجر فى بنى إسرائيل شىء إلا و يكون يا أمين الله يا منصور يا خير الولاة إن سوار بن عبد الله من شر القضاة»

نعلى جملى لكم غير مؤات جدّه سارق عنز فجرة من فجرات

و الذى كان ينادى من وراء الحجرات يا هنات اخرج إلينا إننا أهل هنات

(الفصول المختارة للشيخ المفيد، ص ٦٠) و راجع: اخبار السيد فى الأغانى (ج ٧، ص ٢٤٨-٢٩٧) و لا- سيما ما جرى بينه و بين القاضى سوار فإنه ممتع.

(١) النمل / ٨٣.

(٢) الكهف / ٤٧.

(٣) غافر / ١١.

(٤) البقرة / ٢٤٣.

(٥) البقرة / ٢٥٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٧

فى أمتى مثله حتى المسخ و الخسف و القذف».

و قال حذيفة: «و الله ما أبعد أن يمسخ الله كثيرا من هذه الأمة قرده و خنازير».

فالرجعة التى نذهب إليها هى ما نطق به القرآن و جاءت به السنّة. و إننى أعتقد أن الله تعالى يردّ هذا- يعنى سوار- إلى الدنيا كلبا أو قردا أو خنزيرا أو ذرّة، فإنه و الله متجبّر متكبر كافر، فضحك المنصور «١».

و قال الشيخ أبو عبد الله المفيد، فى جواب من سأله عن

قول مولانا جعفر بن محمد الصادق عليه السلام: «ليس منا من لم يقل بمتعتنا و لم يؤمن برجعتنا»

أهى حشر فى الدنيا مخصوص للمؤمنين أو لغيرهم من الظلمة الجائرين يوم القيامة؟

فأجاب عن المتعة بما أسلفنا، ثم قال: و أما

قوله عليه السلام: من لم يؤمن برجعتنا فليس منا

، فإنما أراد بذلك ما اختصه من القول به في أن الله تعالى يحيى قوما من أمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بعد موتهم قبل يوم القيامة. وهذا مذهب مختص به آل محمد، وقد أخبر الله عزّ وجلّ في ذكر الحشر الأكبر: وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا وَقَالَ فِي حَشْرِ الرَّجْعَةِ قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ: وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ. فأخبر أن الحشر حشران: حشر عام و حشر خاص. وقال سبحانه يخبر عمّن يحشر من الظالمين أنه يقول في القيامة يوم الحشر: رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ.

و للعامة في هذه الآية تأويل مردود، وهو: أن المعنى بقوله: أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ أنه (١) الفصول المختارة من العيون والمحاسن للشيخ أبي عبد الله المفيد (ص ٦١-٦٢) ونقله العلامة المجلسي في البحار (ج ٥٣، ص ١٣٠-١٣١)

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٨

خلقهم أمواتا ثم أماتهم بعد الحياة «١».

وهذا باطل لا يجرى على لسان العرب؛ لأن الفعل لا يدخل إلّا على ما كان بغير الصفة التي انطوى اللفظ على معناها، ومن خلقه الله ميتا لا- يقال له: أماته، وإنما يقال ذلك فيمن طرأ عليه الموت بعد الحياة «٢»؛ ولذلك لا يقال: جعله الله ميتا إلّا بعد ما كان حيا. وهذا بين.

قال: وقد زعم بعضهم أن المراد بقوله: أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ الموتة التي تكون بعد حياتهم في القبور للمسائله، فتكون الأولى قبل الإحياء و الثانية بعده.

وهذا أيضا باطل من وجه آخر، وهو: أن الحياة للمسائله ليست لتكليف فيندم الإنسان على ما فاته في حياته، و ندم القوم على ما فاتهم في حياتهم مرتين، يدل على أنه لم يرد حياة المسائله، لكنه أراد حياة الرجعة التي يكون لتكليفهم الندم على تفریطهم، فلم يفعلوا فيندمون يوم العرض على ما فاتهم من ذلك «٣».

و سئل السيد المرتضى علم الهدى عن حقيقة الرجعة؛ لأنّ شذاذ الإمامية يذهبون إلى أن الرجعة رجوع دولتهم في أيام القائم عليه السلام، من دون رجوع أجسامهم.

فأجاب قدس سره بأنّ الذي تذهب الشيعة الإمامية إليه: أن الله يعيد عند ظهور إمام (١) ذكر الفخر الرازي أن كثيرا من المفسرين قالوا بأن الموتة الأولى هي الحالة الحاصلة عند كون الإنسان نطفة و علقه، و رجح ذلك بقوله تعالى: كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَ كُنتُمْ أَمْواتًا فَأَحْيَاكُمْ، و رتب على ذلك إنكار الحياة البرزخية في القبر. (التفسير الكبير، ج ٢٧، ص ٣٩)

(٢) أما قوله تعالى: وَ كُنتُمْ أَمْواتًا فَأَحْيَاكُمْ البقرة / ٢٨. فلأن الميت يصدق على ما لا حراك فيه و لا حياة منذ البداية، نظير الموات من الأرضين.

(٣) المسائل السروية (ضمن رسائل المفيد)، ص ٢٠٨-٢٠٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٥٩

الزمان المهدي عليه السلام قوما ممن كان قد تقدم موته من شيعته، ليفوزوا بثواب نصرته و معونته و مشاهدته دولته، و يعيد أيضا قوما من أعدائه لينتقم منهم، فيلتدوا بما يشاهدون من ظهور الحق و علو كلمة أهله.

و الدلالة على صحة هذا المذهب أن الذي ذهبوا إليه بما لا شبهة على عاقل في أنه مقدور لله تعالى غير مستحيل في نفسه، فإننا نرى كثيرا من مخالفينا ينكرون الرجعة إنكار من يراها مستحيلة غير مقدورة.

و إذا ثبت جواز الرجعة و دخولها تحت المقدور، فالطريق إلى إثباتها إجماع الإمامية على وقوعها، فإنهم لا يختلفون في ذلك، و

إجماعهم قد بينا في مواضع من كتبنا أنه حجة.

وقد بينا أن الرجعة لا تنافي التكليف، وأن الدواعي مترددة معها؛ حيث لا يظن ظان أن تكليف من يعاد باطل. و ذكرنا أن التكليف كما يصح مع ظهور المعجزات الباهرة والآيات القاهرة، فكذلك مع الرجعة؛ لأنه ليس في الجميع ملجئ إلى فعل الواجب و الامتناع من فعل القبيح.

فأما من تأول الرجعة من أصحابنا، على أن معناها رجوع الدولة و الأمر و النهي، من دون رجوع الأشخاص و إحياء الأموات، فإن قوما من الشيعة لما عجزوا عن نصره الرجعة و بيان جوازها و أنها تنافي التكليف، عولوا على هذا التأويل للأخبار الواردة بالرجعة. و هذا منهم غير صحيح؛ لأن الرجعة لم تثبت بظواهر الأخبار المنقولة، فيطرق التأويلات عليها، فكيف يثبت ما هو مقطوع على صحته بأخبار الآحاد التي لا- توجب العلم؟! و إنما المعول في إثبات الرجعة على إجماع الإمامية «١». (١) المسائل الرازية (المسألة الثامنة) رسائل الشريف الرضي المجموعة الأولى، ص ١٢٥-١٢٦ و

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٠

و قال الإمام كاشف الغطاء- رداً على من زعم أن القول بالرجعة ركن من أركان التشيع- «١».

«و ليس التدبیر بالرجعة في مذهب التشيع بلازم، و لا إنكارها بضرار، و إن كانت ضرورية عندهم، و لكن لا يناط التشيع بها وجودا و عدما. و ليست هي إلا كبعض أنباء الغيب، و حوادث المستقبل، و أشرط الساعة، مثل: نزول عيسى من السماء، و ظهور الدجال، و خروج السفيناني و أمثالها، من القضايا الشائعة عند المسلمين. و ما هي من الإسلام في شيء، ليس إنكارها خروجاً منه، و لا الاعتراف بها بذاته دخولا فيه. و كذا حال الرجعة عند الشيعة».

ثم قال: هل ترى المتهوسين على الشيعة بحديث الرجعة قديما و حديثا، عرفوا معنى الرجعة و المراد بها عند من يقول بها من الشيعة؟ و أي غرابه و استحالة في العقول أن سيحيي الله سبحانه جماعة من الناس بعد موتهم، و أي نكر في هذا بعد أن وقع مثله بنص الكتاب الكريم. ألم يسمع المتهوسون قصة ابن العجوز التي قصها الله سبحانه بقوله: أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ «٢»، ألم تمر عليهم كريمة قوله تعالى: وَ يَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا «٣»، مع أن يوم القيامة تحشر فيه جميع الأمم، لا من كل أمة فوج.

قال: و حديث الطعن بالرجعة كان دأب علماء السنة من العصر الأول إلى هذه نقلها البحار، ج ٥٣، ص ١٣٨-١٣٩.

(١) يقول أحمد أمين: فاليهودية ظهرت في التشيع بالقول بالرجعة (فجر الإسلام، ص ٢٧٦)، و راجع:

صفحات (٢٦٩-٢٧٠ و ٢٧٣ أيضا)

(٢) البقرة/٢٤٣.

(٣) النمل/٨٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦١

العصور، فكان علماء الجرح و التعديل منهم إذا ذكروا بعض العظماء من رواة الشيعة و محدثيهم و لم يجدوا مجالاً للطعن فيه لوثاقته و ورعه و أمانته نبزوه بأنه يقول بالرجعة. فكأنهم يقولون: يعبد صنما أو يجعل لله شريكا. و نادرة مؤمن الطاق مع أبي حنيفة معروفة. و أنا لا أريد أن أثبت- في مقامى هذا و لا غيره- صحة القول بالرجعة، و ليس لها عندي من الاهتمام قدر صغير أو كبير، و لكنني أردت أن أدلّ (فجر الإسلام) على موضع غلطه و سوء تحامله «١».

و قال العلامة العميد الشيخ محمد رضا المظفر: الذي تذهب إليه الإمامية أخذا بما جاء عن آل البيت عليهم السلام أن الله تعالى يعيد قوما من الأموات إلى الدنيا في صورهم التي كانوا عليها، فيعزّ فريقا و يذلّ فريقا آخر، و يدين المحقّين من المبطلين، و المظلومين منهم من الظالمين؛ و ذلك عند قيام مهدي آل محمد عليهم السلام.

ولا يرجع إلّا من علت درجته في الإيمان أو من بلغ الغاية من الفساد، ثم يصيرون بعد ذلك إلى الموت، و من بعده إلى الشور و ما يستحقونه من الثواب أو العقاب، كما حكى الله تعالى في قرآنه الكريم، تمنى هؤلاء المرتجعين الذين لم يصلحوا بالارتجاع، فنالوا مقت الله أن يخرجوا ثالثاً لعلهم يصلحون: قَالُوا رَبَّنَا أَمَتْنَا اثْنَتَيْنِ وَ أَحْيَيْتَنَا اثْنَتَيْنِ فَاعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سَبِيلٍ «٢».

نعم قد جاء القرآن الكريم بوقوع الرجعة إلى الدنيا، و تظافت به الأخبار عن بيت العصمة. و الإمامية بأجمعها عليه إلّا قليلون منهم تأولوا ما ورد في الرجعة، (١) أصل الشيعة و أصولها للعلامة الإمام الشيخ محمد الحسين آل كاشف الغطاء، رحمه الله، ص ٩٩-١٠١. (٢) المؤمن / ١١.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٢

بأن معناها رجوع الدولة و الأمر و النهي إلى آل البيت بظهور الإمام المنتظر، من دون رجوع أعيان الأشخاص و إحياء الموتى. ثم يتعرض للنقاش حول إمكان الرجعة، و الروايات الواردة بشأنها، و أنها ممّا تواترت عن أئمة آل البيت، و لا موضع للتشنيع بها على الشيعة، و أخيراً يقول:

و على كل حال فالرجعة ليست من الأصول التي يجب الاعتقاد بها و النظر فيها، و إنما اعتقادنا بها كان تبعاً للآثار الصحيحة الواردة عن آل البيت عليهم السلام الذين ندين بعصمتهم من الكذب، و هي من الأمور الغيبية التي أخبروا عنها، و لا يمتنع وقوعها «١».

و فسر الآية (النمل / ٨٣) من لا يعتقد بالرجعة بأنه حشر ثان إلى النار، بعد الحشر الأكبر من القبور.

قالوا: و المراد بالفوج هم الزعماء و قادة الضلال، يحشرون إلى النار في مقدمتهم أتباعهم، فيساق أبو جهل و الوليد بن المغيرة و شعبة بن ربيعة بين يدي كفار مكة، و هكذا يحشر قادة سائر الأمم بين أيديهم إلى النار «٢».

قال الزمخشري: فَهَمْ يُوزَعُونَ أَي يَحْبَسُونَ أُولَهُمْ عَلَى آخِرِهِمْ حَتَّى يَجْتَمِعُوا فَيَكْبِكِبُوا فِي النَّارِ. قال: و هذه عبارة عن كثرة العدد و تباعد أطرافه، كما وصفت جنود سليمان بذلك «٣». (١) عقائد الإمامية للمظفر، ص ٨٠-٨٤ رقم ٣٢.

(٢) روح المعاني لمحمود الألوسي، ج ٢٠، ص ٢٦.

(٣) الكشف، ج ٣، ص ٣٨٥.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٣

قال تعالى:- وَ حَشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودَهُ مِنَ الْجِنَّ وَ الْإِنْسِ وَ الطَّيْرِ فَهَمْ يُوزَعُونَ «١».

غير أن الذين يحشرون إلى النار هم أعداء الله جميعاً و ليس فريق منهم، قال تعالى: وَ يَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهَمْ يُوزَعُونَ «٢».

قوله: يوزعون، أي يدفع بعضهم بعضاً فيتدافعون إلى النار لكثرتهم و ازدحامهم.

أمّا تلك الآية فالحشر و التدافع كان بالفوج فحسب، و ليس كل أعداء الله.

و التفسير بالزعماء و القادة أمام الأتباع و السفلة، تحزص بالغيب لا مستند له.

العاشر - مسألة البداء

البداء في التكوين كالنسخ في التشريع، أمر واقع، و قد صرح به الكتاب و تواترت به الروايات، عن أهل بيت العصمة.

و هو كالنسخ، له معنى باطل و مستحيل على الله تعالى، و هو عبارة عن نشأة رأى جديد. هذا المعنى مستحيل على الله، و لا تصح نسبته إليه تعالى شأنه.

و له معنى آخر، هو معقول، عبارة عن ظهور أمر بعد خفائه على الناس. كان يعلم به الله منذ الأزل، و قدره كذلك منذ البدء، و لكن لمصلحة في التكليف أخفاه ثم أبداه لوقته. كما في مسألة النسخ، كان الأمد (أمد التكليف) معلوماً لله و مقدراً من البدء، سوى أن

الناس حسبوا دوامه و استمراره استنادا إلى ظهور اللفظ في الدوام، ما لم يأت ناسخ.

و هكذا الأجل في مسألة البداء، له ظاهر يعلمه أولو البصائر في أسرار الوجود، و له واقع يعلمه علماء الغيوب، فيبديه لوقته وفق حكمته.

(١) النمل / ١٧.

(٢) فصلت / ١٩.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٤

فالبداء من البدو، أى الظهور، إنما يحصل للناس، و كانت نسبته إلى الله مجازا بالمناسبة؛ لأنه الذى يظهره لهم. و تشبيهه فى التعبير، كأنه بدا لله، و هو فى الحقيقة إبداء منه تعالى.

و إليك من دلائل الكتاب ما يدل على هذه الحقيقة، مشفوعة بنبد من كلمات الأئمة الأطهار.

١- قال تعالى: لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ، يَمْحُو اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ وَ عِنْدَهُ أُمُّ الْكِتَابِ «١».

الآجال مقدرة فى الأزل حسب استعدادات الأشياء و الأشخاص كل بحسب ذاته و طبعه، لو لا عروض الطوارئ المغيرة للآجال، و التى لا يعلمها سوى الله، و من ثم يمحو ما يشاء و يثبت و عنده أم الكتاب، أى العلم النهائى المكون فى اللوح المحفوظ.

فعلمه تعالى التدبيرى لأحوال الخلق علمان: علم مخزون لا يعلمه سوى الله، و هو المسمى باللوحة المحفوظ. و علم علمه ملائكته و أنبياءه و سائر أوليائه، و هو الذى يصير فيه البداء، المعبر عنه بلوح المحو و الإثبات.

قال الإمام الصادق عليه السلام: «إن لله علمين، علم مكنون مخزون لا يعلمه إلّا هو، من ذلك يكون البداء. و علم علمه ملائكته و رسله و أنبياءه و نحن نعلمه» «٢».

قوله: «من ذلك يكون البداء»

أى منشأ البداء هو ذلك العلم الأزلى المخزون الذى لا يتغير. فهناك علم يكون منه البداء، و هو اللوح المحفوظ، و علم يكون فيه (١) الرعد / ٣٩.

(٢) بحار الأنوار، ج ٤، ص ١٠٩ - ١١٠ رقم ٢٧.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٥

البداء، و هو لوح المحو و الإثبات.

قال عليه السلام: «من زعم أن الله عزّ و جلّ يبدو له فى شىء لم يعلمه أمس، فابروا منه» «١».

و هذا هو معنى البداء الباطل، المستحيل على الله سبحانه و تعالى.

٢- و قال تعالى: هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا، وَأَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ «٢».

فهناك أجلان: أجل قضى و قدّر حسب طبائع الأشياء و استعداداتها، يعلمه من يعلم من أسرار طبيعة الوجود، حسبما علمه الله، و فيه البداء. و أجل مسمى عنده فى علمه المخزون الذى لا يتغير، و يكون منه البداء حسب، تعبیر الإمام الصادق عليه السلام.

و قد احتار الإمام الرازى فى تفسير هذه الآية و الآية الأولى. قال فى قوله تعالى: وَ أَجَلٌ مُّسَمًّى عِنْدَهُ: اختلف المفسرون على وجوه:

الأول: «قضى أجلاً»: آجال الماضين، «وَ أَجَلٌ مُّسَمًّى»: آجال الباقين.

الثانى: أن الأول أجل الموت، و الثانى أجل القيامة.

الثالث: أن الأول أجل هذه الحياة، و الثانى أجل الحياة البرزخية.

الرابع: القبض عند النوم، و القبض عند الموت.

الخامس: مقدار ما انقضى من العمر، و مقدار ما بقى من العمر.

السادس: و هو قول الحكماء: أحدهما الآجال الطبيعية، و الثانى الآجال (١) بحار الأنوار، ج ٤، ص ١١١ رقم ٣٠.

(٢) الأنعام / ٢.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٦

الاحترامية «١».

و قال فى قوله تعالى: يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثَبِّتُ... فى هذه الآية قولان:

القول الأول: إنها عامة فى كل شىء، فهو تعالى يزيد فى الرزق و ينقص، و كذا فى الأجل و السعادة و الشقاء و الإيمان و الكفر، و هو مذهب جماعة من السلف.

القول الثانى: إنها خاصة ببعض الأشقياء، قال: و على هذا التقرير فى الآية وجوه:

الأول: المحو و الإثبات، بنسخ حكم سابق و إثبات حكم لاحق.

الثانى: المحو من ديوان الحفظه ما ليس بحسنه و لا سيئه.

الثالث: إثبات الإثم بالذنب و محوه بالتوبه.

الرابع: يمحو ما يشاء، أى يتوفى من جاء أجله. و يثبت من لم يجرى أجله فيبقى.

الخامس: يثبت فى ابتداء السنه، فإذا انتهت محاه.

السادس: يمحو نور القمر و يثبت نور الشمس. (١) التفسير الكبير، ج ١٢، ص ١٥٣.

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٧

الفهارس

إشارة

* فهرس الآيات القرآنية * فهرس الأحاديث * فهرس الرواه و الأعلام * فهرس المواضيع

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٦٩

فهرس الآيات القرآنية

رقم الآية / الصفحة (١) الفاتحة / ٤ / مالك يوم الدين / ٣٦٩ (٢) البقرة / ٧ / ختم الله على قلوبهم و على سمعهم / ١٠٣ / ٢٢ / أنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات / ٤١ / ٢٨ / و كنتم أمواتا فأحياكم / ٢٣٦، ٥٥٨ / ٣٠ / قالوا أ تجعل فيها من يفسد فيها / ٢٦٥ / ٣٤ / و إذا قلنا للملائكة اسجدوا لآدم / ١٦٧ / ٤٣ / و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة / ٥٨، ١٧٤، ١٨٢ / ٥٥ / و إذ قلتم يا موسى لن نؤمن لك حتى / ٥٥٠ / ٥٦ / ثم بعثناكم من بعد موتكم / ٥٥٠ / ٦٤ / فلولا - فضل الله عليكم و رحمته / ١٠٨ / ٦٥ / فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين / ٣٣٧، ٤٣٧ / ٨٨ / و قالوا قلوبنا غلف بل لعنهم الله / ١٠٣

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٠

٩٦ / يود أحدهم لو يعمر ألف سنة / ٢٤٨ / ١٠٢ / و ما هم بضارين به من أحد / ١٠٢ / ١٤٣ / و كذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء / ١٥٣، ٢٩٧ / ١٥٥ / و لنبلونكم بشىء من الخوف و الجوع / ٢١٠ / ١٥٨ / إن الصفا و المروة من شعائر الله / ٢٥١، ٤٩٦ / ١٥٩ / اولئك يلعنهم الله و يلعنهم اللعانون / ١٥٣ / ١٨٥ / شهر رمضان الذى أنزل فيه القرآن / ٣٨، ٣٩، ٢٥١ / ١٨٧ / و كلوا و اشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض / ٢٠٥ / ١٩٥ / و أنفقوا فى سبيل الله و لا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة / ٢٣ / ٢٠٠ / فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله / ٢٥٠ / ٢٠٧ / و من الناس من يشرى نفسه ابتغاء مرضات الله / ٣٥٨ / ٢١٠ / هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله / ٢٥٦، ٢٥٩ / ٢١٩ / يسألونك عن الخمر و الميسر

قل فيهما إثم كبير/ ٥٠٤ ٢٢٠/ و يسألونك عن اليتامى قل إصلاح لهم/ ١٩٤ ٢٢٣/ نساؤكم حرث لكم/ ٣٠٤ ٢٢٨/ و المطلقات
يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء/ ١٨٤ ٢٢٩/ الطلاق مرتان فإمساك بمعروف أو تسريح/ ٥٠٩، ٥١٤ ٢٣٠/ فإن طلقها فلا تحل له من بعد/
٥٠٩، ٥١٤ ٢٣١/ و لا تتخذوا آيات الله هزوا/ ٥١٤ ٢٤٠/ و الذين يتوفون منكم و يذرون أزواجا/ ١٨٧ ٢٤٣/ ألم تر إلى الذين خرجوا
من ديارهم/ ٤٤٦، ٥٤٩، ٥٥٦، ٥٦٠ ٢٥٧/ الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات/ ٧٨ ٢٥٩/ أو كآلذي مر على قرية و هي خاوية
على عروشها/ ٥٤٩، ٥٥٦ ٢٦٠/ قال فخذ أربعة من الطير فصرهن/ ٤٤٣ ٢٦٩/ يؤتى الحكمة من يشاء و من يؤت الحكمة/ ٢٠٣

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧١

٢٧٥/ و أحل الله البيع و حرم الربا/ ١٨٣ ٢٨٢/ و اتقوا الله و يعلمكم الله/ ٥٧ ٢٨٦/ لا يكلف الله نفسا إلّا و سعتها/ ١٥١ (٣) آل عمران
٧/ هو الذي أنزل عليك الكتاب ... فأما الذين في قلوبهم زيغ/ ٢٠ ٤١، ٤٣، ٤٦، ٤٨ ٢٦/ قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من
تشاء/ ١٠٤ ٣١/ قل إن كنتم تحبون الله/ ١٠٨ ٤٠/ أتى يكون لى غلام/ ٤٤١ ٤١/ قال رب اجعل لى آية/ ٤٤٠، ٤٤٢، ٤٤٣ ٧٧/ و لا
ينظر إليهم يوم القيامة/ ٣٤١ ٩٣/ قل فأتوا بالتوراة فاتلوها/ ١٢٩ ٩٧/ و لله على الناس حج البيت/ ٣١، ١٧٤، ١٨٣، ١٨٩ ١٠٤/ و لتكن
منكم أمة يدعون إلى الخير/ ١٤٠، ١٥٣ ١٣٨/ هذا بيان للناس و هدى/ ١٤، ١٥٣ ١٦٤/ لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا/
٢٧ ١٧٣/ الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم/ ١٠٦ ١٨٧/ لتبينه للناس و لا- تكتُمونه/ ٤٨ ١٩٠/ إن فى خلق السموات و
الأرض/ ٨٥ ١٩١/ الذين يذكرون الله قياما و قعودا/ ٨٥ (٤) النساء ١/ الذي خلقكم من نفس واحدة/ ٢٩٧، ٤٨٠ ٢/ و أتوا اليتامى
أموالهم و لا تبدلوا/ ١٩٣

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٢

٤/ فإن طبن لكم عن شىء منه نفسا/ ٣٨٧ ٦/ و لا تأكلوها إسرافا و بدارا/ ١٩٣ ١٢/ من بعد وصية توصون بها أو دين/ ١٧ ١٨٤/ إنما
التوبة على الله للذين يعملون السوء/ ٣٣٢ ٢٤/ فما استمتعتم به منهن فاتوهن أجورهن/ ٥١٨، ٥٣٤، ٥٤١ ٢٨/ و خلق الإنسان ضعيفا/
٢٩ ٣٤٨/ و لا تقتلوا أنفسكم إن الله كان بكم رحيما/ ٣٩٥، ٣٩٧، ٣٩٨ ٤١/ فكيف إذا جئنا من كل أمة بشهيد/ ٤٦٣ ٥٩/ فإن تنازعتم
فى شىء فردوه إلى الله و الرسول/ ٢٠ ٨٣/ و لو ردوه إلى الرسول و إلى أولى الأمر منهم/ ٢١ ٩٣/ و من يقتل مؤمنا متعمدا فجزاؤه
جهنم/ ١٨٤، ٣٩٨، ٥٠٧ ١٠١/ و إذا ضربتم فى الأرض فليس عليكم جناح/ ٤٩٥، ٤٩٦ ١٠٢/ و إذا كنت فيهم فأقمت لهم الصلاة/ ٤٩٥
١٠٣/ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا/ ١٧٤، ١٨٣ ١٢٣/ من يعمل سوء يجز به/ ١٩٥ ١٤٢/ إن المنافقين يخادعون الله و هو
خادعهم/ ١٩٥ ١٥٩/ و إن من أهل الكتاب ألوئمنن به قبل موته/ ٤٦٨ ١٧٤/ يا أيها الناس قد جاءكم برهان من ربكم/ ١٤ (٥) المائدة
٣/ غير متجانف لإثم/ ٣٠٨ ٦/ فاغسلوا وجوهكم و أيديكم إلى المرافق/ ٨٥، ٤٨٦، ٤٨٩ ٣٥/ يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله/ ٣٣٣
٣٨/ و السارق و السارقة فاقطعوا أيديهما/ ٧٩ ٤٩/ و احذرهم أن يفتنوك/ ٤٩٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٣

٦٠/ و أضل عن سواء السبيل/ ٣٣٨ ٦٨/ قل يا أهل الكتاب لستم على شىء/ ١٢٩ ٨٢/ لتجدن أشد الناس عداوة للذين آمنوا اليهود/
١٠٥ ٨٣/ و إذا سمعوا ما أنزل إلى الرسول/ ١٠٦ ٨٤/ و ما لنا لا نؤمن بالله و ما جاءنا من الحق/ ١٠٦ ٨٥/ فأتابهم الله بما قالوا جنات/
١٠٦ ٨٦/ و الذين كفروا و كذبوا بآياتنا/ ١٠٦ ٨٧/ يا أيها الذين آمنوا لا تحزموا طيبات ما أحل الله لكم/ ٥٢٣ ٨٩/ فكفارته إطعام
عشرة مساكين من أوسط ما تطعمون/ ١٨٩ ١٠٣/ و أقيموا الصلاة و آتوا الزكاة/ ١٦ ١١٠/ و إذ تخرج الموتى بإذنى/ ٥٥٠ ١١٤/ ربنا
أنزل علينا مائدة من السماء/ ٤٣٧ ١١٧/ و كنت عليهم شهيدا ما دمت فيهم/ ١٦٧ (٦) الأنعام ٢/ هو الذي خلقكم من طين ثم قضى
أجلا/ ٥٦٥ ٧/ و لو نزلنا عليك كتابا فى قرطاس فلمسوه/ ٤٠ ١٩/ و أوحى إلى هذا القرآن لأنذركم/ ١٤٨، ١٥٣ ٢٢/ و يوم نحشرهم
جميعا/ ٥٤٨ ٣٧/ و قالوا لو لا نزل عليه آية من ربه/ ٤٠ ٨٢/ و لم يلبسوا إيمانهم بظلم/ ١٧، ١٨٤ ٨٣/ نرفع درجات من نشاء/ ١٠٥ ٩٠/
اولئك الذين هدى الله فبهداهم اقتده/ ٥٣ ٩١/ الكتاب الذي جاء به موسى نورا/ ١٢٩، ٤٧٠ ١٠٣/ لا تدركه الأبصار و هو يدرك

الأبصار/ ٧٣

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٤

١١٠/ و نقلب أفئدتهم و أبصارهم/ ٧٩، ١٠٣ ١١٤/ و هو الذى أنزل اليكم الكتاب/ ١٤، ١٢٥ ٤١/ فمن يرد الله أن يهديه يشرح صدره/ ١٩٠ ١٢٨/ و يوم نحشرهم جميعا/ ٥٤٨ ١٥١/ و لا- تقتلوا النفس التى حرم الله ألّا بالحق/ ٩٤ (٧) الأعراف/ ٣٣/ قل إنّما حرم ربى الفواحش ما ظهر منها و ما بطن/ ٤٣ ٥٠٣/ الحمد لله الذى هدانا لهذا/ ١٠٨ ٥٣/ هل ينظرون ألّا تأويله يوم يأتى تأويله/ ٢١، ٣٢ ٥٨/ و البلد الطيب يخرج نباته بإذن ربه/ ١٠٣ ٨٩/ افتح بيننا و بين قومنا بالحق/ ٢٤٦ ١٤٦/ سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون/ ٥٦ ١٥٦/ و اكتب لنا فى هذه الدنيا حسنة/ ١٦٥ ١٧٦/ و لو شئنا لرفعناه بها و لكنّه أخلد إلى الارض/ ٧٩ ١٨٩/ هو الذى خلقكم من نفس واحدة و جعل منها زوجها/ ٤٤٥ ١٩٠/ فلمّا آتاهما صالحا جعلا له شركاء/ ٤٤٥ ٢٠١/ إنّ الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان/ ٣٣٢ (٨) الأنفال/ ١٧/ و ما رميت إذ رميت و لكنّ الله رمى/ ١٠٩ ٢٤/ يا أيها الذين آمنوا استجيبوا لله/ ٢٧، ٧٧، ٧٨، ١٠٤ ٢٥/ و اتقوا فتنة لا تصيبنّ الذين ظلموا/ ٢٢٠ ٢٩/ يا أيها الذين آمنوا إنّ تتقوا الله يجعل لكم فرقانا/ ٥٧ ٣٣/ و ما كان الله ليعذبهم و أنت فيهم/ ٤٦٢

التفسير و المفسرون(للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٥

٤١/ و اعلموا أنّ ما غنمتم من شىء فإنّ لله خمسة/ ٢٢، ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩، ٣٠، ٣١، ٣٢، ٣٣، ٣٤، ٣٥، ٣٦، ٣٧، ٣٨، ٣٩، ٤٠، ٤١، ٤٢، ٤٣، ٤٤، ٤٥، ٤٦، ٤٧، ٤٨، ٤٩، ٥٠، ٥١، ٥٢، ٥٣، ٥٤، ٥٥، ٥٦، ٥٧، ٥٨، ٥٩، ٦٠، ٦١، ٦٢، ٦٣، ٦٤، ٦٥، ٦٦، ٦٧، ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١، ٧٢، ٧٣، ٧٤، ٧٥، ٧٦، ٧٧، ٧٨، ٧٩، ٨٠، ٨١، ٨٢، ٨٣، ٨٤، ٨٥، ٨٦، ٨٧، ٨٨، ٨٩، ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣، ٩٤، ٩٥، ٩٦، ٩٧، ٩٨، ٩٩، ١٠٠، ١٠١، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٤، ١٠٥، ١٠٦، ١٠٧، ١٠٨، ١٠٩، ١١٠، ١١١، ١١٢، ١١٣، ١١٤، ١١٥، ١١٦، ١١٧، ١١٨، ١١٩، ١٢٠، ١٢١، ١٢٢، ١٢٣، ١٢٤، ١٢٥، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٨، ١٢٩، ١٣٠، ١٣١، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢، ١٥٣، ١٥٤، ١٥٥، ١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٥٩، ١٦٠، ١٦١، ١٦٢، ١٦٣، ١٦٤، ١٦٥، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٨، ١٦٩، ١٧٠، ١٧١، ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٧٧، ١٧٨، ١٧٩، ١٨٠، ١٨١، ١٨٢، ١٨٣، ١٨٤، ١٨٥، ١٨٦، ١٨٧، ١٨٨، ١٨٩، ١٩٠، ١٩١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٤، ١٩٥، ١٩٦، ١٩٧، ١٩٨، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٠١، ٢٠٢، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢٠٧، ٢٠٨، ٢٠٩، ٢١٠، ٢١١، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٦، ٢١٧، ٢١٨، ٢١٩، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٤، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٢٩، ٢٣٠، ٢٣١، ٢٣٢، ٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٨، ٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤١، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٦، ٢٤٧، ٢٤٨، ٢٤٩، ٢٥٠، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٥٤، ٢٥٥، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٥٨، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦١، ٢٦٢، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٦٧، ٢٦٨، ٢٦٩، ٢٧٠، ٢٧١، ٢٧٢، ٢٧٣، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٧٨، ٢٧٩، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٨٢، ٢٨٣، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٦، ٢٨٧، ٢٨٨، ٢٨٩، ٢٩٠، ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٣، ٢٩٤، ٢٩٥، ٢٩٦، ٢٩٧، ٢٩٨، ٢٩٩، ٣٠٠، ٣٠١، ٣٠٢، ٣٠٣، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١١، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٦، ٣١٧، ٣١٨، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٨، ٣٢٩، ٣٣٠، ٣٣١، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٣٩، ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٢، ٣٤٣، ٣٤٤، ٣٤٥، ٣٤٦، ٣٤٧، ٣٤٨، ٣٤٩، ٣٥٠، ٣٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦١، ٣٦٢، ٣٦٣، ٣٦٤، ٣٦٥، ٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٤، ٣٧٥، ٣٧٦، ٣٧٧، ٣٧٨، ٣٧٩، ٣٨٠، ٣٨١، ٣٨٢، ٣٨٣، ٣٨٤، ٣٨٥، ٣٨٦، ٣٨٧، ٣٨٨، ٣٨٩، ٣٩٠، ٣٩١، ٣٩٢، ٣٩٣، ٣٩٤، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٧، ٣٩٨، ٣٩٩، ٤٠٠، ٤٠١، ٤٠٢، ٤٠٣، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٦، ٤٠٧، ٤٠٨، ٤٠٩، ٤١٠، ٤١١، ٤١٢، ٤١٣، ٤١٤، ٤١٥، ٤١٦، ٤١٧، ٤١٨، ٤١٩، ٤٢٠، ٤٢١، ٤٢٢، ٤٢٣، ٤٢٤، ٤٢٥، ٤٢٦، ٤٢٧، ٤٢٨، ٤٢٩، ٤٣٠، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠،

عن الذي أوحينا إليك / ٧٨ ٤٩٥ / أقم الصلاة لدلوك الشمس / ١٨٣ ٩٥ / لنزلنا عليهم من السماء ملكا / ٩٧ ٤٠ / ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم / ١٩١ ١١٠ / ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها / ٢٣٨ (١٨) الكهف / ١١ / فضربنا على آذانهم في الكهف سنين عددا / ٥٥٠ ١٢ / ثم بعثناهم لنعلم أيّ الحزبين أحصى / ٥٥٠ ١٨ / ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال / ١٠٣ ١٩ / وكذلك بعثناهم لیتساءلوا بينهم / ٥٥٠

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٨

٢٥ / لبثوا في كهفهم ثلاثمائة سنين وازدادوا تسعا / ٥٥٠ ٤٧ / وحشرناهم فلم نغادر منهم أحدا / ٢٩٠، ٥٤٨، ٥٥٦ ٦٥ / فوجدا عبدا من عبادنا آتيناها رحمة من عندنا / ٧٨ ٤٦٧ / سأبئتك بتأويل ما لم تستطع عليه صبرا / ٢٠ ٨٢ / ذلك تأويل ما لم تستطع عليه صبرا / ٢٠ (١٩) مريم / ٢٧ / فأنت به قومها تحمله قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا / ١٦٦ (٢٠) طه / ٢٤ / اذهب إلى فرعون إنه طغى / ٦٥ ١٠٤ / أمثلهم طريقة إن لبثتم إلا يوما / ٣٢٦ ١١١ / وعت الوجوه للحى القيوم / ١٦٦ (٢١) الأنبياء / ٧ / وما أرسلنا قبلك إلا رجالا نوحى إليهم / ٤٧٠ ٨ / وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام / ٤٧١ ٢٠ / يسبحون الليل والنهار لا يفترون / ٢٦١ ٣٠ / وجعلنا من الماء كل شيء حي / ١٩٧ ٤٤ / أفلا يرون أنا نأتى الأرض نقصها من أطرافها / ٢١٠ ١٠٥ / ولقد كتبنا في الزبور من بعد الذكر أن الأرض يرثها عبادى الصالحون / ٤٧٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٧٩

(٢٢) الحج / ٢٤ / وهدوا إلى الطيب من القول / ٥٤ ٧٨ / ما جعل عليكم فى الدين من حرج / ٨٨ ٢٤٢، ٢٤٥ (٢٣) المؤمنون / ٥ / والذين هم لفروجهم حافظون / ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٤٢ / إلا على أزواجهم أو ما ملكت أيمانهم / ٥٢٠، ٥٣٦، ٥٤٢ / ان الذين هم من خشية ربهم مشفقون / ٢٠٦ ٦٠ / والذين يؤتون ما آتوا وقلوبهم و جلة / ٢٠٦ ٦١ / أولئك هم يسارعون فى الخيرات وهم لها سابقون / ٢٠٦ ٧٦ / فما استكانوا لربهم وما يتضرعون / ١٩٢ ١٠٤ / تفتح وجوههم النار وهم فيها كالحون / ١٩٧ (٢٤) النور / ٣٠ / قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم / ١٩٣ ٥٥ / وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات / ٤٧٤ (٢٥) الفرقان / ١ / تبارك الذى نزل الفرقان على عبده / ١٥٢ ٦ / أنزله الذى يعلم السر فى السموات والأرض / ٤٥٠ ٧ / وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام / ٢٣٨ ١١ / بل كذبوا بالساعة / ٤٨٥ ٢٠ / وما أرسلنا قبلك من المرسلين / ٢٣٨ ٢٢ / يوم يرون الملائكة لا بشرى يومئذ للمجرمين / ٢١ ٣٢ / لو لا نزل عليه القرآن جملة واحدة / ٤٠

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٠

٣٣ / لا- يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق / ١٣، ١٤ ٣٤ / الذين يحشرون على وجوههم إلى جهنم / ١٩١ (٢٦) الشعراء / ١١٩ / الفلك المشحون / ٢٤٤ ١٩٦ / وأنه لفى زبر الأولين / ١٤٧ (٢٧) النمل / ١٧ / وحشر لسليمان جنوده من الجن والأنس / ٥٦٣ ٣٥ / وإنى مرسله إليهم بهديّة فناظرة بم يرجع المرسلون / ٣٤٠ ٥٢ / فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا / ٢٦٦ ٨٢ / وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض / ٢٩٠ ٨٣ / ويوم نحشر من كل أمة فوجا / ٢٩٠، ٥٤٧، ٥٥٦، ٥٦٠ ٨٧ / ويوم ينفخ فى الصور ففزع من فى السماوات / ٢٩٠ (٢٨) القصص / ٥ / ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض / ٤٧٢، ٥٥٣ ١٤ / ولما بلغ أشده واستوى آتيناها حكما / ٢٨ ١٧ / قال رب بما أنعمت على فلن أكون ظهيرا للمجرمين / ٢٨ ٢٤ / رب إنى لما أنزلت إلى من خير فقير / ٣٢٦ ٨٦ / وما كنت ترجوا أن يلقى إليك الكتاب / ١٠٨ (٢٩) العنكبوت / ٢٩ / وتأتون فى ناديك المنكر / ١٩٢ ٦٩ / والذين جاهدوا فىنا لنهدينهم سبلنا / ٧٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨١

(٣٠) الروم / ٢١ / ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجا / ٤٨١ (٣١) لقمان / ١٣ / ان الشرك لظلم عظيم / ١٧ ٢٧ / ولو أن ما فى الأرض من شجرة أقلام / ٢٣٨ (٣٢) السجدة / ١٧ / فلا تعلم نفس ما أخفى لهم / ٣٣ (٣٣) الأحزاب / ٢٣ / رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه / ٢٩٨ (٣٤) السبأ / ١٥ / لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية / ١٩٧ ١٨ / وقدرنا فيها السير سيروا فيها ليالى وأياما آمنين / ١٦ ٢٨ / وما أرسلناك إلا كافة للناس / ١٥٢ ٤٠ / ويوم يحشرهم جميعا / ٥٤٨ (٣٥) الفاطر / ١ / فاطر السموات والأرض جاعل الملائكة رسلا / ٢٤٦

٩/ و الله الذى أرسل الرياح فتثير سحابا/ ١٣٢ ٣٢/ ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا/ ١٩٨، ٤٥٥ (٣٦) يس ٧٨/ قال من يحيى العظام و هى رميم/ ١٥٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٢

٧٩/ قل يحييها الذى أنشأها أول مرة/ ١٥٥ (٣٧) الصافات ٢٤/ وقفوهم انهم مسئولون/ ٤٥٨ ١٢٥/ أ تدعون بعلا/ ٢٤٨ ١٥٩/ سبحان الله عما يصفون/ ٧٣ (٣٨) ص ٣/ و لانت حين مناص/ ٢١ ٢٩/ كتاب أنزلناه إليك مبارك ليدبّروا آياته/ ٥٢، ٧٦، ٨٣ ٣٣/ فطفق مسحاً بالسوق و الأعناق/ ٤٨٨ (٣٩) الزمر ٥/ يكور الليل على النهار/ ١٧ ١٣٣/ فبشّر عباد/ ١٨ ٤٥١/ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه/ ٥٤ ٢٨/ قرآنا عربيا غير ذى عوج/ ٨٣ ٦٠/ و يوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله/ ٣٨٠ ٦٨/ و نفخ فى الصور/ ١٩٤ (٤٠) المؤمن (الغافر) ١١/ قالوا ربنا أمتنا اثنتين و أحييتنا اثنتين/ ٢٣٥، ٥٥١، ٥٥٦، ٥٦١ ٤٠/ و من عمل صالحا من ذكر أو أنثى/ ٥٣ ٥١/ انا لننصر رسلنا و الذين آمنوا فى الحياة الدنيا/ ٥٥١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٣

(٤١) فصلت ١٩/ و يوم يحشر أعداء الله إلى النار فهم يوزعون/ ٥٦٣ ٣٨/ يستبحون له بالليل و النهار و هم لا يسأمون/ ٢٦١ ٤٤/ اولئك ينادون من مكان بعيد/ ٣٤٨ (٤٢) الشورى ١١/ ليس كمثلها شىء/ ٧٣ (٤٣) الزخرف ٣/ إنا جعلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون/ ٨٣ ٢٤٣ ٤/ و الكتاب المبين إنا جعلناه قرآنا عربيا/ ٣٥، ٣٧، ٣٨، ٤٢ ٦٧/ الأخطاء يومئذ بعضهم لبعض عدو/ ٣٤٧ (٤٤) الدخان ٥/ حم. و الكتاب المبين. أمرا من عندنا/ ٣٨ ٥٨/ فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون/ ٨٢ (٤٥) الجاثية ٢٠/ هذا بصائر للناس و هدى/ ١٤ (٤٦) الأحقاف ٣٥/ كأنهم يوم يرون ما يوعدون لم يلبثوا إلّا ساعة من نهار/ ٢١ (٤٧) محمد ١٧/ و الذين اهتدوا زادهم هدى و آتاهم تقويمهم/ ٥٤ ١٨/ فهل ينظرون إلّا الساعة أن تأتيهم بغتة/ ٣٦٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٤

١٩/ فاعلم انه لا إله إلّا الله/ ٥٨ ٢٠/ و يقول الذين آمنوا لو لا- نزلت سورة/ ٤٠ ٢٤/ أفلا يتدبرون القرآن أم على قلوب أقفالها/ ٧٦، ٨٢، ٤٤٠ ٣٨/ و ان تتولوا يستبدل قوما غيركم/ ١٥٤، ١٩٦ (٤٨) الفتح ١١/ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلنا أموالنا/ ١٠٦ ١٢/ و كنتم قوما بورا/ ٢٤٧ (٤٩) الحجرات ٤/ ان الذين ينادونك من وراء الحجرات/ ٥٥٥ ٧/ و لكن الله حبب إليكم الإيمان/ ١٠٧ ٨/ فضلا من الله و نعمته و الله عليم حكيم/ ١٠٨ ١٣/ إن أكرمكم عند الله أتقاكم/ ١٠٩ (٥٠) ق ١٠/ و النخل باسقات لها طلع نضيد/ ١٩٤ ٣٧/ ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب/ ١٠٤ (٥٣) النجم ٣٢/ و يجزى الذين أحسنوا بالحسنى/ ٣٣٢ ٦١/ و أنتم سامدون/ ٢٤٧ (٥٤) القمر ١٧/ و لقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر/ ٨٣ ١٣٤ ٤٨/ يوم يسحبون فى النار على وجوههم/ ١٩١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٥

(٥٥) الرحمن ٩/ و أقيموا الوزن بالقسط و لا تخسروا الميزان/ ٢٥ ٢٢/ المرجان/ ٢٥٥ ٣١/ سنفرغ لكم أيها الثقلان/ ٤٨٥ ٥٢/ فيهما من كل فاكهة زوجان/ ١٣٦ (٥٦) الواقعة ٢٨/ فى سدر مخضود/ ١٧٥ ٦٣/ أ فرأيتم ما تحرثون/ ١٠٩ ٧٧/ إنه لقرآن كريم/ ٥٦ ٧٨/ فى كتاب مكنون/ ٥٦ ٨٠/ لا- يمسه إلّا المطهرون/ ٤٣، ٥٦ (٥٩) الحشر ٢/ هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب/ ٥١٠ ١٩/ و لا تكونوا كالذين نسوا الله/ ٧٩، ١٠٤ ٢١/ لو أنزلنا هذا القرآن على جبل/ ٤٠ (٦٢) الجمعة ٢/ هو الذى بعث فى الأميين رسولا/ ١٥، ٢٩٨ ٥/ كمثل الحمار يحمل أسفارا/ ٣٣٧، ٤٣٧ (٦١) الصف ٢/ يا أيها الذين آمنوا لم تقولون ما لا تفعلون/ ٢٦٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٦

(٦٥) الطلاق ١/ فطلّقوهن لعدّتهن/ ٥٠٩، ٥١٠، ٥١٣، ٥١٤ ٣/ و من يتوكل على الله فهو حسبه/ ٧٧ (٦٤) التغابن ٩/ و من يؤمن بالله و يعمل صالحا يكفر عنه سيئاته/ ٥٣ (٦٦) التحريم ٤/ إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما/ ٢٣٧ (٦٧) الملك ٤/ ثم ارجع البصر كرتين ينقلب إليك البصر خاسئا و هو حصير/ ٥١٤ ٣٠/ قل أ رأيتم إن أصبح ماءكم غورا/ ٢٦، ٤٧١ (٦٨) القلم ١٣/ عتّل بعد ذلك زنيماً/

٢٤٥ ١٥ / إذا تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين / ٢٣٧ (٧٠) المعارج ٣٧ / عن اليمين و عن الشمال عزيز / ٢٤٤ (٧٢) الجن ٣ / و أنه تعالى جد ربنا / ٢٤٥ ١٦ / و أن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم / ٢٩٨، ٤٧٢ ١٨ / فلا تدعو مع الله أحدا / ٨٠، ٥٠٢

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٧

(٧٣) المزمل ٦ / إن ناشئة الليل هي أشد وطئا و أقوم قیلا / ٢٤٨ (٧٤) المدثر ٢٩ / لواءه للبشر / ٣٠٣، ٣٠٤ ٥١ / فزت من قسورة / ٢٤٨ (٧٥) القيامة ١١ / كلاً لا وزر / ٢٤٨ ٢٣ / وجوه يومئذ ناضرة إلى ربها ناظرة / ٣٣٨، ٤٣٨ (٧٦) الإنسان ٣٠ / و ما تشاءون إلّا أن يشاء الله / ١٠٣ (٧٨) النبأ ٧ / ألم نجعل الأرض مهادا / ١٣٢ (٧٩) النازعات ٣٠ / و الأرض بعد ذلك دحاهبا / ١٣٢ (٨٠) عبس ٢٤ / فلينظر الإنسان إلى طعامه / ٢٧، ٢٠٨، ٢٢٣، ٤٧٥ ٢٥ / أنا صبينا الماء صبيا / ٢٠٨، ٤٧٥ ٢٦ / ثم شققنا الأرض شقا / ٢٠٨، ٤٧٥ ٢٧ / فأنبثنا فيها حبا / ٢٠٨، ٤٧٥ ٢٨ / و عنباً و قضباً / ٢٠٨، ٤٧٥

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٨

٢٩ / و زيتونا و نخلا / ٢٠٨، ٤٧٥ ٣٠ / و حدائق غلبا / ٢٠٨، ٤٧٥ ٣١ / و فاكهة و أبنا متاعا لكم و لأنعامكم / ٤٦، ٢٠٨، ٤٧٥ (٨١) التكوير ١٥ / الخس، الجوارى الكس / ٤٠٦ ٢٩ / و ما تشاءون إلّا ان يشاء الله / ١٠٢ (٨٤) الانشقاق ٧ / فأما من أوتى كتابه يمينه / ١٧ ٨ / فسوف يحاسب حسابا يسيرا / ١٧ ١٤ / انه ظن أن لن يحور / ٢٤٧ (٨٥) البروج ٢٢ / بل هو قرآن مجيد فى لوح محفوظ / ٤٣ (٨٧) الأعلى ١٨ / إن هذا لفي الصحف الأولى / ١٤٧ ١٩ / صحف إبراهيم و موسى / ١٤٧ (٨٩) الفجر ١٠ / و فرعون ذى الأوتاد / ١٣٢ ٢٤ / فيومئذ لا يعذب عذابه أحد / ١٦٧، ٥١٠ ٢٥ / و لا يوثق وثاقه أحد / ١٦٧

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٨٩

(٩٧) القدر ١ / إنا أنزلناه فى ليلة القدر / ٣٨ (٩٩) الزلزال ٤ / فيومئذ تحدث أخبارها / ١٩٨ (١٠٨) الكوثر ٢ / فصل لربك و انحر / ١٩٢ (١١١) المسد ١ / ثبت يدا أبى لهب و تب / ٣٤٥ (١١٢) الإخلاص ١ - ٢ / قل هو الله أحد. الله الصمد / ٢٨٢

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٠

فهرس الأحاديث

النبي صلى الله عليه و آله و سلم اتقوا الحديث على إلما ما علمتم / ٦٣ إذا حدّثكم أهل الكتاب فلا تصدقوهم و لا تكذبوهم / ٢٥٦ افعلوا ما أمركم به / ٥٤٥ الإيمان يمان / ٣٤٣ البشرى فى الحياة الدنيا هى الرؤيا الحسنة يراها المؤمن / ١٩١ الثقلان كتاب الله و عترتى / ٣٧٨ الحمد لله الذى جعل فينا الحكمة أهل البيت / ٤٦١ السابق و المقتصد يدخلان الجنة غير حساب / ١٩٨ القرآن أنزل على سبعة أحرف / ٤٦٥ اللهم أنصر من نصر عليا / ٤٠٦ اللهم بارك فيه و أنشر منه / ٢٢٤، ٢٣١ اللهم ثبت لسانه و اهد قلبه / ٢١٢ اللهم علمه الكتاب و الحكمة / ٢٢٤ اللهم فقهه فى الدين / ٤٩، ٦٤، ٢٢٤، ٢٩٩ النجاة أن لا تخادعوا الله فيخدعكم / ١٩٥ إن الذى أمشاهم على أقدامهم قادر أن يمشيهم على وجوههم / ١٩١

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩١

إن الرجل الأعجمى من أمتى ليقرأ القرآن بعجميته / ١٣٨ إن الله أمرنى أن أدنيك و لا أقصيك / ٢١٦ إن على كل حق حقيقة، و على كل صواب نورا / ٨٦ إن فيكم من يقاتل على تأويل القرآن / ٢٢ إن كنت تليط حوضها، و تردّ ناديتها / ١٩٣ إنما فاطمة بضعة منى / ٣٣٤ إنما مثل أهل بيتي فيكم كمثل سفينة نوح من ركبها نجا / ٤٦٢ إنها لا تتم صلاة أحدكم حتى يسبغ الوضوء كما أمره الله به / ٣٦٠ أ تدرّون ما أخبارها؟ قالوا: الله و رسوله أعلم / ١٩٨ أكثر ما أخاف على أمتى من بعدى، رجل يناول القرآن / ٦١ ألا إنى أوتيت القرآن و مثله معه / ١٧٨، ١٨١ أما تبتلون فى أموالكم و أنفسكم و ذراريكم / ١٩٥ أنا سيد النبيين و وصيى سيد الوصيين و أوصياؤه سادة الأوصياء / ٢٨٣ أنا مدينة العلم و على بابها، فمن أراد المدينة فليأتها من بابها / ٢١٤ أنزل القرآن على أربعة أحرف / ٢٣٣ أول ما خلق

اللّه الماء / ١٩٧ أ يلعب بكتاب الله و أنا بين أظهركم / ٥١٣ أيما رجل و امرأة توافقا فعشرة ما بينهما ثلاث ليال / ٥٣٨ أيها الناس، إنّ الله أحلّ لكم الفروج / ٢٧٧ أيها الناس ما جاءكم عنى يوافق كتاب الله فأنا قلته / ٨٦ بلغوا عنى و لو آية، و حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج / ٢٥٢ تشويها النار ففتقلّص شفاهها العليا / ١٩٧ تعلّموا القرآن بعربيته / ١٢٤، ١٣٨ حدّثوا عن بنى إسرائيل و لا حرج / ٢٥٢، ٢٥٣ خذوا عنى مناسككم / ١٧٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٢

ذلك العرض، و من نوقش الحساب عدّب / ١٧ زوّجتك خير أمتى / ٣٧٩ سئل عن معنى «عضين»؟ فقال: «آمنوا ببعض و كفروا ببعض» / ١٩٠ سياحة أمتى الصيام / ١٨٩ سيخرج من الكاهنين رجل يدرس القرآن دراسة لا يدرسها أحد بعده / ٣٨٩ صلّوا كما رأيتموني أصلى / ١٧٤، ١٨٥ طلب العلم فريضة على كلّ مسلم / ٤١٨ على مع الحقّ، و الحقّ معه / ٢٢٧ على مع القرآن و القرآن مع على / ٢١٤ فإذا التبست عليكم الفتن كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن / ٨٣ فما من آية إلّا و لها ظهر و بطن / ٩٧ فمن كان منكم ليس معه هدى فليحلّ و ليجعلها عمرة / ٥٤٦ فى كلّ خلف من أمتى عدول من أهل بيتى / ٤٦١ قد علمتم أنى أتقاكم لله و أصدقكم / ٥٤٥ كانوا يخذفون أهل الطريق و يسخرون / ١٩٢ كتاب الله و أهل بيتى / ٤٥٥ كتاب الله و عترتى / ٤٥٥ كلّ شىء خلق من الماء / ١٩٧ لا تسألوا أهل الكتاب عن شىء / ٢٥٩ لا تصدّقوا أهل الكتاب و لا تكذبوهم / ٢٥٣، ٢٥٨ لا تقدموهما فتهلكوا، و لا تقصروا عنهما فتهلكوا / ٤٥٨ لا، و لكنّه الذى يصوم و يصلى و يتصدّق و يخاف الله / ٢٠٧ لعن الله المجادلين فى دين الله على لسان سبعين نبيا / ٦٦ لقد جتتكم بها بيضاء نقية / ٢٥٩ لم يجر فى بنى إسرائيل شىء إلّا و يكون فى أمتى مثله / ٥٥٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٣

له ظهر و بطن، فظاهره حكمه و باطنه علم / ٧٦ ما أنعم الله على عبد، بعد الإيمان بالله / ٨٥ ما فى القرآن آية إلّا و لها ظهر و بطن / ٢١ من تركه (الحجّ) لا يخاف عقوبته و لا يرجو ثوابه / ١٨٩ من تكلم فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ / ٦١ من تكلم فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار / ٦٢ من تكلم فى القرآن بغير علم فليتبوأ مقعده من النار / ٥٩ من فسّر القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ / ٥٢ من فسّر القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار / ٥٢ من قال فى القرآن برأيه أو بما لا يعلم / ٦١ من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ / ٦٢، ٦٣ من قال فى القرآن برأيه فقد كفر / ٥٢ من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده من النار / ٦١، ٦٣ من قال فى القرآن بغير ما علم فليتبوأ مقعده من النار / ٦١، ٦٢ من قال فى القرآن بغير ما علم، جاء يوم القيامة ملجما بلجام من نار / ٦١ من كذب على متعمدا فليتبوأ مقعده من النار / ٥٠ من كنت مولا فعلى مولا / ٣٤٧ نور يقذف به فينشرح له و ينفسح / ١٩٠ و أبوهما خير منهما / ٣٧٩ و أنّهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض / ١٠، ٢٢٣، ٤٥٥، ٤٦٠ و لكل شىء فارس، و فارس القرآن ابن عباس / ٢٢٥ و هو الدليل يدلّ على خير سبيل، و هو كتاب فيه تفصيل / ٩٧ وقضوهم أنهم مسئولون عن ولاية على / ٤٥٨ ويل لمن لاكها بين لحييه ثم لم يتدبّر بها / ٨٥ هم الفرس. هذا و قومه / ١٩٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٤

هو رجل ولد عشرة من الولد / ١٩٦ هى الرؤيا الصالحة يراها الرجل، أو ترى له / ١٩١ يا ابن مسعود، أنّه قد أنزلت على آية / ٢٢٠ يا سلمان إنك مدرّكهم و أمثالك و من تولّاهم حقيقة المعرفة / ٥٥٢ يا على، ما من عبد لقي الله يوم يلقاه / ٣٨٢ يحشر المتكبرون فى صورة الذرّ يوم القيامة / ٥٥٦ يحمل هذا الدين فى كلّ قرن عدول / ٤٦٣ أمير المؤمنين على عليه السّلام ابن عباس كأنما ينظر إلى الغيب / ٤٩، ٢٢٤ إذا أردت أن تنظر إلى رجل من أهل النار / ٣٤٥ القرآن حمال ذو وجوه / ١٣٧ القرآن ينطق بعضه ببعض / ٤٤٨ إنّ علم القرآن ليس يعلم ما هو / ٥٦ إنّ الله قسم كلامه ثلاثة أقسام / ٥٦، ٩٣ إنّ فى القرآن تعابير كثيرة / ١٠١ إنّ فى جهنم حيات كالقلال و عقارب / ٣٤٥ إنّ كان الوزر فى الأصل محتوما / ٣٨٠ إنّ الله تبارك و تعالى طهرنا / ٤٦٢ إياك أن تفسر القرآن برأيك / ٦٠ أ تعرف الناسخ من المنسوخ؟ فهاب الإمام / ١٨٧ أصحاب عبد الله سرح هذه القرية / ٢٢٢ ألا لا خير فى قراءة لا تدبّر فيها / ٨٥ أمّا

أبو بكر فلم تكن في ولايته أخماس / ٥٠٠ أن عزيز خرج من أهله و امرأته / ٥٤٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٥

سأل فاطمة ما خير النساء؟ قالت: ان لا يرين / ٣٣٤ سلوا عن ذلك آل محمد / ٤٦٣ سلوني سلوني سلوني عن كتاب الله / ٢١٣ سلوني عن كتاب الله، فإنه ليست آية إلا و قد عرفت بلبيل نزلت أم بنهار / ٢١٤ فانظر ايها السائل فما ذلك القرآن عليه / ٤٤ فما نزلت على رسول الله آية من القرآن إلا أقرأنيها و أملاها علي / ٢١٥ قال رسول الله قال الله جل جلاله: ما آمن بي / ٦٠ قالت الحكمة من أرادني فليعمل بأحسن ما علم / ٥٤ قسمت الحكمة عشرة أجزاء / ٤٦٥ كنت أول داخل على النبي صلى الله عليه و آله و سلم و آخر خارج من عنده / ٢١٥ لا حجة لهم في هذا لان القرآن المنزل علينا على لسان نبينا صلى الله عليه و آله و سلم لم ينزل على الأولين / ١٥١ لا تملثوا أعينكم من أعوان الظلمة / ٣٣٤ لا - و الذي فلق الحبة و برأ النسمة / ٤٦٦ لاخني كنت إذا سألته أنبأني / ٢١٤ لتعطفن الدنيا علينا بعد شماسها / ٤٧٣ لما نزلت الآية فصل لرَبِّكَ / ١٩٢ لو لا - أن عمر نهى عن المتعة / ٥٢١، ٥٣١ ما تحمد الله عليه فهو منه / ٣٧٩ ما نزل القرآن إلا بالمسح / ٤٩٤ من اتقى الله عاش قويا / ٣٣٤ من وسع عليك الطريق / ٣٨٠ و ليس كل اصحاب رسول الله كان يسأله / ١٧٥ قد علمتم موضعي من رسول الله / ٢١٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٦

و إنما هو تعلم من ذي علم / ٢٩٩ و فيكم مثله / ٥٥٢ هل عندك علم عن النبي لم يقع إلى غيرك قال: لا / ٥٤ هم آل محمد يبعث الله / ٤٧٣ يا حسن أسبغ الوضوء / ٣٧٦ يا ابن آدم أ زعمت أن الذي نهاك / ٣٧٩ فاطمة عليهما السلام أن لا يرين الرجال و لا يرونهن / ٣٣٤ السجاد عليه السلام إذا كنتم في أئمة جور فاقضوا / ٣٦٦ أ ترضى يا حسن نفسك الموت / ٣٨١ سعيد بن المسيب أعلم الناس / ٣٢٨، ٣٢٩ و الذي بعث محمدا بالحق بشيرا / ٤٧٣ الباقر عليه السلام اجلس في مسجد المدينة و أفت للناس / ٣٦٧ إذا فقدتم إمامكم فلم تروه فما ذا تصنعون / ٢٦ الفجر هو الخيط الأبيض المعترض / ٢٠٦ إلى العلم الذي يأخذه عن يأخذه / ٢٢٣، ٤٧٥ إن العلم الذي نزل مع آدم كناية عن العلم / ٤٦٣ إن الله عز و جل يقول و إذا ضربتم / ٤٩٦ أتى عمار بن ياسر رسول الله فقال: / ٢٠٧ أنظروني حتى أرجع اليكم / ٣٥٦

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٧

جاء رجل إلى النبي و سأله عن / ١٩٣ ذاك الذي يشبه كلامه كلام الأنبياء / ٣٧٢ ذلك من خرج من بيته بزاد و راحلة / ٤١٦ ذو القربى هم قرابة الرسول / ٥٠١ ظهر القرآن الذين نزل فيهم / ١٠٠ ظهره تنزيله و بطنه تأويله / ٢١، ١٠٠ فأما الغنائم و الفوائد فهي واجبة عليهم / ٢٣ فأنما على الناس أن يقرءوا القرآن / ٤٦٣ قال زرارة بن أعين قلت لأبي جعفر أ لا تخبرني من أين / ٨٦ قال رسول الله كل مسكر حرام / ٤١٨ كذب أبو ظبيان أما بلغك قول علي فيكم / ٣٦١ ما علمتم فقولوا / ٦٧ ما بقى على ظهر الأرض أحد أعلم بمناسك الحج / ٣٦٢ و لو أن الآية إذا نزلت في قوم / ٢١، ١٠٠ ويحك يا قتادة إن الله تعالى خلق / ٤١٦ هم أصحاب المهدي في آخر الزمان / ٤٧٤ يا جابر حديثنا صعب مستصعب / ٤٢٣ الصادق عليه السلام إذا ورد عليكم حديث فوجدتم له / ٨٦ إذا طلق الرجل امرأته على غير طهر / ٥١٣ الق عبد الملك بن جريج فسله عنها / ٢٧٦ الميزان الذي وضعه الله للأنام / ٢٥ إن رسول الله صلى الله عليه و آله و سلم نزلت عليه الصلاة / ١٥ إن هذا القرآن فيه منار الهدى / ٨٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٥٩٨

إن الله أنزل على رسوله الصلاة / ١٨١ إن رجلا - قال له إنني طلقت امرأتي / ٥٠٩ إن لله علم مكنون / ٥٦٤ إننا أهل بيت لم يزل الله / ٤٦٤ أنما هلك الناس في المتشابه / ٧٠ أنما القرآن أمثال لقوم يعلمون / ٨٥ إنه أعمى القلب أعمى البصر / ٤٧٧ اللهم: الرجل يلم بالذنب فيستغفر الله منه / ٣٣٢ أما و الله لقد أوجع قلبي موت أبان / ٣٦٨ أنظر ما علمت من قولهم فأخبرهم بذلك / ٣٦٨ تعلموا العربية فإنها كلام الله / ١٣٨ جالس أهل المدينة فإني أحب أن يروا / ٣٦٨ صلاة أربع ركعات يقرأ في كل ركعة / ٣٣٣ طلق عبد الله بن عمر

٣٤٢، ٣٥١، ٣٥٤، ٣٥٥، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٥، ٣٧٥، ٣٨٥، ٣٩٥، ٣٩٦، ٣٩٨، ٤٠٥، ٤١٧، ٤٢٠، ٤٢٣، ٤٢٧، ٤٣٤، ٤٣٧، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٩٤، ٥٢١، ٥٢٢ طلحة: ٥٠، ٣٩٧ طلق بن حبيب: ٤٧ الطوسي: ٢٥، ٩٣، ٢٧٣، ٢٧٧، ٢٨٣، ٣٤٠، ٣٦١، ٤١٨، ٤٢١، ٤٣٩، ٤٦٤

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦١٣

الطوسي (خواجه نصير الدين): ٥٢٧ (حرف العين) عائشة: ١٧، ٤٨، ٥٠، ١٧٦، ١٧٨، ١٨٩، ٢٠٦، ٢١١، ٢٣٧، ٣٧٦، ٣٩٣، ٣٩٤، ٤٠٢، ٥٢٠ عادل نويهض: ٤٢١ عاصم: ٣٩١، ٣٩٩، ٤٠٥، ٤٠٩، ٤٩٢، ٤٩٣ عامر بن عبد الله بن زبير: ٥٠ عامر بن عبد قيس: ٣٩٥ العاملي (السيد محمد): ١٤٩، ١٥٠ عباد بن كثير: ٢٨٢ عبادة بن الصامت: ١٩٠، ٤٩٨ عباس بن عبد المطلب: ٥٠٠ عباس الجمل المحامي الشرعي: ١٤٦ عبد الله بن أبي رافع: ٤٠٩ عبد الله بن أحمد: ٢٧٩ عبد الله بن بديلة: ٣٨٩ عبد الله بن ثعلبة: ٣٢٧ عبد الله بن الجراح: ٤٢٦ عبد الله بن جعفر: ٣٩٠، ٥٠٩ عبد الله بن الحارث: ٢٦٢ عبد الله بن الحسن المثنى: ٣٤٤ عبد الله بن خفقة: ٣٧٠ عبد الله بن الزبير: ٢١١، ٢٨٦، ٥٢٨، ٥٣١ عبد الله بن زيد بن أسلم: ٤٢٥ عبد الله بن سلام: ٢٥٥، ٤٤٧ عبد الله بن سنان: ٥٠٧ عبد الله بن عبد ياليل: ٢٢٦ عبد الله بن عطاء: ٣٤٦ عبد الله بن عمر: ٢١١، ٢٥١، ٣٥٢، ٣٥٣، ٣٥٥، ٣٥٩، ٥٢٣، ٥٣٢ عبد الله بن عمر بن عبد العزيز (الهباري): ١٥٤، ١٥٩ عبد الله بن عمرو بن عاص: ٤٩، ١٩٤، ٢١١، ٢٢١، ٢٥٢، ٢٥٣، ٣٠٦ عبد الله بن ميسرة الحراني: ٢٦٠ عبد الله بن نمير: ٣٩٣ عبد الله العتكي: ٣٥٩ عبد الأعلى: ٨٧ عبد بن حميد: ٤٢٦، ٤٣٠ عبد الجبار بن وائل الخضرمي: ٤٠٠ عبد الحق: ٢٩٢ عبد الرحمن بن أبي حاتم: ٤٢٧ عبد الرحمن بن أبي ليلى: ٥٠٠ عبد الرحمن بن الأسود بن يزيد: ٤٠٣، ٤١٣ عبد الرحمن بن بشر (أخو السائب): ٢٨٩ عبد الرحمن بن الحجاج: ٣٦٩ عبد الرحمن بن الحسن بن أحمد الهمداني: ٣٤١ عبد الرحمن بن زيد بن أسلم: ٤١٨، ٤٢٩

التفسير و المفسرون (للمعرفة)، ج ١، ص: ٦١٤

٤٣٠، ٤٣٩ عبد الرحمن بن عبد الملك الحزامي: ٥٣٩ عبد الرحمن بن محمد الأزدي الكوفي: ٣٦٨ عبد الرحمن بن يزيد (أخ الأسود): ٤٠٣ عبد الرحمن عlish الحنفي: ١٤٥ عبد الرحمن قراءة: ١٤٤ عبد الرحيم محمد علي: ١٣٩ عبد الرزاق بن همام (الصنعاني): ٢٥٨، ٢٨٢، ٤٢٦، ٤٣٠ عبد الرزاق (حافظ): ٥١٧، ٥٢٣، ٥٢٤ عبد علي بن جمعة الحويزي: ٤٨٠ عبد المجيد سليم: ١٤٤ عبد المجيد اللبان: ١٤٤ عبد المطلب: ٢٢٩ عبد الملك بن الربيع: ٥١٩، ٥٤٠ عبد الملك بن عطاء: ٣٤٦ عبد الملك بن مروان: ٣١٩، ٣٣٥، ٣٧٧، ٣٨٤ عبد الملك بن ميسرة: ٣٧٩ عبد مناف: ٢٧٩ عبد الواحد بن زياد: ٥٣٩ عبد الوهاب (ابن مجاهد): ٣٣٦ عبد الوهاب الطالقاني: ١٦٧ عبد يزيد: ٥١٤ عبيد الله بن أبي يزيد: ٣٤٣ عبيد الله بن عبد الله بن عتيبة: ٢٥٨ عبيد الله بن علي بن أبي رافع: ٢٢٥، ٣٨٧ عبيد الله بن عمر: ٤٧، ٤١٩، ٤٣٩، عبيد الله بن موسى: ٢٢١ عبيد بن الأبرص: ٢٤٤ عبيد بن بشر (أخو السائب): ٢٨٩ عبيد بن عمير: ٣٣١ عبيدة السلماني: ٤٧، ٣١٧، ٤١٠، ٤٦٣، ٤٦٥ عثمان: ٥٠، ٢٠٥، ٢١١، ٢٢٤، ٢٤٦، ٢٤٢، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٠، ٣٢٤، ٣٧٤، ٣٧٦، ٣٩٥، ٣٩٩، ٤٠٢، ٤٠٣، ٥٠٠ العجلي: ٢٩٢، ٣٥٥، ٣٩٠، ٤٠٤، ٤٠٥، ٤٠٨، ٤١٠، ٤١١، ٤١٩، ٤٢٩، ٤٣١، ٤٣٢، ٤٣٣، ٤٣٤، ٤٣٥، ٤٣٦، ٤٣٧، ٤٣٨، ٤٣٩، ٤٤٠، ٤٤١، ٤٤٢، ٤٤٣، ٤٤٤، ٤٤٥، ٤٤٦، ٤٤٧، ٤٤٨، ٤٤٩، ٤٥٠، ٤٥١، ٤٥٢، ٤٥٣، ٤٥٤، ٤٥٥، ٤٥٦، ٤٥٧، ٤٥٨، ٤٥٩، ٤٦٠، ٤٦١، ٤٦٢، ٤٦٣، ٤٦٤، ٤٦٥، ٤٦٦، ٤٦٧، ٤٦٨، ٤٦٩، ٤٧٠، ٤٧١، ٤٧٢، ٤٧٣، ٤٧٤، ٤٧٥، ٤٧٦، ٤٧٧، ٤٧٨، ٤٧٩، ٤٨٠، ٤٨١، ٤٨٢، ٤٨٣، ٤٨٤، ٤٨٥، ٤٨٦، ٤٨٧، ٤٨٨، ٤٨٩، ٤٩٠، ٤٩١، ٤٩٢، ٤٩٣، ٤٩٤، ٤٩٥، ٤٩٦، ٤٩٧، ٤٩٨، ٤٩٩، ٥٠٠، ٥٠١، ٥٠٢، ٥٠٣، ٥٠٤، ٥٠٥، ٥٠٦، ٥٠٧، ٥٠٨، ٥٠٩، ٥١٠، ٥١١، ٥١٢، ٥١٣، ٥١٤، ٥١٥، ٥١٦، ٥١٧، ٥١٨، ٥١٩، ٥٢٠، ٥٢١، ٥٢٢، ٥٢٣، ٥٢٤، ٥٢٥، ٥٢٦، ٥٢٧، ٥٢٨، ٥٢٩، ٥٣٠، ٥٣١، ٥٣٢، ٥٣٣، ٥٣٤، ٥٣٥، ٥٣٦، ٥٣٧، ٥٣٨، ٥٣٩، ٥٤٠، ٥٤١، ٥٤٢، ٥٤٣، ٥٤٤، ٥٤٥، ٥٤٦، ٥٤٧، ٥٤٨، ٥٤٩، ٥٥٠، ٥٥١، ٥٥٢، ٥٥٣، ٥٥٤، ٥٥٥، ٥٥٦، ٥٥٧، ٥٥٨، ٥٥٩، ٥٦٠، ٥٦١، ٥٦٢، ٥٦٣، ٥٦٤، ٥٦٥، ٥٦٦، ٥٦٧، ٥٦٨، ٥٦٩، ٥٧٠، ٥٧١، ٥٧٢، ٥٧٣، ٥٧٤، ٥٧٥، ٥٧٦، ٥٧٧، ٥٧٨، ٥٧٩، ٥٨٠، ٥٨١، ٥٨٢، ٥٨٣، ٥٨٤، ٥٨٥، ٥٨٦، ٥٨٧، ٥٨٨، ٥٨٩، ٥٩٠، ٥٩١، ٥٩٢، ٥٩٣، ٥٩٤، ٥٩٥، ٥٩٦، ٥٩٧، ٥٩٨، ٥٩٩، ٦٠٠، ٦٠١، ٦٠٢، ٦٠٣، ٦٠٤، ٦٠٥، ٦٠٦، ٦٠٧، ٦٠٨، ٦٠٩، ٦١٠، ٦١١، ٦١٢، ٦١٣، ٦١٤، ٦١٥، ٦١٦، ٦١٧، ٦١٨، ٦١٩، ٦٢٠، ٦٢١، ٦٢٢، ٦٢٣، ٦٢٤، ٦٢٥، ٦٢٦، ٦٢٧، ٦٢٨، ٦٢٩، ٦٣٠، ٦٣١، ٦٣٢، ٦٣٣، ٦٣٤، ٦٣٥، ٦٣٦، ٦٣٧، ٦٣٨، ٦٣٩، ٦٤٠، ٦٤١، ٦٤٢، ٦٤٣، ٦٤٤، ٦٤٥، ٦٤٦، ٦٤٧، ٦٤٨، ٦٤٩، ٦٥٠، ٦٥١، ٦٥٢، ٦٥٣، ٦٥٤، ٦٥٥، ٦٥٦، ٦٥٧، ٦٥٨، ٦٥٩، ٦٦٠، ٦٦١، ٦٦٢، ٦٦٣، ٦٦٤، ٦٦٥، ٦٦٦، ٦٦٧، ٦٦٨، ٦٦٩، ٦٧٠، ٦٧١، ٦٧٢، ٦٧٣، ٦٧٤، ٦٧٥، ٦٧٦، ٦٧٧، ٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٠، ٦٨١، ٦٨٢، ٦٨٣، ٦٨٤، ٦٨٥، ٦٨٦، ٦٨٧، ٦٨٨، ٦٨٩، ٦٩٠، ٦٩١، ٦٩٢، ٦٩٣، ٦٩٤، ٦٩٥، ٦٩٦، ٦٩٧، ٦٩٨، ٦٩٩، ٧٠٠، ٧٠١، ٧٠٢، ٧٠٣، ٧٠٤، ٧٠٥، ٧٠٦، ٧٠٧، ٧٠٨، ٧٠٩، ٧١٠، ٧١١، ٧١٢، ٧١٣، ٧١٤، ٧١٥، ٧١٦، ٧١٧، ٧١٨، ٧١٩، ٧٢٠، ٧٢١، ٧٢٢، ٧٢٣، ٧٢٤، ٧٢٥، ٧٢٦، ٧٢٧، ٧٢٨، ٧٢٩، ٧٣٠، ٧٣١، ٧٣٢، ٧٣٣، ٧٣٤، ٧٣٥، ٧٣٦، ٧٣٧، ٧٣٨، ٧٣٩، ٧٤٠، ٧٤١، ٧٤٢، ٧٤٣، ٧٤٤، ٧٤٥، ٧٤٦، ٧٤٧، ٧٤٨، ٧٤٩، ٧٥٠، ٧٥١، ٧٥٢، ٧٥٣، ٧٥٤، ٧٥٥، ٧٥٦، ٧٥٧، ٧٥٨، ٧٥٩، ٧٦٠، ٧٦١، ٧٦٢، ٧٦٣، ٧٦٤، ٧٦٥، ٧٦٦، ٧٦٧، ٧٦٨، ٧٦٩، ٧٧٠، ٧٧١، ٧٧٢، ٧٧٣، ٧٧٤، ٧٧٥، ٧٧٦، ٧٧٧، ٧٧٨، ٧٧٩، ٧٨٠، ٧٨١، ٧٨٢، ٧٨٣، ٧٨٤، ٧٨٥، ٧٨٦، ٧٨٧، ٧٨٨، ٧٨٩، ٧٩٠، ٧٩١، ٧٩٢، ٧٩٣، ٧٩٤، ٧٩٥، ٧٩٦، ٧٩٧، ٧٩٨، ٧٩٩، ٨٠٠، ٨٠١، ٨٠٢، ٨٠٣، ٨٠٤، ٨٠٥، ٨٠٦، ٨٠٧، ٨٠٨، ٨٠٩، ٨١٠، ٨١١، ٨١٢، ٨١٣، ٨١٤، ٨١٥، ٨١٦، ٨١٧، ٨١٨، ٨١٩، ٨٢٠، ٨٢١، ٨٢٢، ٨٢٣، ٨٢٤، ٨٢٥، ٨٢٦، ٨٢٧، ٨٢٨، ٨٢٩، ٨٣٠، ٨٣١، ٨٣٢، ٨٣٣، ٨٣٤، ٨٣٥، ٨٣٦، ٨٣٧، ٨٣٨، ٨٣٩، ٨٤٠، ٨٤١، ٨٤٢، ٨٤٣، ٨٤٤، ٨٤٥، ٨٤٦، ٨٤٧، ٨٤٨، ٨٤٩، ٨٥٠، ٨٥١، ٨٥٢، ٨٥٣، ٨٥٤، ٨٥٥، ٨٥٦، ٨٥٧، ٨٥٨، ٨٥٩، ٨٦٠، ٨٦١، ٨٦٢، ٨٦٣، ٨٦٤، ٨٦٥، ٨٦٦، ٨٦٧، ٨٦٨، ٨٦٩، ٨٧٠، ٨٧١، ٨٧٢، ٨٧٣، ٨٧٤، ٨٧٥، ٨٧٦، ٨٧٧، ٨٧٨، ٨٧٩، ٨٨٠، ٨٨١، ٨٨٢، ٨٨٣، ٨٨٤، ٨٨٥، ٨٨٦، ٨٨٧، ٨٨٨، ٨٨٩، ٨٩٠، ٨٩١، ٨٩٢، ٨٩٣، ٨٩٤، ٨٩٥، ٨٩٦، ٨٩٧، ٨٩٨، ٨٩٩، ٩٠٠، ٩٠١، ٩٠٢، ٩٠٣، ٩٠٤، ٩٠٥، ٩٠٦، ٩٠٧، ٩٠٨، ٩٠٩، ٩١٠، ٩١١، ٩١٢، ٩١٣، ٩١٤، ٩١٥، ٩١٦، ٩١٧، ٩١٨، ٩١٩، ٩٢٠، ٩٢١، ٩٢٢، ٩٢٣، ٩٢٤، ٩٢٥، ٩٢٦، ٩٢٧، ٩٢٨، ٩٢٩، ٩٣٠، ٩٣١، ٩٣٢، ٩٣٣، ٩٣٤، ٩٣٥، ٩٣٦، ٩٣٧، ٩٣٨، ٩٣٩، ٩٤٠، ٩٤١، ٩٤٢، ٩٤٣، ٩٤٤، ٩٤٥، ٩٤٦، ٩٤٧، ٩٤٨، ٩٤٩، ٩٥٠، ٩٥١، ٩٥٢، ٩٥٣، ٩٥٤، ٩٥٥، ٩٥٦، ٩٥٧، ٩٥٨، ٩٥٩، ٩٦٠، ٩٦١، ٩٦٢، ٩٦٣، ٩٦٤، ٩٦٥، ٩٦٦، ٩٦٧، ٩٦٨، ٩٦٩، ٩٧٠، ٩٧١، ٩٧٢، ٩٧٣، ٩٧٤، ٩٧٥، ٩٧٦، ٩٧٧، ٩٧٨، ٩٧٩، ٩٨٠، ٩٨١، ٩٨٢، ٩٨٣، ٩٨٤، ٩٨٥، ٩٨٦، ٩٨٧، ٩٨٨، ٩٨٩، ٩٩٠، ٩٩١، ٩٩٢، ٩٩٣، ٩٩٤، ٩٩٥، ٩٩٦، ٩٩٧، ٩٩٨، ٩٩٩، ١٠٠٠، ١٠٠١، ١٠٠٢، ١٠٠٣، ١٠٠٤، ١٠٠٥، ١٠٠٦، ١٠٠٧، ١٠٠٨، ١٠٠٩، ١٠١٠، ١٠١١، ١٠١٢، ١٠١٣، ١٠١٤، ١٠١٥، ١٠١٦، ١٠١٧، ١٠١٨، ١٠١٩، ١٠٢٠، ١٠٢١، ١٠٢٢، ١٠٢٣، ١٠٢٤، ١٠٢٥، ١٠٢٦، ١٠٢٧، ١٠٢٨، ١٠٢٩، ١٠٣٠، ١٠٣١، ١٠٣٢، ١٠٣٣، ١٠٣٤، ١٠٣٥، ١٠٣٦، ١٠٣٧، ١٠٣٨، ١٠٣٩، ١٠٤٠، ١٠٤١، ١٠٤٢، ١٠٤٣، ١٠٤٤، ١٠٤٥، ١٠٤٦، ١٠٤٧، ١٠٤٨، ١٠٤٩، ١٠٥٠، ١٠٥١، ١٠٥٢، ١٠٥٣، ١٠٥٤، ١٠٥٥، ١٠٥٦، ١٠٥٧، ١٠٥٨، ١٠٥٩، ١٠٦٠، ١٠٦١، ١٠٦٢، ١٠٦٣، ١٠٦٤، ١٠٦٥، ١٠٦٦، ١٠٦٧، ١٠٦٨، ١٠٦٩، ١٠٧٠، ١٠٧١، ١٠٧٢، ١٠٧٣، ١٠٧٤، ١٠٧٥، ١٠٧٦، ١٠٧٧، ١٠٧٨، ١٠٧٩، ١٠٨٠، ١٠٨١، ١٠٨٢، ١٠٨٣، ١٠٨٤، ١٠٨٥، ١٠٨٦، ١٠٨٧، ١٠٨٨، ١٠٨٩، ١٠٩٠، ١٠٩١، ١٠٩٢، ١٠٩٣، ١٠٩٤، ١٠٩٥، ١٠٩٦، ١٠٩٧، ١٠٩٨، ١٠٩٩، ١١٠٠، ١١٠١، ١١٠٢، ١١٠٣، ١١٠٤، ١١٠٥، ١١٠٦، ١١٠٧، ١١٠٨، ١١٠٩، ١١١٠، ١١١١، ١١١٢، ١١١٣، ١١١٤، ١١١٥، ١١١٦، ١١١٧، ١١١٨، ١١١٩، ١١٢٠، ١١٢١، ١١٢٢، ١١٢٣، ١١٢٤، ١١٢٥، ١١٢٦، ١١٢٧، ١١٢٨، ١١٢٩، ١١٣٠، ١١٣١، ١١٣٢، ١١٣٣، ١١٣٤، ١١٣٥، ١١٣٦، ١١٣٧، ١١٣٨، ١١٣٩، ١١٤٠، ١١٤١، ١١٤٢، ١١٤٣، ١١٤٤، ١١٤٥، ١١٤٦، ١١٤٧، ١١٤٨، ١١٤٩، ١١٥٠، ١١٥١، ١١٥٢، ١١٥٣، ١١٥٤، ١١٥٥، ١١٥٦، ١١٥٧، ١١٥٨، ١١٥٩، ١١٦٠، ١١٦١، ١١٦٢، ١١٦٣، ١١٦٤، ١١٦٥، ١١٦٦، ١١٦٧، ١١٦٨، ١١٦٩، ١١٧٠، ١١٧١، ١١٧٢، ١١٧٣، ١١٧٤، ١١٧٥، ١١٧٦، ١١٧٧، ١١٧٨، ١١٧٩، ١١٨٠، ١١٨١، ١١٨٢، ١١٨٣، ١١٨٤، ١١٨٥، ١١٨٦، ١١٨٧، ١١٨٨، ١١٨٩، ١١٩٠، ١١٩١، ١١٩٢، ١١٩٣، ١١٩٤، ١١٩٥، ١١٩٦، ١١٩٧، ١١٩٨، ١١٩٩، ١٢٠٠، ١٢٠١، ١٢٠٢، ١٢٠٣، ١٢٠٤، ١٢٠٥، ١٢٠٦، ١٢٠٧، ١٢٠٨، ١٢٠٩، ١٢١٠، ١٢١١، ١٢١٢، ١٢١٣، ١٢١٤، ١٢١٥، ١٢١٦، ١٢١٧، ١٢١٨، ١٢١٩، ١٢٢٠، ١٢٢١، ١٢٢٢، ١٢٢٣، ١٢٢٤، ١٢٢٥، ١٢٢٦، ١٢٢٧، ١٢٢٨، ١٢٢٩، ١٢٣٠، ١٢٣١، ١٢٣٢، ١٢٣٣، ١٢٣٤، ١٢٣٥، ١٢٣٦، ١٢٣٧، ١٢٣٨، ١٢٣٩، ١٢٤٠، ١٢٤١، ١٢٤٢، ١٢٤٣، ١٢٤٤، ١٢٤٥، ١٢٤٦، ١٢٤٧، ١٢٤٨، ١٢٤٩، ١٢٥٠، ١٢٥١، ١٢٥٢، ١٢٥٣، ١٢٥٤، ١٢٥٥، ١٢٥٦، ١٢٥٧، ١٢٥٨، ١٢٥٩، ١٢٦٠، ١٢٦١، ١٢٦٢، ١٢٦٣، ١٢٦٤، ١٢٦٥، ١٢٦٦، ١٢٦٧، ١٢٦٨، ١٢٦٩، ١٢٧٠، ١٢٧١، ١٢٧٢، ١٢٧٣، ١٢٧٤، ١٢٧٥، ١٢٧٦، ١٢٧٧، ١٢٧٨، ١٢٧٩، ١٢٨٠، ١٢٨١، ١٢٨٢، ١٢٨٣، ١٢٨٤، ١٢٨٥، ١٢٨٦، ١٢٨٧، ١٢٨٨، ١٢٨٩، ١٢٩٠، ١٢٩١، ١٢٩٢، ١٢٩٣، ١٢٩٤، ١٢٩٥، ١٢٩٦، ١٢٩٧، ١٢٩٨، ١٢٩٩، ١٣٠٠، ١٣٠١، ١٣٠٢، ١٣٠٣، ١٣٠٤، ١٣٠٥، ١٣٠٦، ١٣٠٧، ١٣٠٨، ١٣٠٩، ١٣١٠، ١٣١١، ١٣١٢، ١٣١٣، ١٣١٤، ١٣١٥، ١٣١٦، ١٣١٧، ١٣١٨، ١٣١٩، ١٣٢٠، ١٣٢١، ١٣٢٢، ١٣٢٣، ١٣٢٤، ١٣٢٥، ١٣٢٦، ١٣٢٧، ١٣٢٨، ١٣٢٩، ١٣٣٠، ١٣٣١، ١٣٣٢، ١٣٣٣، ١٣٣٤، ١٣٣٥، ١٣٣٦، ١٣٣٧، ١٣٣٨، ١٣٣٩، ١٣٤٠، ١٣٤١، ١٣٤٢، ١٣٤٣، ١٣٤٤، ١٣٤٥، ١٣٤٦، ١٣٤٧، ١٣٤٨، ١٣٤٩، ١٣٥٠، ١٣٥١، ١٣٥٢، ١٣٥٣، ١٣٥٤، ١٣٥٥، ١٣٥٦، ١٣٥٧، ١٣٥٨، ١٣٥٩، ١٣٦٠، ١٣٦١، ١٣٦٢، ١٣٦٣، ١٣٦٤، ١٣٦٥، ١٣٦٦، ١٣٦٧، ١٣٦٨، ١٣٦٩، ١٣٧٠، ١٣٧١، ١٣٧٢، ١٣٧٣، ١٣٧٤، ١٣٧٥، ١٣٧٦، ١٣٧٧، ١٣٧٨، ١٣٧٩، ١٣٨٠، ١٣٨١، ١٣٨٢، ١٣٨٣، ١٣٨٤، ١٣٨٥، ١٣٨٦، ١٣٨٧، ١٣٨٨، ١٣٨٩، ١٣٩٠، ١٣٩١، ١٣٩٢، ١٣٩٣، ١٣٩٤، ١٣٩٥، ١٣٩٦، ١٣٩٧، ١٣٩٨، ١٣٩٩، ١٤٠٠، ١٤٠١، ١٤٠٢، ١٤٠٣، ١٤٠٤، ١٤٠٥، ١٤٠٦، ١٤٠٧، ١٤٠٨، ١٤٠٩، ١٤١٠، ١٤١١، ١٤١٢، ١٤١٣، ١٤١٤، ١٤١٥، ١٤١٦، ١٤١٧، ١٤١٨، ١٤١٩، ١٤٢٠، ١٤٢١، ١٤٢٢، ١٤٢٣، ١٤٢٤، ١٤٢٥، ١٤٢٦، ١٤٢٧، ١٤٢٨، ١٤٢٩، ١٤٣٠، ١٤٣١، ١٤٣٢، ١٤٣٣، ١٤٣٤، ١٤٣٥، ١٤٣٦، ١٤٣٧، ١٤٣٨، ١٤٣٩، ١٤٤٠، ١٤٤١، ١٤٤٢، ١٤٤٣، ١٤٤٤، ١٤٤٥، ١٤٤٦، ١٤٤٧، ١٤٤٨، ١٤٤٩، ١٤٥٠، ١٤٥١، ١٤٥٢، ١٤٥٣، ١٤٥٤، ١٤٥٥، ١٤٥٦، ١٤٥٧، ١٤٥٨، ١٤٥٩، ١٤٦٠، ١٤٦١، ١٤٦٢، ١٤٦٣، ١٤٦٤، ١٤٦٥، ١٤٦٦، ١٤٦٧، ١٤٦٨، ١٤٦٩، ١٤٧٠، ١٤٧١، ١٤٧٢، ١٤٧٣، ١٤٧٤، ١٤٧٥، ١٤٧٦، ١٤٧٧، ١٤٧٨، ١٤٧٩، ١٤٨٠، ١٤٨١، ١٤٨٢، ١٤٨٣، ١٤٨٤، ١٤٨٥، ١٤٨٦، ١٤٨٧، ١٤٨٨، ١٤٨٩، ١٤٩٠، ١٤٩١، ١٤٩٢، ١٤٩٣، ١٤٩٤، ١٤٩٥، ١٤٩٦، ١٤٩٧، ١٤٩٨، ١٤٩٩، ١٥٠٠، ١٥٠١، ١٥٠٢، ١٥٠٣، ١٥٠٤، ١٥٠٥، ١٥٠٦، ١٥٠٧، ١٥٠٨، ١٥٠٩، ١٥١٠، ١٥١١، ١٥١٢، ١٥١٣، ١٥١٤، ١٥١٥، ١٥١٦، ١٥١٧، ١٥١٨، ١٥١٩، ١٥٢٠، ١٥٢١، ١٥٢٢، ١٥٢٣، ١٥٢٤، ١٥٢٥، ١٥٢٦، ١٥٢٧، ١٥٢٨، ١٥٢٩، ١٥٣٠، ١٥٣١، ١٥٣٢، ١٥٣٣، ١٥٣٤، ١٥٣٥، ١٥٣٦، ١٥٣٧، ١٥٣٨، ١٥٣٩، ١٥٤٠، ١٥٤١، ١٥٤٢، ١٥٤٣، ١٥٤٤،

عموم الناس إلى التَّحَرِّي الأَدَقَّ للمسائل الدِّيَنِيَّة، تخليف المطالب النَّافِعَة - مكانَ البَلاَئِيْثِ المَبْتَدَلَة أو الرَّدِيئَة - في المَحامِيل (=الهواتف المنقولة) و الحواسيب (=الأجهزة الكمبيوترية)، تمهيداً أرضِيَّةً واسعةً جامعَةً ثقافيَّةً على أساس معارف القرآن و أهل البيت -عليهم السَّلَام - بباعثِ نشرِ المعارفِ، خدماتٍ للمُحَقِّقِينَ و الطَّلَّابِ، توسعةً ثقافَةً القِراءَة و إغناء أوقات فراغَهُ هُوَاةً بِرَامِجِ العِلْمِ الإِسْلامِيَّة، إنالهُ المَنابعِ اللّازِمَة لتسهيلِ رفعِ الإِبْهَامِ و الشُّبُهَاتِ المُنْتَشِرَة في الجامعَة، و... - مِنها العَدالَة الاجْتِمَاعِيَّة: التي يُمكنُ نشرها و بثها بالأجهزة الحديثة متصاعدةً، على أَنَّهُ يُمكنُ تسريعُ إبرازِ المَرافِقِ و التسهيلاتِ - في آكنافِ البَلَدِ - و نشرِ الثَّقافَةِ الإِسْلامِيَّةِ و الإِيرانِيَّةِ - في أنحاءِ العالَمِ - مِن جِهَةٍ أُخْرَى. - من الأنشطة الواسعة للمركز:

(الف) طبع و نشر عشراتِ عَنوانِ كُتُبٍ، كُتِيبَةٍ، نَشْرَة شَهْرِيَّة، مع إقامَة مسابِقاتِ القِراءَة

(ب) إنتاجُ مَناتِ أَجْهَزَة تحقِيقِيَّة و مَكْتِيبَةٍ، قابِلَة للتشغِيلِ في الحاسوبِ و المَحْمُولِ

(ج) إنتاجُ المَعَارِضِ ثَلَاثِيَّةِ الأَبْعادِ، المَنظرِ الشامِلِ (= بانوراما)، الرِّسومِ المَتَحَرِّكَة و... الأَماكنِ الدِّيَنِيَّةِ، السِياحِيَّةِ و...

(د) إبداعِ المَوقِعِ الإِنْتَرَنْتِي "القائِمِيَّة" www.Ghaemiyeh.com و عَدَّة مَواقِعِ أُخْرَى

(ه) إنتاجُ المُنْتَجاتِ العَرْضِيَّة، الخَطاباتِ و... للعرضِ في القنواتِ القَمْرِيَّة

(و) الإِطْلاقِ و الدَّعمِ العِلْمِيّ لِنِظامِ إِجابَة الأَسْئَلَة الشَّرْعِيَّة، الإِخْلاقِيَّة و الاعتقادِيَّة (الهاتف: ٠٠٩٨٣١١٢٣٥٠٥٢٤)

(ز) ترسيمِ النِظامِ التَلقائِيّ و الِيدوِيّ للبلوتوث، وِيبِ كَشَك، و الرِّسائِلِ القَصِيرَة SMS

(ح) التَعاونِ الفَخْرِيّ مع عَشْرَتِ مَراكِزِ طَبِيعِيَّة و اعتبارِيَّة، مِنها بِيوتِ الآياتِ العِظامِ، الحوزاتِ العِلْمِيَّة، الجوامِعِ، الأَماكنِ الدِّيَنِيَّة كَمَسْجِدِ جَمْكَرَانَ و...

(ط) إقامَة المؤتمَراتِ، و تنفيذِ مَشروعِ "ما قَبْلَ المَدْرَسَة" الخاصَّ بالأَطْفالِ و الأَحْداثِ المُشارِكِينَ في الجلسَة

(ي) إقامَة دوراتِ تَعليمِيَّةِ عَمومِيَّة و دوراتِ تَربِيَة المَرَبِيّ (حضوراً و افتراضاً) طِيلَة السَّنَة

المَكْتَبِ الرِّئِيسِيّ: إِيْرانَ/أَصْبَهانَ/شارعِ "مَسْجِدِ سَيدِ/ "ما بَيْنَ شارِعِ "بِنجِ رَمَضانِ" و مُفْتَرَقِ "وفايى/ "بنايه" القائِمِيَّة"

تاريخِ التأسيسِ: ١٣٨٥ الهِجرِيَّة الشَّمْسِيَّة (=١٤٢٧ الهِجرِيَّة القَمْرِيَّة)

رقمِ التَسْجِيلِ: ٢٣٧٣

الهويَّة الوطِئِيَّة: ١٠٨٦٠١٥٢٠٢٦

المَوقِعِ: www.ghaemiyeh.com

البريدِ الإِلِكْترونيّ: Info@ghaemiyeh.com

المَتَجَرِ الإِنْتَرَنْتِيّ: www.eslamshop.com

الهاتف: ٢٥-٢٣-٢٣٥٧٠ (٠٠٩٨٣١١)

الفاكس: ٢٢-٢٣٥٧٠ (٠٣١١)

مَكْتَبِ طَهْرانَ ٨٨٣١٨٧٢٢ (٠٢١)

التَّجَارِيَّة و المَبِيعاتِ ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩

امورِ المَسْتخْدَمِينَ ٢٣٣٣٠٤٥ (٠٣١١)

مَلاحِظَة هامة:

المِيزاتِيَّة الحالِيَّة لِهَذَا المَركِزِ، شَعْبِيَّة، تَبَرَعِيَّة، غَيْرِ حُكومِيَّة، و غَيْرِ رِبْحِيَّة، اِقْتِنِيَّتِ باهْتِمَامِ جَمْعِ مِنَ الخَيْرِينَ؛ لَكِنها لا تُوافِي الحِجْمَ المَترايدِ و المَتَسَعِ لِلأمورِ الدِّيَنِيَّةِ و العِلْمِيَّةِ الحالِيَّةِ و مَشارِيعِ التوسِعةِ الثَّقافِيَّة؛ لِهَذَا فَقدِ تَرَجَّى هَذَا المَركِزُ صَاحِبَ هَذَا البَيْتِ (المُسَمَّى

بالقائمية) و مع ذلك، يرجو من جانب سماحة بقيه الله الأعظم (عجل الله تعالى فرجه الشريف) أن يوفق الكل توفيقاً متزائداً لإعانتهم - في حدّ التمكن لكل احد منهم - إيانا في هذا الأمر العظيم؛ إن شاء الله تعالى؛ و الله وليّ التوفيق.

مركز
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
الغمامة اصحمان

WWW



للحصول على المكتبات الخاصة الاخرى
ارجعوا الى عنوان المركز من فضلكم

www.Ghaemiyeh.com

www.Ghaemiyeh.net

www.Ghaemiyeh.org

www.Ghaemiyeh.ir

و للايحاء من فضلكم

٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٥٩

